



١٧١

الجمال

في تفسير القرآن الكريم

السيد علي عماد الدين المكنى بأبي عبد الله

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ ططاوي جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا  
متع الله المسلمين بحياه آمين

الجزء الرابع عشر

طبع مطبعة

مصطفى السباني الحلبى وأولاده بمصر

وتتوق الطبع محفوظه

وباشطه محمد امين عمران

محرم سنة ١٣٤٨ هـ

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

### سورة القصص وهي مكية

(إلا من قوله - وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين - إلى قوله - إنك لانتهدى من أحيت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين - فخذية ، وآية - وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلا راحة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين - فبالجفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد الفحل )

ولأقدم قبل تفسير السورة مقدمات ثلاثا قد كنت كتبتها في كتابي (النظام والاسلام) وفي كتابي (نظام العالم والأمم) وقد كانت تدرج في جريدة المؤيد وغيرها قبل وضعها في الكتاب ، تلك المقدمات ذات علاقة بالقصص القرآنية المذكورة في هذه السورة وغيرها

(المقدمة الأولى . نموذج في فهم كيفية قصص القرآن )

(التربية والآداب في قصص القرآن )

طال الأمر على أمتنا فأهملت ما في غصون كتابها من أساس التربية والحكمة وكيف تنتفي الرجال الأكفاء في مهام الأعمال ، ياليت شعري ما الذي أصابها حتى غشت النظر عن القصص التي قصها وأهملت أمرها وظن أهلها أنها أمور تاريخية لا تنفيد إلا المؤرخين ، القصص في كل أمة عليها مدار ارتقاؤها سواء أكانت وضعية أم حقيقية على ألسنة الحيوان أو الإنسان أو الجاد ، على هذا تبحث الأمم قديما وحديثا وناهيك بكتاب كريمة ودعة وما والاه من القصص الناصجة على منواله في الاسلام ككتاب فاكهة الخلفاء ومقامات الحريري وان حاد بعضها عن سواء الصراط والجادة وطلعي غلظ الجذ بالهزل ككتاب (ألف ليلة وليلة) الذي استخلص زبدته الغربيون ، كل يعلم ما صنعت الروايات في عقول الغربيين من التأثير وأخذهم منها بالأحسن من الكلام والأجمل من الأفعال وكيف يسمعون ويقولون ، جاء القرآن بقصص الأنبياء وهي لاجرم أعلى مثالا وأشرف

مزينة كيف لا وقد جعت حسن الأسلوب واختيار المقامات المناسبة لما سيقت إليه والقوة الحسنة بالكميل  
 الخلفين من الأنبياء ومن والاهم وتحققها في أنفسها لوقوع مواردها وأن حب التشبه طبيعة مرتكزة في الانسان  
 لاسيما لمن يقتدى بهم ، فهذه خمس مزايا اختصت بها هذه القصص ونقصت في سواها ككتاب كلية ودمنة  
 منتقى كتب الهند وترجمة الفرس والاسلام جاء على ألسنة الحيوانات وقد نقصه تحقق موارده والروايات المنتشرة  
 في القرب أكثرها إيهاما لوقوع مواردها اختلط فيها صادق الحكم بكاذب الوقائع اصطفاها القوم لأنفسهم لما  
 تضمنته من النماذج في بواطنها مع زخرف ظاهرها وقصصها الكاذب . أليس من العيب الفاضح أن تقرأ  
 قصص القرآن فلانكاد تفهم إلا حكايات ذهبت مع الزمان ومرت كأمس الدابر ومالتا ولها إذن ؟ ثالثة ان هذا هو  
 البوار ، وما نحن إلا كالحكي في هذه الأيام عن فلاح يورى فقير يني منزله الحقيق من حاسنون مرصع بقطع  
 من الماس الجليل المقدري بمئات الألوف من الجنيهات جهلها الرجل وعرفها سائح أوروبا في كان ذلك من أهم  
 الاكتشاف في تلك الأقطار . كم من فني يسمع هذه القصص فيقول في نفسه تارة وعلى الملأ أخرى باليت شعري  
 كيف توافق التاريخ وهل الاكتشافات التاريخية والمباحث العصرية والعلوم المكتشفة في الازهرام والبراني والهيلوغريف  
 تؤيده ويظل يبحث عن ذلك حتى يقف باهتا مندهشا وقد يعثر على قول فلان الفرنسي والإنجليزي مما يؤيد  
 هذه المباحث فيطربها فرحا ويطلق أن هذا مستند للدين وفاته أنه أن وافقه كتاب فقد يخالفه كتب إذ لا  
 نبات للورخين فيما يصفون عن دهر الداهري . لعمر العلم لم يكن هذا إلا للجهل بالمقصود من قصصها وانها عبرة  
 لمن اعتبر وتذكرة لمن تفكر وتبصرة لمن ازدجر ، أما الرجوع الى التاريخ ومقارنته بما قصه المؤرخون في  
 كتبهم وماسطره الأقدمون على مبانيهم ومايقوله القاصون في خرافاتهم فذلك سبيل حائد عن الجادة يضل فيه  
 الماهرون ، يرشدك لذلك ماتسمعه من نأ فنية الكهف وكيف يقول - سيقولون ثلاثة رابعهم كابهم ويقولون  
 خمسة سادسهم كابهم رجبا بالفيب ويقولون سبعة وثامنهم كابهم قل ربي أعلم بعذبهم مايعلمهم إلا قليل -

فانظر كيف أسند العلم لله ولم يعول على قول المؤرخين المختلفين ثم لم يبين الحقيقة لثلا يكون ذريعة للطعن  
 في التنزيل فان قال خمسة قالوا ستة وان قال أربعة قالوا سبعة فكتب المؤرخين كثيرة الاختلاف في القصص  
 والمقصود منها وليكون عبرة . وبالأجل فليس القصد من هذه القصص إلا منافعها والعبء المبصرة للسامعين  
 - لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب - ولنا من يتبجح بالقول بلا بيان فلا نعتمد إلا على البرهان ،  
 تأمل يصاح هذا القصص تجده لا يذكر إلا ما يناسب الارشاد والنصح ويعرض عن كثير من الوقائع إذ لا لزوم  
 لها ولا معقول عليها فلترى قصة إلا وفيها توحيد وعلم ومكارم أخلاق وحجج عقلية وتبصرة وتذكرة ومحاورات  
 جلية تلذ العقلاء ، ولأقصر من تلك القصص على ما حكاها عن النبي يوسف الصديق عليه السلام وكيف جاوز  
 فيها كل مالا علاقة له بالأخلاق من مدينة المصريين وأحوالهم الى الخلافة والنبوة الخ اه

### ( المقدمة الثانية )

لأذكرك نموذجاً آخر لذلك وهي محادثة جرت بيني وبين فتي في حديقة الجيزة إذ قال اتني اعتقدت أن  
 القرآن أعظم مشرق للعالم ولكن أنا ما يقولون

(١) إن الدين لاعلاقة له بالكون وهؤلاء علماء أوروبا تراهم عزلوا الدين عن العلوم فأفعلوها وهم  
 صادقون فاجبرني رعاك الله ابن أنت من قصة سليمان وماحكاها الله في القرآن ولقد شئت أسئلة فلم أقدر على  
 الاجابة عليها فما أناذا أعرضها الآن

(٢) كيف سمع سليمان الخلة وهي تسلك - حتى اذا أتوا على واد الخمل قالت غلة يا أيها الخمل ادخلوا  
 مساكنكم لا يحطركم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - وتفسير الآية ظاهر بأقل التفات

(٣) وكيف يقول الرب - وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق وأوتينا من كل شيء -



وكلمة الهدى فقال - أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ بنبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء - الآية

(٤) وكيف يقول - قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين - وكيف يقول - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك (٥) وممالك الأبنية العظيمة المسماة بالمحاريب التي كانوا يعملونها له - يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل - الآية

(٦) وممالك القصاع الكبيرة المعبر عنها بالجفان ، وما تلك القصور الراسيات العظيمة (٧) وكيف تسيل المعادن من الأرض المرموز لها بقوله - وأسلنا له عين القطر - أى أسلنا له النحاس كالعين ينبع (٨) وماهى دابة الأرض التي أكلت عصاه في قوله - ما دهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب لآلئوا في العذاب المهين - (٩) وكيف سخرت له الريح حتى قال - ول سليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر - شهر أول النهار وشهر آخره

(١٠) ماهذه المحاوره التي بين بلقيس وقومها واستشارتهم في الامور العاتية والسياسة عند وصول كتاب سليمان اليها - قالت يا أيها الملؤأ أفنوني في أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون \* قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد - وهذا السؤال الأخير ليس فيه أشكال وإنما سألتكم فيه تسكيلاً للقيام وأنتى أعتقد أن هذه لاعلاقة لها بالعلوم لبعدها عن الافهام ولا ينبغي أن يفهمها إلا العاتية ، أما أمثالنا الذين اقتبسوا العلوم واجتالوا الحقائق فالأجدر بهم أن يكفوا عن هذا وسكت . فقلت أيها الفتى إن لكل أمة وجهة توليها وتناسب حالها والأتم التي ذكرت لم يكن في ديانتها علوم وإنما هي مواعظ وقوم دينهم شأنه هذا جديرون بعزله عن العلوم فنحن على هذا نقر لهم بالعلم والحكمة وإنما كان هذا شأنهم لأن عيسى عليه السلام جاء بالروحانيات خاصة وأبعد عما عداها ولم يلتفت قط في خطابه الى غير ذلك وموسى قبله أخذ بالجسمانيات وأما القرآن فيجمع بين الأمرين وتكلم على الجسمانيات والروحانيات وأشار الى العلوم اجالا فاذا قلدناهم في ذلك ساءت العقبي لأن المسلمين أمة عودها دينها أن يتكلم عن جميع شؤونها اجالا حتى انه يعلمهم المواريث والأحكام ويفصل بينهم بالحق فاذا جاؤا الى العلوم وعزلوه عنها ارتبكوا في شؤونهم ولم يجتمعوا على رأى واحد فالقرآن جامع بينهم . وأما مسألة نبي الله سليمان عليه السلام فاني أرى انك تستعظم ذكر الخلة وكلامها والهدد وخطابه والأرضه وأكلها العصا مع نبي الله سليمان ويلوح لي أنك لم تعلم ما المراد من ذكر هذه الحيوانات ، ولقد تم لك مقدمتين قبل الخوض في الجواب عن أسئلتك العشر . فقال نعم هات . فقلت تعلم أيها الفتى أن الأمم أجمعوا على استحسان ذكر الحكم والعلوم والمواعظ على أسنة الحيوانات والانسان ، ألم ترالى كتاب (كاتبه ودمته) نخبه كتب الهند وترجمة الفرس والعرب وهكذا نسجت كتب كثيرة على منواله في الاسلام وقد علمت هذا المقام في قصة سيدنا يوسف عليه السلام فلا أطيل بالاعادة

إن الحيوانات على ( قسمين ) حكيمة تعمل الأعمال العجيبة كالفيل في بناء المساكن والادخار والأرضه في الهندسة والاتقان والنحل وغيرها ، فهذه حيوانات صغرت أجسامها وعظمت حكمتها ( والقسم الثاني ) حيوانات خلقت للعمل كالثور والجاموس فلا قدرة لها على أعمال الحمل ولان النحل ولادود القر فهى حيوانات عاملة لاعالة فأعطيت الضعيفة العلم والقوية العمل ، قسمة عادلة ، وقد جعل الله الحيوانات الحكيمة معلمة للانسان - فبعت الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا بولتي أعجزت أن أكون

مثل هذا القرب فأورى سوءة أخرى -

إذا فهمت هاتين المقدمتين فاعلم أن قصص القرآن جاءت بوجه عام حكاية عن الأنبياء وهم أشرف ما يملكه الانسان وهذه أول مزية واضحة الظاهر حقيقية وهي مرتبة ثانية ودالة على التوحيد والأخلاق ، وهي مرتبة ثالثة خاصة بما لالعلاقة بذلك وهي مرتبة رابعة ، وهذا نبي الله سليمان عليه السلام لم يذكر معه إلا الخمل والمهدد والأرضة وهي دابة الأرض ، فظاهر هذه الألفاظ أمور سهلة بسيطة وكام المهدد وسمع الخمل وأكلت الأرضة عصاه ، فأما الجاهل فحتى سمع هذه اكتفى بها وقال كفى بهذه معجزة ويقف عند هذا الحد ويظن أن هذا غاية ما في القرآن وهذا في الحقيقة لم يصل لدرجة تلميذ في المدارس فانه يقرأ الحكاية ويقول ما مغازها وما المقصود منها ، ولما علم أهل أوروبا أن التاريخ جعل لاعتقالاتهم والاعتبار وجهوا اليه عنايتهم وأخذ كل عالم يهذب تاريخ قومه علماء منهم أن المدار على ثمراته لاسرد حكاياته . ثم إن علماء الاسلام ماضوا علوم البلاغة إلا لخدمة القرآن ، ومن أجل ذلك العلوم فن البیان وفيه الاستعارة التثنية التي تشمل جميع الروايات والخيالات وما جاء على ألسنة الحيوان والنبات ومنه مقامات الحر يرى واعترضوا عليه بأن هذا خيال يلتبس بالحقيقة ومن هذا القليل جميع الروايات المنتشرة في زماننا هذا ، فأما مثل (كائلة ودمنة) التي جاء على ألسنة الحيوانات فقد قلها جميع علماء الغرب والشرق لظهور أن القصد منه الحكم والمواعظ وهذا هو الاستعارة التثنية بالطريقة العملية وهناك نوع يسمى الكناية وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع ارادة المعنى الأصلي فيكون المعنى الأصلي صحيحا واللازم هو المقصود بالذات وعلى هذا جاء قصص القرآن فيكون حكايات ظاهرها صحيح ومقصدها ما وراء ذلك المعنى ، فالعالم يقف عند مجرد الحكاية ، فإذا سمع مسألة المهدد مع سليمان والخمل وحد الله وأخلص له وعبدته وأخذ يسبح بكرة وأصيل ، أما العالم فإذا سمع هذا قال ليس القصد من هذه القصة مجرد الخطاب فان الخمل ومسألته والمهدد وخبره والأرضة وأكلها أمور تشير الى ما هو أدنى من ذلك وأرقى وكون نبي الله سليمان عليه السلام علم منطق الطائر صحيح في نفسه ولصكن الطير ليس عنده من العلم إلا مقادير محددة تناسب ما سمعه ومشربه . إذن هذه الأمور تستلزم بطريق الكناية معاني أرقى من هذه مرادة ومقصودة ، وإذا كان كل كلام عربي وأعجمي له مغزى فكيف يحرم من هذا كلام الله ولأجله دون فن البلاغة ، إن هذا هو الحسran المبين ، ومن ادعى أن المقصود حكاية بسيطة فهو أحقر من أن يكون تلميذا بل هو حيوان فالأولى أن يسكت وليعتزل العلماء وليجلس مع العامة فليس له في العلم من نصيب . فقال الفتي ماثلا الكناية من كلام العرب ؟ فقلت أنواع المجاز والكنايات عليها مدار تفاضل البلغاء والشعراء والخطباء ، وكل كلام لم يكن فيه تلك الملح بخيده عاطل من حلي البلاغة ، ولأذ كر لك مثالا واحدا لتقيس عليه ما سواه ﴿ دخل صخر أخواله النساء عليها يوما واستشارها في أن تزوج دريد بن الصمة أحد مشاهير العرب فقالت في آيات لها

معاذ الله يرضعني حبرك ﴾ قصير الشعر من جثم بن بكر

فالجاهل إذا سمع مثل هذا يقول أين المناسبة بين السؤال والجواب فهو يقول لها تزوجي دريدا وهي تقول أعوذ بالله أن أرضع طفلا قصيرا شبره قصير ، أما العالم فانه يعرف اللازم والمزوم ويدرك سرا فهمه العربي في البداية بدون تعلم بل بالفطرة والمزجة الإلهية وهوانها ان تزوجت فلا بد من الاقتراب والاقتراب ينبعه الجهل فالوضع الفارضاع لطفل يشبه أباه غالبا وأبوه قصير فيكون قصيرا والأعضاء على حسب الجسم ومنها الشبر فيكون قصيرا فإذا لم ترضع الطفل الموصوف بما ذكر لزمنها أن لا تزوج أباه المرتب على زواج- ما بعده فهذه لوازم ومزومات ذكرها علم اليان ومقدمات خطابية يذكرها المنطقيون عرفها هؤلاء الأقوام بغيرهم وإذا كان هذا كلام اعرابية في البداية وقد تضمن هذه الحكم وذكرت أمرا صحيحا وهو الامتناع من الارضاع ولكن أرادت ما هو أرق من ذلك عند الفطن وهو عدم التزوج بدريد بن الصمة وهو المقصود بالجواب وقد

عد هذا من أجل طبقات البلاغة فإياك يا سيدي بالقرآن الذي هو سيد الكلام فكيف لا يكون فيه كنيات أم كيف لا يكون فيه رموز وحكم وعجائب وغرائب ، ولو نظرت في كلام العرب بأمعان لرأيت فيه كثيرا من ذلك جدا فإياك بكلام الله جل جلاله . الله أكبر كل كلام يظهر بساطته عند الجاهل بعظم أمره عند العالم الماهر المدقق ، ومما مثل الكلام السهل الممتنع إلا كمثل النور يبدو للجاهل فيظنه معروفا عنده لشدة وضوحه ، فإذا نظر العالم فيه وبحث عنه وقف على كنهه ، وهامهم العلماء قديما وحديثا يبحثون عن كنهه ولا يزالون مختلفين إلى يوم الدين ، العلماء ( ثلاثة ) عالم لغة وهو يفسر القرآن تفسيراً بسيطاً كل لفظة بما يراد منها وهذا في طبقة العامة لم يتزعمهم والعامة يمثل هذا مولعون وهو وهم ناجون بصدقهم وتصديقهم وهم مؤمنون وعالم البلاغة وهو أرقى من سابقه مولع بفهم المقصود من الكلام فيتصرف فيه بالمجاز تارة والكناية أخرى والاستعارة بأنواعها والتخييل وضروبه وهذا متوسط في العلم وفوقه عالم درس جميع العلوم وعرف الكون وأصبحت له ملكة بما يحلل ويركب في المعلومات وهذا هو العالم حقا وهو الحكيم الذي يأخذ بأتمته إلى العلا وهو الذي أشار له الله في قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والنبات والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء - فتأمل كيف مدح العلماء بعد ذكر حكم الله في الكون وتوزيع أشكاله ومزايا أصفائه وعجائبه وإلى هذه الطبقات الإشارة بقوله - يرفع الله الذين آمنوا منكم - إشارة إلى الطبقة الأولى - والذين أتوا العلم درجات - إشارة إلى الطبقتين بعدها وهم درجات بعضها فوق بعض كما قال ابن عباس : بين العالم والجاهل سبعمئة درجة كل درجة كما بين السماء والأرض إشارة إلى تفاوتهم في الفهم كما هو مشاهد محسوس في كل فن من الفنون ، فإذا لم يملك أن تكون من الحكماء فاجتهد أن تكون من علماء البلاغة وهم أوساط الأمم الذين الذين ينطو بهم التحوير والانشاء ومن سمع آية من القرآن فإن كان من الفريق الأول وهم علماء اللغة والعامة فليس لهم إلا ألفاظ بسيطة ترجع لعلم اللغة فإن ترقوا قليلا للبلاغة فيا حبذا ، ولقد أصبحت الأمم جمعاء تنحو هذا النحو في تعليم صغار تلامذة المدارس وهذه أمور سهلة ليست خارجة عن السان للمعهود ، فمن ظن أن القرآن لا يفهم فالأجل به أن يصمت ويصتزل العلماء . عجبا أن يكون لكل حكاية في العالم مغزى يراد منها ويسلب هذه الحكمة أبلغ الكلام ، أين البلاغة إذن ؟ فقال الفتى كفى هذا وأرجو أن أسمع ما ترمن إليه هذه القصة فأجته إلى القد ، رجعت إلى الحديقة ، فقلت يا بني إن هذه القصص تشير إلى مدينة كانت عندني الله سليمان فإن مدار المدينة الآن على

- (١) سرعة نقل الأخبار بالبريد والكهرباء والتلغراف بلا سلك
- (٢) وسرعة النقل وسهولته بالسلك الحديدية والآلات البخارية والمراكب الهوائية (البالون) الذي سيخلف السلك الحديدية الأرضية بواسطة تبخير الغازات التي هي أخف من الهواء
- (٣) وإنشاء المباني العظيمة
- (٤) وفن النقش والتصوير وصنع التماثيل العظيمة
- (٥) واستخدام المعادن على اختلاف أنواعها
- (٦) والتدبير والاحكام والهندسة
- (٧) والسياسة بالتشاور وجعل الأمر بيد الأمة وأن لا يستبد الحاكم بالراي
- (٨) والاعتماد على النفس
- (٩) والتحلي بالعلوم والمعارف
- (١٠) والاقتداء بالصنعة الإلهية

فهل المدينة غير ما ذكرت لك الآن ؟ فقال النبي هذه أمور عامة داخل تحتها فروع كثيرة . قلت المهدد  
 اشارة الى أن النبي سليمان عليه السلام أعطى سهولة نقل الأخبار بأى طريقة من طرق النقل والمهدد رمز  
 لذلك وقد أعطى حكمة ورثها عن آباءه وأبدها الوحي بها فنقل الأخبار بسرعة ليس خاصا بالمهدد بل به وبغيره  
 ولعل عند ما هو أرقى مما عندنا على سبيل الكتابة . وتسخير الريح له اشارة الى أن وساطة النقل متوفرة عنده  
 عليه السلام حتى وصل الى استخدام الريح الذي يبحث عنه الأوروبيون الآن باليارات المعروفة وإن كان  
 للنبي معجزة لا يصل لها البشر ولغيره بالعمل وهو أقل وأضعف ويقال إن النقل في مستقبل الأمر يكون بها  
 لتخلو الأرض للزراعة والمنافع الأخرى ويشارك الإنسان الطير في الطيران وهذا كان سرا لا يعلمه إلا ذلك  
 النبي معجزة له ، ذكره الله في القرآن ليعتد الناس في العلوم لعلومهم يصلون الى بعضه ، أما الوصول الى غايته  
 فلم يصل أحد اليه ، وأشار الى المباني العظيمة بقوله - يعملون له ما يشاء من محارب - . وأما فتح النفس  
 والتصوير في قوله - وتمثيل - وأما استخدام المعادن فهي قوله - وأسلنا له عين القطر - وهو النحاس  
 فقط وهو رمز الى المعادن على اختلاف أنواعها من اطلاق اللفظ واردة لازمة وأجزاء واردة الشكل إذ المدينة  
 الهائلة العظيمة تستلزم الترقى في استخراج المعادن ، وأما التدبير والاحكام في الصناعات واتقانها فاليه اشارة  
 بفهم كلام الخلة وسماها ولذلك يقول - وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير - فأطلق  
 وأريد به لازم معناه وهي الحكم والمعارف والعلوم والنظامات التي أودعت في الطير والحيوان وليس المقصد مجرد  
 تلك الحكاية من الطير والذواب الدالات على أشياء لا تخرج عما يليق بحياة ذلك الحيوان من مأكل ومشرب  
 لاننى نبيا من الأنبياء إلا للاعجاز والتحدى والا فهو أرقى وأوسع علما ، فني الله سليمان أوتى الحكمة والعلم  
 أشاره بقوله بعد ذلك - وأوتينا من كل شيء - ثم أخذ يسرد حكايات النمل والمهدد يدل على الحكمة التي  
 أعطيتها حتى لم يذكر في قصة إلا الحيوانات الحكيمة ولم يذكر الجمل ولا البقر في قصة إذ هو عليه السلام نبي  
 وحكيم ورث بعض العلم عن آباءه الذين أقيمت بهم النبوة والحكمة ، أما سيدنا ونبينا محمد ﷺ فلم يكن علمه  
 ميراثا وإنما جاء كله بطريق الوحي فهو أرقى لأمة أتية جاء في جزيرة العرب لهم خاصة وللناس عامة فأمرهم  
 بالتوحيد والنظر في الكون والأخذ بأحكامه ومما قصه عليهم هذه القصة النبوية وقال تعالى له - فهداهم  
 اقتده - فأمرهم بأن يقتدى بهم ومنهم نبي الله سليمان وقد أوتى الحكمة والعلم فوجب إذن على أتباعه أن  
 ينظروا في قصته ويطلبوا العلم الذي يرقى مدنيتهم من الأمم حولهم فإن بعض العلوم التي عند نبي الله سليمان  
 ورثها عن آباءه وتلقاها عنه حكماء اليونان فالرومان ، وقد كان فيثاغورس تلميذا لنبي الله سليمان عليه الصلاة  
 والسلام كما قيل وقد اشتهر علمه في اليونان والهند كما في كتاب ( الملل والنحل ) ومنهم الى الرومان فالعرب  
 فأهل أوروبا فكان أدوارا شتى وطرقا مختلفة فقصة سليمان اشارة لمدينة قديمة معلوم عهدها مجهولة آثارها  
 إذ سندهم متصل بقدماء المصريين وكان بيت بني اسرائيل مجتمع الحكمة من الأمم الغابرة ودام ملكهم  
 قرونا متطاولة ولذلك لما خرجوا من مصر أمرهم موسى بذبح البقرة لأن أذهانهم قريبة عهد بالجهل المسمى  
 ايس وعباداة المصريين له ولهذا الحادثة سميت بها أكبر سورة في القرآن فليل سورة البقرة وكان بنو اسرائيل  
 إذ ذاك غلاظا شديدا لا يفقهون الحكم فأمرهم بذبح البقرة التي على هيئة عجل ( ايس ) معبود المصريين ولما  
 كثرت فيهم الأنبياء وتعدى الزمان رقت أذهانهم وجاء فيهم نبي الله سليمان عليه السلام وأوتى الملك والحكمة  
 وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وذكر حديث النمل وغيره ، فتأمل رعاك الله تجد الأمم المتأخرة الآن  
 تبحث عن هذه الحيوانات وتتأملها حتى في أصغر كتاب للتلازمة ، فيزان الأمة نظرها في الكون ، فكلمها  
 دقت أنظارهم وعرفوا بواطن الأشياء ترقوا في المدينة والعكس بالعكس وهذا هو المقصود بذكر هذه الحيوانات  
 في قصة ذلك النبي ، ومن العجيب أن السورة التي ذكر فيها النمل وسميت باسمه كانت قصيرة بخلاف البقرة

وانني لا أزال أباها الفتى أنهج من تخصيص ذكر هذه الحيوانات في قصة سليمان ولم يقل تغايب البقرة والغنم والحكمة ما علمت فقال الفتى كفى في هذا السؤال . فقلت وأما القشور في الأمر فهو ظاهر من محاوره بلبقيس لقومها واستشارتهم في الأمر وآدابها وآدابهم وهذا ظاهر لا يحتاج الى إيضاح . وأما الاعتداد على النفس فهو ما ذكره من مسألة العفريت من الجن وأدعاء الجن انهم يعلمون الغيب فقال تعالى - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك - فهذا هداية للإنسان انه متى حاز النهاية في العلوم لم يكن مشله أحد من المخلوقات إذ هو خليفة في الأرض وهو أقوى من الجن ، فهذه أول داع لنزوى العقول أن يتقدموا في العلوم والمعارف وقال - ما دلم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين - فهذه كما ترى أن الاتكال على الاخبار بالغيب عجز وجهل بل الاهتداء بالأمور المعهودة والتأمل في أعمال الخليفة يهدي الإنسان الى الطريق الأقوم فان كثيرا من الناس يخبرون بالغيب ولكنهم فهم الصادق والكاذب فلا يقول عليهم ما عدا المعصومين من الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين والعفريت والجن في هذه الآية يناسب ما انتشر في أوروبا الآن من ظهور عالم الأرواح وتكليفهم إيهم بمهام شائعة مستفيض والجن والعفريت هم من قبل أولئك المستحضرين في أوروبا وهم يخبرون بالغيب والقرآن يفيد أن الإنسان لا يلتفت الى كل خبر منهم بل يعرض كل قول على عقله واستنتاجه كما وضع من هذه الآية ، ونتيجة ذلك أن الاعتداد على النفس والعقل في كل شيء عتق للهمة في العلوم والمعارف وأن الإنسان في علمه فوق الجن مكانة كما في مسألة دلالة دابة الأرض على موت سليمان وجهل الجن به والإنسان أسمى قوة كما في نقل عرش بلقيس بأسرع من لمح البصر . فقال الشاب وكيف انتقل سريعا وبين الشام واليمن شهر . فقلت ذلك اشارة الى أن فوق هذه المدينة الحاضرة مدينة أخرى أسمى منها وأرق وان كان ذلك معجزة للنبي سليمان عليه الصلاة والسلام ولكن يطلب الأخذ بالأسباب لسهولة وسائل النقل والاسراع فيها . أما الاجتهاد في العلوم والمعارف فهو مفهوم من قوله - قال الذي عنده علم من الكتاب - وأما الاهتداء بالسكون والصنعة الإلهية فيفهم من السورة بتمامها وتأمل في النمل وانظر . فقال الشاب ما رأيت أعجب من هذا البيان ثم قال الفتى أخبرني عن يأجوج ومأجوج وكيف ذكرهم الله في القرآن وما لنا بهم من علم وفي أي زمن خروجهم ؟ فقلت أبا الفتى قد سألت هذا السؤال أحد أدباء الهنود من زمن غير بعيد وأجبت في ( مجلة الهلال ) وهي في نظام العالم والأم وقد تقدم في سورة الكهف

### ( المقدمة الثالثة )

( أحوال الدول في قصص فرعون وموسى عليه السلام )

الإنسان في حياته ينتهج سبيلا سلكه من قبله واختطه له جاهل أو عالم فلما مكبا على وجهه أو سويا على صراط مستقيم . كل ابن أتى يتخذ طريقا سنة الأبوان أو الأقربون أو الأخوان والأصحاب والعشيرة والقبيلة والمرى مع ملاحظة الأمر حجة وهؤلاء يهتدون أحد النجدين إما الخير أو الشر ، ويقال آخران هؤلاء مثل ضربت له وسبل طرقا للعبادة أو الشقاء ، والتاريخ مثل واضح يمثل به الإنسان سيره في نفسه وأهله ومدينته متى عقل وعمل وحوادث الاحداث والاخوان تاريخ تشاهده العينان وتسمعه الأذنان ولا جرم انه يستعوز الحكم اذا عقل في سيرته الشخصية والمنزلية ، أما سيرة المدن وتقلبها فربما جعلها الى مرآة أوسع وأعظم ألا وهي تواريخ الأمم الغابرة فهي المنظار المعظم تدرس بها الأخلاق في شكل بهيج جميل . لعمرك ليس كل تاريخ يفي « وما كل مصقول الحديد يمانى » فقد يستمن ذوالورم وينفخ في غير ضرم ، يسرد المؤرخ حكايات الأولين قرنا بعد قرن وحيلا بعد جيل ولن تجد العبر إلا في آثار وأحوال تستأنس بها النفس وتطمئن لها العقول وتذكر له الحوادث بروق بهج ونواحيها ظاهرة واضحة خيرا أو شرا فيخرج القارئ من بساطتها

مقتطفاً من رياضها أزهاراً وجالبا من أشجارها أثماراً ، ولقد ذكر العلماء أن درس التاريخ ان عدل عن هذه الوجهة كان شغلا بلا فائدة وضياح وقت وحياة . نذكر ذلك ليكون عبرة للعالمين لاسيما المصريين وقد كان فرعون يقول - أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون - ذلك تذكرة للكتاب والقارى لأننا نعلم انه لم يكن ليجعل حكاية يسلى بها القارى نفسه كما يشعر به قارى رواية أو يقتل به الزمن كلا . كيف وهو سبحانه وتعالى يقول - لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب - والعبرة مشتقة من عبور البحر فينقل قارى التاريخ حال غيره الى نفسه ويعبر به على سفن الألفاظ الى الحقائق ويقول تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - ويقول جل وعز - كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم - ويقول سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام « ماتت الشمس من جديد » ويقول علماء العصر « التاريخ بعيد نفسه » غفل الناس عن ذلك الاعتبار جهالة بالقصد وخيلا عن الفحوى ورضاء بالقشور وابتعادا عن أسرار البلاغة . جاء الخطاب بلسان العرب وهم يعلمون ضرب الأمثال والمواظع ولكل مثل مورد ومضرب وقد علموا موارد ومضاربها ومغازيها ومراميتها وأحوال العرب عامة تعلق بها ، فمن أجهل بمن جد على الألفاظ دون معناها أو المعاني دون مغزاها ولذلك قال أبلغ البلغاء عليه الصلاة والسلام « شيتني هود وأخوانها » وترى كثيرا من الأدباء اذا أزمع هداية انسان ذكر له قصصا تشبه حاله فبرده عن غيه فتكون أشد تأثيرا من وقع الحسام وتثير في القلب حجة واقدماء وأخيفة واحكاما فزال المراء ورفع الغطاء ، إن الخبر في مغزاه كالسهم في مرماه فلنبدا بعد هذا بما وعدنا ونذكر تلالشي الأمم في قصص فرعون وموسى عليه السلام

أشرنا فيما تقدم الى أن تاريخ مصر أس بالمصريين وأنفع للعالمين ونحن لانعلم من تاريخ دولهم إلا انهم كانوا في ليل الجهل الدامس حتى بعث لهم نبي الله ادريس المسيح بهرمس ويسمى المثلث لأنه كان طيبيا ومهندسا وإلميا ، وورد انه أول من خط القلم فاقبض المصريون الحكمة المطمورة الآن في النواويس تحت الأحجار والصخور وكانوا موحدين وتناهوا في ذلك التوحيد وبنوا الهياكل العظيمة آثارا لجلاله ونظروا فيما حسن ولطف دلالة على جلاله ثم نسوا المعبود وعبدوا الأثر وتراخي الزمن وبقي التوحيد سرا مضموتا عند حلة الدين وحرموه العامة منه فأرسل النبي موسى عليه الصلاة والسلام فبرهن للخاصة والعامة بالعصا واليد فنجع في الخاصة وهم القليل وآمن بنوا اسرائيل وبقى للمصريين في عميتهم وجهلهم مع فرعونهم - فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين - فأغرق فرعون وجنوده وأما بقية الشعب فاجتاحتهم جاححة الجشيان بعد الأسرة العشرين ودمرتهم صاعقة الاشوريين وأحاطت بهم سرادات الفارسيين فجاء قبيز فلعمرك ما استد عليهم فأصابهم وأقصد القلب الابقوس من شعائر دينهم . عبدوا بعض الحيوانات ومنها المرأة فوضعا قبيز بين الجبشيين فتحرج المصري عن قتلها فأصابها وأصابه قبيز فلك وقتل وسبي وغزا وأرسل الجيوش وقتل الجبل المعبود وأغضب المصريين وكان ما كان من هلكته

مضت دولة الفرس فورهم اسكندر المقدوني وبعده البطالسة فالرومان الذين استباحوا ماحرمه الظالمون فقتلوا الأبرياء واشتكوا الحرمات وغالت الأمة غولهم وجاء عمرهم مهيمتا عليهم بجناح الرحمة وأسدل ستارا من العدل وحرمه بجند من الايمان وبنى عليه هيكل من العلم وزينه بزخرف من الكياسة وشواه بنتوش الحكم وسيطر عمر بن الخطاب عليه فجاء نورا على نور وسجاء بثوب من الرغبة وقصه بسوط من الرهبة فوسمه بما رسم امام الصحابة رضى الله عنهم في قضية ابنه وابن القبطي إذ ضرب الثاني الأول بمحض من الصحابة في المدينة حتى قال القبطي قد شفيت نفسي ، كل هذا وحال المصريين تنادى

وانك عادل يا عمرو فينا \* ولكن جئت في الزمن الأخير

فأكثرهم أيد بيد الفاتحين الظالمين وحقت عليهم كل العذاب مصداقا لما روى عن ادريس عليه السلام

( يا مصر ، يا مصر ستركن دينك القويم القديم وتبدلينه بالصور والتماثيل فستذهب رجالك وآمالك وتبقى أخبارك في أحجارك ) والكتاب أوضح هذا فقال في فرعون - فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين \* وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون \* وأنبأناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين \* ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون -

العبرة في هذا أن الأم لها باب ترتقي فيه وآثر فيه نصف قوتها واذن لا بد لها من اصلاح فلما أن تعطف الأئمة بالمرشدين الناصحين والافلامناص لها من السير على نهج فرعون وقومه بهلاك الجند كما أغرقوا ثم الاستعداد للمعاقب وتتابع الأم المصيبة المهينة الفاتكة وأن الأمة اذا ظلت عاكفة على عجول جهالتها فهي دابة كل راكب خادمة كل سيد ، طفلة كل مرهب ، زوجة كل بعل ، وكما لم ينفع المصريين أن انجلت عنهم دول الأحباش والاشوريين والفرس واليونان والرومان بل كلما راح ظالم غدا عليهم جبار ، فهكذا يقوم فليكن حالنا اليوم خادمتنا جهلاء فنحن سنكون أبدا الدهر طعمة الآكلين فريسة القانصين ولوساد اليابان والصين أو الفرنسيين والألمان فليس لنا في ذلك مصلحة خاصة فرحة الله انما ينزلها للحسنين عملا - ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون - إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين - إن المصريين القدماء لو اعتبروا واتبعوا دعوة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ماسحتهم الأم الجائرة بل تراهم تفرقوا شيئا فذاك بعضهم بأس بعض ، فانظر كيف كان عاقبة الجاحدين

أما أهل مصر الحاضرون فغاغشهم ما غشى أهل فرعون فان أكثر سكانها من بيوتات العرب وقبائلهم نزحوا إليها ، وهم وان نسوا أنسابهم ففهم بقية صالحة من صفات النجدة والشرف تظهر بكثرة في عرب البادية المصرية وتقل في الفلاحين وتضعف في أهل الامصار والمدن الكبار إلا في أناس أرجعها لهم التعليم إن صح فلا حكم عليهم كما حكم على الأمة التي قبلهم ولا أرى أن يسام الحاضرون بالغابرين

هذه أمة عربية فتحت منذ قرون وتتابعت في هذه البلاد زمرا زمرا من الأمويين والعباسيين والفاطميين إلى نحو القرن السادس الهجري وأن مافي البعض من سمات التلة يرجي زواله بعد حين ، كيف وقد غلبت صفات الفاتحين من العرب على من دخل دينهم وعاشروهم وصاهروهم ، فاذا قيل مصر بقيت في التلة آلاف سنة فذلك لا يكون حكما علينا ، كيف وقد كان من العرب أنفسهم الفاطميون الذين اقترضوا من نحو سبع قرون وعليه فان أئمتنا قابلة لاسراع الرقي في أقرب الأزمنة متى فعلوا ، وسنذكر بعد هذا كيف تولد الأمة وهي جنين ، وكيف نشب وهي طفلة لعوب

### ( انشاء الأم )

سبق القول انا سنسطر شرح أحوال الأم آن تدرجها وهي أجنة في البطون في مدارج الحياة ونشأتها وأن ذلك سنة لا يحصى عنها . للأم أعمار وابتداء وانتهاء كطلوع الشمس وزوالها وغروبها وكل إنسان طفل فشاب فشيوخ فبت وكالسنه ربع صيف غريف فشتاء فموت كسير القمر توليد فتربيع فبدر فتربيع ثان فسرار وكالنبات بنت فيستوى على سوقه فيجيب الزراع فتراه مصفرا فيكون حطاما وكل يابئ عما ذكرنا يتخلف نظيره وشبيهه إما بالحركات في الأفلاك أو بالولادة في العناصر . الزوجان من الانسان مهماحولان يناسبان النسل فلامناص منه للجمهور رشاؤا أم أبوا ، فهكذا الأم تراها مقهورة مستخرة على كفالة سواها مما تحت سيطرتها . ولكم حاولت الأم القاهرة أن تبقى فريدة في الوجود وتدبج سواها في جسمها فلعلت أن تمزق كل ممزق بأيدي الأم الضعيفة فيسود الضعفاء ويحكم المقهور - ونريد أن نمح على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون - ونأهلك بما وقع للمصريين من السودان وهم عبدانهم والكنعانيين وهم الضعفاء المقهورون وما كان من تمزق الرومان بأيدي

الفاثكين من الأمم الوحشية إذ شنوا الغارة على دولة الرومان الغربية ومن قوها كل عزق وذات جزاء ما كسبت يداها من الظلم وحق عليها القول ، هكذا ترى العرب غلبوا الفرس على أمرهم في أعصر النبوة وهم كانوا تحتهم بالاسم والغلبة والقهر - وتلك الأيام ندأولها بين الناس -

هذا وليس رقى الأمم بلاموجب فالرقى أسباب وللتدلى أسباب ولقد فصلنا القول في أسباب السقوط فلنشرح الآن أسباب الرقى من قصة فرعون وموسى عليه الصلاة والسلام إذ هما أقرب لنا مكانا ومولدا ومهاجرا وقدما انها ذكرت في الكتاب الحكيم لتذكير العالمين عموما والمصريين خصوصا ليتعلموا ويقبضوا الحاضر بالفار والشاهد بالغائب ويعتبروا بالأمم السالفة - وهو القدي جعلكم خلاصا للأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلاكم فيها آتاكم إن ربك سريع العقاب وانه لنفور رحيم - وقد استخلصنا أسباب الرقى اذا هي عشرون عشرة منها بكسب الانسان وعشرة من الله ، ومتى قام الناس بما عليهم منحهم الله ما عنده من الهبات والمنح العشرة الاول أن تمنح الامة رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأخلصوا في أعمالهم لأنهم وجدوا بمالهم وجههم وعملوا الأعمال لانتها لاريا ولاسمعة بحيث يكون ذلك كأنه خاصة فيهم هبة لهم وهذا كما ساعد موسى عليه الصلاة والسلام بنى شعيب عليه السلام في سقى الغنم إذ - قلنا لانسى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير - فرفع الحجر عن البئر - فسقى لها ثم تولى الى الظل - وكان ما كان من زواجه بأحدى الابنتين ورعيه الغنم (١٠) سنين ، وكأقام الخضر الجدار اليتيمين بانطاكية وقد أبى القوم أن يضيغوا وما كان ذلك إلا عملا أريد به فضل العمل لذاته لا أجر ولا شكور

(١) حسن السياسة مع الأمم الفاتحة المغيرة وافهامها حاجات الأمة المغلوبة بما في الامكان واجتذابها اليها بما جل من العلم والمعرفة كما وقع لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام إذ خوطب - اذهب أنت وأخوك يا بني ولاتنيا في ذكرى \* اذهبا الى فرعون انه طغى \* قولا له قولا لينا لعله يذكر أو يخشى - الى أن قال - فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جشاك يا به من ربك والسلام على من اتبع الهدى - فجمع بين الارشاد واللين في القول أو الشفاعة في قومه وهذا واجب شرعا على كل من أوفى حكمة في القول بها وعلما وقدره أن يتدبر بها الى الأمم المسيطرة على أمته ليريم وجه الصواب والخطأ ويسعى في علو شأن أمته ، لهذا نزل القرآن لاتقنيا أوعاربا غسب أوتاريا ، ومن أعطاه الله حكمة اوجاها فانتبذ من أهله مكانا قصيا عاكفا على شهوته فبشره بالذل والهوان وليعش معيشة الحيوان مخالفا حكمة عاتمة الأديان

(٢) القوة العلمية واقناع الخاصة بما يلائمهم والعامة بالمحسوسات حتى تتحدد الطبقات على مبدأ واحد ، يشير الى الأول قوله تعالى في موسى - ذل فمن ربكما ياموسى \* قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - وقوله - الذى جعل لكم الأرض مهذا وملك لكم فيها سبلا \* وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى - فهذه براهين تعقلها القلوب الواعية والأنفس الراقية وهى تشير الى ما يقبله العقلاء وينبأ به الحكماء ثم تلقت عصاه إلك السحرة وأخرج يده فاذا هي بيضاء وهذه محسوسة لدى العامة معقولة أيضا لدى السحرة

(٣) الألفة والغيرة والبأس والحمية وحماية القتل وخوف العار بإزالة المنكرات جهارا واستئصالها ليلا ونهارا عند القدرة كما قتل موسى القبطي الظالم للإسرائيلى - فذكره موسى قفضى عليه - وان ندم بعد ذلك وهكذا ان أذاق الخضر القلام كأس الحمام لما كان مرسوما على محامض نفسه فراصة بنور النبوة والعلم انه سيضل به والاندان ، فهذه اشارات وملاح يراد منها انتهاج خطة الصلاح والاصلاح ، فهذه أشجار هذا زهرها وأثمار هذا طعمها وفاكهة هذا حلوها

(٤) سياسة اللين عند الاستكانة والضعف واستجلاب الحيل ودفع المكروه بالتي هي أحسن كما احتال



الخضر على نجاة السفينة من الظالم يخرقها - وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا - وهكذا أم موسى وضعت في التابوت لنجاة قال تعالى - فلذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخاف ولا تحزني إنا رآته اليك وجاعلوه من المرسلين -

(٥) الثبات على المبدأ والصبر إلى المم، ألم تركب فخرج قوم موسى من البحر سلمي ونجوا من الفرق - وجاوزنا بيني إسرائيل البحر فأثروا على قوم يكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون - الخ هذا في العلم وفي المحاربة قالوا له - اذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا قاعدون \* قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي - وبهذا اتفق بيننا عليه الصلاة والسلام فقال والله لأقاتلنهم ولو وحدي وليس قصدا من هذا إلا الثبات على المبادئ الشريفة واتباع خطة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فخي صحت لديك البرهان فكف عن مبدئك ولا تبال بماذل أواقم

(٦) اشعار النفوس بالشهامة وعلو النفس وأن لهم اتصالا ببدع العالم ولهم شرف وفضيلة ولذلك كورد ذكر فضائل بني إسرائيل في القرآن بهذه العبارة - وإني فضلتكم على العالمين - تذكرة لهم في زمانهم وتذكرة لمن يقرأ هذا الدين الجليل فويل لأمة تفرقه وهي ترى الصلة بينها وبين مبدعها منقطعة فتذل وتخزي ، كيف وهذه الأمة عموما وجهود المصريين أبناء العرب أرباب الناج وما لك الأرض مدنوا العالم ، من الأموال والعباسيون والفاطميون ، وما الطولونيون والأخشيون إلا موالى آبائنا وما الممالك البرية والبحرية الذين دناؤا هذه البلاد إلا من موالى أسلافنا ، ولقد أدركت القوم في القرى إبان نعمة أظفاري وهم يفخرون بقرى الضيف وضرب السيف وينشون الأشعار الحماسية ، وما عهد اكتساح التار بما تقي ألف من المصريين أيام المظفر من نحو سبع قرون بعيد - ولعمري لأن تحتل النفوس شهامة والعقول حاسة والقلوب أقدلنا خير من أن تراها ذليلة منكسة الأعلام مرتاعة الأفئدة مرتعدة الفرائص حائرة ذاهلة وتضمحل كخيوط من شعاع الشمس أو دقائق الهواء أو ذرات المياه خائرت القوى

(٧) تربية الناشئة على مبادئ جديدة تصلح للرق والتر بصر بمن شبوا وشابوا على النلة والمسكنة حتى ينقضوا ويموتوا كما وقع لبني إسرائيل لما جبنوا عن الحرب بقوا في أرض التيه أربعين سنة حتى نشأ رجال تمسكون من دخول مدينة الجبارة - قال فلما عمرهم عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلتأس على القوم الفاسقين - (٨) الفرار بالأهل والعشيرة والأمة من حال تدهبهم إلى هالوة العذاب إلى حال أخرى كالخروج من أرض إلى أرض وأن ذلك يسهل متى أراد الإنسان وهو أبو الحب ، ألم ترى موسى عليه السلام كيف حرمت بني إسرائيل من أرض فرعون إلى أرض كنعان

(٩) ازدواج اللين والشدّة وقد كان للاولى هارون والثانية موسى عليهما الصلاة والسلام هذه العشرة متى ظهرت في أفراد من الأمة منحهم الله هبات وافرة وهي عشرة سندكرها في مقال آت إن شاء الله تعالى

قلنا فيما سبق ان الأم تحيا برجال يجمعون عشر خصال : اخلاص العمل لأمتهم والحق والشفقة وتذليل العقبات بين أمتهم ومن غلبوا على أمرهم ، وامان أمة من أم الشرق لإلا ولها علاقة مع دولة غريبة فعلهم أن يخلصوا لبلادهم في العمل رغبة في حسن الأثر والأحدثوة الجميلة وتخليد الذكر ان كانوا أوساطا في العلم أو الثواب الجليل والشوق إلى مبدع الكون وتقليده في صنع الجليل بلا طلب أجر ان كانوا حكاما واقناع الخماصة والعامة بالمعارف المناسبة لهم وتعيمها وتهذيبها بجميع أنواع الوسائل المرقبة للآثم ودفع الأذى عنهم وحماية السمار ودفع العار متى أمكن ولو أذاقهم الفاتحون كأس الحمام وجوعهم الموت الزؤام ، فلامنة فعل ما فعلت الراعة في بني إسرائيل ومع هذا لم يترك موسى عليه السلام فرصة قتل نفس منهم والتلطف عند الحاجة

والثبات على المبدأ مهما عارضه الأقربون والأذنون وأشعار النفوس بمكاتها وشرفها فلا ينبغي أن تصفى الأمة إلى من يصرفها في عيناها . ولقد قال ابن خلدون رحمه الله « إن هؤلاء الذين يسكنون الخيام في البادية هم أبناء ملوك الأعصر الفائرة وهم يجيئون أصلهم وتاريخهم وأنا أقول أننا قبائل نرحنا إلى هذه البلاد وأقاليم السودان واستوطناتها وتقلبنا عليها من آماد وأجبال قرية العهد لا تقتضى بأن يضرب علينا القتل والمسكة ولا يقال في مصر « هي لمن غلب » فإما كان هذا المثل مضروبا لأمة خلت - تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون - وتربية النفس على المبادئ القويمة والعزة ومنح الشعة باللين والفرار بالعسيرة عند الحاجة مكانا أو صفات أو أخلاقا أو ملكا لمع »

هذا ملخص مذكراته أسس وتقول هذه العشرة تتبعها العشرة الأخرى التي قلنا إنها هبات من الله وهي تساقها بالترتيب ولا تعقب فضلا من الله الحكيم لعباده الرحيم بهم واحسانا

(١) الإلهام وذلك يكشف الفطاء عن القول فتظهر لهم وجوه المنافع ومساوى المضار فان النفوس اذا جاوزت هذه العقبات أو بعضها حصلت لها جامعة روحية ودخول إلى الحكمة فأفركوا حالهم وما لهم واليه الإشارة بقوله تعالى - وأوحينا إلى أم موسى - وهذا وإن كان بلا كسب فيه إشارة إلى مانع فيه

(٢) إجابة الدعاء والنصر - قال قد أجيبت دعوتكما فاستجبيا -

(٣) شد الأزر وتقوية الأفتدة بالأخوان والأناصر - قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكنا سلطانا فلا يصون اليكما يا أيتنا أيتنا ومن اتبعكما الغالبون -

(٤) و (٥) النصر والنجاة من الضر - ولقد منّا على موسى وهرون ونجيناها وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين -

(٦) الهداية إلى الطريقة المثلى - وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم -

(٧) حسن السمعة والذكر والعيت - وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون \* إننا كذلك نجزي المحسنين -

(٨) القرى من الله تعالى - وناديناه من جانب الطور الأيمن وقرّبناه نجيا -

(٩) التمكن من الخلافة في الأرض - وزيد أن نحن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين \* ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون -

(١٠) انقلاب الأعداء أصدقاء محبين - ألم تر إلى حديث رجل من آل فرعون - وقال رجل مؤمن

من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله - فكان نتيجة صبر موسى عليه السلام على الدعوة أن قام رجل من أعدائه يطالب قومه بالاهتداء بهديه ولعمرك إن في هذا لبلاغا للأئمة المهضومة الحقوق

إن من أعطى فصاحة أوجاهها وحكمة وعلمها وجب عليه وجوبا عينا أن يقوم فيناضل عن أمة بماله وأجابه أوقلمه فإن الله عز وجل وعد بالنصر ولو بعد حين حتى بلغ الأمر أن صار العدو حبيبا والخاذل ناصرا والمعادى مواليا وهذا يترجمه كل من انتهج منهج الكمال والاعتدال ورقى أمة وهداها ورفع منارها ووسع نظامها

- والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا وإن الله لمع المحسنين - ولما جاهد بنو إسرائيل بالقوة والعلم والجاه والمال

منحهم الله ملكا عظيما دام ألفا وخمسة سنة مع قلة عددهم وأخذت مصر في التلاشي إذ ذاك ودّوهم الأمم

المضيرة الفاتحة من فرس وروم وسودان وكنعانيين وأشوريين وبطالسة - وتمت كثر ربك الحسنى على

بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون - انتهت المقدمات

## ﴿ تفسیر السورة ﴾

( هی أربعة أقسام )

( القسم الأول ) فی قصص موسى علیه السلام من أول السورة الى قوله - لتذرقوما ما أنأهم من نذیر من قبلک لعلهم یذکرون -

( القسم الثاني ) من قوله - ولولا أن تصیهم مصیبة - الى قوله - فعی أن یکون من المفلحین -

( القسم الثالث ) من قوله - وربک یخلق ما یشاء ویختار - الى قوله - وذل عنهم ما كانوا یفترون -

( القسم الرابع ) من قوله - إن قارون کان من قوم موسى - الى آخر السورة

## ( القسم الأول )

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسّم • تلك آیات الکتاب المبین • تَنالُوا عَلَیْکَ مِنْ تَبَا مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ • إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِی الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِیعًا یَسْتَضِیْفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ یُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَیَسْتَحْیِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِینَ • وَرِیدُ أَنْ یَمُنَّ عَلَى الدِّینِ اسْتَضَعِفُوا فِی الْأَرْضِ وَیَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَیَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِینَ • وَتَمَكَّنَ لَهُمْ فِی الْأَرْضِ وَثَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا کَانُوا یَحْذَرُونَ • وَأَوْحِینَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِیْهِ فَإِذَا خِفتِ عَلَیْهِ فَأَلْیْهِ فِی الْیَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِ إِنَّا رَاوَدُوهُ إِلَیْکَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِینَ • فَالْتَقَطَهُ الْإِلَهِ فِرْعَوْنَ لِیَکُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرَّانَا إِنْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا کَانُوا خَاطِلِینَ • وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْءَتِ عَنِّي وَلَکَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ یَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا یَشْعُرُونَ • وَأَسْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ کَادَتْ لَتُبْدِی بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ • وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّیْهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُحِبٍ وَهُمْ لَا یَشْعُرُونَ • وَحَرَّانَا عَلَیْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلَى أَهْلِ بَنَاتٍ یَکْفُلُونَهُ لَکُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ • فَرَدَّ نَاهُ إِلَى أُمِّهِ کَیْ تَقَرَّ عَیْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَکِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا یَعْلَمُونَ • وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِی الْحُسَیْنِ • وَدَخَلَ الْمَدِیْنَةَ عَلَى حُبِّ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِیهَا رَجُلَیْنِ یَقْتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِیعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَنَافَهُ الَّذِی مِنْ شِیعَتِهِ عَلَى الَّذِی مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَیْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ

الشَّيْطَانُ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ  
 الرَّحِيمُ \* قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَلَىٰ فُلَانٍ أَكُونُ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ \* فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً  
 يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَنفَوٍّ مُّبِينٌ \* فَلَمَّا  
 أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطَلِقَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ  
 إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ \* وَجَاءَ رَجُلٌ  
 مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَمَكِّ مِنْ  
 النَّاصِحِينَ \* فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَلَمَّا تَوَجَّهَ  
 تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ \* وَلَمَّا رَدَّ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً  
 مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى  
 يُصْدِرَ الرِّهَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ \* فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَزِلُّ  
 إِلَىٰ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ \* فَجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِخْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ  
 مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* قَالَتْ  
 إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ \* قَالَ إِنِّي أُورِدُكَ إِلَىٰكَ  
 إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ  
 أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ \* قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ  
 قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ \* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ  
 آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ  
 جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ \* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ  
 الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنَّتْ  
 كَانَهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ \* أَسْلَمَكَ بِذَلِكَ  
 فِي جَنَّتِكَ فَخَرَجَ يَتَوَّجَّهٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَخْبَثُ إِلَىٰكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَا لَكَ بُرْهَانٌ مِنْ  
 رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ  
 أَنْ يَقْتُلُونِ \* وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ

يُكَذِّبُونَ • قَالَ سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَتَجْمَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا  
 أَنْهَضْنَا وَمَنْ أَتَّبِعْكُمْ الْعَابِدُونَ • فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا يَتَّبِعْتُمْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ  
 مُفْتَرًى وَمَا تَعْمِنُنَا بِهِذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ • وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا يَكْفُرُونَ • وَجَاءَ بِالْهُدَى مِنْ  
 حِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُغْلِبُ الظَّالِمُونَ • وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ  
 لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْلِعُ إِلَى إِلَهِ  
 مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ • وَأَسْكَبَتْ لَهُمْ وِجْوَدُهُ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْخَيْلَ وَظَنُّوا  
 أَنَّهُمُ الْبَاطِلُونَ لَا يُرْجَعُونَ • فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ  
 • وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ • وَأَنْبَتْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا  
 لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ • وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَيْنِ مَا أَهْلَكْنَا  
 الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ • وَمَا كُنْتَ بِحِجَابِ الْقَرْبِيِّ إِذْ  
 قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ • وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ  
 الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ تَلَوِّيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ • وَمَا  
 كُنْتَ بِحِجَابِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ  
 قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ •

( التفسير المفصّل )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( طسم ) تقدم في أول سورة آل عمران ( تلك آيات الكتاب المبين ) إن هذه السورة آيات القرآن المبين  
 يقال بان الشيء وأبان بمعنى واحد . ويقال أبنته فأبان لازم ومتعد وللغنى مبين خيره وبركته أو مبين للحلال  
 والحرام والوعد والوعيد والاختصاص والتوحيد ( تلاوا عليك ) قرأ عليك أى يقرؤه جبريل بأمرنا ومفعول  
 تلاوا قوله ( من نأموسى وفرعون ) أى تلاوا عليك بعض خبرهما ( بالحق ) حال كوننا محققين ( لقوم يؤمنون )  
 لأنهم هم المستمعون به ، وهما ذكر ( فصلين ) فصلا بدل على علو فرعون في الأرض وظلمه وفسلا بدل  
 على أن المظلومين نصرهم الله ليفهم المسلمين أنهم ان كانوا مظلومين والناس تؤذيهم كما كانوا في مكة فان الله  
 بنصرهم كما حصل بعد ذلك وهكذا اليوم هم أذلاء يظلم الأمم لهم وهو الآن يريد نصرهم لأنهم مستضعفون  
 وأيضاً يريد الله أن يفهم المسلمين أنهم ان ملكوا الأرض لا يظلمون والادالت دولتهم كما حصل سابقاً لهم ولأنهم  
 بعدهم . إنهم أسرفوا في الشهوات وهم في الأندلس فأذلم الأسبان فأخرجهم أجمعين والأسبان طاردوا  
 المسلمين في أصقاع أفريقية ولكن الله يريد أن يمن على الذين استضعفوا في أرض أفريقية من المغاربة  
 المسلمين ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين ، ولقد ابتدأ ذلك بقتال أهل الريف ورئيسهم عبد الكريم جنود

الأسبان ، ولقد قتلوا منهم ما بين أربعة آلاف وعشرة آلاف في الحقول والقفار حتى ان مكاتباً أفريقيًا وصف ذلك وصفا مرعبا فقال انه عدّ في عشرين دقيقة (٣٥٠) قتيلا وأن القتل في طول الحقول والقفار وعرضها لا تجد من يدفنها ولا مقابرها إلا باون الغربان والجوارح الخائفة والكلاب العالوية وهذا من أسرار هذه الآية - وزيد أن نبيّ على الذين استضعفوا في الأرض - ولكن بعد هذا نبي عبد الكرم يوم يتم الاستقلال اه  
 وهاك ذكر الفصلين

### ( الفصل الأول )

قال تعالى (إن فرعون علا في الأرض) وهذا تبيان لبعض نبأ موسى وفرعون والمراد بالأرض أرض مصر (وجعل أهلها شيعة) فرقا وقد استعمل كل صنف في عمل وجعلهم أحزابا أغرى بعضهم بعض كيلا يتفقوا عليه كما هي سياسة الأمة الانجليزية وعنوانها فرق تدم (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل وأبدل من - يستضعف - قوله (يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين) ذلك لأن كاهنا أخبره أن مولودا يولد من بني اسرائيل يذهب ملكك على يده فلذلك اجترأ على القتل ، فلانخص هذا الفصل

(١) أنه علا في الأرض

(٢) واستضعف حزبا من أحزاب مصر

(٣) وقتل الأبناء

(٤) واستحي النساء

(٥) وانه مفسد

(والفصل الثاني) ذكر فيه سبحانه انه قابل الخلة الأولى بخمسة وهي

(١) بمن أي يفضل - على الذين استضعفوا في الأرض - باقتادهم من بأس فرعون

(٢) قال - وجعلهم أئمة - مقدمين في أمر الدارين

(٣) - وجعلهم الوارثين - لأرض الشام

(٤) - ونكس لهم في الأرض - أرض الشام فنسلطهم عليها

(٥) - وبنى فرعون وهامان وجنودهما منهم - من بني اسرائيل - ما كانوا يحذرون - من ذهاب

ملكهم وهلاكهم بالاغراق

هذان الفصلان عظيمة وضعف يعقب أحدهما الآخر كما يعقب الليل النهار قال تعالى - وتلك الأيام نداولها بين الناس - ولقد حصل هذا في كل زمان ومكان ، أفلا ترى كيف أحاطت أوروبا بالأمة التركية فقضت على ملكها ثم قام طائفة منهم بالاناثول فازالوا انظم وأرجعوا الملك وتم نظيره في بلاد الفرس وبلاد الأفغان ، ولقد كانت الدولة الروسية قائمة بالقيصرية فسبقوا بنحو مائة وعشرة ملايين من الناس وكانت البلاد بأيدي أفراد من العظماء والثروة كلها في أيديهم فقتل القيصر وبدد وشرذ جميع الاغنياء وانتم السلس تلك الثروة في تلك الأممات وصارت الأمة باشفية ، فهذا هو ما قاله الله هنا - وزيد أن نبيّ على الذين استضعفوا في الارض وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين - فهذا هو الحاصل الآن ، أصبح المساكين الصعاليك في يدهم مقاليد الحكم في تلك البلاد ويودون أن يعموه في - أثر الاقطار وهم لذلك ساعون

( رأى سقراط في السياسة )

(١) يرى سقراط في السياسة أن الحكم يكون بأيدي قوم يعطون من الشعب يتعلمون تعالما أرق من سائر الناس مع التعليم العسكري

(٢) فإذا انقرض هؤلاء تولى الحكم قواد الجيوش وهم أقل من قبلهم رتبة

(٣) فإذا تهادى الزمان قام بالأمر أبناءهم الذين لا هم حكام ولا قواد ولكن ميزتهم انما هو المال

فكل حملهم لأجل المال

(٤) ويقتب هؤلاء أن الأمة تقوم فتقسم ما لهم وتزيل ملكهم ويصير الحكم فوضى لارابط ولارادع

(٥) ثم يتولى فرد يهزمهم ويسخرهم وينظم

فالحكومات عنده (خمس درجات) أرقاها حكومة الحكماء والفلاسفة وأدنى منها الحكومة العسكرية ويلبها حكومة ذوى المال والشهوات والترف ، ثم حكومة المجموع التى هو أشبه بالقوضى ثم حكومة الفرد ، فالحكومة الرابعة لامناص منها اذا استبد الأغنياء وأرباب الشهوات بالأمر فأخذوا المال وحدهم وسعفروا الأمة لحطالهم ، وهذا هو الذى حصل فى بلاد روسيا إذ قام الشعب فأزال القيصرية وأرباب الأموال وهذا من قوله تعالى - وزيد أن نحن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين - اللهم إن الشرق الآن ضعيف فليقم فيه قائمون ليرجع اليه محمده ويزيل الظالمين من أرضه وهنا أذكر لك (حادثتين \* الحادثة الأولى) وقعت أيام القراعنة فقد جاء فى بعض المجلات فى بلادنا وهى مجلة «كل شئ» ما نصه

(البولشفية فى مصر قبل ٤٠٠٠ سنة)

كلما تفاقمت الشرور وتعاضلت للناس أمرها شعروا كأن نهاية العالم قد اقتربت وهذا ماشر به المسلمون عند قدوم التار عليهم وماشر به الأقباط عند ما اضطهدهم (دقلديانوس) وهذا أيضا ماشر به النبلاء فى فرنسا سنة ١٧٨٩ وفى روسيا سنة ١٩١٧ عند نشوب الثورة ولعل فى هذا الشعور رجة للضطهدين لأنه يزيهم عن تقديم محمدهم ويوهمهم أن العالم كله سينهب بعدهم بقليل

وقد حدث سنة ٢٢٠٠ قبل الميلاد ثورة بولشفية فى مصر تطلبت فيها الكثرة من العامة على القلة من الخاصة وطردهم من الأرض والسكن واحتلت مكانهم وكان ذلك فى الأسرة العاشرة ، والغريب فى هذه الثورات القديم منها والحديث أن يسبقها على البوام ثورة فكرية تنهى الأذهان للإنقلابات القادمة ، فأدباء فرنسا فى أواخر القرن الثامن عشر طبعوا الثورة طبخا فى أذهانهم قبل وقوعها ، وأدباء روسيا هم الذين أحدثوا الشيوعية فى كتبهم قبل أن يقتل التارزون القيصر وأسرته ، وكذلك الحال فى مصر فى الأسرة التاسعة كانت مشهورة بكثرة المفكرين حتى اذا جاءت الأسرة العاشرة كانت العقائد قد تزعزعت وزالت من النفوس تلك الكرامة التى كانت للحكام والأخلاق ، وكانت الأسرة العاشرة تحكم الوجه البحرى وجزأ من الوجه القبلى وكان فى طيبة أمام الاقصر أسرة فرعونية أخرى تحكم جزأ صغيرا من الصعيد ، وفى هذه الأسرة العاشرة انهزم سلطان فرعون وأخذ كبار القواد والاعيان يؤلفون الجيوش يقاتل بعضهم بعضا حتى سادت ادارة البلاد وكثر اللصوص وعمّ القحط فقام العمال جأة وهجموا على الاغنياء فقتلواهم واستولوا هم على الارض والمنازل ونحن نعرف خبر هذه الثورة من كاتب مصرى يدعى (ابفور) رأى بعينه هذه الثورة وكان أمينا لفرعون بوابه وكان فرعون قد فر من أعدائه الى مكان خارج مصر فأرسل اليه (ابفور) خطابا يستحثه على الرجوع لىعيد النظام الى نصابه وعما قاله فى خطابه هذا (إن الناس قد ثاروا على التاج وقامت منهم طائفة قليلة العدد لانظام لها تريد التخلص من الملوكة ، وقد ذهب النظام القديم وهمم البلاط فى لحظة وطرده العمال الملك وأصبحت خزانة الدولة ملكا لكل انسان)

وبعد ذلك بصف أحوال الناس فى تلك الفوضى فيقول (إن من لم يكن يملك شأ قد أصبح الآن غنيا فأثرى فقراء البلاد وبات الأغنياء لا يملكون شأ ، ومن كان قبلا خادما قد صار الآن مخدوما وكفى الخدم عن تأدية المهام التى يكلفهم بها أسيادهم وصاروا لا يخشون مخالفة أوامرهم وانطلق لسان الخادمت حتى صرن

لا يلقن كلمة من سيداتهن وهؤلاء الخدامات يزينن محورهن بالذهب والجواهر ومع أن البلاد لا تزال غنية فان ربات البيوت يقلن « ليتنا نجد شيئاً نأكله » وذلك لأن الفقراء قد امتلكوا البلاد »

ثم يقول (إن من كانوا يلبسون الملابس الفاخرة قد صاروا الآن يلبسون الاهدام البالية ، ومن لم يكن يجد الخبز قد صار له يدر وامتلاّت خزائنه بأموال الناس ، ومن لم تكن ترى وجهها إلا في الماء قد صارت تقتنى المرأة ، فالأغنياء في حزن ومن كانوا في فقر يفرحون الآن ، ومن كان له أب عظيم صار لا يعرف الآن أو يميز من لم يكن له أب مثله لأن عائلات النبلاء طردت من بيوتها إلى الشوارع ، وقد جاع الأمراء والأميرات وصارت أجسامهن في حال محزنة للخرق والاسبال التي يلبسونها )

ثم يقول (افور) أيضاً « لقد حدثت حوادث مدلّعة خملت أطفال النبلاء وضربوا بالحائط ، وفتحت المحاكم وبشرفاتها من الكتب وداس عليها الناس في الأماكن العامة وسرقت مصالح الحكومة وذبح الموظفون وأخذت أوراقهم وكل شيء صار في خراب وجميع البلاد تقول هلموا نذلّ الولاة والحكام وذوى السلطان بينما ومع أن الناس ينادون بالحق بأفواههم فان ما يفعلونه هو الباطل » ثم يصف بعد ذلك ثمرات الثورة يقول (إن وجوه الناس شاحبة لأن المجرمين مطلقون ولم يبق أحد من ذوى السلطان فإذا قصد الفلاح إلى حقله حمل معه سلاحه ويقول الحمد هلموا نسرق شيئاً ، والأب يقاتل ابنه ويعدّ أخاه عدوّاً له ، وقد قست قلوب الناس والدم يسفك في كل مكان والموت يحصد الناس وليس بالبلاد صناع يملكون الآن ، وكفّت الناس عن حوث الأرض وصارت المواشي ترمى هائلة سائبة ليس لها راع ، والناس يأكلون العشب ويشربون عليه الماء وتؤخذ الأعمدة والبوابات والسيارات للحريق والصاديق المصنوعة من الأبشوس تحطم » انتهى

### ( الحادثة الثانية )

إن الأمة الانجليزية التي تحكم بلادنا قد انتصرت المال فيها ولكن هذا الانتصار مبنى على العقل وعلى الحكمة لاعلى الظلم والفتك كما فعل الروس والمصريون القدماء وهذا ما جاء بحجربة الاهرام يوم ٢٥ يونيو سنة ١٩٢٩ عند طبع تفسير هذه الآفة

( في بريطانيا العظمى )

« انتخب (مس بوند فيلد) وزيره المال وهي أول امرأة في تاريخ الانجليزية ذكية الفؤاد كفت تشترك مع الرجل في تخطيط سياسة الامبراطورية ومصير بلادها ، فهي تفتخر كذلك بأنها كانت عاملة في مكان كما يفتخر رئيسها المستر (ماكسونالد) بأنه لما وصل الى لندن لأول مرة في حياته كان لا يمتلك أكثر من شلّين ونصف وكان يستبدل الشاي بالماء الساخن في شربه ولا يزيد مصاريف يومه عن ثمانية بنسات ، وهذا هو المستر (ماكسونالد) مدير الامبراطورية اليوم ، وهذه (مس بوند فيلد) بوضع اليوم في يدها أهم مشكلة تعانيها الامبراطورية منذ ربع قرن ، ولم تكن (مس بوند فيلد) شديدة التأثير والافعال بل كانت أشد من زملائها الوزراء من الرجال حينما ذهب أعضاء الوزارة الجديدة الى قصر وندسور للحفاطة بجلالة ملك الانجليزية فقد كانت تسير بين الجمهور بمحان ثابت وعزيمة قوية إذ ابست وهزّت رأسها حينما سلّت عما اذا كان المركز يتقلها وقالت لا يا عزيزي لست كذلك بعد مجهود أربعين عاماً ، إني مفتخرة بأن أكون أول امرأة تصل الى كرسى الحكم وأشعر بسعادة لأن الفرصة قد هيأتني للعمل في مسألة كانت ولا تزال موضع اهتمامي ، والواقع فان (مس بوند فيلد) كانت في مجموع العموم النحل كثيرة الاهتمام بمسألة العمال وعائلاتهم فقد قدمت في دوره الماضي مشروعاً لحماية أطفال العمال بإعانة الحكومة لهم وشراء الأحذية اللازمة لهؤلاء الاطفال وهذا المشروع معروف بمشروع أحذية الاطفال » اه

( اللطائف الإلهية والتدبير لافاخذ بنى اسرائيل من النزل )

ولما أتم الله هذين الفصلين شرع بين للناس لطائفه وتديره في إبراز ما أراد الله لتسيقظ الأمة الاسلامية



إذا ضعفت وتعلم أن الله ما أنزل القرآن إلا لاسعادهم ، علم الله أن أمة الاسلام سيحل بها ما حل بالأمم قبلها من عزّ وذل وقد أخذت حظها من الرفعة ثم سقطت الى الخسيف فأنزل هذه القصة ليبين انه يلهم أناسا اسعاد الأمة فينبغي ألا يسأوا وليعلموا أن الله الذي نجى بني اسرائيل هو نفسه حيّ يعصى المسلمين متى سمعت الزمايم والقلوب لا تزال قابلة للالهام والله لا يخلف وعده فلنذكر لك الآن الحوادث المتتابعة التي انتهت باقتادهم ثم تبعها بما يناسبها من حوادث العصر الحاضر ثم نذكر المسلمين أن الله معهم - وإن الله لمع المحسنين - وتلك الحوادث (١٣)

### ( الحادثة الأولى )

قال تعالى (وأوحينا الى أم موسى) بالهام أرويا (أن أرضيه) أى بأن أرضعيه ما أمكنك اخفاؤه (فاذا خفت عليه) بأن يعلموا به (فألقيه في اليم) في البحر وأراد به النيل (ولاتخافى) عليه من الفرق (ولا تحزنى) على فراقه (إنا رآدوه اليك وجاعلوه من المرسلين) \* يروى انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الملوكلات بمجبالى بني اسرائيل فعاجلتها فلما ولد موسى أحبت جبا جبا فأرضعته أمه ثلاثة أشهر ولما أحست بالارصاد واليمون وضعت في تابوت وألقته في اليم ، هذه هي الحادثة الأولى

(والحادثة الثانية) إلتقاط آل فرعون له (والثالثة) رضاع أمه له (والرابعة) نبوغه في العلم (والخامسة) قتله القبطى (والسادسة) و (السابعة) و (الثامنة) فراره الى مدين ، وسقيه للبنتين ، وزواجه بابنة شبيب عليه السلام (والتاسعة) نزول الوصى عليه (والعاشرة) ظهور المهجرة (والحادثة عشرة) كفر فرعون (والثانية عشرة) هلاك فرعون وجنوده أئمة الضلال (والثالثة عشرة) خطاب النبي ﷺ بذلك لاستيقاظ أمته

### ( الحادثة الثانية )

قال تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) اللام للتعليل بحسب الأهل وجعلت هنا للعاقبة لأن آل فرعون لم يريدوا أن يكون عدواً وحزناً بل هذه هي العاقبة (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) مذبذبين يقتلون أبناء بني اسرائيل ويستحيون نساءهم فلا بدع إذا ربى موسى بين ظهرانيهم وصار عدواً فاقصص منهم لأن هذا هو العدل (وقالت امرأة فرعون) لفرعون حين أخرجه من التابوت (قرّة عين لي ولك) لأنهما لما رأياه أخرج من التابوت أحياه (لاقتلوه) خطاب بلفظ الجمع للتعظيم (عسى أن ينفعنا) فان فيه غفائل الخمين ودلائل النفع \* يقال انه كان لفرعون بنت ولم يكن له ولد غيرها وكان بها برص وقد وصف لها الأطباء ربي مخلوق يشبه الانسان يخرج من البحر في ساعة كذا حين تشرق الشمس ، فلما كان ذلك اليوم جلس فرعون على شفير النيل ومعه آسية امرأته وابنة فرعون معهما ظهر التابوت فلم يقدر على فتحه إلا آسية لأنها هي التي رأت النور مشرقاً منه فظهر منه صبى صغير وجهه منير وقد جعل الله رزقه في إلهامه برص منه لبنا فأحب فرعون وآسية فأما ابنته فاتها عمدت الى مايسيل من أشداده فلفطخت به برصها فبرأت قبلته وضمنته الى صدرها ، ولما قال له القوم اقتله قالت آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذة ولما وكانت لالتد فاسترحت موسى من فرعون فوجهه لها وقال لها أما أنا فلاحاجة لي فيه \* قال رسول الله ﷺ « لو قال يومئذ قرّة عين لي كهلوك لهذا الله كما هداه الله » فتيل لآسية سميه فقالت سميت موسى لانا وجدناه في الماء والشجر لأن « مو » هو الماء و « سا » هو الشجر . هذا قول بعض المفسرين وأقول لكن قال أساندة علم قسما المصريين الذين يقرؤون الخط الميروغليفي ان « مو » هو الماء كما قال هؤلاء أما « سا » فمناه ابن أى ابن الماء ، فهذا قوله تعالى - فالتقطه آل فرعون - الى قوله - عسى أن ينفعنا أو نتخذة ولما - أى تنبأه فانه أهل له (وهم لا يشعرون) حال من الملتقطين

### ﴿ الحادثة الثالثة ﴾

( خوف أم موسى عليه وفرعها وارجاعها لها وارضاعها إياه )

قال تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً) صفراً من الحقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون وهذا كقوله تعالى - وأثنتهم هوا - أى خلاء لاعتقوله بها (ان كادت لتبدي به) أى لتصرح بأنه ابنها من شدة وجلها وتقول «وا ابناء» (لولا أن ربطنا على قلبها) بالصبر والتثبيت (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله إياها فلما برط الله على قلبها وصدقت وعده الله أخذت في الأسباب لحفظها (وقالت لأخته) لمريم أخت موسى (قصه) اتبى أثره وتبى خبره (فبصرت به من جنب) عن بعد «وقرئ» - عن جانب - وهو بمناء (وهم لا يشعرون) انها قصص أثره وانها أخته (وحرمانا عليه المراضع) أى حرمانا عليه أن يرتنع من المراضعات جمع مرضع (من قبل) من قبل قصها (فقال هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) لأجلكم (وهم له ناصحون) لا يقصرون في ارضاعه وترية فأمرها فرعون بأن تأتى بمن يكفله فأنت بأمرها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يملأه فلما وجد ربحها استأنس والتقم نديها فقال من أنت منه فقد أبى كل ندى إلا نديك فقالت إني امرأة طيبة الرج وطيبة الثأين لا أوقى بصبي إلا قبلى فدفعه اليها وأجرى عليها فرجعت الى بيتها من يومها وهذا هو قوله (فرددناه الى أمه كي تقر عينها) بولدها (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم أن وعد الله حق) علم مشاهدة (ولكن أكثرهم لا يعقلون) أن مواعده حق فيرباؤن فيه وقوله - ولتعلم أن وعد الله حق - فيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون . انتهت الحادثة الثالثة

### ﴿ الحادثة الرابعة نبوغه في العلم ﴾

قال تعالى (ولما بلغ أشده) مبلغه الذى لا يكاد يزيد عليه نشؤه يقال انه في نحو ثلاث وثلاثين سنة (واستوى) أى بلغ أربعين سنة ويقال انتهى شبابه وتكامل (آتيانه حكماً وعلماً) عقلاً وفقهاً في الدين فعمل وحكم موسى قبل أن يبعث نبياً (وكذلك نجزي المحسنين) أى مثل ذلك الذى فعلنا بموسى وأمه نجزي المحسنين على احسانهم

### ﴿ الحادثة الخامسة . قتله القبطى ﴾

قال تعالى (ودخل المدينة) ودخل مصر آتياً من عين شمس (على حين غفلة من أهلها) في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعون فيه يقال انه وقت القيلولة (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه) أحدهما من شاعبه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفه وهم القبط (فاستفاته الذى من شيعته) وهو ال - رايتلى (على الذى من عدوه) أى القبطى فسأله أن يفيش بالاعانة وانك عدى يعلى (فكره موسى) ففرض القبطى موسى يجمع كفه (ففضى عليه) أى قتله وأصله فأنهى حياته (قال هذا من عمل الشيطان) لأنه لم يؤمر بقتل الكفار ولأنه كان مؤمناً فيهم فلم يكن له اغتياله ولا يقدح في عصمته قتل الخطأ (انه عدو مغل مبين) ظاهر العدو (قال رب إني ظلمت نفسي) بقتله (فاغفرلى) ذنبى (فغفر له) باستغفاره (إنه هو الغفور) لذنوب عباده (الرحيم) بهم وانما عتد من عمل الشيطان وسباه ظلماً واستغفرت لأن المقرين يستعظمون كل ما فرط منهم ولو خطأ (قال رب بما أعنت على) أى أقسم بانفمالك على المغفرة وغيرها لأتوبن (فلن أكون ظهيراً للمجرمين) فلن أكون مهيئاً لآفة معارضة الى جرم . قال بن عباس انه لما لم يستثن ايتلى به مرة أخرى (فأصبح في المدينة خافئاً يترقب) يترصد الاستفادة (فاذا الذى استنصره بالأمس يستمرخه) يستغيث مشق من الصراخ (قال له موسى إنك لغوى مبين) مبين الفتواة لأنك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر (فلما أراد أن يطش بالذى هو عدو لها) لموسى والاسرائيل ، ومعلوم أن القبط أعداء بني اسرائيل (قال)

الاسرائيلي (ياموسى) أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس) ولم يكن أحد يعلم من قوم فرعون أن موسى هو الذى قتل القبطى حتى أفضى عليه الاسرائيل فسمعها القبطى فأثى فرعون فأخبره وأما قال الاسرائيل ذلك لأنه ظن أن موسى يقتل القبطى حمد اليه هولما سمع من قوله - إنك لغوى مبين - فقال ما تقدم وعامه (إن تريد) أى ما تريد (إلا لما هم أن تكون جباراً فى الأرض) تطاول على الناس ولا تنظر العواقب (وماتريد أن تكون من المصلحين) ولما فشا أن موسى قتل القبطى أمر فرعون بقتله فخرجوا فى طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة موسى يقال له سمعان وهو قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) يسرع فى مشيه حتى سبق الى موسى فأخبره وأنذره بما سمع (قال ياموسى إن الملائكة يأمرون بك) يشاورون فيك (ليقتلوك) وقيل يأمر بعضهم بعضاً بقتلك (فاخرج) من المدينة (إلى لك من الناصحين) أى فى الأمر بالخروج (فخرج منها) موسى (خافاً) على نفسه من آل فرعون (يترقب) ينتظر لحوق طالب فيأخذنه ثم لجأ الى الله تعالى لعله أنه لاملجأ إلا اليه (قال رب نجنى من القوم الظالمين) خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم

(الحادثة السادسة، والحادثة السابعة، والحادثة الثامنة)

(أنه ورد ماء مدين وسقى لابتنى شعب وتزوج باحداهما)

قال تعالى (ولما توجه تلقاء مدين) نحوها واتوجه الاقبال على الشيء ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن فى سلطان فرعون ولم يكن له علم بالطريق إلا لحسن الظن بربه وأما توجه نحوها لأنه وقع فى نفسه أن بينهم وبينه قرابة لأن أهل مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد ابراهيم ومدين ابن ابراهيم ولما خرج لم يكن معه زاد ولا ظهر ولا طعام إلا ورق الشجر ونبات الأرض وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه وبين مصر ومدين كما قيل ثمانية أيام \* قال ابن عباس وهو أول ابتلاء ابتلاه الله لموسى (قال) موسى (عسى ربي أن يهدينى سواء السبيل) قصد الطريق الى مدين فهده الله اليها (ولما ورد ماء مدين) هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه) على الماء (أمة) جماعة (من الناس يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) سوى الجماعة (امراًين يئذودان) تمنعان أغنامهما من الماء لئلا تختلط بأغنامهم تحبسان غنهما عن الماء من ضمنهما حتى يفرغ القوم وقال ما خطبك ما شأنكما يئذودان غنمكما (قالنا لانسق حتى يصدر الرعاء) يصرف الرعاء مواشيهم عن الماء حذراً من مزاحمة الرجال فإذا صدروا سقينا نحن مواشينا من فضل ما بقى فى الحوض (وأبونا شيخ كبير) لا يقدر أن يسقى مواشيه فلذلك احتجنا نحن الى سقى الغنم اضطراراً لذلك قيل أبوها شعيب أو ابن أخى شعيب بعد ما مات شعيب أو رجل من آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رفق لهما ، فلما فرغ الرعاء من السقى غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشرة نفر جاء موسى فرفع الحجر وحده وسقى الغنم بالبلوكا سقى الرعاء وذلك قوله تعالى (فسقى لهما) مواشيهم رجعة ورافقة (ثم تولى الى الظل) (فقال رب إني لما أنزلت إني من خير) قليل أو كثير والمراد به الطعام (فقير) محتاج \* قال ابن عباس سأل الله فلقة خبر يقيم بها صلبه ، فلما رجعتا الى أبيهما قالنا وجدنا رجالاً صالحاً رجعتا فسقى لنا أغنامنا فقتل لاحداهما اذهبي فدعته الى (جذاته إحداهما تمشى على استحياء) مستحبة متخفئة واسمها صفورا وهى التى تزوجها موسى (قالت إن أبى يبدعوك ليجزىك) ليكافئك (أجور ما سقيت لنا) جزاء سقيك لنا فأجابها تبركاً برؤية الشيخ وليستظهر يعمرته لاطمعا فى الأجر ، فلما قدم له الطعام امتنع عنه وقال «إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدين» فقال الشيخ هذا عادتنا مع كل من ينزل بنا (فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) كما دعا موسى ربه إذ قال - رب نجنى من القوم الظالمين - أى فرعون وقومه (قال إحداهما) التى استدعته (يا أبت استأجره) لرحى الغنم (إن خبر من استأجرت القوى الأمين) فقال الشيخ وما علمك بقوته وأمانته فذكرت إقلال الحجر وأنه صوب رأسه حين بلغته رسالته وأمرها بالمشى خلفه

(قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرتي) أي إني أريد أن أزوجه صفورا التي طلبتك على أن تكون أجيرا لي (ثماني حجج) أي ثمان سنين (فان أتممت عشرا فن عندك) أي فان أتممت عشرين فذلك فضل منك وليس بواجب عليك (وما أريد أن أشق عليك) أي أزمك تمام العشر في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال (ستجدني إن شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة (قال ذلك بيني وبينك) أي ماشرطت على فلك وماشرطت من تزوج احدهما فلي والأمر بيننا على ذلك (أيما الأجلين قضيت) أي أي الأجلين أتممت وفرغت منه الثمانية أو العشرة (فلاعدوان على) أي لاظلم على بأن أطلب بأكثر منه (والله على ما نقول وكيل) شهيد بيني وبينك • قال ابن عباس • قضى أكثر الأجلين لأن رسول الله إذا قال فعل • ويقال إن شعبيا بكى ثم عمى فرد الله بصره وكر ذلك ثلاث مرات يعمى ويرد الله بصره عليه فقال الله له ما هذا البكاء أشوقا إلى الجنة أم خوفا من النار فقال لا يارب شوقا إلى لقائك فأوحى الله إليه هنيئا لك لقائي يا شعيب لذلك أخذتكم كليمي موسى • ويقال إن العصا كانت عند شعيب ورثها عن الأنبياء فسلحها إلى موسى

(الحادثة التاسعة ، والعاشرة ، والحادية عشرة ، والثانية عشرة )

( إرسال موسى وظهور المعجزات على يديه وكفر فرعون وجنوده وهلاكهم وانهم أمة الضلال )  
قال تعالى (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله) قاصدا مصر بإمرأته بعد أن استأذن من شعيب (آنس) أبصر (من جانب الطورنارا) من الجهة التي تلى الطور (قال لأهله امكثوا إلى أن أتست نارا لعل آتيكم منها بخبر) بخبر الطاري (أوجدوه) عود غليظ سواء أكانت في رأسه نار أم لم تكن ولذلك بينه بقوله (من النار لعلكم تصطلون) تستدفئون (فلما أتاهما نودي من شاطئ الوادي الأيمن) يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى (في البقعة المباركة) جعلها الله مباركة لأن الله تعالى كلم موسى هناك وبهته نيبا (من الشجرة) أي من ناحية الشجرة وكانت من العليق ومن الشجرة بدل اشتغال من شاطئ (أن ياموسى) أي ياموسى (إني أنا الله رب العالمين) وقد خلق الله في نفس موسى علما ضروريا بأن التكلم هو الله تعالى وأن ذلك الكلام كلام الله تعالى (وأن ألقى عصاك) فألقاها فصارت عصا موسى (فلما رآها تهتز كأنها جان) أي حية صغيرة في سرعة حركتها (ولم يدبرها) هاربا منها (ولم يعقب) ولم يرجع فنودي عند ذلك (ياموسى) أقبل ولا تخف إنك من الأمنين) من المخاوف فانه لا يخاف لدى المرسلون (اسلك يدك في جيبك) أدخلها (تخرج يدا من غير سوء) عيب وبرص ، وللعنى انه أدخل يده فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس ، ولما اعتري موسى الخوف تارة من العصا وتارة من البهشة بشعاع يده أمره الله أن يتجلد ويظهر الثبات والجرأة بقوله (واضم اليك جناحك من الريح) من أجل الريح أي الخوف مأخوذ من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأن ضمهما إليه ، ويجوز أن يراد واضم يدك الى صدرك يذهب ما بك من فرق حتى قال ابن عباس رضى الله عنهما • كل خائف اذا وضع يده على صدره زال خوفه • ولا غصاصة في ارادة المنعنين معا أي انه يتجلد بقلبه ويضع يده على صدره ليكون تأكيد الزوال الريح (فذا لك) أي العصا واليد (برهانان) حجتان (من ربك الى فرعون ومك إنهم كانوا قوما فاسقين) فكأنوا أحقاء بأن يرسل اليهم (قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون) بها (وأخى هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردا) معنا (صدقي) بتلخيص الحق وقرير الخاطيء وتزييف الشبهات (إني أخاف أن يكذبون) ولساني لا يطاردني عند الحاجة (قال سنشد عضدك بأخيك) سنقويك به وكان هرون بمصر (ونجعل لك سلطانا) حجة وبرهانا (فلا يصلون اليك) يقتل ولا سوء نسلط لك (بآياتنا) فهو متعلق بقوله سلطانا أو فلا يصلون اليك بسبب آياتنا (أتأتوا ومن اتبعكم الغالبون) لفرعون وقومه (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا

سحرمفترى) أى سحر عمله أنت ثم تقتربه على الله وليس مجزة (وماسمعنا بهذا) الذى تدعوننا اليه (فى) آياتنا الأولى • وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار) العاقبة المحمودة (إنه لا يفلح الظالمون) أى ربي أعلم منكم بحال من أهل الفلاح حيث جعله نبيا ووعده حسن العقبي يريد بذلك نفسه وهو لا يرسل الكاذبين بل يخذلهم ولا يني الساحرين والمراد بالدار هي الدنيا والعاقبة المحمودة أن يحتم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى والغفران (وقال فرعون يأبأها الملوأ ما علمت لكم من إله غيرى) إن قدامه المصريين كانوا يجعلون الآئمة (ثلاث طبقات) عليا وهم السكنة ووسطى وهم الجيش وسفلى وهم بقية الطبقات وفرعون مصر من صف يشرف على السكنة وكانت لهم قوانين يتبعها الملوك والرعية وكان الملك مطالعا سواء أكان عادلا أم جائرا ولكن إذا مات بما كرهه فإن كان عادلا دخل المقبرة التي له والا فلا وكان الملوك على كل حال مقدسين منزحين متصلين بالآباء والآئمة ، هذا كان اعتقادهم وليس يستند فرعون إله هو الرب وحده وإنما كانت الألوهية هنا كل يوبنة فى قوله تعالى - اتخذوا أبقارهم وعبادتهم أربابا من دون الله - وفسرها عليه السلام بأنهم يشرعون لهم الشرائع كما تقدم ، فهذا يقول فرعون تارة - أنا ربكم الأعلى - وتارة - ما علمت لكم من إله غيرى - ولقد كان السكنة يحرمون على الشعب أن يعرف الحقائق وعلى عمادى الزمان قدسوا الأشخاص الإنسانية وبعض أنواع الحيوان والفراشة كانوا أكبر المقدسين عندهم فيكونون أكبر الآئمة لأنهم متصلون بالآلة الذين فوقهم ، ولا تظن أن هذا بعيد غاية الأمر أن كثيرا من الناس غافلون - إن أمة اليابان لها ملك يزعمون أن أجداده منذ أربعة آلاف سنة جاؤا من نسل امرأة من السماء أى من الآئمة فهو عندهم كأنه نصف إله ، وعلى ذلك تجد أن القائد اليابانى الذى غلب دولة الروس فى الحرب بينهما ويسمى «توجي» لما مات الملك تقرب إلى الله بالانتحار هو وزوجته الهوز وإنما انتحرا ليدفنا مع الملك وذلك على حسب القاعدة الدينية من قتل نفسه عند موت الملك كل الله راضيا عنهم أن هذا القائد يعرف جميع العلوم المصرية ، ولا تظن أن المسلمين والنصارى واثرا الأمم خلو من هذه الفكرة فان كثيرا من مشايخ الطرق يفهمون تلاميذهم أنهم ينفعونهم ويضرئونهم ، وهذه الفكرة عامة فى كل طبقة جاهلة من أى نحلة وأى دين على وجه الأرض ، وترى كثيرا من أتباع الشيوخ أحياء أوأوانا متى سمعوا لهم أمرا التزموه كأنه منزل من الله بل بعض الصوفية فى عصرنا وفى غيره يقدسهم تلاميذهم ويلبسون وجوههم عن كل ما يقال فى الدين ، فإذا أعطوهم وردا انكبوا عليه وإن كانوا جهلاء بهذه الدنيا وبنظام الكون ، ومنهم من يحرم عليهم النظر فى العلوم والمعارف ، ومنهم من يقول لهم إن الفقهاء قوم لا يعرفون إلا القصور ويقولون دعوا علم الفقه واتبعوا الذكر وحده وهكذا تنوعت الطرق وتنوعت الاعتقادات فتفرق أهل الاسلام وأخذهم الفريضة ، كل هذا لأن كل ذى طريقة أو فكرة يفهم أتباعه أنه لا نجاة إلا بما عرفوه منه ويتركون بقية الدين ، وكل ذلك كقوله تعالى - ما علمت لكم من إله غيرى - فلافارق بين أتباع فرعون فى الجهالة وبين أتباع أى دين إذا جدوا على قول شيخهم واتبعوا هوما أو ههنا فى هذا التفسير بحيث يكون المؤمن عارفا بربه ناظرا فى الطبيعة من حيوان ونبات وإنسان وفلك فان لم يعلم ذلك فليلم به وليأمر المتعلمون الجهال بالنظر على قدر الامكان ، ولعلك تقول إذن جميع الأمم وجميع أهل الطرق بل جميع المسلمين كافرون ، أقول لك - كلا - المسلمون جميعا ماجون لا أفرق بين جماعة وجماعة هذا اعتقادى الذى ألقى الله عليه ولكن السكلام فى النقص ، ففرق بين من ينحو وهو ناقص وبين من ينحو وهو كامل ، والتعاليم الإسلامية اليوم فى غاية النقص والجهالة ، فإذا لم يتعاضد جميع الشيوخ على تعليم الشعب النظر فى هذا الوجود فلا فلاح لهم فى الدنيا وهم فى الآخرة ناقصون حقا ، إن من لم يفتح أبصار المسلمين من السنيين والشيعيين والزيديين وغيرهم إلى ما نقوله فى هذا التفسير وقد اطلم عليه فان الله سبحانه يحاقبه لأنه علم وكتم ، إن الله يعاقب المسلمين اليوم

جميعا في الدنيا على جهلهم و يعاقب الرؤساء اذا لم يقتضوا عيون تلاميذهم الى ما أبدع الله في السموات والأرض ليفتح المسجون المدارس في الأرض وليعلموهم العلوم تعلما اجباريا لينظروا صنعة ربهم . وحرام ثم حرام على كل شيخ أن يأمر تلاميذه بالجهالة وحسبنا الله ونعم الوكيل . اذا عرفت هذا فقد عرفت قول فرعون هنا - ما علمت لكم من إله غيري - . فله السلطة الدينية والقوة الروحية في نظر الشعب الجاهل والآلهة كلهم متى أشار بإشارة أنفذهوا في الشعب . هذا هو الاعتقاد الذي كان سائدا وترى نظيره في الأرض

### ( حكاية )

قد تقدم في هذا التفسير لاسيا في آخر (النساء) أن حكايات جوت لي مع الفلاحين وفيها أن المرحوم عبي الشيخ محمد شلبي سأل القائم بمدينته المسمى (أبا حوده) أن يحلف بالله على العنب خلف ولما قال له احلف على أني مسلم قال لا إني أخاف منه ، فانظر كيف جعل الشيخ أبا مسلم الذي له ضريح يزوره الناس في بلادنا بالشرقية قدرا أن يؤذيه فأما الله فانه رحيم ، وأي ألوهية أكثر من ذلك ، افلا يكون فرعون عند المصريين قديما كالشيخ أبي مسلم عند أبي حوده ، واذا قال عليه السلام « إن تعريب الشرائع وتحليل الحلال وتحريم الحرام أوجب أن يسمى الأحبار والرهبان أربابا ، فكيف اذا انضم الى ذلك عقائد التصرف في أنفس الأحياء بالنفع والضر ، أفلا يحق لفرعون إذن أن يقول - أنا ربكم الأعلى - وأن يقول - ما علمت لكم من إله غيري - يقول المؤلف وأنا أجد الله على هذه المعاني في هذا المقام لأن هذا يوافق العلم المنتشر عن قدماء المصريين وسيزيد هذا العلم ودحا وانتشارا بين المسلمين حتى عرفوه وقرؤا هذا التفسير وجدوه مطابقا لما قرؤوه في الرسائل وعلى الأحجار وفي الأوراق البردية وفي القبور والبرابي والاهرام ، ولما كان هذا شأن فرعون وأنه سيطر تسلطا ماذيا وروحيا على الناس أخذ نجم تعالجه فطلب من وزيره أن يطلع له الطين فيجعل اللبن آجرا أي طينا محرقا ويبنى له منارة عالية جدا ليرصد منها أوضاع الكواكب ويحسب حركاتها وينظر هل فيها ما يدل على بعث رسول وتبدل حال الأمم وهذا قوله تعالى ( فأوقد لي ياهمان على الطين ) أي اتخذ لي الآجر والطين ( فاجعل لي صرحا ) منارة ( لعل أطلع الى إله موسى ) أي الى فعله هل في الأفلاك الدائرات وحركات الأجرام التي خلقها دليل على انه اختار موسى للنبوّة أهله هناك إله غير من نعرفهم من آلهة المصريين ( واني لأظنه من الكاذبين ) في زعمه أنه نبى عن إله العالم الذي يفار من نعرفهم في أرض مصر ونحن نفعل كل شيء وتصترف بإمدادهم ( واستكبر هو وجنوده في الأرض بغیر الحق ) بغیر استحقاق ( وظنوا أنهم البنا لا يرجعون ) بالشور ( فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم ) كما تقدم في التفسير ( فانظر ) يا محمد ( كيف كان عاقبة الظالمين ) وحرق قومك أن يكونوا مثلهم ( وجعلناهم أئمة ) قدوة للضلال بالجل على الاضلال ( يدعون الى النار ) الى موجباتها من الكفر والمعاصي ( ويوم القيامة لا ينصرون ) لا يدفع العذاب عنهم ( وأتبعناهم في هذه الدنيا لئلا تتردوا من الرحمة ( ويوم القيامة هم من المقبوحين ) من المطرودين أو من قبحت وجوههم

### ( الحادثة الثالثة عشرة )

قال تعالى ( ولقد آتينا موسى الكتاب ) التوراة ( من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ) أقوام نوح وهود وصالح ولوط ( بصائر للناس ) حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشد والسعادة كما ان البصر نور العين الذي يبصر به الأجسام أي آتينا التوراة أنوارا للقلوب لأنها كانت عميا لا تنبصر ولا تعرف الحقائق ( وهدى ) من الضلالة لمن عمل به ( ورجة ) لمن آمن ( لهم يذكرون ) بما فيه من المواعظ أي ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر ( وما كنت ) يا محمد ( بجانب ) الجبل ( الغربي ) وهو المكان الواقع في شق القرب منه وهو الذي وقع فيه ميقات موسى ( إذ قضينا الى موسى الأمر ) أي كناه وقربناه نجما ( وما كنت من الشاهدين ) من جملة الشاهدين اللوحى اليه حتى تقف للمشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته ( ولكننا

أنشأنا قرونا) بعد موسى (فتناول عليهم الصر) أى طالت أعمارهم وقرت النبوة فسووا عهد الله واندرست العلوم ووقع التحريف والتخريف في كثير منها فأرسلناك مجددا لتلك الأخبار مينا ما وقع فيه التحريف فلذلك أعلمناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى ، يقول الله أنت يا محمد ما كنت مشاهدا ما حصل لموسى من الوحي وطالت الفترة فكان ذلك سببا لارسلالك فالاستدراك بين به سبب الوحي الذى يفهم من السياق ، ومثل ما قيل هنا يقال في قوله (وما كنت ثاويا) مقيا (في أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تلاوا عليهم آياتنا) تقرأها عليهم تعلمنا منهم أى لم تقرأ الآيات التى فيها قصة شعيب (ولكننا كنا مرسلين) أى ولكننا أرسلناك واختارناك بها وعلمناكها بعد ماضت قرون اندرست فيها العلوم فأرسلناك لتبين للناس ما اندرس منها وتذكر الحقائق وتدحض المحرف منها (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) موسى لما أخذ الكتاب بقوة (ولكن) أعلمناك وأرسلناك بعد ما اندرست العلوم وحرفت القصص (رحمة) للرحمة (من ربك لتذركم ما أنفهم من نذير من قبلك) في زمان الفترة بينك وبين عيسى (لعلهم يتذكرون) يتعظون بما سمعوا من هذا القصص . انتهى التفسير اللفظي للقسم الأول من السورة

هأنت ذا اطلعت على الحوادث التى عدناها (١٣) التى منها اثنتا عشرة حادثة حصلت لتنام أمر موسى ونجاة بنى اسرائيل وهلاك أعدائهم ، ابتدأت هذه الحوادث بفكرة خطرت لام موسى أن يرضه وألمت أو رأت في المنام أنه يحفظها وسيرجع ، لم تكذب هذا الإلهام ولم ينأس من رحمة الله ، فكلم في أمة الاسلام من رجل ومن امرأة ومن شاب ومن شيخ ومن عالم ومن جاهل تخطر لهم خواطر تحثهم على خروجهم من مآزق الفلاة والهوان ومن اقتناص براى أورو باهم ، تخطر لهم هذه الخواطر فلا يبرونها التفاهة يقولون الأمر اقتضى بالاسلام اتبى والدنيا أدبرت والآخرة أقبلت والعالم سيزول والأرض ستذهب

هذه هي الأرجيف والأكاذيب والوساوس التى تقوم في عقول المسلم الجاهل ، لماذا ؟ لأنه لم يعرف القرآن لماذا ؟ لأنه لم يعرف هذه القصة إلا كما يعرف الطفل جبال الزهرة وجبال الورق وجبال الشجر ولكن أباه يعلم أن الزهرة ذابلة والورق انما خلق للساعدة على تغذية الشجرة والأغصان والقضبان والجذوع انما هي وسائل للثمرات والفترات هي المقصودة ، أكثر المسلمين هكذا يقرؤن هذه الآيات ويمرّون عليها كما يمر الطفل بالزهر والورق في الحقول والبساتين ولا يفكر في الثمر ، أما أبوه فان قلبه معلق بالثمر ، يظن المسلم أن المقصد من هذه القصة أن يفرح بزهراتها فيقول ما أعجب هذه القصة ، انظر أيها الأخ الى موسى كيف وضع في التابوت وكيف حفظه الله ، وكيف تعلق بالشجرة في البحر ، وكيف اتفق أن فرعون وزوجه وبنته كانوا يشاهدونه وقت طلوع الشمس ، وكيف شفى الله بنت فرعون بريقه ، وكيف ظهر نوره فأحبه فرعون وآسبه ، فياحبا لذلك ، وكيف رجع الى أمه ثانيا فأرضعته ، وكيف أيد الله أخته فدلنهم على أمه ، وكيف كنتم الخبر ور بط الله على قلب أم موسى ، وكيف جاء رجل من شيعة موسى يقول له اخرج نصيحة له ، وكيف قدر أن يرفع الحجر الذى لا يرضه إلا عشرة وما أشبه ذلك . فهذه الجباب يقف عندها أكثر الناس وهم في ذلك أشبه بالاطفال يفرحون بالزهرات أما العقلاء فانهم يقولون يا قوم لا تقفوا موقف الاطفال ، فكأن الزهرات مقتنيات للثمرات هكذا هذه الجباب مقتنيات لما هو أهم منها ، إن جبال تلك القصص مسوق لما به السعادة وما به السعادة اما حفظ الأخلاق للأفراد واما حفظ الأمم للجماعات . هذا هو المقصود . فاذا قرأ القارئ ان موسى كان عفيفا حين رأى بنت شعيب وانه كان أميناً عليها حتى أمرها أن تمشي خلفه وأن هذه العفة وهذه الأمانة رفعت في عين شعيب وابنته تشوق القارئ الذكى أن يكون كموسى أمانة وعفة وكذلك يقلده في الصلف على كل ضعيف ويقول إن هذه الأخلاق انتهت بالنبوة ، فهكذا كل الأخلاق الفاضلة تنتهي بجلال المرء وبالفتوح الذى يفتح الله عليه

### ( نظرة المسلمين في هذا الزمان )

وإذا نظر المسلمون هذه القصة في هذا الزمان علموا انها مسوقة لاسعادهم واعزازهم واخراجهم من المآزق والهلاك . إن المسلمين اليوم في ذل وجهل مابعد . جهل ولكن عقول المسلمين أشبه بأرض خصبة تحتاج الى البذر وانزال الماء فيخرج نبات حسن منها ، هكذا اذا عرف المسلمون مقاصد أمثال هذه الآيات خرجوا عما هم فيه من الفاقة . علم الله أن المسلمين سينامون وسيمر عليهم مامة على الأمم قبلهم وسينوقون السوء فأنزل لهم هذه القصة ، يقول أى عبادى إن نجاة بنى اسرائيل كان مبدؤها فكرة خطرت لأم موسى وإلهاماً ألهمت لها فلم تنبذ الإلهام وتبع ذلك أمور وأمرأ أخذت هذه الصالحة تفكر ؟ ففهم فكرت ، فكرت في نجاة ابنها ونجاة فرد من مجموع نافلة للجموع فأرسلت ابنتها تدلهم على من يكفله وكنت السر وظهرت لفرعون كأنها ليست أمته وهكذا ، كل ذلك بعد الفكرة الأولى لم تأس من رجة الله

أيها المسلمون أتدرون لم وقعتم في الفل ، إنكم يشتم من رحمتي في الدنيا ولم تأسوا منها في الآخرة وهذا خطأ محض ، أنا رحم في الدنيا ورحيم في الآخرة ، إن يأسكم في الدنيا من نصري لكم أقعدكم عن التفكير في الخروج من الذلل وأنا لا أعطي إلا من فكر ، كم من رجل منكم خطر له أن ينفع أمته ، كم من شاب ، كم من امرأة ، كثير جدا منكم يفكرون كل يوم في الخروج من الفل ولكن اذا جاء لهم الفكر طرده كانه من كلام الأبالسة ، كانه من كلام الشياطين ، أى عبادى إن الفكر الصالح موجود يمر بخواطركم ، أنا لم أمنه ، أنا لم أقص عليكم هذا القصص لأقول لكم إن الإلهام خاص بمن مضى أو بأمر موسى . كلا . إن إلهام الخبير موجود مستفيض كما يستفيض ضياء الشمس على أرضكم وقد يحجب ليل أو سحب ولكنه لا يزال موجودا ولكن خطبأؤكم والجهل من شيوكم قالوا لكم إن الزمان قد قرب والدنيا ستخرب فصدقتمهم مع أنى لم أطلع أحدا على غيبى فكيف تحرمون من السعادة ، كلام هؤلاء الشيوخ هو السحب المانعة لضوء شمس العلم التى ألقها على قلوبكم ، هو الليل اليم الذى تنام فيه الناس وتقفل أبصارها لتلك حرمت من النصر وحرمت من السعادة . أى عبادى إن حرمانكم من الرقى هذا هو سببه والا فان خطرات السعادة محيطة بكم . فإياكم أن تسمعوا لكلام هؤلاء الشيوخ المتبطين فاذا خطر لكم خاطر النصر وأن تقوموا باسعاد هذه الأمة أو باسعاد أنفسكم أو بحفظ بلادكم أو بطرد العدو منها . فلتعلموا أن هذا الخطر بذريجب أن يسقى بماء الفكر والسعى والجهد والكتيان وحفظ السر كما فعلت أم موسى فان فكرتها تمت وترعرعت وكان من نتائجها أن موسى قوى وكبر وقلم وابتنى بقتل القبطى وهذا الابتلاء كان سبب نعمة لانقمة لأنه به خرج الى أرض مدين وقابل شعبا وتزوج ابنته ورجع فأوحى اليه فرجع الى فرعون فأخرج بنى اسرائيل . يقول الله لادعوا أيها المسلمون خواطر الإصلاح فليس انماى محجوبا عن عبادى . أنا اليكم ناظر ومن خطر له خاطر الإصلاح فليعلم أنى معه لاسبا الإصلاح العام فانى مع المحسنين ودعاء من يدعو الى اصلاح الجميع مقبول نافع وكلما كان المرء ساعيا في مصلحة العموم كنت معه مؤيدا وحافظا وناصرا . كم من المسلمين من أضاعوا حياتهم سدى يقرؤن هذه الآيات فلا يزدبون على التهرب ولا يزدبون على أن فرعون ادعى الالهية ويتقونه وليس لهم وراء ذلك مطلب بل التعلم الذى قرأ علوم قديما المصريين المنتشرة حين يقرأ هذه الآية يقول ( كيف يقول فرعون - ما علمت لكم من إله غيرى - مع انهم كانوا يعبدون آلهة مثل ( سينوستريس ) و ( ايزيس ) وما أشبه ذلك ويظن أن القرآن غاب عنه ما قرأه هو في أوراق البردى أو تلقته من قراءه ويقول مالى ولهذا القصص وهو غافل عما ذكرناه من معنى الالهية والربوبية فيها فاقم بأوضح مقال وذاهل عما سبق له الحديث الذى نحن بصدده حديث رقى الأمم وخروجها من الفل والاستعباد . هكذا فليخرج المسلمون اليوم أوغدا وهذا أمر محقق لاشك فيه عندى وسيقرأ هذا المسلمون بعدنا ويرون أنهم نالوا ما ذكرناه . وستشيع أمثال هذه الآراء في الاسلام



وسيكونون - خیرأمة أخرجت للناس - وكيف لا يصيرون كذلك وقد تقدم في (سورة النحل) أن الله يقول - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - أليس هذا وعدا لنا بأننا سنعرف العلوم ومجانب الأرض والسماوات وهل وعد الله يخلف ؟ أليس نبينا محمد ﷺ له المقام المحمود ويعطى لواء الحمد ؟ أليس الحمد دائما يكون على نعم ؟ أليس أهمّ النعم هو العلم ، أليس جند الأولين والآخرين له على العلم الذي ترقى به أمته ، فإذا كان مقامه مجودا وهو رافع لواء الحمد فنتيجة ذلك كله أن تكون أمته أعلم الأمم ، وإذا كان شافها لأمته فإن الشفاعة على مقتضى الهداية ولاهداية إلا بعلم فالعلم سيم الأمة الاسلامية وسيخرجون من النذل وسيفكرون في اخراج أنفسهم من الهوان والجهل كما فعلت أم موسى إذ انبعث الالهام بأن ابنها سيرجع لها بالعمل وتسلست حوادث كانت نتيجتها خروج أمتها من المذلة . وهنا لطائف

### ( اللطيفة الأولى )

اعلم أن الناس يهيجون من أمرهم موسى ويتعجبون من أمر موسى وكيف نجا وكيف خرج بنوا-إسرائيل وهم في كل وقت يشاهدون أمثال هذا ولايتعجبون . أليس الانسان يأكل الفاكهة مع ان حصولها بين يديه عجيب كأم موسى وموسى وخروج بني اسرائيل . أليست الفاكهة من البستان فهل كان الحداد الذي يصنع المحراث يقصد الشجرة التي منها فاكهته وهل كانت البهائم التي خرج منها مابه تسمد الأرض تقصد أن تنال أنت الفاكهة . وهل كان الذي يستخرج الليف من النخل لصنع جبال البهائم التي تحرث الأرض يقصد فاكهته . انظر حوادث كثيرة من بخار وسحاب ومطر وحديد وخشب تجتمع من أقطار شتى ونتيجتها وصول الفاكهة اليك . إن المفكرين يهيجون من الطبيعة وغرائبها كما تعجب أنت من قصص موسى وأمه وخروج بني اسرائيل ولكن لما كان هذا القصص غائبا حلا في السمع ، أما عجائب الطبيعة فإن اللطائف الموجهة من الله اليها أعجب وأعجب والافاقين دوران الشمس في فلكها ودوران الأرض حول نفسها ودورانها حول الشمس بحساب بديع . أليس ذلك من أسباب هذه الفاكهة . ولو أن حساب الشمس والأرض اختل ما أمكن ظهور هذه الفاكهة لأنها تحتاج الى حرارة بمقدار فتى اختلت الشمس في سيرها اختلت الحرارة في نزولها على الأرض فذهبت المنافع ولكن هذه العجائب يجعلها أكثر الناس - ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

### ( اللطيفة الثانية )

هلك قول من لي بأن اعتقد ما اعتقدته أم موسى ، ومن لي بذلك ، ومن أما ان ذلك في زمان مضى واقضى . فأين البرهان على ذلك في هذا الزمان ؟ أقول على رسلك ، أليست الحرب العظمى قلبت الكرة الأرضية . أليس سببها أن عالما يسمى (ماركس) وهو ألماني أخرج كتب للناس قائلا يجب ازالة هذه النظمات الأرضية ومن هذه الفكرة تعلم الروسيون وبها وحدها انقلبت الدولة فصارت بلشفية . ألم تكن دولة الفرس مقسمة بين الانجليز والروس . أليست الحرب العظمى جعلتها حرة مطلقة من كل قيد . انظر أين فكرة ماركس الألماني وخلص الفرس . أليس ذلك من قوله تعالى - إن ربي لطيف لما يشاء - وأى لطف أعجب من هذا . تطف في خلق الأفكار وبها بين الناس حتى عمت الكرة الأرضية واتبعت باستقلال الروس وتبع ذلك بلاد الفرس . أليس هذا كسألة أم موسى قصت اتقاذ ولدها فأقنذ بنوا اسرائيل وكدوران الشمس بحساب بلاخطأ في سيرها فكانت الحرارة منتظمة على قدر انضاج الفاكهة ولولا ذلك لئس الملاح ولم يزرع . أليس ذلك كما فعل الله في ماء النيل . أنزل في الأرض كل عام فيصسل ما بين (٤١) مليارا من الأمتار المربعة وبين (١٠٠) مليار . ونتيجة ذلك ظهور المزراع . ولا ينزل ذلك الماء إلا بالبهار ولا بخار إلا بالحرارة والاحراق منتظمة إلا بانتظام سير الشمس فأين سير الشمس وأين الفاكهة . هناك سلسلة منتظمة انتهت بالفاكهة . وهناك سلسلة منتظمة انتهت باستقلال الفرس . وهناك سلسلة منتظمة انتهت بخروج بني اسرائيل ومبدؤها إلهام أم موسى

وهناك سلسلة منتظمة بها استقلت دولة الأفغان لما قام الأفغان بخاربوا الانجليز أيام الحرب العظمى واستقلت البلاد الى الآن . وهناك سلسلة منتظمة ستحصل بعد قراءة هذا الكتاب فينظر المسلمون ويقرؤون قوله تعالى هنا - وما كنت تأوي الى أهل مدين - الى قوله - ولكن رحمة من ربك لتنفذ قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون - فهذا الذي قررته هو الرحمة وهذا هو التذكير ، بتذكر المسلمون هذا القصة فيستخرجون منه خلاصة وغرة هي أن يفكروا في الخلاص ويستمروا فينجحوا ، يفكر المسلمون فيقولون نحن - خير أمة أخرجت للناس - فكيف كانت مهمنا منحة لرجع الى القرآن وليعرف الناس أنه بأسرنا أن نعشق جبال الله في العوالم العلوية والسفلية وهذا الجبال لاحد له والعمر كله مدة دراسة والارتقاء لاحد له وهذه القصة وأمثالها انما هي كشجرة فلنأخذ ثمرها ولانكتفي بظلها والثرات إما أخلاق كعفة موسى واما إيمان بالله خيفة الهلاك كما هلك قوم فرعون ، يقول المسلم أنا مسلم فكيف أهلك ؟ نقول له ولكنك ذليل بعيد عن العلم ، فانظر كما نظرت أم موسى وخلص أمتك من الذلة والهوان ، قل لها كوني منتظمة ، كوني مفكرة ، تعلمي ، اسلي للرق والنجاح ، اجتهدى ، انشربى العلوم ، إن العلوم بها محبة الله ، إن الانسان لاخير في حياته بدون النظر في هذا الجبال . إن المقول اذا وقفت تفهقرت واذا تفهقرت انحطت واذا نزلت هلكت وبئس المصير

سيقول المسلمون بعد هذا التفسير وانتشاره ان شاء الله مالنا قد امتزنا في جميع الكرة الأرضية بالجهالة ، في بلاد الشرق والغرب أصبحنا عالة على الأمم ، لماذا نرى المسلم في بلاد سيام كما يقول رجلها لا يرتقي عن الفلاحة إلا قليلا فأما غيره فانه يسلك بستان السعادة ويسافر للعلم ويحظى بالخبر والعز ، مالنا نرى المسلم الصيني شاذا بعيدا عن العلم والوثني هو القائم بالعلم والحكمة وبشؤون الدولة ، مالنا نرى المسلم أبنا حلقنا أوارتحلنا واقفا في مكانه . ومتى قال من بعدنا هذا القول تجلت لهم الحقائق وأظهروا مكنون العلم وأيقظوا الأمة ونشروا فيها ما كتبناه في القرآن وما يكتبه غيرنا وانقلب الأمر فأصبح المسلم أقوى من غيره في العلوم والمعارف لما يرى من عجائب القرآن التي شرحناها وشرحها المتقدمون والمتأخرون

هذا بعض ما يقصد من هذا القصص ومن قول الله تعالى - ولكن رحمة من ربك - الى قوله - لعلهم يتذكرون - هذا هو القصد من ازالة هذا القصص فالقصد الرحمة والتذكير أى ان الله رحنا بالتذكير فها أنزل على رسول الله ﷺ وذلك هو المذكور في الحادثة الثالثة عشرة لبرينا أن القرآن لهذا أنزل فليس يقصد أن نفرح بنبي اسرائيل بل نفرح بما نتذكروا بالرحمة التي تناولها من التذكير فلاخير في شجر لآمره . ولاخير في علم لانفع له . ولاخير في أمة لاهمة لها . ولاخير في قراءة دين لابعقه قارئوه . ولاخير ولارحمة إلا لمن يتذكرون ويعقلون والحمد لله رب العالمين

### ﴿ البلاغة والعلوم ﴾

ينظر قوم الى القرآن من جهة البلاغة ويظنون انهم اذا عرفوا الجنس في قوله - الى إله موسى - وعرفوا مأسأته عليك وهو قول الأصمى حكاية عن فتاة غريبة قالت إن في قوله تعالى - وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين - قالت الفتاة إن فيها أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين . فالخبران أوحينا وأوحينا وخفت . والأمران ألقيه وأرضعيه . والنهيان لا تخافي ولا تحزني . والبشارتان - إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين -

أقول . ينظر قوم الى القرآن من هذه الوجهة فيطربون لهجائب التركيب والبلاغة ولم الحقي في ذلك ولكن هل لهذا أنزل القرآن . إن البلاغة علم يرجع الى تركيب الألفاظ ونسق الكلام فهل هذا كاف ؟ كلام كلا . إن المقام ليس مقام استدلال على أن القرآن مهجور فليس هذا نهاية العلم . إن نهاية العلم أن يدرس

ويستخرج منه ما يجب علينا دراسته في هذه الحياة  
(نصص موسى أيضا ومناسبة قوله تعالى - ولكن رحمة من ربك لتنفروا ما أتاه

من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون )

لقد عرفت أننا مقاصد البلاغة وانها تقوم مبتدئين في العلم وانها مفتاح الفهم ، أما الفهم فانه وراء ذلك  
فالبلاغة مفتاح خزائن العلم والعلم في نفس الخزان و فرق بين مفاتيح الخزان وبين الخزون ، هل أنبتك بشئ  
من الخزون في هذه السورة ؟ أنت تعلم أن قصص موسى قد كرر في القرآن وتكراره يصعب على كثير من  
الناس ادراك سببه . فأما عالم البلاغة اذا كان حاذي البصيرة فانه يقول الاطناب في مقام والايجاز في مقام لمراعاة  
المقامات وهذا لا بأس به وهو حق ولكن أين الفائدة الحقيقية ؟ فعالم البلاغة لا قدرة له على الاجابة ولكن انظر  
مخزون العلم ومكنون الحكمة ، انظروا هل ترى أنه فيها شرح مسألة العسا ومسألة عمل السامري وأطنب فيهما  
ليرينا أن المدار على العلوم العقلية فأما خوارق العادات فانها تنفع مؤقتا فلايمان بها كأنه ظل لا ثبات له وذلك  
لأن الصور المادية ظلال الحقائق فيكون الايمان بها ظلا لا ثبات له . وملخص ذلك انه يراد أن تكون الأمة  
الاسلامية أمة علم وحكمة لا أمة خوارق عادات للصالحين وللأطالحين وقد تقدم هذا

ولقد ذكر في تلك السورة عجائب الأرض والسماء ليتم القصد من هذه الموازنة . هذا في (سورة طه)  
وليكون ذلك تبصرة وتذكرة للمسلمين . أما في (سورة الشعراء) فقد أطال القول في السحرة وشرح المقام  
شرحا وافيا فأوجب ذلك النظر في السحر وحده وشرحه كما فعلنا هناك وذكرنا سحرهم على قدر ما يسهل المقام  
أما في هذه السورة فان القصة أنت لغرض آخر كأنها شرح لقوله ﷺ في الصحيح (بدأ الاسلام غريبا  
وسيعود كما بدأ )

إن الأمة الاسلامية في أول أمرها كانت قليلة العدد وكانوا مضطهدين من الكفار وهاجر بعضهم الى الحبشة  
ثم هاجروا جميعا الى المدينة ثم أعزهم الله فبدأوا غريبا لم يكن له نظير في سرعة الرقي والانتشار والمنعة بعد  
الغوف والقلّة والضعف ، ثم ماذا ؟ انهم انتشروا في الأرض وترجوا عوالم الأمم فتحقق بذلك كونه - رحمة  
للعالمين - لأن أمته حفظت العلم وسلعت الى أمم الغرب والشرق . والبرهان على عموم رحمة للشرق والغرب  
الألفاظ الآتية في العلوم فانها تنطق بلسان فصيح أن مجدا ﷺ رحمة للعالمين في جبع الكرة الأرضية لأنه  
لولا أمته ما حفظت هذه العلوم

( الألفاظ العربية في العلوم العصرية )

( علم الفلك )

السمت والنظير

( الكيمياء والطب )

الانبيق . الالكحول . القلى . البورق . الشراب . الجلاب . الاكسير . اللعوق . السا . الكافور

( الموسيقى )

العود . الطبل . الطنبور

( فن الملاحة )

أمير البحر . الترسامة . الجبل . الجلفاظ . الرصيف . الموسم . الفلك

( فن التجارة )

التصريف . السبوان . المخزن . البازار . القبروان . الترجان

هكذا أخذ الاوروبيون عن المسلمين الأرقام الهندية وأصول الجبر والهندسة والتقوش وبناء الحصون والقلاع والسفن الحربية والحجزة والناور وكثيرا من الفوائد الصناعية والزراعية التي هدت أوروبا الى الحال الحاضرة من العمران والتقدم ، وانما قلت لك هذا لتفهم هنا قوله تعالى - ولكن رحمة من ربك - وقهم أيضا - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - هذا هو معنى هذه الرحمة ، فانظر كليات العلوم العربية التي لازال تنطق بلسان فصيح بهذه الآية وبقوله تعالى - وانه لذكر لك ولقومك - هذا ما حصل في الزمان الماضي ولكن هذه السورة جاء فيها ذكر قصص فرعون بطريق آخر كما قد تمنا لم يقصد فيها شرح السحر والالموازنة بين عصا موسى وعجل السامري بل أريد أن تجعل القصة بابا للحرية ولخروج الأذلاء من ذلم فذكر الحوادث الثلاثة عشرة التي بها خرج بنو اسرائيل . يقول للمسلمين اذا وقعتم في الذل فلتخرجوا منها كما خرج بنو اسرائيل وسيكون شأنكم غريبا بسد ذلكم كما كان غريبا في أول أمركم ، فاذا تهقروتم أيها المسلمون ولا مناص من تهقروكم - وتلك الأيام نداولها بين الناس - لافرق بين الأمم والبيانات في الأرض كلها ففت الباب مفتوح لخروجكم من ذلك وانظروا قصص بني اسرائيل فلتخرجوا كما خرجوا ولترجعوا المجد الذي قد تموه وتكونوا رحمة للعالمين كما كنتم سابقا ، واذا كنتم في محكم الأول حفظتم العلوم وسلمتموها للام فاذا رجعت هذه المرة فاقروا العلوم وعلموا الأمم كيف يكون العدل ومحارة الأرض لأنكم كنتم رحمة أولا لمناسبة ذلك الزمان فلتكونوا رحمة على حسب الزمان المستقبل ولهذا كله يشير قوله تعالى - ولكن رحمة من ربك - بعد ذكر انتصار بني اسرائيل فيكون الاسلام غريبا في سيره اليوم بأن ينتشر أهله بسرعة غريبة لا نظير لها كما انتشر في المرة الأولى انتشارا لا نظير له ، وكما حفظ المسلمون العلوم أولا ونصوا الأمم فليزوها من أهلها ثانيا وليرقوا النوع الانساني . هذا ما فهمته من قوله تعالى - ولكن رحمة من ربك - وفي التعبير معنى الترية اشارة الى ما ذكرناه - والله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء -

( جوهره في قوله تعالى - إن فرعون علا في الأرض - الى قوله - إنه كان من المفسدين - )  
 اللهم إنك أنت المنعم المتفضل الملمم ، أنت الرحيم ، رحمت الجنين في رحم أمه ، ورحمت الحشرات في الفلوات والأنعام في المراعي ، لم تفرعنا من العوالم إلا شملته برحمتك . اللهم اننا في هذه الأرض قد غمرتنا رحمتك وشملتنا أنوارك ظاهرا وباطنا كما قلت في سورة الروم - وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة - ولكننا محبسون في حواسنا مغمورون في ذنوبنا وعواطفنا ومطالبنا فصرنا عن فهم النعمة وحوّلنا عقولنا الى أمور غير عظيمة نحو لا مزييا بانسانيتنا وبشرنا أصلنا في العالم العلوي فكأننا بهذا الصرف معذبون ونحن غير عالمين أنت رحمن رحيم للأفراد وللأأم ، وهذه أمتنا الاسلامية المترامية الأطراف قد بذرت بذور العلم والرق في الأمم شرقا وغربا ثم دالت دولتها ونامت آمادها وآمادها ، وهامى ذريرد الرقي كره أخرى وهذا كتابك بين يدي الآن أكتب هذه الكلمات في تفسيره ، وقد قدرت في علمك القديم أن يكون هذا التفسير في زمان نطلع فيه على عمل سياسات الأمم الاسلامية القديمة والحديثة وعلى سياسة الأمم المحيطة بنا . فهنا نحن الآن ننظر فترى آباء العرب ومن اهتموا بهديهم من الأمم يدين الاسلام قد سلطتهم على أرضك وخوّلت لهم ممالكك وأودعتهم وأدملك فقاموا بالأمانة ماشاء الله أن يقوموا ثم خلع الأبناء عن أنفسهم فضائل الآباء وتركوا مواهبهم وانما وكسلا و بطروا ولم يقوموا برعاية عبادك كما وصيتهم في كتابك فأخذت منهم أرضك وأعطينا لغيرهم وقرأنا تاريخهم وعرفنا مدى رقيهم ومدى ضعفهم وثبت ذلك فيما تقدم في (سورة النمل) عندآية - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدها - وما بعد ذلك من أن يبيتهم خلوية بما ظلموا . إذن هذا التفسير اليوم قد جاءت فيه ملاحظات على الأمم الاسلامية الساجدة وأن ماتم لهم كله مصداق للقرآن الكريم .  
 ياسبحان الله وباسمائه ، فكيف نسبح الله عز وجل يقول في (سورة النمل) ما تقدم من إفساد الملوك

للأرض اذا دخلوها ، وكيف يذكر أن بيوتهم غاربة بما ظلموا ثم تأتي هذه السورة فيكون مبدؤها فيه هذا هذا المعنى نفسه ونهايتها فيه مصداقه فكان رد الجزع على الصدر المذكور في علم البديع . إن تفسير القرآن على هذا الخط في زماننا مرآة ترى فيه آثار الأمم والدول المصدقات لكتابتنا المقدس . أول هذه السورة (أمران • الأول) علو فرعون في الأرض مع استضعاف أهلها وجعلهم شيعة وتذيع أبنائهم (الثاني) انه مفسد من المفسدين . هذا هو الذي جاء في أول هذه السورة . فانظر أيها الذي الى ما جاء في آخرها ، ما هو ؟ هو ذكراون وانه كان من قوم موسى ، فاذا فعل ؟ بقى على قومه وفرح بماله الوفير ونصح الناصحون فقالوا له - ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين - وهذه القصة القارونية تضمنت ان الله لا يحب الفرحين ولا يحب المفسدين ، ومعلوم أن الفرح صفة لمن يعاوى في الأرض . إذن هذه القصة تضمنت النهي عن العاوى المذكور في أول السورة وعن الفساد . إذن قصة فرعون جاءت في أول السورة لئلا العاوى والفساد ومثلها قصة قارون في آخرها . ثم انظر كيف قال في آخر السورة - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عاوى في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين - جل الله وجل العلم وجاءت الحكمة . هذا معنى قول الله تعالى - كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير -

انظر لحكم الله عز وجل في القرآن ، أيها الذي انظر الى القرآن في ظاهره الأخر بغير هذه المباحث ، إن الناظر للقرآن نظرا سطحيا لا يتخيل هذه الحكم ، العربي في البداية عرف تأثير القرآن بغير ربه وفطرته ولكننا نحن الآن نقف على جوهره وبدائته وحكمه . جل الله . إن ما نعرفه الآن في حكم القرآن وبدائته أجل وأرفع مما عرفه علماء البلاغة السابقون . إذن كان هذه السورة يقصد بها ألا نعاوى في الأرض ولا نفسد فيها المفسدون في الأرض هم الذين يظلمون الأمم ويحكمونهم ليكونوا عالة عليهم ليدولهم وليكونوا أشبه بالظهور والاسود والذئاب والناس أمامهم كالغزلان والأرانب . وهذه الصفة هي التي وصفها ابن خلدون فيما نقلناه عنه في سورة النمل في الآية المتقدمة في صفة الأمم العربية المتأخرة التي تركت دينها فكان ذلك مصداقا لتخوف النبي ﷺ من فتوح البلدان ومصداقا لقوله تعالى - فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم - ولما ظهر من سورة الأنفال تلك السورة التي جاء نظمها في الحكمة أشبه بمجاء في هذه السورة . الآثار تعالى يقول في أول السورة - وإن فريقا من المؤمنين لكارهون - الى قوله - واذبحكم الله إحدى الطائفتين إنما لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم - الخ وما يخص المعنى هناك أن الصحابة رضی الله عنهم كانوا يريدون أن يستولوا على العبراني مع أبي سفيان ويتركوا الجيش الكبير الذاهب الى بدر لمحاربتهم لأن العبراني مع أبي سفيان غنيمة لا تحتاج الى قتال وأما الجيش المتوجه الى قتالهم فانه يحتاج الى قتال وعمل شاق فاختر الله لهم مواجهة الجيش لأن المال ليس هو المقصود بل المقصود اعلاء كلمة الله لا غير واعلاء كلمة الله لا تكون بالاستيلاء على الغنائم بل بمحاربة الرجال والطعن والزوال . وجاء في آخر السورة قوله تعالى - ما كان لبي أن يكون له أسرى حتى يشخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم • لولا كتاب من الله سبق لمسك فيما أخذتم عذاب عظيم • فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله - فتأمل في هذه الآيات وتجب ، حذر الله المسلمين فقال - تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة - ثم ذكر العذاب وأبان انه ملازم لعرض الدنيا غاية الأمر ان الله أباح الغنائم لنا لأجل حفظ بلاده فهذه الغنائم يلزمها العذاب ولكن الله لم يعذب المسلمين ولم يمنعه من الغنائم ذلك لأنهم بها كانوا نعمة على الأمم ولكن المفسدون في الأرض من الأجيال التي جاءت بعد القرون الثلاثة لم يجعلوا الغنائم لحفظ الأمم بل جعلوها لشهواتهم وهذا هو الذي يهلك الأمم . فالله المار الذي حل - بأمر الاسلام كله تطبيق على القرآن . فاذا رأينا أهل الأندلس كما تقدمت في السورتين السابقتين لهذه صاروا (٢٠) مملكة فافرقا فيها فيما تقدم . واذا رأينا بني العباس في آخر

أمرهم تفرقت دولتهم شذرمفر في أيام خلافتهم . وإذا رأينا أمة الترك بعد ذلك كانت تفعل تحت خلافة بني عثمان ما كانت تفعله الأمم العربية بعد العصر الأول أيقنا أن هذا كله تفسير لهذه الآية وأن مال الغنائم المستعمل في غير ماوضع له يجعل الأمم التي ملكته فرحة به مفسدة في الأرض والله لا يحب الفرحين ولا يحب المفسدين ، وإنما فرح هؤلاء بالمال لأنهم وجدوا أن القصد من الحياة هي الذات والنوم والكسل بلا عمل وهذه صناعة الديدان في الأرض ، فلهذا ينتقم من هذه الأمم بالاذلال ، ومن تأمل أول القصص وآخرها وجدها مطابقين لأول (الأنفال) وآخرها . ومال القصص في القرآن إلا لإيضاح للحكم المودعة في القرآن ، فلهذا أبان في الأنفال أن عذاب الله يس من يأخذون الغنائم ولكنه أباحه لكم بمقتضى ما سبق في علمه القديم وهو أن أمثال أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة والتابعين لم يجعلوا المال وجهتهم فكان عمر يخطب على المنبر شوب صرعه وأبو بكر يحرم على أهل بيته أخذ شيء من الغنائم إلا للضرورة فهؤلاء هم الذين فهموا القرآن وفهموا فعل النبي ﷺ وفهموا قوله تعالى - إن فرعون علا في الأرض - وفهموا قصة قارون وما فيها من ذم الفساد في الأرض وذم الفرحين ، لذلك تبرؤا من المال . أما ملوك الاسلام فأكثرهم جعلوا هذه المعاني فأنحطت عزائمهم وخارت قواهم وذبحت دواهم لأنهم لم يفهموا لم أحلت الغنائم ولم يفهموا قوله تعالى - لولا كتاب من الله سبق لمسك فيما أخذتم عذاب عظيم - فكان قصة فرعون في هذه السورة وقصة قارون إيضاح لما تقدم في سورة الأنفال من المذكور في أولها والمذكور في آخرها ، ثم اعجب من قول قارون - قال انما أوتيت على علم عندي - والرد عليه من الله بقوله - أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون - الخ فهذا مثل قوله في (الأنفال) - لولا كتاب من الله سبق لمسك فيما أخذتم عذاب عظيم - ثم انظر الى قوله تعالى - وقال الذين أوتوا العلم ولبكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وما يلقاها إلا الصابرون - فهذا فتح باب للعلم والحكمة والعلم هو الذي شرح أمر المال ، فترى الفيلسوف (قائس) قبل الميلاد بنحو (٥٠٠) سنة ألف الكتاب المسمى (قائس) وفيه أبان أن السعادة ليست هي المال وحده ولا الملك ولا الأدب المزور ولا غيرها من عرض الدنيا وإنما السعادة ترجع الى كمال النفس بالصبر والوقار والحلم فقرأ ملخصه في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - وبشر الصابرين - الخ وترى كتاب (الكوش الهندي) المؤلف حديثا بنحو هذا النحو . وترى أفلاطون في جمهوريته بين طبقات الحكام والمحكومين ويذكر أن الأمة اذا حكمها أهل الطمع في المال وجهه أخطأ بها وبهم الذل . فالأغنياء يجمعون المال والشعب يذل وكل منهم في شقاء . والأغنياء مهتدون من الفقراء لقلة الأولين وكثرة الآخرين

ونظرة فيما تقدم في (سورة النمل) عند آية الملوك المفسدين وغيرها تعرف أن المال آلة للشقاوة عند قوم وللسعادة عند آخرين فهو تابع لعقول المستعملين له شرفا وضمه . إن القرآن لم يهمل نظام الأفراد ولانظام الأمم بل سلك كل سبيل لاسعادها وإنما هذه الأمم الاسلامية حيل بينها وبينه فهو كتاب يفسره كل علم في الأرض قبله وبعده . ومن عجب أن أكبر الفلاسفة جاء بحثه على مقتضى هذه الآيات . ولقد قرأ أفلاطون وقبله سقراط أن هذه الحياة الدنيا أشبه بالعدم لأن المادة في نظرهم ليست شيئا مذكورا . لماذا ؟ لأنها متغيرة وكل متغير متقلب غير ثابت لا يستحق اسم الوجود بل الذي يستحق اسم الوجود إنما هو الدائم والدائم إنما هي النفوس والعقول وفوقهما الله . وبناء عليه وجهوا عقول الناس الى مبدع الكون وازدروا بالدنيا ازدراء تاما بهذا البرهان مع أنهما وضعوا أشرف النواميس والقوانين للحكومات وللجيوش وللأمم ليعيش الناس بسعادة . اللهم إني لأعجب من كتابنا كيف يكون هذا هو مشربه ثم يجهل المتأخرون . يا سبحان الله . كيف ينجم الله السورة بهذه الآية - كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون - وكيف يكون نفس هذا القول ملخص آراء كبار الحكماء في العالم وعليه يجب على أن أكتب في سورة القتال عند آية - فاعلم أنه لا إله إلا الله - تلك الرسالة

المسألة (مرآة الفلسفة) ليطلع المسلمون بهذا على ملخص فلسفة الأمم قديما وحديثا ويفهموا كيف يقول أولئك الفلاسفة ان المادة غير موجودة وأن هذه العوالم أشبه بالخيال ، وكيف يتجه أفلاطون وسقراط الى الغير المحض (الله) وكيف يقول علماء أوروبا الحاليين ان علومهم في هذا المقام ليست شيئا مذكورا بالنسبة لعلماء علماء اليونان المذكورين ، وكيف نرى ألمانيا تتبع مذهب (كنت) الألماني فذهب يقرب من رأى أفلاطون إن المسلمين يجب أن يطلع كبارهم وعظماءهم على هذا وواجب على أن يكتب لهم لينظموا دولهم وعقولهم ومدارسهم على نهج علمي وليكونوا بمنجاة عن الافساد في الأرض الذي ورد في (سورة القصص) هنا وفي (سورة النحل) ولا يدخلوا في زمرة من نهاتهم الله في (سورة الأعراف) فقال - ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها - فان الافساد في الأرض انما يفسده الجاهلون الذين ورد ذكرهم في آية - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - الخ وفي آية - وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون - وفي آية - إنه كان من المفسدين - وفي آية - ولا تبغ الفساد في الأرض -

إن قراء هذا التفسير حين يطلعون على هذا مجرد اطلاع بدخولون في زمرة قال الله فيها في آخر هذه السورة - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - ولولا أن الله علم أن الأمم العربية التي حلت هذا الدين سيكون من ذريتهم قوم فرعون بالمال وملوك ففسدون في الأرض ماصرح لهم بالنهي عن الافساد في آية - ولا تفسدوا - ولا تعرض لهم في آية - فهل عسى ان توليت ان تفسدوا في الأرض -

علم الله عز وجل أن آباءنا ستكون هذه حالهم فلا القرآن بهذه الحكم التي تقر بها وتشهد بها تلك العقول الحكيمة أيام اليونان وبعدها ثم غشي على عقول أمم اسلامية فجعلت ذلك واستحلت مرعى البني والامم فأذاقهم الله عذاب الخزي في الحياة الدنيا وجعلنا نحن أبناءهم وعلما خاطأهم وصرنا وأفهمنا الحقائق فكتبناها واقتبسناها من القرآن وانتشرت بها صدورنا فيكون خلفنا إن شاء الله خلفا شريفا صالحا نافعا لعباد الله مستخرجا لكنوز الله التي خباها في الأرض رؤفا بالأمم عاطفا على الانسانية كلها لانهم عباد ربهم وهو يحبه ويجب عبادته والحمد لله رب العالمين . انتهى يوم الخميس ٦ يونيو سنة ١٩٢٩

### ( الْقِسْمُ الثَّانِي )

وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْقَىٰ مِثْلَ مَا أَوْقَىٰ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْقَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ \* قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِخَيْرِ هَدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَمَلَهُمْ تَذَكُّرُونَ \* الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ \* وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا وَرَأَوْا أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ \* أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا

وَيَذَرُونِ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ • وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا  
 أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ • إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ  
 وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ • وَقَالُوا إِنَّ تَبِيعَ الْهُدَى مَعَكَ تَنْخَطِفَ  
 مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَلَمِنَا يُحْيِي الْيَدِ نَمْرَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ  
 أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ • وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قُرْيَةٍ بِطَرَفٍ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسَاكِتُهُمْ لَمْ  
 تَسْكُنْ مِنْ بَنَدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ • وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى  
 يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ • وَمَا  
 أَوْفَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَتَّعِ الْحَيَاءُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ • أَفَن  
 وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَا يَفِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ  
 الْخَاسِرِينَ • وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ • قَالَ الَّذِينَ حَقَّ  
 عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا  
 يَعْبُدُونَ • وَقِيلَ أَذْعَوْا شُرَكَاءَكُمْ فَذَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا  
 يَهْتَدُونَ • وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ • فَمَقَّيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ  
 فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ • فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَحَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ •

### ( التفسير اللفظي )

قال تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم) الى قوله (ونكون من المؤمنين) أى لولا قولهم  
 إذا أصابته عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يبلغنا آياتك فتنبها ونكون من  
 المصدقين ما أرسلناك • ولم يخص الآية إنما أرسلناك قطعا لعنهم وإلزاما للحجة عليهم • روى أن مشركي العرب  
 بعثوا الى رؤس اليهود بالدينه يسألونهم عن محمد ﷺ فأخبروهم أن نعمة في كتابهم التوراة فرجعوا فأخبروهم  
 بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهروا وهذا قوله تعالى (فلما جدهم الحق) من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى  
 موسى) أى هلا أوتى الكتاب جلة واليد والعصا وغيرها مما اقتصرناه نعمنا قال تعالى (أولم يكفروا بما أوتى  
 موسى من قبل) ومعنى هذا أنهم سألوه الآيات التي اقترحوها كما كان يفعل موسى من خوارق العادات فرد  
 عليهم بأنكم قد كفرتم بموسى كما كفرتم في و بين ذلك بقوله (قالوا ساحران تظاهروا) أى محمد وموسى ساحران  
 تعاونوا يقوّى كل واحد منهما الآخر • ومن قرأ - سحران - فهو بمعنى ساحران وعبر بالمصدر مبالغة (وقالوا  
 إنا بكل كافرين) أى بكل منهما (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أمدى منهما) مما نزل على وعلى موسى  
 (أتبعه ان كنتم صادقين) أنا ساحران (فان لم يستجيبوا لك) دعاءك الى الاتيان بالكتاب الأهدى (فاعلم  
 أنما ينبعون أهواءهم) فانهم لو اتبعوا العقل لآتوا بحجة (ومن أضل ممن اتبع هواه) استفهام بمعنى النفي



حال كونه كائنا (بغير هدى من الله إِنَّ الله لا يهدي القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالانحياز في الشهوات (ولقد وصلنا لهم القول) أتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل التدكير ووصلنا خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون ويتعظون ويقبسون أحوالهم بأحوال الأمم \* روى انه آمن أربعون من أهل الانجيل منهم اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة ومنهم ثمانية جاؤا من الشام فهذا قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم \* يؤمنون) والضمير للقرآن (واذا أتى عليهم قالوا آمنا به) أى بأنه من كلام الله تعالى (إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) فقوله - إنه الحق من ربنا - علة لقولهم - آمنا - وقولهم - إنا كنا من قبله مسلمين - أى ليس لإيماننا به مستحدثا بل إنا كنا به مسلمين من قبل لأننا قرأناه في كتبنا الدينية (أولئك يؤتون أجورهم مرتين) إحداها على إيمانهم بكتابتهم ، والثانية على إيمانهم بالقرآن (بما صبروا) أى بسبب صبرهم وثباتهم على الإيمانين (ويدبرون بالحسنة السيئة) يدفنون بالطاعة المصيبة كما قال ﷺ و أتبع السيئة الحسنة تمحها ، ويدفنون ماسمعا من أذى المشركين وشتهم بالصفح والعفو (وبما رزقناهم ينفقون) في سبيل الخير (واذا سمعوا النواحر عرضوا عنه) تكرما (وقالوا) للذين آمنوا (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) متاركة لهم وتوديعا (لانتبى الجاهلين) لا نطلب محبتهم ولا نزيدها أولانريد أن نكون من أهل الجهل والسفاهة لأننا نرفع عنهم (إنك لا تهدي من أحببت) لا تقدر أن تدخله الاسلام (ولكن الله يهدي من يشاء) فيقذف في قلبه نورا يشرح صدره للإسلام (وهو أعلم بالمهتدين) المستعدين لذلك \* روى مسلم قال نزلت في رسول الله ﷺ حيث راود عنه أبا طالب على الاسلام إذ قال النبي ﷺ له عند الموت « يا عم قل لاله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعبرني قریش يقولون إنه حله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك » وهذه وإن كان زوطها على ما ترى ليست خاصة بذلك ، انها قاعدة عامة ، فتجد المستعدين للحكمة والعلم والهدى أناسا لا تحممهم رابطة ولا بلد ولا أمة ، فتجد أن المستعدين للفنون والعلوم والحكمة مخلقون ونفوسهم قابلة لذلك فالدار على الفطرة الأصلية لا على القرابة وأمثالها \* جاء الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف الى النبي ﷺ فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب أن يشخطفونا من أرضنا فزل قوله تعالى (وقالوا إن تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا) أى أولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن فإن العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون أى كانوا وذلك لحرمه الحرم فهو مكان منعنا عنه الأذى عن عداء وأغدقنا النعم على أهل ، فالشر عنه مدفوع والخير اليه وارد وهذا قوله (يجي اليه) يحمل اليه ويجمع فيه (ثمرات كل شئ) من الشام ومصر والعراق واليمن (رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى جهلة لا يتفكرون في أن حرمتهم آمن من الغارات تجي اليه الثمرات فالشر عنه نازح والخير اليهم وارد وهم في ذلك على طريقة أكثر النعم الإنسانية جعلوا ما هم فيه من نعمة العقل والأعضاء والجوارح والسموات والأرض والأنهار والجبال والنم التي لا حصر لها فكل يجهل النعم العائمة . فإذا قال الله في أهل مكة - ولكن أكثرهم لا يعلمون - قال في الانسان كله - إن الانسان لفي خسر - واستثنى بعضه وقال - إن الانسان لظالم كفار - وقال - قتل الانسان ما أكفره - فهذا هو الكفر وهذا هو الجهل . فلا فرق بين جهل الجاهل بنعمة الحرم وجهل الجاهل بنعمة المال والولد والجسم والعقل والحواس والسموات والأرض . لا فرق بين السكل والجزء . فالتاس لإقليا لا يجهلون هذه النعم لا أهل مكة وحدهم - إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم - ثم أشار الله لذلك فقال لم يخص أهل مكة بهذا البطر بل سيقمهم أم فطروا فهلكوا وهو قوله (وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها) أى وكم من أهل قرية أثرت وطفت وبطرت أى ساء احتمالها للنعمه كذلككم في ذلك غرتب الله ديارهم (فتلك مساكنهم)

خاوية (لم تسكن من بعدهم إلا قليلا) أى لم يعمر منها إلا أقلها وأكثرها خراب (وكنا نحن الوارثين) أى لم يخلفهم فيها أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا) أى ما كانت عادته سبحانه أن يهلك القرى حتى يبعث رسولا في أكبرها وأعظمها لأن أهلها يكونون أفضل وأنبأ كسكة وأهلها (وما كنا مهلكي القرى إلا أهلها الظالمون) يتكذيب الرسل أو الجاهل والمعاصي وبطالعمة وما أشبه ذلك ، وكيف قصرتم نظركم على الحياة الدنيا ، أفلا تعلمون أن للنفس الإنسانية حياة ودواما (ومألؤنتم من شئ) من أسباب الدنيا (فتناع الحياة الدنيا وزينتها) تتمتعون به وتزنيون مدة حياتكم المنقضية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) في نفعه من ذلك لأنه لذة لا يخالطها كدر (وأبقى) وأدوم لأنه لا آخر له (أفلا تعقلون) فتستبدلون الفاني بالباقي (أفمن وعدناه وعدا حسنا) وهو الجنة (فهو لا يقيد) مدركه (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) الذي هو مشوب بالام الكدر والانتقاع (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) للحساب والعذاب وثم للتراخي في الزمان وهذه الآية زيادة بيان لما قبلها والاستفهام بمعنى النفي أى لا يستويان فإن الحسن الباقي خير مما ليس بحسن وهو منقطع \* ثم أخذ يبين ما يلاقونه يوم القيامة بيانا لقوله - ثم هو يوم القيامة من المحضرين - واطهارا لما قسبته الحساب (و) اذكر (يوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) أى الذين كنتم تزعمونهم شركائي (قال الذين حق عليهم القول) بثبوت مقتضاه وهو قوله تعالى - لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - (ربنا هؤلاء الذين أغوينا) أى هؤلاء هم الذين أغويناهم ثم استأنف فقال (أغويناهم كما غوينا) أى أضلناهم كما ضلنا فمن لم يفعل إلا ما هو من عادتنا وسجبتنا ولم نفهمهم إلا ما وجدناهم فبلى كما يقع الذنب إلا على عين قدرة فليس ذنبهم علينا وإنما عيبهم عليهم هم لأنهم مشاكسون لنا ولو كانت نفوسهم أرقى ما أضلناهم ولأغروناهم لعدم المناسبة والمشاكلة ، فإذا فعلنا ما كان من طباعتنا فهم فعلوا ما كان من طباعتهم فلا يلومونا ولا يلموا أنفسهم (تبرأنا إليك) منهم فليس علينا ذنبهم (ما كانوا ينادون) وإنما كانوا يصيدون أهواءهم وهل الذنب على الذباب اذا وقع على العين القمرة إنما العيب على صاحب العين لأنه لم ينظفها ولونظفها لتباعد الذباب عنها طبيعة فهكذا هؤلاء هم المالمون لانحن ، هكذا الأمم الإسلامية اليوم لقلة العلم فيها يرسل أهل أوروبا لهم أقواما من المظلماء منهم يعطونهم أموالا ليشوا فيهم أن هؤلاء يحمونهم ويحفظونهم من غوائل الأمم ويدخلونهم تحت حمايتهم ورحمتهم فيطعمهم هؤلاء فيقول الأوروبي ليس الذنب على إنما أنت جاهل ومن طبيعة أنك ضعيف ولا تفهم إلا الحياة الحيوانية فأنا استعبدتك لأنك جاهل ، ولو كنت متعلما ناظرا في هذه الدنيا وفيما خلق الله في السموات والأرض حافظا لثغورك مسلحا بالأسلحة التي تقيك من تجاسرت أن أكلك ، وكيف أجبر أن أكل من هو مثلي أن يدخل تحت حكمي فليس العيب على في استعبدك ولكن العيب عليك لأنك أهل أن تخضع للأقوى لضغفك وجهلك (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم) من فرط الخيرة (فلم يستجيبوا لهم) لجهلهم عن الاجابة ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) أى لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا مارأوا العذاب في الآخرة ، ثم ان هؤلاء يسألون (سؤالين) سؤالا عن اشراكهم بالله وسؤالا عن تكذيبهم الأنبياء ولما ذكر الأول أتبعه بالثاني فقال (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) أى ما كان جوابكم لمن أرسل اليكم من النبيين (فعصيت عليهم الأنبياء يومئذ) أى خفيت واشتبهت عليهم الأخبار والأعذار والحجج فرب يكن لهم عذر ولا حجة (فهم لا ينساءون) لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة فهم إذن يستكون (فأما من تاب) من الشرك (وأمن وعمل صالحا) أى جمع بين الإيمان والعمل الصالح (فمسي أن يكون من المقاجين) عند الله ، ثم ان عصى تحقيق على عادة الكرام . انتهى التفسير اللغوي القسم الثاني من السورة

( جوهره في قوله تعالى - ولقد وصلنا لهم القول - الخ )

( حديث يبنى وبين العالم صديق الذي اعتاد أن يباحث في هذا التفسير )

بعد أن كتبت مانسه ( أن توصيل القول لهم فيه معان غزيرة ومحجبات وحكم ) حضر صاحبي فقال أريد أن تولد هنامعاني من هذه الجلة ، هذه جلة مفهومة بنفسها وانك بهذا تطيل التفسير إطالة ربما لا تكون مجدية وربما يسأم منها كثير من الناس . فقلت له إني أرى أن هذا غير إطالة إنما التطويل هو القول الذي يكون أشبه بالمكرر وما سأكتبه هنا ليس بالمكرر بل هو حكمة أزيّنت للساظرين ، وحسنه أسفرت للعاشقين ، وحوراه برزت للعجيين

كأنما تبسم عن لؤلؤ • منضد أورد أوافق

جئت الى اعتدال قوامها وحسن شكلها زينة حلاها وفصاحة لسانها وجمال جناتها وحسن خلقها ورجاحة عقلها ، بها هام العاشقون ، وبمحدثها طرب السامعون ، الأفلأ كشف لك عنها القناع بعد أن تقدم مهرها ، فنالو مامهرها ، قلت أن تشعرا أن جسمك وروحك قد أحضرت صورتها أمامك وأخذت تدرسها ومتى فهمتها فهمت معنى التوصيل وهنالك يتم لك الوصال . فقال إذن توصيل القول في الآية يعوزه دراسة جسمي ودراسة روحي . فقلت نعم . فقال إذن هذا تطويل لأنه تكرر كما قلت لك أولا لأن دراسة الروح قد تقدمت في مواضع كثيرة . فقلت له لكل مقام مقال والحديث ذو شجون والكلام ذو ألوان

فلأندوم على حال تكون به • كما تلون في أنوابها القول

هذه الدنيا عروس ذات ألوان ونحن خلقنا فيها فعلينا أن نبرز علوها ببسائط الألوان وأقناب الصور ومختلف الأصباغ . فقال وكيف ذلك . فقلت إن ذلك منا إنما هو نسج على منوال ما نرى في وضع الحكمة في خلق أجسامنا ، نحن نأكل ونلبس لمنافعا وهذه المساكل والملابس والأصباغ والزينة والأزهار والطيور المفردة . لم يكن شعورنا بها ولا علمنا بمحاسنها من طريق واحد بل الطرق لعلمها مختلفة . فهذا التفاح نلسه بأيدينا ونذوقه بألسنتنا ونشمه بحاسة الشم ونسمع صوته وقعه على الأرض بحاسة السمع ونرى شكله بحاسة البصر ، فهذه طرق خمس نعرف ثمرة التفاح ، إن الحكمة قضت أن لا يكون العلم بالتفاحة عن طريق واحدة بل نرى لنا حاسة نلسه من قرب وحاسة ذوق نحس بحلاوته فاحساس الحلاوة غير احساس النعومة فالحلاوة بالنزق فتحت الباب لأكلها وتمثلها بأجسامنا ، فأما الحرارة والبرودة والعمومة والثقل والخفة التي عرفناها باللمس فهي أقل درجة من العلم الذي هو أقرب الى استعمالها من الثقل والخفة ، وحاسة الشم وظيفتها أنها تتقبل ذرات دقيقة متصلة عن التفاحة واصله الينا من الهواء فنشوقنا لاجتماعها

أما حاسة السمع فالواصل لها من التفاحة اذا سمعت وقعها إنما هو الحركات الآتية في الهواء فهي حاسة ألطف من سوا بقا . فأما حاسة البصر فأنما ألطف وألطف لأن الرسول الموصل لها إنما هو الضوء وهو ألطف من الهواء الذي استعمله الشم والسمع

فلما سمع صاحبي ذلك قال هذه أقوال غريبة . إن المقام مقام سؤال متى لك في مسألة التوصيل في الآية فأجبت بدراسة الجسم والروح . فقلت أنا فيه تكرر فأجبتني قائلا إن العلم يجب أن يتوقع ويكون أصباغا وألوانا ثم أخذت تقول إن الله جعل العوالم التي حولنا تصل لنا من طرق شتى وضربت مثلا بالتفاحة فأنافرها بلمسها ونذوقها وشمها وسمع صوتها ورؤية شكلها فهل ذلك القول هو نفس المقصود من تفسير الآية ( وبعبارة أخرى ) هو نفس الأسلوب الذي تتوصل به الى معنى التوصيل في الآية أم هو بيان نظام الله في تعليمنا الذي نقبس عليه تعلم أئمة العلوم من حيث التفان . إني أرى أن هذا الذي تكتبه يظهر لي أنه شروع في الأمرين معا أي أنك أردت أن تضرب بمحجر واحد طيرين . فبينما أنت تمثل لنوع المناهج في تعليم الناس العلوم بما فعله الله

في جسم الانسان من الحواس التي تدرك التفاحة بأنواع من الادراك رحمة من الله بنا أن يرينا بطرق مختلفة لازدياد العلم . إذ أنت بنفس هذا المثال أخذت تشرح المقصود وهو الجسم والروح اللذان أردت أن تصوّرهما أمأى وأفهمهما وبهذا الفهم أصل اعنى التوصل الى الآيات وبعض سر . فقلت لقد أحسنت . نعم اني بهذا التمثيل أبين الآخرين معا . أبين أن تعاليم الأمم الاسلامية وغير الاسلامية يجب أن يكون على طرق شتى وكلها ترمى الى غرض واحد كما أن الله لما خلق العالم وخلق الانسان فيه جعل علمه بما حوله بطرق مختلفة ليحيط به علما على مقدار طاقته ويكون من نتيجة هذا أن أفهمك معنى . ولقد وصلنا لم القول . قال فاضرب لي مثل ذلك حتى أعقله . فقلت انما مثل الانسان في هذه الأرض كمثل ملك عظيم الشأن رفيع المقام على المنزلة واسع الملك كثير الجنود والأعوان . ولاجرم أن مثل هذا الملك له عاصمة يعيش فيها وله بلاد نائية عن العاصمة ، فيها ماهو قريب من العاصمة ومنها ماهو بعيد عنها ، فأهل العاصمة يمكنهم المتول أمامه بأنفسهم ورفع قضايها له بدون رسول . ذل نعم . قلت وسكان القرى المتوالة في البعد يمكنهم أن يرسلوا نوابا عنهم قال نعم . قلت وسكان القرى التي هي في أقصى بلدانه يقدرّون على محادثة الملك بارسال رسائل كتابية بطريق البريد المعروف أو بطريق الحمام الزاجل أو بطريق البرق (التلغراف) قال نعم كل هذا ممكن . قلت هذه صفة الانسان في هذه الدنيا . إن الملك في عاصمته له أعوان يحيطون به في نفس قصره وله خواص يعيشون في عاصمته . قال نعم . قلت فالأعوان المحيطون به من خدام قصره يراهم كل حين . فأما ضواحي المملكة فانه يراهم حيناً بعد حين اصالح المملكة . قال نعم . قلت هكذا هذا الانسان هو هذا الملك والعاصمة هي جسمه فأما الحرّ والبرد والثقل والخفة والنعمه والقسوة وما أشبهها وهي (عشرة أحوال) من أحوال المادة فانها تحيط بالجسم وهي تعرف بحاسة اللمس فقد أشبهت أعوان الملك المقيمين معه بقصره . وأما طعم التفاحة وطعوم المأكّل كل المختلفة من الحلاوة والملوحة والحراقة ونحوها فالتقائم بها حاسة التذوق التي هي أرقى من حاسة اللمس لأن حاسة التذوق هي أشبه بوزراء المملكة الذين يتردّدون عابها آفاقاً ليتشاوروا معه في حياتها واصلاحها ثم إن المشمومات والسمومات أشبه بسكان المملكة الذين ابتعدوا عن عاصمة الملك ، فأما المشمومات فانها ترسل ذرات دقيقة جدا كذرات المسك التي تتطاير في الهواء كل حين ولشدة دقتها لا يظهر أثر النقص فيه على طول الزمان فهذه الثمرات التي تخلصت الهواء لم تخرج عن كونها نماذج من جرم التفاحة المتخالقة في الشجرة أرسلت مع الريح يشمها الانسان فهي أشبه بالوفود التي أرسلها سكان القرى المتباعدة عن المملكة ليعرف الملك مقدار طاعتهم عن حضروا منهم وناولوا عنهم في الخوض أمام الملك ونقول تلك الثمرات التي نسميها رائحة أبيها الملك انا طامعون لك فهل ترغب أن يحصر بقية الجباعة ليكونوا خداما لك وعبيدا بل يصبحون جزءاً من جسمك ولحماً ودماً وعظاماً ونحاً وعينا وأذنا . ولاجرم أن هذه الثمرات أغلظت من الحركات لأن الحركات عرض والثمرات جسم ثم إن حركات تلك التفاحة في الشجرة وهي ترتفع ويمسا وشبالا وتغتنق الأوراق وقضاحك القمر والجوهر وتفرح وترجع وترسل تلك الضمات في أمواج الهواء فيسمعها صاحب البستان تعطي نفسه شوقاً وتوقاً الى احضارها والتغذى بها وهذه أشبه بارسال البريد بالخط والرقم في القطارات وأومع الحمام الزاجل ولاجرم أن الحركات في الهواء وسماها الطيف من الثمرات المشمومات في الهواء كما أن حاسة السمع أشرف من حاسة الشم فكل أقرب الى عالم الروح وهذه أقرب الى عالم المادة ، ثم إن مودة تلك التفاحة لا يحملها النسيم ولكن يحملها عالم الأثير الذي يتوجج ويتوجه آلاف آلاف المرات في الثانية يحدث لنا مانسميه ضوا فهذا الضوء يحمل تلك الصورة ويدخلها في حداثات العين المركبات من أغشية متناسقة معدة لقبول تلك الصورة فتجسنا فتتارها . هذه هي الفنون وأنواع الطرق وأنواع الطرق العلمية التي أبدعها المبدع الحكيم في صورة الانسان فلم يقتصر الانسان على

(١) لس التفاحة

(٢) ولاعلى فوقها

(٣) ولاعلى الاحساس بأجزاء منها بحاسة الشم

(٤) ولم يقف عند سماع حركات الهواء بسبب تحريكها

(٥) بل تعالى الى عالم الأثير وضوءه فارقت هذه النفس الى عالم الأتلاك ، لماذا ؟ لتعرف التفاحة فهي إذن استعانت بكل ماحولها ، استخدمت اللس مباشرة والهواء والضياء وهذا الضياء مسافر لها من أقاصي العوالم التي ربما كان ضوءها قد سافر إلينا منذ مائة مليون سنة نورية (اقرأ هذا في سورة الفرقان عند قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - فانك ترى هناك هذا المقام مشروحا وأن من الأجرام السماوية ما بعده عنا مائة مليون سنة نورية) هذه مراتب العلم عند الانسان

(٦) إن العين كما تدرك صورة التفاحة بنفسها تدرك اللفظ الدال عليها مكتوبا بصناعة يدها

(٧) وتدرك صورة رسمها بالآلات المصورة فهي إذن تعرف من (طرق سبعة) ثلاث منها بطريق البصر والأربعة الباقية بطرق الحواس الباقية

ثم إن الحواس الثلاث الأولى أقرب الى العالم الأرضي فلذلك كانت صناعاتها سهلة قريبة المثال . أما حاسة السمع والبصر فانهما أقرب الى عالم الأرواح ولذلك ترى أن حاسة السمع تسمع كل ماحولنا قريبا وهذا المسموع يشمل كل ماحو قر ي ب وكذا ماحو بعيد باللفظ لأن الكلام يعبر عن كل موجود قريبا أو بعيدا والبصر كما يدرك نفس الأشياء يدرك صورها التي صورت بالآلات التصوير . هذا هو الشرح الذي أردت أن أبين لك أيها الصديق . وههنا (نتيجتان \* النتيجة الأولى) ان العلوم والمعارف في هذا النوع الانساني يجب أن تنوع وتكون لها طرق مختلفة ، وقد عرف هذا علماء البيداجوجيا كما تقدم في تفسير سورة الفاتحة فانهم يقولون للدرسين ايسمع التعليل القول وليكتبه هو بيده وليكن مكتوبا بخط جميل ولكن صور الأشياء مرسومة أمامه إذن يشترك السمع من العلم وبصر المتعلم وكلام نفس المتعلم وكتابه للكلمة وصور الأشياء المرسومة أمامه كلها تشترك في فهم التلميذ . إذن علماء تعليم الأطفال أخذوا يدركون الحكمة الأولى وهي حكمة صانع العالم انه أرانا ماحولنا طرق مختلفة . فهاهم أولاء أخذوا يسعون على منواله ومن ضل طريق الصانع الحكيم عاش جاهلا ، هذه هي النتيجة الأولى التي جاء الكلام عليها عرضا . أما (النتيجة الثانية) وهي المقصود من أدل المقال فهي ان الله عز وجل جعل جسم الانسان كأنه النور وكأنه بطارية كهربائية وخلقه مناسباً لما حوله ومهد السبيل لاتفاعه بكل ذلك ، فالنور والهواء ونفس الأجسام كلها مستعدت لابلاغه العلم ولنفعته . إن الله لما خلقه أراد أن يرفسه الى عالم أعلى ولاطريق الى رفته الى عالم أعلى إلا العلم فطاه بطرقه وأكثر منها وابتهل بالآلام واللذات والمرض والصحة والموت والحياة . كل ذلك ليوقظه للعالم الذي هو مسوق اليه فأكثر من الطرق ليزججه ليخرجه من هذه الأرض الضيقة وجعل في الأرض حكاما وعلماء وأنبياء فهو لاء زادوا فوق الحواس وانما زادهم في الأرض ليعملوا هذه الحواس وهذه المنجزات من حوادث الأيام والليالي على خروج الانسان من مضائق الأرض فأسمعهم أقوالا تنوقظهم الى عوالم عرفوها تارة بعقولهم كالفلاسفة وتارة بالوحى كالأنبياء فهو لاء استعملوا حاسة السمع فسمعوا الكتب السماوية ومنها القرآن . ان البصر ازداد قوة برسم صور الأشياء بعد رؤية نفس أجسامها وبنظر الألفاظ الدالة عليها بوضع اللغات المختلفة شرقا وغربا هكذا السمع فضلا عن جماعه حركات المخالقات سمع الألفاظ الدالة عليها ثم هو فوق ذلك سمع ما أنتجته العقول أوجاه به الوحى . كل ذلك تكميل للنفس لارتقاها الى العالم العلوي وازعاجها عن هذا العالم الضيق فقوله تعالى - ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون - تبين لآخر ما يتقرب من حاسة السمع وهو جماع

الوحى الذى يأتى للنفس بما يحدث فيها حكمة فتستيقظ بعد الغفلة وتتلقى أشعة من نور الحكمة والعلم فتنبعث لدراسة ماحولها ، وهذا الذى كتبت الآن لم ينبعث فى نفسى إلا عند قراءة - ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون - فهأى التذكرى التى وصلت اليها من هذه الآية

فقال صاحبى هذا بيان حسن ويظهر أن هذا الجسم الانسانى مستودع علم فعليه نظام السؤل الأرضية كما فى كتابك (أين الانسان) وبه علم (البيداوجيا) أو علم تعليم الأطفال ، وبه الازدياد فى الحكمة ودراسة العلوم الطبيعية وعلم الفلسفة . فقلت نعم إن نوع الانسان بعدنا سيكون فيهم أناس أربع من العلماء فى زماننا أما الأمم الاسلامية فإن حوادث الدهر ومنهجيات الليالى والأيام وأمثال هذا التفسير كلها متعاونات على استخراج أجيال منهم يكونون - خیرأمة أخرجت للناس - وسينهجون منهج ما أكتبه فى هذا التفسير وسيكون منهم حكماء وعلماء ينتلمون علوم الشرق والغرب بعشق وغرام وحُب ولا ينبتهم عن ذلك الجبال عائق وهم الذين يقولون إن الله قد جعل أجسامنا مستعدة من كل ماحولها ، فعلى أن نستمد من كل مخلوق فتعلم كل علم وندرس كل موجود ، ومتى قصرنا فى أى علم من العوالم التى حولنا فقلنا لنا بالمرصاد ويقول لنا أيها الناس أنا لم أترك فرصة إلا انتهزتها لتعليمكم ولم أقف عند الحس ولا البصر بل خلقت لكم اللغات المعبرات عن صور الموجودات ووصلتها لكم تكثيرا للعلم ، فاذا أغضضت العين ولم تشموا ولم تلمسوا أرسلت المعاني بطرق الألفاظ حتى إن هذه الحاسة كأنها جميع الحواس ، فاذا كانت هذه أعمالكم فعليكم أن تتخلقوا بأخلاقى ولا تدعوا فرصة إلا انتهزتموها فاتفقوا بكل شئ بالهواء وبالماء وبالنور وبكل موجود فهذا هو التوصيل وهذا هو حديث حجة الوداع (يلبغ الشاهد منكم الغائب قرب مبلغ أومى من سامع) وهؤلاء هم الذين يعقلون قوله تعالى - ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون - فهؤلاء وأمثالهم من أصحاب النبى ﷺ ومن على شاكلتهم هم الذين يتذكرون . انتهى صباح يوم الجمعة ٢٥ يناير سنة ١٩٢٩ والحمد لله رب العالمين واعلم أن هذا القسم إلزام للكفار واحتجاج عليهم وقطع لأعدائهم بعد أن مهد لهم السبيل بذكر قصص موسى حتى يكون مدخلا للكلام معهم ومخاطبتهم وقطع أعذارهم ، ثم أعقبه بالقسم الثالث وهو من قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار - الى قوله - وصل عنهم ما كانوا يفترون - وهو تذكرة بآيات الله سبحانه فى الأرض والسموات كما ذكرهم فى القسم الأول بآياته فى الأمم الماضية حتى تتضافر الدلائل وتتحد الحجج فأخذ يذكر أنه سبحانه هو وحده مصور الصور باختياره يخلقها كما يشاء لاراد قضاءه فلا شريك له كما يزعمون وعلمه محيط بما ظهر وما بطن وهو محمود فى الدنيا والآخرة وقضاؤه نافذ ، ومن أعظم نعمه أنه لم يجعل ظلام الليل دائما ولا نور النهار دائما بل أدار الأفلاك فكان ليل ونهار لينام الناس ليلا ويعملوا للرزق نهارا ، وإليك بيان القسم الثالث

### ( الْقِسْمُ الثَّالِثُ )

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ •  
وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ • وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى  
وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ • قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْيَلَّ سَرْمَدًا إِلَى  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَاسْتَمُوتُمْ • قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ  
عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا

تُبْصِرُونَ • وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ • وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ • وَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَةٍ شَهِيدًا قُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ •

### التفسير اللفظي

قال تعالى (وربك بخلق ما يشاء ويختار ما يشاء لأموجب عليه ولا مانع منه ولذلك كان هذا العالم على غاية النظام والاتقان والابداع فليس لأحد من المخلوقين اختيار في شيء من ذلك) (ما كان لهم الخيرة) أي التخير كالطيرة بمعنى التطير فليس لهم أن يختاروا على الله شيئاً ما وله الخيرة عليهم ودعا يدخل في هذا أنه له أن يرسل من يشاء رسولا فلا يجعل ذلك منوطا بعال أو بجاه فيسقط بذلك قوله - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - وهما الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي قاله مطلق التصرف وهو أعلم بمن استعدهم قابل لذلك (سبحان الله) تزيها له أن ينزعه أحد أو يزاحم اختياره فإذا أراد النبي ﷺ أن يهدي أحدا من أحبائه أو أراد أهل مكة أن يرسل الله رسولا من عظمائهم قال الله ليس لكم من الأمر شيء ، فلا النبي يهدي عمه ولا أهل مكة ينالون أن تكون الرسالة في عظمائهم تزيها لله (وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم . ولما كانت القدرة المسبوقة بالإرادة المعبر عنها بالاختيار يتقدمها العلم الذي هو مقتضى على الإرادة أعقبه بقوله (وربك يعلم ما تكن صدورهم) تخفي (وما يعلنون) يظهرون فلما اقتصص بالعلم اقتصص بالاختيار فخلق ما يشاء (وهو الله لا إله إلا هو له الحد في الأولى والآخرة) ذلك أنه يحمد المومنون وأوليائه وأنبياءه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة مثل قوله - الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن - وقوله - الحمد لله الذي صدقنا وعده - (وله الحكم) القضاء النافذ في كل شيء (واليه ترجعون) بالنشور (قل أرأيتم) أي أخبروني يا معشر الكفار (إن جعل الله عليكم الليل سرمدا) دائما (إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بنبأه) يقول الله أخبروني من إله غير الله يقدر أن يأتيكم بنبأه إن جعل الله عليكم الخ (أفلا تسمعون) سماع تدبر واستبصار وكان الإنسان إذا جن عليه الليل وفرض أن الشمس لا تطلع يقول في نفسه ذلك فعبر بالسمع لأن الليل يناسب السماع والنهار عكسه (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكون فيه) استراحة من التعب (أفلا تبصرون) ولما كان الضوء في نفسه نعمة والظلمة انما هي عدم الضوء لم يصف الضوء اكتفاء بذكره هو ووصف الظلمة لتبيان فائدتها (ومن رحمة جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) بالليل (ولتبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) في النهار بالمكاسب المختلفة والتقل في الأسفار والقلب في الأعمال (ولعلكم تشكرون) أي ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ولا تشكر لغيره لأنه لا يكثر النهار على الليل ولا الليل على النهار إلا الله تعالى فلذلك يسترف الكافرون بهذه الحقيقة على رؤس الأشهاد يوم القيامة بعد أن جهلوا أو تجاهلوا في الدنيا وهو قوله تعالى (ويوم يناديهم فيقول أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) هذا تكرر لئلا يبيخ على اتخاذ الشركاء فهو فيها تقدم دليل على فساد آرائهم وهنا تقرير أنه لا حجة لهم ولا شبهة وانما هو هوى وشهوة وهو قوله (وزعنا) أخرجنا (من كل أمة شهيدا) وهونبيهم يشهد عليهم بما كانوا يعملون (قلنا) للاثم (هاتوا برهانكم) على صحة ما كنتم تدبون به (فعلوا) حينئذ (أن الحق لله) في أن الله ألوهيته لا يشركه فيها أحد (وصل عنهم) وغاب عنهم كما يغيب الضائع (ما كانوا يفكرون) أي يخلطون في الدنيا من الكذب على الله . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثالث من السورة

### ﴿ عجائب القرآن في هذه الآيات ﴾

تأمل قوله تعالى - وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون - تأمل في هذا وتجب كيف يقول هنا - وله الحمد في الأولى والآخرة - نعم الله محمود في الدنيا يحمدونه الناس على ما عرفوا من نعم يحمدونه إذا أحسوا بها ، فيحمدونه الفقير متى أحسن بالفني ، ويحمدونه المريض متى نال الشفاء ، ويحمدونه الذليل متى أحسن بالفرج . وبالجلة جد الناس وتناوهم على ربهم إذا أحسوا بنعمه وذلك علم في جميع النوع الإنساني ، فأما في أوقات الفراغ وهلهو البال فإن الناس لا يتذكرون نعمة ربهم فلا يذكرهم بحمد الله ولا قوته ولا العقل المركوز فيهم ولا الذكاء ولا يشكرون في نعمة الولد والأهل والأصحاب والأقارب ولا نعمة نظم المدن التي تحفظهم ليعيشوا فيها ، ولأنهم السموات والأرض والكواكب والشمس والقمر والأنهار والبحار فأناس ماداموا في خفض وسعة الرزق وبجودة العيش فأنهم غافلون . لذلك أرسل الله رسوله ﷺ والأنبياء قبله ليدذكروا الناس بأنهم ليسوا بها ومن درسوها أحسوا بها ومن أحسوا بها جدوا الله عليها . ولما كان النبي ﷺ آخر الأنبياء وأمر بالجد كما رأيت في (سورة النمل) إذ قال الله له - قل الحمد لله وسلام على عباده - أمر ﷺ أن يصلي المسلمون بفاتحة الكتاب فقال ﴿ لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ﴾ وإنما قال ذلك لأن الله أمر به بالجد ولا جد إلا حيث تعرف النعمة لأن النعمة التي لا يعرفها الإنسان لا يحمد عليها كما لا يحمد الأصحاء على العافية ولا المبصرين على خلق أعينهم إذا لم يترهم مرض فيذكروهم . لهذا ترى المسلمين في أقطار المسكونة قد اتخذوا الفاتحة شعارهم وتسمع في كل آن وقت الصلاة وفي خارج الصلاة قولهم ﴿ الحمد لله ﴾ وفي عقب الأكل وعقب كل نعمة ﴿ الحمد لله ﴾ فهذا من الحمد في الدنيا . ولأجرو أن الحمد يتقدمه العلم بالمحمود عليه حتى تشعر النفس بالنعمة . فالتعور إما بمحدث طبيعي أو بطريق علمي والحادث الطبيعي المذكور بأنهم غير دائم بل هو قليل لأنه خاص بالمصائب والأمراض . أما الطريق العلمي فهو علم في النعم الجزئية والنعم الكلية . فبه تعرف نعم السموات والأرض والأنهار وخلق هذا العالم حتى يدرك الإنسان أن هذه كلها مساعدة له على بقائه ونعمها واصله إليه بل يرى أن الناس جميعا ينفعونه في أمته وفي غير أمته ، فإذا علم العالم كله نافع له لافرق بين شمس وقمر وبحر وأمة نشأ فيها وأمة لم ينشأ فيها ، فالعلم يعرف الإنسان هذه العوالم فيحمد عليها ويعرفه أن الناس إخوانه فيحبهم ، ومنى جد الإنسان على نعم الله في الدنيا جد عليها يوم القيامة بل لا جد في الآخرة إلا إذا تقدمه جد في الدنيا إذ لا جد حقا إلا على علم والعلم في الدنيا باق في النفس بعد الموت فمن لا يدرك هذا الوجود في الدنيا لا يدركه في الآخرة ، فإذا جد العاقبة والجهال ربهم على طعام أو شراب أو مال أو جاه ، فالعالم أرقى وأرقى لأنه يحسن في نفسه بحمد الله كلما نظر كوكبا أو نباتا أو حيوانا أو هبت ريح أو جرى نهر لأنه يراها كلها متعاضدة متعاونة لخدمته وخدمة الناس بل يحمد الله لتلك الجمال البديع والبهجة والرونق والحسن ويرى هذا العالم كله جيلا فيكون الحمد أجلى وأبهى وأدم وأبهج وأجل وهذا الجمال هو المقصود لقائه وهذا غاية الحمد ولما كان الأنبياء هم المذكرون بتلك النعم وآخرهم سيدنا محمد ﷺ ورد أنه هو رافع لواء الحمد وأنه له المقام المحمود فيرجع الأمر كله إلى العالم لأنه لا جد إلا بعد علم ، ونتيجة هذا القول أن هذه الأمة الإسلامية أمة جد ويلزم من ذلك أن يكونوا علماء بهذا الوجود ، انظر أليس الأمر اليوم معكوسا ، إن حمد المسلمين اليوم لفظي إذ جد العاقبة هو الغالب ، أما الحمد الإسلامي العقلي المبني على العلم والحكم والقهم فانه غالب اليوم انه سيقيم فيهم أناس يفيضون في العلوم ويعطون هذه الأمة أنواعها ويتصرفون فيها ويمن الأكابر وهم يفيضون على الأصاغر وهذا هو السر في قوله في (سورة النمل) - وقال الحمد لله - وأتبعه بقوله - سيركم آياته فتعرفونها - لأن الحمد بالمعرفة جد لفظي لامتني فيه وهو جسم بلاروح ولفظ بلامعنى ، وأى فضل في جد لا يحسن حامده به ، فالجد بعد المعرفة ولذلك قال في هذه السورة - وله الحمد في الأولى والآخرة - لأنه ذكر



المعرفة هناك في آخر (سورة النحل) ومثل هذا يقال في (سورة الفاتحة) ابتداء الله فقال (بسم الله الرحمن الرحيم) ولا جرم أن الرحمة (قسان) رحمة أفيضت على الأجسام ورحمة أفيضت على العقول ورحمة الأجسام مقدمة ورحمة العقول نهاية ثم أتبعها بقوله (الحمد لله رب العالمين) فذكر الترتيب ليوجه عقولنا إلى نظام هذه العوالم كما تقدم في الفاتحة وأتبعه بذكر الرحمة للدلالة على أنها سارية في العوالم كلها لتسوجب الحمد والاحساس بالنعمة ولما كان أكثر الناس كما قلنا لا يحسون إلا بما تشعر به حواسهم من النعم الطارئة ولا يفقهون النعم المترددة لأنها بتكرارها عليهم يطغون ولا يذكرونها . ذكر العبادة وانها خاصة بالله وسأل المؤمن أن يهديه الله الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم . فذكر هداية الله للنعم عليهم إلى الصراط المستقيم وهذه الهداية منشؤها العلم والعلم بالنعمة هو الذي يثير في النفس الحمد والاعتراف به . إن الأمة الإسلامية أمة جد ونبينا ﷺ رافع لوائه ولا جد إلا على علم بالحمود عليه والحمد عليه جيع النعم والمسلم يسأل الله الهداية لصراط النعم عليهم وصراط النعم عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين هو الصراط السوي . هو العلم بالنعم . هو العمل الصالح والذين أنعم الله عليهم هم النبيون والمذيقون والشهداء والصالحون هؤلاء هم النعم عليهم فالأنبياء والمصدقون بالعلم والأخلاق والشهداء تبع لهم وأما الصالحون فهم متحققون بالعمل أكثر من العلم فالصراط المستقيم شامل للعلم والعمل وبالعلم كما قلنا يثور الحمد في الانسان

إن هذه الآيات التي نحن بصدها جاء فيها التسبيح - سبحان الله وتعالى عما يشركون - وتبعه التوحيد إذ قال تعالى - وهوالله لا إله إلا هو - ثم الحمد على النعم وهو قوله - له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم - فهذه (درجات ثلاث) تقديس وتوحيد أي أن القدرات المقدسة ليست متعددة ثم حمد . وقد ورد من قال سبحان الله وله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله وله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله وله ثلاثون حسنة ، وورد أيضا (افضل الدعاء الحمد لله) وقيل (ليس شيء من الأذكار يضاعف ماضاعف الحمد لله) قال الامام الغزالي (ولا تظن أن هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات) اهـ

يقول مؤلف الكتاب إن أول الأمر وآخره المعرفة والعلم ، إن هذه كلها مذكرات بالعلم ، فإذا سمعت قوله تعالى - وآخرو دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - فاعلم ذلك الحمد لمعرفة أوجبه في الدنيا والمعرفة في الدنيا هي الاطلاع على نظام هذه الدنيا وجمال الله فيها وحكمته وبهائه وتلك النظم البديعة البهية التي تدهش العقل وتبهره فينطق بالحمد في هذا الجسم وبعد مفارقه . وهذا الذي ذكرته كله واضح في هذه الآيات فانك ترى التقديس تلاء التوحيد أتبعه الحمد ، ولما كان الحمد لا يكون إلا على نعمة والنعمة العاتية لا تعرف إلا بالعلم قال الله تعالى - قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا - الخ يقول الله أيها المسلمون إن ربكم محتص بالحمد في الدنيا والآخرة ولا جد إلا بعلم ، فانظروا في الليل والنهار فلأن الليل دام عليكم أفلسم تحرمون من التصرف في معاشكم ، وإذا كان النهار دائما عليكم أفلسم تمنعون من وقت الراحة ؟ انظروا في رحتي التي وسعت كل شيء ، انظروا فيها فاني جعلت ظلمة وجعلت نورا بنظام دوران الشمس ليكمل هناؤكم وسعادتكم فحمدكم لا يكون إلا اذا عرفتم رحتي ولا تعرفونها إلا بالعلم ، ألم آمركم أن تقولوا - بسم الله الرحمن الرحيم - قبل - الحمد لله رب العالمين - أليس ذلك لتذكروا رحتي التي وسعت هذا النظام وذلك بالتعليم ومنى عرفتم حمدتم . انتهى

( النعم والنعم مذكرات موجبات للشكر وهذه الآية ذكر فيها أعظمها )

( نخط آخر في تفسير هذه الآية )

ذكر الله الليل والنهار وانه رحنا بهما مريدا بذلك أن نعلم النعم فنشكر عليها والشكر أعظم من الحمد المتقتم فالحمد باللسان وحسب جميع الناس بالقلب وصرف النعم والمواهب كلها فيما خلقت لأجله ، فهذه الثلاثة هي الشكر

وأشها كلها العلم ، ومجامع النعم وأضداد النعم جعت هنا . إن الله لما خلقنا في هذه المادة أراد ترتيبنا والترية لأبد لها من ضدين نعمة ونقمة ، فالنعمة موهبة ، والنقمة تسوق الناس إليها ، وعبر عن هذا كله بالليل والنهار والأصل كله دوران الشمس ومبدأ ذلك كله الحركة فالحركة كان دوران الشمس ظاهرا وبدوران الشمس ظاهرا كان الليل والنهار ، والنهار عنوان النعم ، والظلمة أشبه بعدمها وعدم النعم هو النعم إذ لا نقمة إلا لعدم النعمة ، فهذا الدوران أنتج فيها على الأرض ما هو من طباعه ، وإذا كان من طباع الدوران الظلمة والنور أى عدم النعمة ووجودها

### ( كان في الأرض )

جبل وواد وسهل وبحر وبحر وبرد وعاصم وخراب وخصب وجذب وحلو ومالح وهواء وحجر وخشن وناعم وحار وبرد ولطيف وكثيف ومرة وحلو في النبات وحيوان مفترس ضار لنا وأنعام تنفعنا

### ( وكان في أجسامنا ونفوسنا )

أعمى وبصير وأصم وسميع وأخرس وضيح وأعرج وضده وأقطع وذو يد ومرضى البدن وسليمه وكذا مريض القلب والجانب أو المعدة أو الأمعاء أو الكبد أو الطحال وهكذا بقية الأعضاء ومقابلة الصحيح في ذلك كله ، وكان في الإنسان الفنى والفقر والعز والذليل والبخيل والكرم وهكذا مما لا يحصى المقام وكان فيه أيضا الذكى والبليد والعالم والجاهل والأحق والعقل كل ذلك داخل في ذكر الليل والنهار فالأول لعدم النعم والثاني لوجودها وما ذكرناه كله لا يخرج عنهما وكل ما على الأرض ناجم من آثار الحركات السماوية النازلة على الكرة الأرضية فكان النتائج تابعة للقيمتان ناهضة منهيها سائرة على منوالها ولما كانت هذه تمر على الناس وهم غافلون ذكر الله الناس بقوله - لعلمكم تشكرون - أى لعلمكم تعرفون فتشكروا على النعم ولقد جعل الله سبحانه وتعالى ألم الجهل وألم الذل وألم الفقر وألم المرض والجوع وألم الفراق وألم الوحدة محررات على نعمة العلم والعز والفنى والصحة والطعام والاجتماع وهذه أشبه بالسائق للناس الى حوز النعم وجعل لذة العلم ولذة النصر ولذة الثروة ولذة الصحة ولذة الطعام ولذة الاجتماع أشبه بالقائد ، فكل من ذلك سائق مؤلم وقائد ملذ نمحله على استجلابه ، ومن أكبر قائد للنم جبال الزهر وحسن القدر وبهجة ضوء الكواكب . وغرائب المفردات التي تلفت النظر وتكون في باب السائق أشبه بالقطوعى الأبدى والأرجل في باب النعم . ثم الجبال الفائقة والقمم الزائدة أحدهما قائد للنعم وثانيهما سائق يسوق الناس للبعد عن قبح المنظر وشناعة الملابس وسوء الحياة

هذا كله هو ما وضعت عليه الحياة في أرضنا ويقرب منه قوله تعالى - ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون • ففروا الى الله - فقلوه - ففروا الى الله - هناك أى بالعلم وقوله - لعلمكم تشكرون - ولا تشكر إلا بعد علم

### ( نتيجة هذه الآيات )

عليك أيها الذكى أن تفهم المسلمين أن الله يضبط على كل أمة نامت عن العلوم ، أيقظ المسلمين وقل لهم افروا جبال هذه الدنيا من نبات وحيوان وتشريع وعلم نفس وعلم فلك وعلوم البحار وبهجة هذه الدنيا وعلى كل غنى وعالم وذى جاه أن يفهم المسلمين انهم يجب عليهم أن يعموا التعليم في سائر بلاد الاسلام وأن تكون معرفة الله بأشياء مشوقة من بهجة الأنوار ومحاسن الأشجار وجبال البحار وصوله البخار وعزة التضار وضوء المساس وقناص الأسحار وبدائع الأسرار ومجائب الآثار وحساب الليل والنهار ومجائب الفلك المدار - إن في ذلك لبرة لأولى الأبصار -

قل ابدؤا بهذه العلوم فافقروا فإذا قرأتموها الصغار فغنى ذلك أن تعلموا من آثارها وتسمعوهم من

أخبارها فيكونون مشتاقين فرحين بها وهذا الشوق يدفعهم إلى اكتناه أسرارها إذا كبروا . ذلك هو المسمى (درس علم الأشياء) فيؤتى بنيد من كل علم وتعلمي لهم كأنها حلاوى بها يفرحون وفاكهة بها يتفكهون فإذا كبروا قرؤا دروسها وعرفوا نظمها وتناولوا آياتها

هذا هو شكر ربكم فالدرسوه ، وهذا هو دين الاسلام في المستقبل قدر بصوه ، وهذا هو توحيد الله وشكروه فاشكروه ، وهذا هو الذى به تعمردنكم وتعلم أنعم وتقوى شوكتكم وتحفظ شعورك وتكثر نعمكم وتقل تقصركم ويهاكم عدوكم . هذه هي العلوم التي ترفعكم في الدنيا بما ذكرناه وفي الآخرة ببقاء الله ، فالدينا تكون لكم سامعة مطيعة وقاربكم تعشق ربها وتحب خالقها وتأنس به في هذه الحياة ، فإذا ما قرب موتها أنست بعالم الجلال وفرحت ببقاء الله وهذا هو قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك هو الفوز العظيم -

وهنا ( أربع جواهر الجوهرة الأولى ) في قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار -

( الجوهرة الثانية ) في قوله تعالى - وهوالله لا إله إلا هو - الخ

( الجوهرة الثالثة ) في بهجة العلم في قوله تعالى - قل أرأيتم إن جعل الله - الخ

( الجوهرة الرابعة ) في قوله تعالى - ومن رحمة جعل لكم الليل والنهار -

( الجوهرة الأولى في قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة

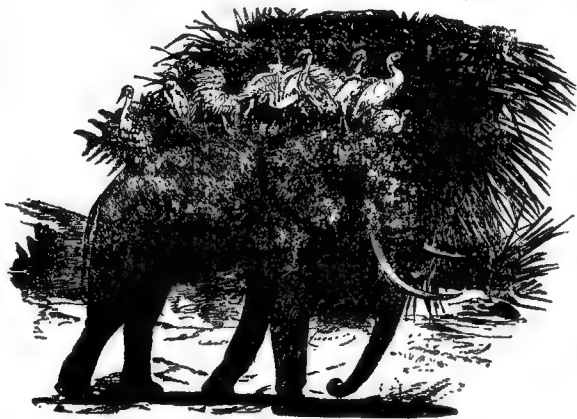
سبحان الله وتعالى عما يشركون - )

يقول المسلم في صلاته : اللهم لا مانع لما أعطيت ولا مفضل لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجبد منك الجبد ، هذا لأنه أعلم بالمصالح فهو يعطى وهو يمنع لحكم هو وحده يعلمها ولن يعرف أحد من بنى آدم حقائق هذه الحكم إلا بقراءة كل علم على قدر الطاقة هو يخلق ما يشاء ويختار ليس الخيارات لأن علما قاصر وهو يعلم كل شئ ، وإذا أردنا ضرب مثل هنا على ذلك وجدنا العالم كله والعلوم كلها مضرب أمثال ولكني أقصر على مسألة واحدة تأخذ باللب وتشرح الصدق أقول

يعيش الجنين في بطن أمه وفيه يتخذى بدمها ، فأمه تهضم الطعام في بطنها وينقلب دما والدم يقابل الهواء الجوى بالنفس في رثتها فيصلح لتغذية جسمها فيرجع إلى القلب ويدخل الجهة اليسرى منه فيدخل من أعلاه في تجويف يسمى البطن وينزل منه بفتحة إلى تجويف أسفل منه يسمى البطن وهو أكبر من التجويف الأول ، ومن هذا التجويف الأكبر في الجهة اليسرى يخرج منشرا في البطن وأسفله ثم يرجع إلى نفس القلب من الجهة اليمنى وهو ممتلئ مواد غنية (كربونية) فيدخل في تجويف صغير هناك ثم ينزل منه إلى تجويف أسفل منه يسمى البطن أيضا ومن هذا الأسفل يخرج متجها إلى الرتين أى رتى المرأة التي كلامنا فيها وهو يحمل المواد الفعمية فيقابل الهواء الجوى الداخل فيعطيه بتنفسها تلك المواد ويصفي كما نفس نحن الماء ونخلصه من المواد الغريبة بالآلات التصفية ، فهذه الرئة أشبه بالأواني التي نضعها في منازلنا وفيها الماء فينزل من مساهما خالصا سائفا للشاربين لاضرر فيه ، فالرئة كالأواني المذكورة والدم كالماء ومتى صفى الماء في الرئة وطهر بمقابلة الهواء الجوى أخذ من الهواء في نفس الحال مواد الحياة (الكسوجين) بعد ما أعطاه المواد المملكة السامة الفعمية (الكربونية) ورجع الدم يجري إلى الناحية اليسرى ودخل فيها كما تقدم . هذه هي الأعمال التي تحصل في قلبك أيها الذكر وفي قلب المرأة ونحن لانشعر ولا نعلم . وليس شرح هذا المقام مقصودا بهذا المقال . كلا . لأنه قد هضم مستوفى في (سورة المؤمنون) عند آية - وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تنكرون - وإنما الذى سقت له هذه المقالة أمر عجيب وغريب . سبحانك اللهم وبحمدك أنت الذى اخترت هذا الوضع للقلب واصطفيت له هذه الدورة الدموية التي تتوقف حياتنا عليها . ولما كان هذا النظام معلوما لجميع الأطباء ويتعمه المتعلمون في الكرة الأرضية لم يكن



ولم يجعل لأحد من عباده اختياراً في إعطاء أو منع ، المربي الخالق الذي يعلم ما خلق ليجعل لأحد سلطاناً ولا وزارة ولا استشارة فيما يديره ، وهذا القول الاجال هو معنى الآية وهذا المعنى معلوم ، وإذا أردنا أن نجعل له مثلاً تواردت آلاف الأمثلة بل ما في هذا التفسير من عجائب الحكمة يصلح في هذا المقام ولكن وقع اختياري على هذا الفيل المسمى بالانجليزية (جيبو) وعليه صف من طير أقي قردان تأكل البود من جلده وهو مطمئن ساكن وهذه صورته (شكل ١)



( شكل ١ )

أنا اخترت هذا المثال لأنه أثر في نفسي أعظم أثر وكيف لا يؤثر وأنا أرى أكبر الفيلة واقفا ساكنا وهذه الطيور واقفة فوقه وهو مستلذ ساكن بل مبتهج . هذا الفيل معلوم من طبائعه أنه قوى جدا وهو يقوم في العمل مقام جماعة من الرجال وهو يقاتل الأسود والفور وغيرها من الحيوانات المفترسة ولكنه في نفس الحال حبيب صديق لأبي قردان ، ذلك الطائر الضعيف الذي لاسلاح له ولا قوة ، إن الفيل وإن لم يظله غالب من الحيوانات المفترسة فقد غلبه أصعب المخلوقات الذي هو أعدى أعدائه ولكنه لن يقدر أن يصل اليه ، إن له جلدا متينا قويا جدا وقد سيط عليه حشرة صغيرة تسمى (تيكس) فهي تعيش فيه وتتغذى بأكله وتؤذيه بأكلها وهو يحترق بالحجر وبالشجر لينحيها عن جسمه - ولات حين ماض - وكلما أوغل في حكمها أوغلت هي في جلده وتعمقت وغاصت فيه فلن يقدر عليها فهي في أمن وأمان ، فمن ذا الذي ينيث الفيل إلا أصدقاؤه أولئك القوائم على ظهره الآكلات عدوه للطهرات جلده من الآلام . وهذه الطيور اليبس الجسم الصفرا اللون والمباقر قد حملت للفيل ما لم يقدر الفيل أن يعمل لنفسه . إذن هذه الطيور خير أصدقائه . قال شارح هذه الصورة باللغة الانجليزية ( قلينا أن يخدم بعضا بعضا ) هذا هو الذي استنتجه العالم الانجليزي من هذه الصورة ننظر نحن في هذه الصورة فتجد الفيل العظيم احتاج الى الطيور الضعيفة وصارت صديقات له وهذا هو خلق الله وترينه بحبيته ، ليس للدار في هذا المقام على كثرة العلوم بل للدار على الاتقان والفهم ، وسرى أيها الذكي في (سورة الزم) عند قوله تعالى - واختلاف السنك وألوانكم إن في ذلك آيات للعالمين -

كيف تكون الصور في أنواع الحيات وفي بعض الطيور وفي بعض الحشرات متشابهة وتشابهها يحصل سببا في حفظ الضعيف الذي لاسلح له لمشابهته والتباسه بالقوى إذ يخل إلى الذي يردها لعله أنه ذو سلاح أو بطش شديد . هذا ما ستره هناك وسترى صوره الجيلة الموضحة الفاتحة على حكمة تفوق كل حكمة وعلم لم تعلمه الأم إلا في أيامنا هذه فان علم الألوان ( كما تقدم في سورة الكهف عند قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - ) لا يزال الآن في حال الطفولة ومع ذلك قد أصبح مظهره لنا الآن مبجزة قرآنية فان تلك الألوان وتلك الصور والابداع فيها والتفنن لا يدع أدنى شك لعاقل في الحكمة التامة التي لا يعقلها إلا من عرفها وهل يعرفها إلا علماءها وهذا معنى كونه آيات للعلماء لاجلج الناس . هذا ماسيأتي هناك ومع شرحه لتبيان تلك المبجزة وهي أن هذه الآيات إنما يفهمها العلماء بفن الألوان وهي أيضا تصلح لهذا المقام لأن قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة - إذا تلوت ما ستره في الصور التي هناك أو الصور المذكورة في (سورة المؤمنون) عند قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - فيما تقدم أيقنت أن هذا الاختيار يسحر العقول ويدهشها . إذن أنا في هذا القلم لا أكثر من الأمثلة فان ماضى وما سيأتي كاف في ذلك

وإنما الذي أقول الآن أن منظر العيل وفوقه أبو قردان ماهو إلا كتاب كتبه الله بيده وقال أقرعوه . الفيل أقوى والطير ضعيف والحشرة أضعف . الفيل كمن المدوّ في جسمه ولم ينجه منه إلا طير ضعيف . إذن تعاون الفيل وأبو قردان على هذا الضعيف . إن هذا الكتاب الذي كتبه الله لنا يده يجب علينا دراسته فنقول الفيل من الحيوانات الأرضية ذوات الأربع وأبو قردان من حيوانات الهواء والدود من الحيوانات التي تختفي عن الأعين في الأجسام

هذه أم ثلاثة أمثلة تكون غالبا في الأجسام أو تحت الثرى ، وأم فوق الثرى ، وأم في الهواء . هذه كلها هي التي ظهرت في هذه الصورة ، فساكن الأرض وساكن الهواء تعاونوا على ما يسكن تحت الثرى أو في طبقات الأجسام . أيها الناس ، طير وحيوان أرضي يرى تعاونهما ، هذه هي الصورة التي ترونها ، تعاوننا لأن الحاجة ماسة ، فهناك دفع أذى عن الفيل وغذاء لأبي قردان ، فهذا العمل أشبه بمن ضرب بحجر طيرين فهو غذاء للطير وشقاء للفيل . إذن هو غذاء وشقاء ، وهنا نقرأ (درسين ، الدرس الأول) بعض أسماء الله تعالى الدرس الثاني نظام نوع الانسان ، (١) انظر إلى الصورة وتفكر فانك تقرأ فيها أن الله ملك فلذلك يدبر الرايا وهم في رحابه يعيشون وأي ملك ينظم كهذا النظام وهو (قدوس) منزّه عن كل ما لا يليق بكأله ومنها انه لا يخلق داء إلا خلق له دواء مثل ما رأينا هنا (السلام) فهنا أمان للفيل وأمان لأبي قردان وهو (مهيمن) فهو يفعل مع هذه الحيوانات فعل الطائر بهيمن على مزاره بأجنحته وهو (عزيز) قد غلب الفيل بتلك الحشرات وغلب تلك الحشرات بأبي قردان وهو (مؤمن) جعل هذه الحيوانات آمنة في أماكنها فرحة بنعم خالقها وهو (جبار) حكم على الفيل بما يؤذي وأخضعه فذل لأضعف الحيوان واحتاج لثبات الطير وهو متحرك لا يريد أن يدخل أحدا في هذا النظام فهو علم وحده (الخالق) أي المقتدر لهذه الموجودات (البارئ) الموجد لها (المصور) صورها على مقتضى الحكمة التي رأيناها هنا عيانا وهو (قهار) قهر الفيل وقهر الحشرة وهو (وهاب) وهب هذه الطيور أغذيتها من تلك الحشرات (رزاق) رزقها من جلده (فتاح) فتح لها باب الرزق (عليم) بما يصنع في هذا وفي غيره (قابض) قبض أرواح تلك الحشرات (باسط) بسط الرزق لتلك الطيور بأجسام تلك الحشرات (خافض) تلك الحشرات (رافع) تلك الطيور على الفيل (معز) لهذه الطيور (مذل) لهذه الحشرات الخ إذن أسماء الله الحسنى دراستها تكون أكل في الحقول وهو (لطيف) وبهذا اللطف خلق المتقار الخاد والعيون القوية والأجنحة لهذا الطائر ففاس على تلك الحشرات فصار لطيفا بالفيل

ولطيفا بالطير وهكذا

## (٢) (الدرس الثاني نظام الأمم الأرضية)

وحق لي الآن أن أخطب الناس كافة ، ذلك لأن هذا كتاب الله وهذا خلق الله وأنا مفسر لكتابه وقد ينشرح صدرى لما أقول فيه ، فعلى أن أخطب أهل الشرق وأهل الغرب ، أخطبهم بكلام ربهم وأعماله الهجينة فأقول

يا أهل الشرق ، ويا أهل الغرب ، إن الله جعلكم أرقى من هذه الأمم الحيوانية وجعلها هي أنفسها دروسا لكم ، فاقروا هذا الدرس وانظروا أمة من أمم الهواء قد اتحدت مع أمة من أمم الأرض مع تباعد ما بينهما وشدة اختلافهما واتساع نطاق البعد بينهما ، هذا قوى وهذا ضعيف ، هذا أرقى وهذا هوانى ، هذا له أجنحة وهذا له أرجل ، هذا له معدات وهذا له قنطرة وحوصلة ، هذا أسود وهذا أبيض ، هذا طعامه نبات وهذا طعامه حيوان . نعم أتم درستم يا أهل الأرض صفات الحيوان ولكنكم لم تدرسوا فن الأدب ونظام الأمم منه ، فإذا كانت هذه الحيوانات المتباعدات تباعدا تاما قد اتحدوا وتعاونوا وفرح كل منهما بأخيه ، فما أجعلكم يا أهل الأرض ؟ رأت الأمم الكيرة أن الأمم الصغيرة تضعها لم تستخرج مافى أرضها من كنوز ولم تستثمر مواهبها ، فإذا فعلوا ؟ هجموا عليهم وأذلّوهم ومنعوا العلم وهذا هو الخطأ والجبل

يقول الله لكم جميعا انظروا الفيل وأبقردان ، الألفة بينهما جامعة لاعداوة فيها ولا جهاد ، قتل الانسان ما جهله - قتل الانسان ما كفره - تفرقون ولا تفهمون تدرسون ولا تعلمون - صم بكم عمى فهم لا يعقلون - أعجزت الأمم العظيمة أن تكون مع الصغيرة كالقيل مع أبقردان تعاونوا بالحبّة والمودة بالاذلال والاكرام ارتقت الأمم الاوروية ولكنهم جاهلوا طرق الاستعمار ، الأرض لم تزل مملوءة بالمتوحشين من نوع الانسان وهؤلاء لم يقدروا أن يعلموه ، وغاية ما يعملونه أنهم يستعبدونهم وينهبون معهم نهب جارات الفيل القوية مع الفيل الضعيف كما تقدم في (سورة الفيل) فيكون هؤلاء سادة وهؤلاء عبيدا وتكون النتيجة أن السادة بعد أجيال وأجيال يأفنون الراحة ويكرهون التعب ويفرحون بالبطالة وهناك تنقرض تلك الجماعات من الوجود . هذا هو استعمار أوروبا المعطوف على استعمار الرومان والأمم العربية في القرون المتأخرة ومثلها استعمار التتار والترك العثمانيين ، فهؤلاء في أواخر أيامهم كانوا عالة على الأمم يستنزفون ثروتهم وهم مذمومون - ففطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين -

والحق الذى لا يحصى عنه أن الأمم الأرضية اليوم لاسعادة لها إلا بالمعاونة العامة وهذه يميزها مفكرون دارسون لها حتى يكون الضعاف فى أواسط أفريقيا وفى غربها مع الأقوياء فى أوروبا أشبه بأبقردان مع الفيل هذا هو الذى فهمت من هذه الصورة (أى شكل ١) فى تفسير قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار - فهو الذى وضع لنا فى الأرض غلا يأسر بضه بعضا وطيرا يصاحب فيلا ، وقد اخترنا أسوأ المثلين فى القرون الحالية فلنختر أشرّهما فى الأيام المقبلة لنكون ناهجين فى العمل أحسن المنهجين . انتهى يوم الثلاثاء ٢٥ يونيو سنة ١٩٢٩ م

( الجوهره الثانية فى قوله تعالى - وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة )

وله الحكم واليه ترجعون - الخ )

جاء فى هذه الآية أن الله واحد وأنه محمود أولا ومحمود آخر وأنه هو سبحانه له الحكم وأن المرجع إليه ثم أعقبه بذكر الليل والنهار والضياء والظلام . ومن عجب أن المحاوره بين (طباوس) وهو حكيم من أصحاب (فيثاغورس) وبين (سقراط) الفيلسوف المشهور تناسب كل مافى هذه الآية وألغسها هنا جميعها لمناسبتها هذا المقام بعد أن أثبت منها فى (سورة الشعراء) ما هو أكثر مناسبة للعطب فى آية - وإذا مرضت فهو يشفين -

ذلك أن طباوس ابتدأها بقوله ﴿إنه يستعين بالله في شروعه في معرفة مبدأ العالم عسى أن يلهمه الله القول الحسن ويلهم السامع قبوله﴾ ثم أخذ يفرق بين القديم والحادث فالقديم متصف بالوجود ويدركه العقل أما الحادث فليس له وجود حقيقي وإنما يدركه الحس والخيال ويحتاج إلى علة في وجوده المجازي ، ثم أخذ يثبت حدوث العالم بأنه مرئي ملموس مادي ، وكل ما ثبت له هذه الصفات فهو محسوس ، فكل ما هو محسوس فهو مدرك بالوهم والحس فهو إذن حادث والحادث لا بد له من علة ، ثم أبان انه عاجز عن شرح وفهم الإله لأن التكلم والسامع من البشر ، ثم ذكر سبب خلق العالم وقال سببه أن الله جواد وقد عمد إلى الأشياء المضطربة فوزنها فركب لها عقلا والعقل جعله في النفس والنفس جعلها في الجسد فجعل صورة العالم كله كصورة حيوان واحد مشتمل على كل حيوان والعالم في نظره حيوان عاقل مرئي جسده مركب من العناصر الأربعة في نظره إذن العالم مركب من العقل والمادة وشئ مشترك بينهما فهو كله أشبه بجسم إنسان واحد وقيل ذلك التكوين لم يكن ليلا ولا نهارا لأنهم ماحصلا عند تكوين الأفلاك . إذن لا يحكم إلا على الحادث أما القديم فلا ، والكواكب التي هي من هذه الحيوان الكبير وهو العالم سواء أكانت سيارة أم ثابتة أجرام حية (في نظرهم هم) بها تكوّن الأيام والشهور والسنين ، ويقول ان الله لما خلقها خلق لها أرواما وهي الملائكة تدبرها وخالطهم يقول أنهم حادثون وهذا الحديث ليس نقصا لكم لأن قوتي تحفظكم فأنتم لا يلحقكم موت ، وهناك خلق أرواما في كل كوكب وفي الأرض والقمر والكواكب الثابتة وأطلع تلك الأرواح على العوالم كلها ثم قال لها أنا خلقتكم من عنصر الروح الملكية وسأزلكم إلى عوالم المادة وتكون لكم شهوة فمن اتبع العقل رجع إلى كوكب سعيد ومن اتبع الشهوة قتلته في حيوان بعد حيوان على حسب ما غلب عليه من الشر والشهوة ، وقيل ذلك خاطب أرواح الكواكب فقال لها أنهم دائمون وأنا آمركم أن تأخذوا هذه الأرواح التي هي أيضا إلهية وتسكنوها في أجسام وتقدرها بما يناسبها وتكون تلك الأشخاص مركبات مما يموت وهو الجسم ومما لا يموت وهو الروح مع إحداهن حيوانات أخرى ليكمل النظام العام ﴿ وهذا القول الذي قاله طباوس لسقراط أكثره موافق للإسلام فقد ذكر بقاء نفوسنا ونفوس الملائكة وذكر العقاب للذنب والسعادة للصلح وذكر أن الملائكة مولكون بالعالم وذكر أن العالم حادث وهذا عجيب جدا أوقفنا على أن نقل الفلسفة من اليونانية إلى العربية كان مشوها إذ نقلوا القول بقدم العالم فظهر أن ذلك النقل كان عن صفار علمائهم وأن ذلك الخلاف في الكتب كان ضياعا ، وأقول الآن يجب الاستقلال في جميع المباحث فان الاتسكال على الأمم مضية لأمتنا والذي ينبغي دينا مسألة كون العصاة يصبحون حيوانات ، فنفس (طباوس) يقول هذا ظن لا يقين وعليه فان شريعتنا ذكرت جهنم وهذا عذاب يقين ، ومن الحكم الهيبة انه يقول « ان الله خلق الأرواح وخالطها ، وهذا بعينه آية - واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم - الخ وهذا من أعجب الحب أن يكون نبينا ﷺ قد نزل الوحي عليه وهو لم يزال علما بما كان يختلج في قلوب علماء اليونان ، وأقول إن هذه معجزة كبرى بل كل هذا المقال معجزة وأى معجزة ، وكيف يثبت طباوس المبدأ والمعاد وقدم الله واثبات اليوم الآخر والعذاب والثواب وان أخطأ في تعيينهما ويثبت بالظن خطاب الله للأفئدة قبل نزولها إلى عالمنا الأرضي ، كل ذلك قبل الرسالة المحمدية بنحو تسع قرون

وهنا بهجة العلم التي هي أنسب لهذه الآية بذكر النور والعين ، قال مانصه بالحرف الواحد ﴿ قال أفلاطون ثم بين (طباوس) تصوير الأبدان من العناصر على يد الله وتصوير الآلات المختلفة من البصر والسمع وغيره ، قال إن البصر نازله الله في داخل العين فمن تلاقيه بالنار الموجودة من خارج يتولد الابصار وبسط القول في مسح البصر وبيان منافعه قال إن فائدة البصر على ما أرى انه لو لم تكن لنا القدرة على ادراك الشمس والكواكب ما كنا نتكهن من الكلام عن السماء والعالم إذ من مراقبة اليوم والليلة



وتحوّل الأشهر والأعوام حصل لنا العلم بالأعداد والشعور بالزمان وحدث فينا الشوق لمعرفة الطبيعة والعالم  
فنه نشأت الفلسفة وهي أقدس ما أنعم الله به على البشر ﴿ ثم قال ﴾ إن الله لم يقصد من إيجاد البصر فينا إلا أن يمكننا من تأمل دوران العقل في السماء لنستفيد  
منها تقويم دوران عقولنا وتنظيمه على نسق مآزاه في السماء من ترتيب العقل في دوراته إذ هو وذلك طبيعة  
واحدة ﴾ انتهى

يقول (مطاردى جوهرى) مؤلف هذا التفسير إلى لما اطلعت على هذه الجلة الأخيرة اعتراني ما يشبه الهش  
والبهير وفكرت في هذا النوع الانساني في الوقت الحاضر لاسيما أنه الاسلام ، اللهم إنك أنت خلقتنا في هذه  
الأرض غرابه عن المادة فحجبت هي أكثر عقولنا فكيف نرى هذا الجبال ، جبال النجوم ونظام الشمس  
والقمر والكواكب ونرى الشهور والسنين ونحن غافلون لم يحضر ببالنا من تلقاء أنفسنا أن تلك العوالم المنظمة  
قد جعلت نبراسا لعقولنا التابعة لها ونحن نقرأ كل يوم - وزيناها للناظرين - ونقرأ - أفلم ينتاروا الى السماء  
فوقهم كيف بيناها وزيناها وما لها من فروج - ونقرأ - قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا - الخ  
فها هو ذا ذكر الليل والنهار وانهما لما افنا ، ويقول في آية أخرى - هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا  
وقتره منازل لتعلموا - الخ أوليس من أعجب العجب أن يأتي رجل يوناني فيقول إن البصر لم يخلق فينا إلا  
لتلاحظ هذه الكواكب وسيرها ونفكر أن نظامنا يكون على نظام السموات التي نظمها عقول عالية عقولنا  
مخلوقة على مثاله . أوليس هذا هو قوله - ووضعت الميزان \* لأظفروا في الميزان -

أيها الأمم الاسلامية ، إلى أكتب هذا وإن نفسي في خجل أن أرى أن هذه الحكمة وهذا الاشراف  
وهذه النظرات السامية تكاد تكون مفقودة في أمتنا الاسلامية في القرون المتأخرة ، أنا أقول لن يكفي المسلم  
أن يقرأ هذا في كتاب . كلا . بل لا يفيى للمسلمين أن يتأثروا بهذه المباحث إلا اذا نظروا بأنفسهم وفكروا  
بصقلهم ففكر استقلاليا ، فن وفقه الله لهذا هداه الى النظرات في الكواكب ليلا يفكر في جاهل الظاهري  
ويتأمل في مجابها بنفسه يوما فيوما ثم يدرس مبادئ الفلك وهذا هو قوله تعالى - أولم ينظروا في ملكوت  
السموات والأرض - هالك يتأثر الوجدان ومن هذا التأثير تحصل المعرفة ، فالكتب وحدها لا تفيد بل لابد  
من النظر الاستقلالي

اللهم إنك أنت المنعم وأنت الهادي . اللهم إلى ألبأ اليك أن تجعل هذا الكتاب ذكرى لشبان من  
النوع الانساني مسلمين وغير مسلمين لأنك أنت رب الجميع والمنعم على كل نسمة بما يناسبها وخير انعم ما كان  
علما وحكمة فاجعله يا الله نورا لبصائر المستعدين من العالمين والحمد لله رب العالمين انتهى صباح الاثنين يوم  
آخر شهر رمضان المعظم سنة ١٣٤٧

﴿ الجوهرة الثالثة في بهجة العلم في قوله تعالى - قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة - الخ ﴾  
حدثني الحارث بن همام قال رأيت في المنام كافي . مت وغسلت وكفنت ودي على ودفت وفي نفس الوقت  
كان روعي زفرف بهية تشبه هيئة جسمي ولكنها هيئة روحية نورية فأخذني ملائكة أوقفوني في عوالم من  
النور البهيج الذي لا مثيل له في الأرض بحيث لا أتمكن من وصفه لهيئته وجاله ثم أحسست في نفسي بخواطر  
على هيئة السؤال والجواب وأنا في حال الدهش من الجلال وكان الحق يخاطبني بلا حرف ولا صوت وأنا أجيب  
في سرى وكأنه يقول لي يا عبدي أنا أشبك قفلك في سرى ربما كان هذا الخاطر شيطانيا والافكيف أستحق  
هذه المحبة وأنا مقصر في أعمالى كلها ، قفلك في سرى وما علامة حب الله في فكلان الجواب ما يأتي ﴿ علامة  
حي لك انني شملت عقلك في طول حياتك ، فأنت في حضرك وسفرك وفي كل حال من أحوالك تبحث عنى  
وتفكر في أعمالى ، فهذه لم تكن إلا من الحب الذي ألقيت في قلبك لي ولن يعنى أحد إلا كنت أنا عجا له

قبل أن يعينى ، ألم قرأ - يحجبهم ويحجونه - ) ثم قال ( وقد خلقت العالم كله لأجلك )

قال فلما خطر لى هذا الخطر وكأنه خطاب من الله اعترافى النحول ورفعت طرفى الى السماء وقلت يا الله أنا لست بقادر على أن أفهم هذا فأجبت بما يأتى ( طرب نفسا وقرعينا وسأعلمك معنى ذلك ، من أين أنت روحك ؟ قلت هى قبسة من نورك فقال وهذا النور حكمت عليه أن يترى تربة قدر يحجب فى العوالم المادية ولا يكون ذلك إلا بأبوين يلدانك وأمة يعيش فيها هذان الأبوان وأمم تحيط بهم تساعد هذه الأمة بتجارة ومعاملة وهذه الأمم كلها لابد لها من الحيوان والنبات والماء والمعادن والأرض والهواء والكواكب الثابتة والسيارة . قلت نعم حقا أنا لا أخلق إلا وأنا مصحوب بهذا كله فقال لى الله فى سرى فأما لأجلك خلقت الشمس والقمر والمجموعة الشمسية والمجرة والسدم والأرض ومن عليها ، قال قلت فى نفسى انه لم يخلعها لى وحدى فأجابنى قائلا أضرب لك مثلا رجلا له عشرة أبناء أسكنهم بيتا من خوف الحيطان مفروش الأرض مضاء السقف بالمصابيح وهؤلاء الأبناء يتعاونون على جلب الرزق ويدفع الأعداء ، فهل هؤلاء الأبناء كل واحد منهم شرعى البقية من اخوانه أم هو خير فقلت بل هو خير لأنه وإن شارك أخوته فى الرزق فقد شاركهم فى العمل والمنفعة لهم ، فقال إذن كل واحد من العشرة الأبناء فى حياة وسعادة بالمثل نفسه وبجميع أخوته المساعدين له ، قلت نعم قال فهكذا أهل الأرض كلهم فكل امرئ منهم يصح أن يقول خلق العالم كله لأجلى ولا ينافى هذه القضية بل يؤيدها وجود أمثاله من نبي آدم فى الأرض لأن كل انسان منتفع بالناس تعلما وتجارة ومدنية ونظاما كما انتفع من الشمس والقمر والسحاب والهواء : إذن لكل عاقل أن يقول خلقت لى السموات والأرض وما بينهما كما تقول المرأة فى حق زوجها وأخوتها وذريتها هؤلاء كلهم لمنفعتى وخدمتى وكل من هؤلاء يقول مثل ما تقول هى ، وعليه لكل انسان فى الأرض أن يقول خلق العالم كله لأجلى ، قال ثم هجس فى نفسى أن هذه المعانى كاملة فى قوله تعالى - ألم يجدك يتيما فآوى - فاليتيم اللغوى معروف وهو الذى يحب القلوب فى ذلك اليتيم فتكفله ، أما اليتيم العلمى فهو احتياج النفوس الى تربيتها فى الأجسام وإصلاحها بهذه العوالم كلها وأول اليتيمين رمز لثانيهما ، فكل نفس فى حاد ذاتها مفتقرة الى هذه العوالم افتقار من فقد أباه الى من يعوله ، وقوله - والضحيى - واللبل إذا سحى - قد شمل العوالم كلها فالعالم العلوى والسفلى ليلا ونهارا مسخر لكل امرئ فى الأرض

قال الحرث بن همام فلما تم هذا الخطر فى نفسى قلت يا عجبا وهل هذا دليل على حب الله لى ؟ فخطبت الله فى السر قائلا إذن أنت تحب كل مخلوق وكل انسان كافر أو مسلم لأن كل واحد من هؤلاء يقول مثل ما أقول فأجابنى الخطر فى سرى يقول ( إن الله لم يخلق الخلق إلا وهو يحب أن يخلقهم ومن كشف منهم له الغطاء عن حقيقة الأمر وأحسن بوجدانه بما ذكرته لك الآن فهو المقصود الحقيقى لأن روحه أصبحت راقية ، أما بقية الخلق المزمورين فى الجهالة فأمامهم جهور ودهور يقيمون فى بحر الجهالة والعماية والضلال ، ثم قال إن الله خلق الخلق وأعدهم للرقى ومن أحسن بهذا الوجدان وثبت فى نفسه فذلك دليل على أنه استعد للعبادة الحقيقية والنور والبهجة والجمال )

ثم قال الحرث بن همام قلت فى سرى ان المحبة فى أهل الأرض اذا ملكت قلب امرئ أضنته وأحرقت فؤاده وأمرضته وماهى إلا أن يحب الرجل امرأة ردها من الزمن فما بالك اذا أحب العالم مبدع هذه الصور وأنواع الجبال ؟ فكيف يطلق ذلك ؟ وكيف يكون ذلك الحب . قال فأجابنى الخطر فى سرى قائلا أما قولك كيف يكون ذلك الحب فأقول ، أذكرك بما قرأ فى الحكمة والمعلم فتفكر فى رجلين رأيا طائرا على شجرة مثل الزفرافق البلى ( المرسوم فى سورة يوسف وفى سورة النمل ) فهنا له نوع من الجبال فوق الشجرة وقد تمايلت الأغصان وهبت الريح وتفتت الأطياف فأحدهما لم يفكر فيه والثانى فكر فى جماله ومنفعته وكيف

أعدلاً كل السود الذي بأكل الزرع ، فهناك يحاربه ويدهش ويقول انى كأتفع بالشمس والقمر والكواكب وأهل بلدى وأمتى والأمم والبالبال والأنهار هكذا أتفع بهذا الطائر هو وأمثاله التى تبلغ نيفا وثلاثين كما تقدم فى (سورة طه) و (سورة يوسف) فهذه كلها جيوش وجنود مجندة أرسلت الى من العالم الأعلى لتلتقط السود وتحافظ على حياتى ، هنالك يخرج من هذا الخلط الى ما هو أرقى عنده ويقول فى نفسه من أنا ؟ وماهى حياتى ؟ وماهذه الطيور والأمم والدول والكواكب . إن الأمر لأعظم وأكمل . أبى حكمة دبرت . وأبى تدبير أحكم إن الأمر لعظيم . هنا تدبير يحكم ربط الشجر والطيور بالسود والزرع والانسان . هذه حكم ونظم محكمة مضبوطة هنالك تطير روح هذا المفكر الى عالم الجبال وتفكر فيه وتفسر وتترجم الى مبدع هذه النظم وهنالك يرى الجبال بالبصرة ويدهش عقله ويعلم به . وهذا الحب والدهش والتعجب ليس اختياريا بل هو أشبه بحب المرأة لولدها والعاشق لمحبوبه . والناس فى حق أصحاب الجبال على (قسمين) قسم عرف الجبال وهام به وقسم عرفه ولم يهم به لعدم استعداده . وكأنا اذا أتينا بطفل أمام مائة امرأة وهو يبكي طالبا ارضاعه لآ ترى واحدة منهم تنفتم اليه اكثر من غيرها إلا امرأة واحدة هى أمه التى تلقمها ثديها لأنها هى التى بينها وبينه مناسبة أشد من غيرها وإن كان النساء كلهن يتأثرن بكأه ويردن ارضاعه هكذا مناظر هذا الوجود كسألة الطائر المتقدمة والتقاطه السود وحسن النظام العام فهذا ينظره العالم والجاهل وعلماء الزراعة وغيرهم ولكن لا يتأثر بالحب لبدع العالم إلا نفوس خاصة كما لم يؤثر بكاء الطفل الأثر القوي إلا فى أمه . هنالك دعيت فى سرى وقيل لى إذن أنت محبوب فعلا لأنك اذا نظرت أمثال هذا الطائر طربك وأخذ منك الحب كل ما أخذ ووجدت فى نفسك حبا لا يحصى به من حولك مع أنهم يشاهدون مثل ما تشاهد ويعلمون مثل ما تعلم بل نفس علماء الحيوان وعلماء النبات يعلمون هذا أكثر منك ولكنهم لا يتأثرون بفريق عالم الزراعة أن ورق السقط قد حفظ بشوكة طلعت بجانب كل ورقة وأن عنق ورقة (البازلاء) وعنق ورقة الورد قد حفظ كل منهما بما خلق ملازما له كما تقدم فى (سورة النمل) رسم ذلك . يرى ذلك عالم الزراعة فلا يتأثر به لأنه ربما لم تكن روحه من الأرواح المستعدة لفهم الجبال كما لم يستعد الطفل لادراك جبال الغايات

ثم قال الحرث بن عمام ، وختم الهاتف فى سرى خطابه لى قائلا (إن كل العوالم ساعة مجتدة للرق ولم يحظ بتلك المحبة إلا نفوس خاصة هى التى أدركت ذلك الجبال ، أما البقية فانهم الى الآن لم يصلوا الى ذروة التكامل فلم ينالوا هذه المحبة . هذا جواب السؤال الأول وهو كيف يكون هذا الحب

أما قولك كيف يطبق ذلك الحب فأقول هذا هو بيت القصيد . اعلم أن أرواحكم فى هذه الأرض لها صلة بالأرواح العالية فهى نفوس جزئية لها نسبة الى النفوس الكلية التى بها نظمت العوالم كلها بأمر الله وهى - المدبرات أمرا - فهذه وضعت فى الأرض والأرض كلها جبال وحكم ومجانب وبدائع فلا وأن هذه النفوس كشفت لها الجبال فيها حوالمها مانت وتصدعت ولكن الله راحته أحاطها بالمصاب والجهل والحسد والحرب والمرض وغيرها لئلا تعرف ذلك الجبال فيدهشها فلا تتحمله فتهلك ، فانظر الى آثار راحة الله ، جهل وذلل وعمل وأشغال متعبة وهموم ، كل ذلك جعل غطاء يغطي جبال هذه العوالم المحيطة بالانسان من كل جانب بل على مقدار كثرة الجبال فى العوالم كان الغطاء الذى غطاه فكثرة الأعمال والجهل والثورات والفن فى الأرض وضعت بمقدار وفرة الجبال لتغطيه وتحجبه . فأكثر الخلق معجبون عن الجبال فى أنفسهم وأجسامهم وحيواناتهم ونباتهم وأرضهم . فأما الذين كشف لهم بعض الجبال فهو لاء أيضا تنزل بهم الكوارث والنواب فتحجب عقولهم عن ذلك الجبال كالباقيين وانما يتجلى لهم الجبال وقتا بعد وقت فى فترات على مقدار طاقتهم - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها -

## ( نور الجوهرة الثالثة الصعقة والشمس )

جاء في جوائدنا المصرية في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٦ ماضه يقول الدكتور (بنتي) حميد كلية الطب بكلكتا ان الشمس تسبب زيادة سكان الممالك أو نقصها كما تسبب نمو المحصولات أو نقصها . وعلى ذلك يقول الدكتور انه في أمريكا والهند استدلوا على أن الشمس تؤثر في إغناء الأجسام والمحصولات الزراعية وأن عدم وجود الحرارة يصف الأجسام والمحصولات أيضا . ويزيد أن الصعقة لاتسلم إلا في نور الشمس وتحت حرارتها اه

﴿ الجوهرة الرابعة في قوله تعالى - ومن رحته جعل لكم الليل والنهار - الخ بعد قوله

- قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا - الخ ﴾

اعلم أيها الذكر أن هذا المقام عظيم القدر سمي المنزل ففهم الرحمة هنا يعوزه أن يجتهد النفس في أن تتخلص من عاداتها وتخلص ولوموثا من شؤونها حتى تنفرغ الى فهم رحمة الله بشمسه وكواكبه نهارا وليلا وبالظلمات والأنوار . واعلم أن السبيل لذلك ما قاله الله في سورة أخرى - فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آتاه الليل فسبح وأطراف النهار لمك ترضى \* ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى \* وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لعلنا لك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتحقوى -

خلقنا الله في الأرض وأفاض علينا نعم الشمس والكواكب والأنوار ولكنه في الوقت نفسه سلط علينا الأعداء من كل جانب كلما أحسن اليهم المراسلون والعلماء بافصة العلم والخير أسأوهم وسلقوم بألسنة حداد ومن جهة أخرى سلط على كثير من الأخيار في الأرض حب الموازنة بينهم وبين معاصريهم في المال والرزق والولد والجاه . إن أهل الأرض من الصالحين والطالحين جميعا قد أحطت بهم هذه المزعجات ممن حولهم ومن أنفسهم ، يجدون من بني آدم العداوة والبغضاء ، لاسيا الأقارب والقرناء ، ويجدون من أنفسهم طمعا لاحد له وميلا لزخرف الحياة الدنيا ، فالأنفس في عذاب واصب مزدوج من داخلها ومن خارجها فأني وكيف تقدر هذه النفوس ان تخلص للنظرة العاتية في هذه الشمس الجيلة والكواكب البهجة وبهاؤها وظلمة الليل وضياء الشمس . كلا . فالقوى النفسية في الانسان محدودة وقد وزعت بين قوتين قوة داخلية وأخرى خارجية اللهم إنا نحن بني آدم على الأرض مساكين خلقنا في أرضك الجيلة تحت شمسك البهية الثلاثة وكواكبك البديعة ثم أحكمت أقفال أبواب السماء على أكثر نفوسنا فغابت في دجى ظلماتها وانهمكت في مطالب دفاع الأعداء وجلب الكساء والغذاء ، فنفسنا أبدا ما بين قوى الدفع والجذب فأني لها أن تخلص من ذلك وتظهر رجائك الواسعة المحيطة بها

علم الله أن ذلك الخلق فينا فقال لنا أيها الناس ، أما من الأعداء وحسدهم وابتذلوهم فدواؤهم الصبر وما الصبر إلا الجنة (بضم الجيم وتشديد النون) التي تتخذونها لكم دروعا تتقون بها إيذاء الأعداء وأنا مع الصابرين ، وأما مطالب أنفسكم وجهالزهره الحياة الدنيا فأيكم أن تعتوا أعينكم الى ذلك لأشها زهرات وهل لازهرات بقاء ؟ إذن لابد من صبر على الضراء وصبر عن الشهوات . إذن الناس موقوفون بوثاقين والثاقان لهما حل واحد وهو الصبر ، صبر على قول الأعداء وصبر عن الشهوات (وبعبارة أخرى) احتقار ما يصيب الانسان داخلا وخارجا . هذا هو قوله تعالى - فاصبر على ما يقولون - راجع للصبر على كيد الأعداء . وقوله - ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم - الخ راجع للصبر عن الشهوات . وهاتان الخصلتان يرجع اليهما كل مكرره من مرض وفقير وفراق وهكذا . فهذه هي القواطع التي تقطع الناس وتصرفهم عن معرفة رحمة الله عز وجل

في شمسه وقره وكواكبه . وبالصبر والرضا بالقضاء والقدر رضا مبني على العلم والحكمة . يتفرغ الانسان لهذا الوجود ويفهم إذ ذاك قوله تعالى - وسبح بحمده ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لم ترض - لأن النفس لا ترضى إلا بالعلم والعلم لا يكون إلا بعد أن تذهب تلك القواطع بأمرنا الله بالتسبيح بحمده قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وأمرنا بذلك في بعض ساعات الليل ويقول لنا في هذه الآية التي نحن بسعداء - ومن رحمة جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله - . قد قلنا إن الانسان موثق بوثاقين من الداخل والخارج والوثاقان بحلان بالصبر ولكن الزهد في الدنيا والصبر على الأذى وحدهما ليس معناه أن الانسان يفهم هذا الوجود لأن هذا ماهو إلا تخلية ولا بد من التخلية كبداخل الجسم يتجرد من الأقدار ثم يلبس الثياب هكذا نحن إذا خلصت النفس من هذه القواطع فلتشرع في درس هذا الوجود ولتقب أيها الذكر صابحا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في موضع خال والجو جيل فسيح وقد أقبلت جيوش الصباح البيض الصباح أو المشرقات الحسان البهجات في دبابي الظلمات . فهناك تنظر فترى دولة وموكبا مقبلا قطع الشمس وترسل الحرارة إلى الهواء فتجري الرياح إلى الماء فيثور البغار الذي يصير سحبا فتقباله الرياح فتجعله إلى الاقطار فيمطر فيكون أنهارا تسقي النبات والحايوان والانسان . أوترى تلك التريات اللامعات التي لاحد لجأها في الهوى وهن باهرات لا يعرف لمن أمد ولا يوقف لمن على عدد ثم تنظر فترى أن حياة كل مخلوق موقوفة على الشمس وضوئها وحرارتها وأن كل ماهو جيل في الأرض مشتق من بهاء تلك المشرقات ، وما هذه الزينة التي تتباهى بها الثنائيات الحسان في الأرض إلا من آثار ذلك الضياء ، ألم تر أن الأء باغ التي توعها الانسان في الثياب ماهي إلا من الفحم المحرق الذي حفظ ضوء الشمس قبل آلاف الآلاف من السنين ثم استخرج الناس منه تلك الأصبلغ الآن والأضواء ، وبذلك الحرارة المخزونة أجوا المركبات في الطرقات وتوعوها ووزعوها في الأقطار

نفس الانسان شريفة كبيرة عظيمة تعطى الملك والزم والمدل والولد وتملك الأنهار والبلاد ولكنها تقول كلا . كلا . هل من مزيد ، هي حقان نورانية ، نحن لا نرضى في الأرض بما تملك . لولا كل منا هذه الأرض جميعا لقال هل من مزيد فكيف إذا كانت الأرض موزعة بيننا فلا سبيل لنا إلا العداوة والبغضاء في اقتسامها وانما لم نرض بذلك لأن هذه النفوس عالية شريفة لا ترضى إلا بمعرفة حقيقة هذا الوجود ومتى عرفت اطمانت وسكنت . فهذا معنى قوله تعالى - لعلك ترضى - أما إهلاك الأعداء وأما مد عينيك إلى ما متعناهم به من مال وولد فهذا لا يرضى هذه النفوس إلا وقتا ما ثم ترجع للطالبة وتقول أين المنتهى . ومتى أدرك الانسان جلال هذا الوجود (ويكتفيك مؤقتا قراءة هذا التفسير أو أكثره) رضيت نفسه وفهم معنى - فسبح بحمده ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - الخ وأدرك السبب في ترويض الرضى على التسبيح والتزب لا غير إذ يرى أن ما يصيبنا لم يكن إلا لارتقائنا واثقة منزّه عن قصد الايلاء بلا فائدة . ومتى اعتقد ذلك اعتقادا مبينا على النظر والعلم رضى وفهم سر معنى كون رضوان خازن الجنان فهو من هذا الوادي وكفى في هذا المقام من أسرار وبهذا المقام يفهم المسلم في صلاته معنى مخاطبة ربه قائلا ﴿ أهل الثناء والمجد أنت أسمى ما قل الصمد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما مننت ﴾ فأنت أهل الثناء والمجد دائما . ومعلوم أن الثناء لا يكون إلا على نعمة وهذا المنع بعد فهم الحقائق صار نعمة . والمصلح يقوله إما تعبدا وتكلفا إن كان جلهلا واما بطم وعقل إن كان عارفا بأمثال ما يذكر في هذا التفسير وهناك درجات فوق ذلك

فهناك يتمزج التسبيح بالتعبد إذ يرى في طلوع الشمس والكواكب وغروبها حياة وموت وزرع وحصادا ويدرك النعم ويعقل السبب في اللوت والمرض وأن كل شر لم يكن إلا لخير وأن الأمر عظيم ويفهم - وإذا رأيت ثم رأيت نعيًا وملكا كبيرا - ويرى أن الملك الكبير كما يكون يوم القيامة يكون في الدنيا بالفهم والعلم

غاية الأمر أنه يكون هناك أظهر ولكنه ظاهر لتوحي البصائر الآن . إن هذه الطائفة التي اصفيت بما أقوله الآن وعرفت مقصود الوجود على مقدار طاقتها تعرف نعم الله فتحمد له عليها وتشكره ويخامر قلبها حبه لما ترى من جلاله وإحسانه الذي لا حد له وتفهم أن رحته لا حد لها وتعقل أن الموت الذي هو أعظم المصائب الخفيات في الدنيا ما هو إلا مقدمة لابد منها من مقدمات الرحات لأنه يستحيل أن تكون هذه الرحة التي لا حد لها تأتي بنعمة إلا مقدمة لنعمة ( وبشارة أخرى ) ان النعمة ضرورية جلب نعمة أرقى من النعم السابقة

هذا هو الذي تضمنه قوله تعالى هنا - ومن رحته جدل ليل والنهار - الخ فهذا الاجال تصور مبادئ الرحة التي في هذه الآية فتزده الله عن الايام لغير نتيجة وهذا هو التسبيح ونعرف نعمه التي لا حد لها وهذا هو التحميد وهذا هو غاية الرضا واذن نفهم - لملك ترضى - هذه هي الرحة الطليقة

أما الرحة العملية فانظر أيها الذكر الى بني آدم تجدهم قد تجحطوا في قبول هذه النعمة . رأوا الشمس وضوءها فإذا فعلوا ؟ رأوا الطيور والأنعام والحشرات متمتعات بفرحات بنوء الشمس فقلت أمراضها وكثرت خيراتها ونعمها . أما هذا النوع الانساني فانه لما أعطى قوة الفكر والتمييز أخذ يتواري عن السعادة وينحط في دركات الشقاء بسوء تديره وكبل في قيوده وحيل بينه وبين سعادته بالتباهي وألهاء التكاثر في المال والولد والزينة والزخرف وجمع المال والأكثر من الملابس والتفنن في الأطعمة والازنواء في القصور والمنازل غرم الهواء التي وضوء الشمس والأطعمة الطليقة فأحاطت به المكروبات ( الحيوانات القورية ) وأوردته مواردهلكة بالطاعون والحصبة والجذري والحمى وأمثالها وقتلته الأسقام بسبب البطنة وسوء اختيار الأغذية واتباعه ظواهر اللذات الحسية وبذنه مقاصد المطاعم والمشارب ولذلك الإشارة بقصة أينا آدم التي ذكرت في مواضع من القرآن يقول تعالى - فأكل منها فبدت لها سواتهما وطفقا يخفئان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى - فانظر هذا المقام في أول سورة الحجر وفي أواخر سورة طه ، فهناك ترى خطئ هذا الانسان وجهله في الشرق والغرب ومرض بدنه بجهله سواء في ذلك أطباؤه وعلمائه وجهلاؤه .

لعمري ان الله ما زلت تلك القصة ولا كررت تأديبا لآدم . كلا . وانما ذكرت عظة لنا وتأديبا وهذه القصة قد نزلت على الأنبياء ثم على نبينا ﷺ والناس لا يكادون يفطنون لها حتى اذا كان هذا الزمان أخذ الناس يفطنون لهذا الوجود ويبحثوا فأذا هم يبحثون الى أن التواري عن الشمس والازنواء في البيوت والانهماك في اللذات كلها عذاب واصل . أما المطاعم واللذات فقد تقدم الكلام عليها مفصلا في ( سورة الشعراء ) عند قوله تعالى - واذا مرضت فهو يشفين - وفي ( سورة طه ) عند قصة آدم وفي ( سورة الحجر ) كما تقدم وفي ( سورة الأعراف ) عند قوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وفي ( سورة البقرة ) عند قوله تعالى - أنستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - فافقروا ما هناك فان فيه غنى لك ولذو يك وحكمة ونورا مبينا

وأما أمر الشمس فان الناس اليوم يعرفوا قيمة الخلوات والهواء والتعرض لضوء الشمس فعلى المسلمين أن يذروا ما عندهم من العادات وليكن لهم وجهة محبة يعلم وفهم وليعلموا أن الله عز وجل عمم نور الشمس وجهله سعادة ورحمة للطيور وللأنعام وللحشرات المقيمت في الحقول والبساتين فليس من المعقول أن يكون نعمة لهذه المخلوقات ثم هو نفسه يكون نعمة على الانسان

قد أجمع الأطباء أن ضوء الشمس يجب أن يتخلل جميع حجرات المنزل حتى تقتل الحيوانات القورية بل ان الأمر فوق ذلك . هاهم أولاء أهل ألمانيا أخرجوا التلاميذ من المدن والمنازل وأخذوا يعلمونهم في الخلاء ليتلقوا العلم وهم معرضون للشمس التي هي رحمة مرغوبة لاقمة مرهوبة ، فهناك ما طلعت عليه في مجلة كل شيء ، فافقروا قراءة من يريد أن يعمل بالعلم ، فإذا قرأته فتفكر فيه وغير نظام مدارس المسلمين وأخرجهم من ظلمات الحجرات الخفية القفرة وقل لهم أيها الناس إن الله جعل ضوء الشمس رحمة بنص الآية ثم ألهم

الأمّ وعلما عرفت فوائد الضوء فاعترفوا من رحمة ضوء الشمس ولا تحبسوا أبناءكم في تلك الأماكن القذرة التي لا يدخلها ضوء الشمس وابتعوا من فضل الله فهذا كلام الله وهذا عمل العلماء من عباده فهذا ما جاء في تلك المجلة بنصه

### ( التعليم في الهواء الطلق )

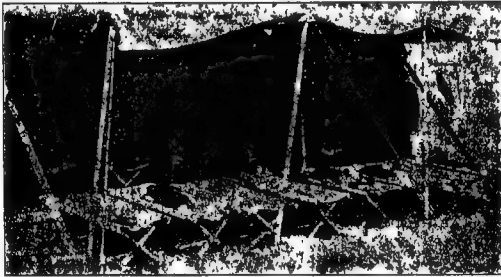
يؤمن الأطباء الآن إيماناً عظيماً بفائدة الضوء والهواء الطلق ، ولذلك هم ينصحون للرضى بالتعرض لضوء الشمس والتخفيف من الملابس بل ينصحون باستعمال الضوء الصناعي إذا كانت الأيام كثيرة كما هي في لندن . وقد بنى الألمان وغيرهم مدارس مكشوفة يجرى التعليم فيها في الخلاء فإذا أمطرت السماء أدى التلاميذ والمعلمون إلى الغرف ، ويرى القارئ ها ثلاث صور للمدرسة أطفال جديدة أنشئت قريباً من (بورجيه) في فرنسا وهي تجمع الصغار من منازلهم كل يوم بالأنوموبيل وتخرج بهم للخلاء فيجرب التعليم بين الحقول تحت الشمس عند اعدال الهواء ، فإذا لم يكن الجو موافقاً فقد التلاميذ في المدرسة الأصلية وهي بناء عادي به الغرف الخاصة بالتدريس وبهذه المدرسة الآن ٨٠ تلميذاً (انظر شكل ٢) و (شكل ٣) و (شكل ٤)



( شكل ٢ - التلاميذ في المدرسة الجديدة التي أنشئت أخيراً في فرنسا يلعبون في الحقول أثناء الاستراحة بين درسين )



( شكل ٣ - التلاميذ على المواد )



( شكل ٤ - التلاميذ في حيامهم في الحلاء يستريحون على أسرهم عقب العداء )

فلما اطلع صاحبي العالم على هذه الصورة وفيها التلاميذ في الحلاء معرضين للشمس . قال أتدري ما يقول الناس حين يرون هذه الصورة ، يقولون إنك تأتى بالجزئيات فتجعلها كليات ، هذه فرنسا ربما قام فيها أفراد وصنعوا هذه للتجربة وجعلوا مدارسهم في الحلاء تحت الهواء والشمس فهل يصح هذا قاعدة وعلماء وأيضا إن أمر الشمس يحتاج الى ايضاح ثم لماذا أدخل من على الرحة ومارأيك في تعليم المسلمين اليوم وغدا فقلت سأشرح هذا المقام في هذه الفصول ( الفصل الأول ) في منافع الشمس وما يتخيل الناس في مستقل أمرهم بالنسبة لها ( الفصل الثاني ) علاقة الشمس والهواء بارتقاء الأمم وفي ذلك ( مقصدان \* المقصد الأول ) آراء ابن خلدون في أن التضيق على المتعلم يورثه الخيبة وتقعده به عن المعالي ( المقصد الثاني ) فيما قاله العالم السويسرى الذى جاء الى مصر الآن ( الفصل الثالث ) في أن تباعد الناس عن الفطرة يضر بصحتهم ويقصر أعمارهم ( الفصل الرابع ) في شرح الكلام على الرحة في هذا المقام ( الفصل الخامس ) آرائى في التعليم عند المسلمين اليوم وفي المستقبل



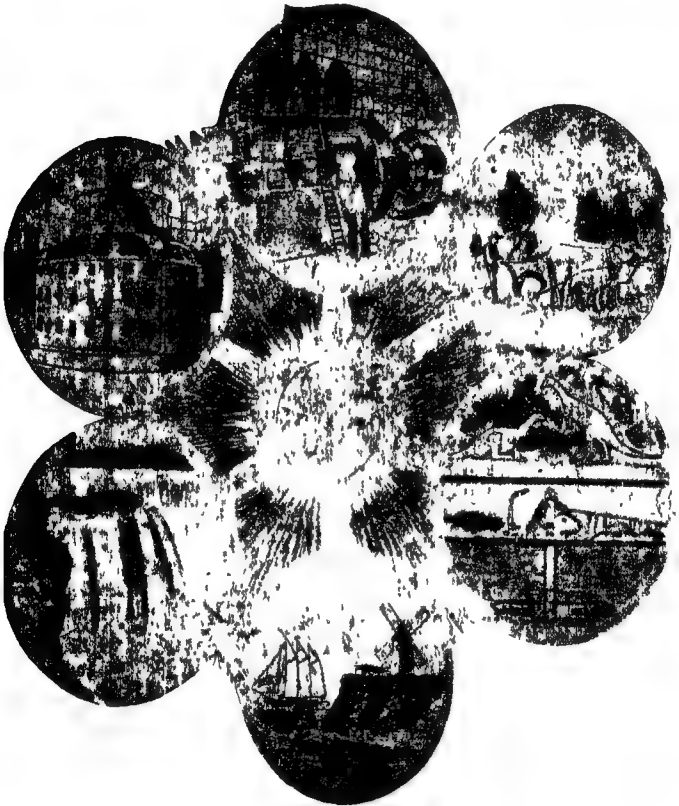
( الفصل الأول في منافع الشمس وما يتخيله الناس في أمرها غدا )

- (١) إن الشمس بها يكون البخار فيصير سحابا فطرا فيكون النبات والحيوان
- (٢) إن الفحم الحجري المظمور تحت الأرض من مئات ألوف السنين قد خزنت فيه حرارة الشمس وهامو الآن تجري به المركبات وتسرع الحركات
- (٣) بالشمس كانت الرياح اللاتي تجري بها السفن والمطاحن . إن الشلالات بها تستخرج الكهر باء والشلالات وما أشبهها نتائج الشمس لأن نفس الأنهار سببها الشمس
- (٤) وكل محرك كهربائي لا يسير إلا بقوة وقوة والقوة أصلها من الشمس
- (٥) وقد تخيل العلماء أن الشمس في المستقبل سيجعل لها زجاج بلوري يجمع الأشعة ثم يوزعها ومعنى هذا أننا بدل أن نرجع إلى ما خزن من حرارتها قديما في الفحم المظمور في باطن الأرض نتجه مباشرة لنفس الضوء بالآلات خاصة ونخزنه ونستعمله أي أننا نأخذ ضوء الشمس مباشرة بدون تلك الوسائط القديمة التي صنعها الله لنا لضعفنا وجهلنا ، أما الآن فالعلم يفتح لنا كل مغلق وهذا هو الرسم الذي تخيله الناس نقله من مجلة « كل شيء » ( انظر شكل ه في الصفحة التالية )



### ( الشمس مصدر كل قوة في الأرض )

هذا الرسم يبين أهمية الشمس للنشر وكيف انها للمرح الأملى لكل القوى التي تستخدمها على وجه الأرض ، وقد رسمت الشمس في الوسط ورسمت حولها بعض الأشكال التي تستخدمها قوتها أي الأحزمة التي تستمد قوتها من الشمس



( ٥ شكل )

- (١) آلة لاستخدام أشعة الشمس في المستقبل وهي صورة تخيلية
  - (٢) الأحياء كلها تستمد قوتها من الشمس إما مباشرة أو غير مباشرة
  - (٣) الفصح ليس إلا نباتا مطمورا والنبات إنما يحييه الشمس
  - (٤) الشمس تسبب حركة الرياح فتستخدم في المطاحن وفي السفن
  - (٥) الشلالات والأنهار إنما نشأت عن تبخر المياه وسقوطها مطرا
  - (٦) المحركات الكهربية لا تسير إلا بقوة مستمدة من الشمس
- ( إيضاح الصورة المتقدمة )

تكثر الصحف هذه الأيام من ذكر القلق الذي ينتاب العلماء بشأن غناد الوقود ، فالبترول والفحم سينفدان عن قريب ، وقوة المياه الساقطة محدودة ، أما قوة الرياح والمد والجزر فلم يحسها أحد إلا قليلا ولذلك يكد العلماء فراعهم لا بشكراطريئة للارتفاع بقوة الشمس مباشرة ، فكل ما في الأرض من قوة عززونة ماضية أو مستقبلية مرجعه الى الشمس وحدها في

- (١) رسم يمثل آلة لتوليد القوة من الشمس وأساسها زجاج بلوري يجمع الأشعة ثم يوزعها ، والرسم خيالي لأنه لم يتحقق للآن ولن يتحقق إلا في زمن بعيد جدا وفي
- (٢) صورة حارث يحرق الأرض ، فكل ما فيه وفي الأشجار واليران من قوة مستمد من الشمس فالشجر يحتزن قوة الشمس بواسطة ورقه وحية الحيوانات كلها متوقفة على حياة النبات والنبات لا يمكنه أن يعيش بدون ضوء الشمس . وفي

- (٣) يرى القارئ صورتين العليا تمثل الأشجار القديمة والزواحف المنقرضة . وهذه الأشجار قد طمرها التراب فصارت الآن خفا ، فصدر القوة في الفحم هو الشمس أيضا لأنها هي التي أنبتت نباته . وفي
- (٤) ترى مطحنة هوائية وسفينة وكلتاها تستغل الرياح والرياح لا تتحرك إلا بفضل الشمس التي تسلط أشعتها على بعض الأماكن فيخف الهواء عند ما يسخن ويرتفع فيأتي غيره مكانه فتتولد الريح . وفي
- (٥) يرى القارئ شلالا ينتفع بسقوط المياه منه في توليد الكهربية وقوته تعزى أيضا الى الشمس التي هي سبب تبخر المياه وتكوين الأمطار والأنهار . وفي

- (٦) يرى دينام كهر بائي ولده البخار الذي تولده الشمس أيضا فهي التي أوجدت الوقود لإيجاد البخار وبهذا تم الكلام على الفصل الأول

( الفصل الثاني في بيان علاقة الشمس والهواء ونحوهما بارتقاء الأمم وفيه « متصدان » المقصد

الأول ، آراء العلامة ابن خلدون في التضييق على المتعلمين فقد عقد فصلا عنوانه )

( فصل في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم )

قال ، وذلك ان ارهاف الحد في التعليم مضرّ بالتعلم سيما أصغار الولد لأنه من سوء الملكة ، ومن كان مرباه بالصف والقهر من المتعلمين أو المالليك أو الخدم سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعا الى الكسل وحمل على الكذب والتلث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعمله المكروا القديمة لذلك . الى أن قال وفسدت الحمية والدفاع عن نفسه ومنزله وصار عيالا على غيره ، ثم أخذ يقيس الأمم على الأفراد وضرب مثلا باليهود وانهم يوصفون في كل أمة وعصر بالحرج والتخايب والكيد وسببه ما تقدم ، ثم أخذ ينصح المعلم أن لا يستبد بالتعلم ويقتل من الاستاذ محمد بن أبي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين انه لا يزيد في الضرب عن ثلاثة أسواط ، وهنا ذكر موعظة عمر وخطاب الرشيد للأحرار معلم ولده وقوله له يا أحرار إن أمير المؤمنين الخ

هذا ما قصدت نقله من مقالة العلامة ابن خلدون وهو وإن لم يكن فيه نص على الهواء والشمس اللذين نحن بسدد الكلام عليهما مناسبة الآية فيه ذكر العناية بالتعلمين وإن في إلالهم بوضعهم في حجر ضيق ومنع الهواء والشمس عنهم ضرراً أشدّ وذلاً أعظم من الضرب وهذا هو الذي صرح به المستر (مان) الذي انتدبه وزارة المعارف المصرية أثناء طبع هذه السورة من علماء النفس والتعلم في بلاد سويسرا وهو الذي عقدت له

### ﴿ المقصد الثاني ﴾

فإن وزارة المعارف كلفته أن يضع تقريراً وافياً عن التعليم في مصر بجميع فروعها ، فمن حسن حظ هذا التفسير أني اطلعت على ما كتبه في هذا الصدد فأريته يقول ﴿ لقد رأيت مدارس كثيرة في نفس بلاد الريف والحق حول المدارس حسن جيل والزراع تحيط بهم والتلاميذ مع ذلك لا تلبس عليهم ملابس السرور فكأنهم محبسون وقد حرّموا من الهواء والشمس ، ونصح المعارف أن تجعل الشمس والهواء يحيطان بهم وأن يجعل لهم حرية في الذهاب والإياب وأن يشعرهم المعلمون بأن لهم كرامة الخ واقترح أن المعلمين يذهبون بهم أحياناً إلى الغلاء في الشمس والهواء ويعلمونهم هناك اه

أفليس هذا من الحب ، أتى بعد أن أحضر صورة المدرسة الفرنسية أطلع على التقرير أثناء ترجمته فأجده يصرح بأخراج التلاميذ إلى الغلاء في الشمس أحياناً . أليس هذا من التأييد لهذا التفسير . ومعلوم أن جميع مدارس أوروبا تنحون نحو الغلاء والشمس والاستقلال

### ﴿ الفصل الثالث في أن تباعد الناس عن الفطرة يضر بصحتهم ويقصر أعمارهم ﴾

إن هذا الموضوع مناسب لما قبله مرتبط به ، ذلك أن العلامة (فلند) ألف كتاباً موضوعه (إطالة العمر) فقد قال هو وغيره ﴿ إن الكلب يبلغ تمام نموه في سنة ونصف ، والحصان في ثلاث سنين وهكذا السكل حيوان زمان يتم نموه فيه ومدة تمام النمو المذكورة تبلغ ثمن عمره إذا لم يقتل بسبب آخر ، فيعيش السكل (١٢) سنة ويعيش الحصان (٢٤) سنة ويقاس عليهما بقية الحيوانات ﴾

ثم قال هو وغيره ﴿ إن نهاية نمو الإنسان تكون في (٢٥) سنة وبضربها في (٨) تكون مائتي سنة والسبب الذي منع عن الناس طول عمرهم أهمه لا يعيشون بالبساطة والقناعة والاعتدال بل يفرطون في كل أمر مع الانحراف عن النظام الطبيعي ومن ذلك العبودية للشهوة والتقليد والبالة والزي . أنا لست أقول هذا الكلام حق من كل وجه . كلا . وإنما أقول علينا أن نعتدل لنصح أجسامنا ، وقد ذكر أن (هنري) عاش (١٦٩) سنة وهو إنجليزي و (جون بافن) البولندي عاش (١٧٥) سنة و (يوحنا) النورويجي عاش (١٦٠) سنة و (لويز مابار) عاش (١٥٢) سنة . وهناك رجل زنجي يعيش الآن وعمره (٢٠٠) سنة اه

### ﴿ الفصل الرابع في الكلام على الرحة ﴾

يقول الله تعالى - ومن رحته - الخ . معلوم أن أول السورة - بسم الله الرحمن الرحيم - والمسلم في كل صلاة يذكر الرحة عشرات المرات ، فالرحة تكرر في كل زمان ومكان . يقول الله - ومن رحته جعل لكم الليل والنهار - الخ فهذه الشمس الضيئة التي جرت بها الأنهار والرياح والسحاب واخضر الزرع وعاش الحيوان والإنسان وجرت السفن والقطرات والكهرباء وبها كانت الأصابع المخترة الكثيرة التي تفتخر بها الغادات فهي كلها من القطران المستخرج من الفحم كما تقدم في آخر (سورة النحل)

فهذه الشمس ومنافعها التي لا حصر لها من بعض رحته . ومعلوم من حديث الصحيح أن الرحة في الأرض واحدة نشأ عنها هذه السعادة في الأرض والرحمة بين الأمهات وذريتها والآباء وأبنائهم في الإنسان والحيوان وهذه الرحة واحدة من مائة رحمة أخرى جعلها للناس في عالم آخر بعد فراق هذه الأرض

### ﴿ الفصل الخامس آرائى فى التعليم عند المسلمين اليوم ﴾

إن الأمم الإسلامية فى الأكثر اليوم ليس عندها إلا السكتاتيب للعدّة لحفظ القرآن وهى فى أكثرها أشبه بالمقابر قد نزلت لاضوء فيها ولاهواء إلا قليلا وهذه مضرة بالتعليم باجتماع الأمم . فقال صديق العالم هل تظن أن المسلمين يقنعهم هذا القول ؟ هذا يقنع الرافقين منهم لأنهم يعلمون اتساع ديننا . أما الأمم المتأخرة منهم فانها لاتنق إلا بما يرد عن المتقدمين . فقلت أذكرك بما ورد أن النبى ﷺ كان يوحى اليه وهو سائر فى الغزوات ومضى نزلت عليه آيات أوسورة اجتمع القوم أولهم فى الطريق وآخرهم وهو على دابته يقرأ لهم ما نزل عليه ﷺ فهاهو ﷺ أتى عليهم الدرس فى الشمس والهواء الطلق . أغليس هذا يكفيك أن تعرف أن جالس المسلمين فى الهواء الطلق موافق للسنّة النبوية . ومن عجب أن الحج فيه الوقوف بعرفة ورمى الجمار والسعى بين الصفا والمروة وهكذا جميع أعمال الحج . وترى الحاج قد امتنع عن كل زخرف فى هذه الحياة ولا يلبس الخيط وانما يلبس إزارا ورداء ، فكيف كان الحج على هذا النمط ؟ نعم هذا أمر تعبدى . نحن لا نترك ذلك ولكن هذا التعبدى ظهر بعض سرّه اليوم . الله أكبر . يتجرّد الحاج من الخيط ويقف عارى الرأس تحت الشمس المحرقة يوم عرفة ويهرول بين الصفا والمروة . أليست هذه مبادئ سنننا عليها أم بعدنا سعادة للإنسانية غير هذه الحال . إن آدم أكل من الشجرة والقرآن والتوراة وغيرها صرحت بذلك وعصيان آدم وبه نزل به القرآن فهو مع محته يرمز به لحالنا نحن . فهاهى ذه الأعمار قصرت لانحراف الناس فى ما كلهم ومشاربهم وملابسهم وفى طمعهم وفى شرهم ولناهم فهلكوا سريعا

إن بنى آدم باجتماع الأطباء انخروا عن سواء السبيل فى أحوالهم النفسية والجسمية ، فرأينا الصحابة رضى الله عنهم يأكلون الخبز غير منخول زهدا فى الدنيا ، ولكن العلم الحديث اليوم أثبت أن هذا ممتنع لأبدانهم ، وهاهى ذه الأمم تتحننحوهم طيبا لا زهدا ، ومثلها مسألة الحج فهى لنا تعبد ولكن من الذى تعبدنا ؟ الذى تعبدنا هو الله . ولما نظرنا وجدنا أن الأمم اليوم تستغنى بالشمس (انظر ما تقدم فى سورة الشعراء شكل ١٠) فانك ترى الفتيات فى الشمس يستشفين بنورها ، ثم انظر المدرسة الفرنسية فى هذه المقالة التى ترى تلاميذها مكشوفين للشمس . إذن البساطة فى الحج من حيث الملابس وظهور بعض الجسم للشمس هو أولا عبادة مقدسة وثانيا هو مبدأ يتخذ للشفاء والصحة والقوة والعلم وهذا ضد الترف المهلك للأمم ونفس المهرولة بين الصفا والمروة مبدأ يقاس عليه الحركات التى تقوى الأجسام وهذه كلها حكم غير حكمة العبادة المقدسة العالية . أليست ترى أن تقليل الملابس وكشف بعض الجسم للشمس وترك الترف هو هذا الذى يحبه النوع الإنسانى الآن ليسعد بالحياة وقصص أجسامه . إذن الحج من فوائده فتح باب التجرد من أمور الزينة والشهوة لتصح الأجسام ومنها فتح باب الرياضة البدنية وأيضا اجتاع الناس فى مكان واحد ولبسهم ملابس متماثلة رجوع بهم الى الفطرة الأولى وفيه إشارة الى انكم أيها الناس جميعا يجب أن تتعارفوا وتتركوا الترف والنعيم وهذا الترك هو الذى يجمعكم واللذات تفرقكم ، والصوم يلحق بالحج لأن فيه ترك الأكل فأما الصلاة فهى درس اجبالى لجميع العلوم كما أوضحته فى بعض هذا التفسير ، الصلاة مبدأ العلوم والزكاة مبدأ المودات بين الأمة والحج مبدأ المساواة العامة وحجة البدن وهكذا . انتهى نصف الليل ليلة الأربعاء ٢٦ يونيو سنة ١٩٢٩ وهذا تم الكلام على القسم الثالث من السورة

### ( القسم الرابع )

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ

بِالْمُصِيبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَنْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ \* وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِينَ \* قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ \* نَخْرَجُ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زَيْتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَكُنُوزٌ عَظِيمٌ \* وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ \* تَخَفَتْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ \* وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَانَنَّ اللَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَانَنَّ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ \* تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ \* مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ \* إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَادِرَ قُنٍ رَأَىٰ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُبَلِّغُكَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونْ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ \* وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونْ مِنَ الْمُسْرِكِينَ \* وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \*

هذا القسم تطبق على ما تقدم من أقسام السورة راجع إليها متمم لها مكمل لمقاصدها منه لما ترى إليه ،

ابتداء الله السورة بما يأتي

- (١) بذكر أن فرعون علا في الأرض وأنه من المفسدين
  - (٢) ثم ذكر قصة موسى وفرعون ونجاة الأول وهلاك الثاني وقومه
  - (٣) ثم أردفه بذكر نظير ذلك من كفار قريش وأفهمهم أنهم كقوم بطروا معيشتهم غربت ديارهم
  - (٤) ثم أتبع ذلك بمن أنعم عليهم وتعلموا وشكروا
- ذلك ملخص السورة ، ثم أتبع ذلك بذكر قارون وأنه بنى على قومه وقد كثرت له فاطره الفنى ونسبه إلى علمه وتكبر على قومه واقسم الناس في أمره (قسمين) قسم العلماء وهؤلاء حقروا زينة وماله وقسم الجهلاء وهؤلاء تمنوا مثل ما أعطى قارون ، فلما وقعت واقعة وانشقت سماء مجده فسكانت واهية وسقط قارون في الهاوية عرف الجاعلون الحقيقة بهذه الحادثة وأدركوها تلك الكارثة فأما أهل العلم فلم يزددهم إلا ثباتاً ،

إن ذلك أشبه بما حصل لفرعون وموسى ومحمد ﷺ وكفار قريش ففرعون وكفارون وكأهل مكة لما طغوا وأسرفوا واستكبروا وتدمير قارون وما ملكه كدسب فرعون وجنوده وكذلك هلاك قريش . لذلك ختم السورة بأن الدار الآخرة يحرم منها ﴿ انان ﴾ العالون في الأرض والمفسدون وينالها من تزوها من هذين وهذا نظير ما في أول السورة - إن فرعون علا في الأرض - الى قوله - من المفسدين - فهنا يقول الآخرة لمن لم يتصف بهذين الوصفين وتجرّد من الأمرين وقار بالחסنيين التواضع واصلاح الأرض . ثم ختم السورة بأن كل شيء هالك إلا ما كان على نسق برضاء الله كما كان موسى ومحمد ﷺ والذين أتوا العلم مع فرعون وقريش وقارون ، وملخص ذلك أنه لا آخرة إلا لنبي أو حكيم أو عالم أو متبع سنتهم . فهؤلاء هم الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً فكان السورة في هذا المقسم خلعت مرتين مرة في قصة قارون ومرة في قوله - كل شيء هالك إلا وجهه - في آخر السورة . اذا عرفت ذلك فلنشرع في

### ﴿ تفسير الألفاظ ﴾

قال تعالى (إن قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه (فبي عليهم) طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره وتكبر عليهم وظلمهم (وأتيناه من الكنوز) الأموال المتآخرة (ما إن مفاتيحه) أى خزائنه جمع مفتاح فتح الميم وأما ما يفتح به فهو يكسرهما وما يعنى الذى منصوب والجملة ملته (لتنوء بالعصبة أولى القوّة) أى لتثقل العصبة ، فإياه إذن للتعبية ، يقال ناء به الجمل اذا أثقله حتى أماله والعصبة الجماعة الكثيرة والقوّة الشدّة ، وقوله (إذ) متعلق بقوله (قال له قومه) المؤمنون ونبههم موسى عليه السلام (لالتفرح) لانتظر بكثرة المال كما قال تعالى - ولاتفرحوا بما آتاكم - وكيف يفرح الناس بما أتوا وهم زائلون من هذه الأرض (إن الله لا يحب الفرحين) يترخف الدنيا لأنهم قوم غافلون ، ثم أبان المقصود من المال في هذه الدنيا فقال (وابغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بأن تكون أباً لأنتك ناظراً في شؤونهم مرقياً لهم حافظاً لكراماتهم حريصاً على إسماعدهم بحيث يكون مالك معيناً لقرائهم مرقياً لهم (ولانس نصيبك من الدنيا) لأنك واحد منهم والمال مال الله والخلق عياله ، فليس معنى إغناك المال للناس أن تنسى نفسك . كلا . بل ابدأ بنفسك فاذا نسبت نصيبك من الدنيا فأنت مذنب لأنه لا معنى لإحياء نفوس الناس ومائة نفسك واصلاح حياتهم وفساد حياتك ، ولما قرره هذه الحقيقة أخذ يتم تحريضه على الاحسان فقال (وأحسن كما أحسن الله اليك) لأن ما لديك من المال والقوّة والعلم ليس منك وإنما هو من الله وكما أن ضياء الشمس والكواكب من الله خلقه فانه الى خلقه منفعة هكذا ما أنعم الله به عليك فهو من الله والى عبادته ومنهم نفسك (ولانغ الفساد في الأرض) بالظلم والبنى (إن الله لا يحب المفسدين) لسوء فعلهم فأجاب قارون ناسياً أن الله هو الذى وهبه هذه النعم مدعياً أنه استصفها بقوّة فطنته وذكائه وعلمه (قال إنما أوتيته على علم عندى) فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم في المال والجاه أى إنما أوتيته حال كوني على علم كائن عندى كعلم التجارة والكيمياء ، ولا جرم أن العلوم كلها كشجرة ذات أغصان وفروع فمن اقتصر على أحدها أغرم به وجهل سواه ، ومماثل الناس إلا كمثل قوم عمى أسك كل يحزم من الشجرة فقال أحدهم إن هذه الشجرة باعثة رائحتها ذبيبة وهو قد أسك بالزهرة وقال آخر إن هذه الشجرة خشنة مدبورة وقد أسك بالجذع وقال ثالث إن هذه الشجرة رقيقة كورق الكتابة كثيرة القطع معلقة في سقف مربوطة بحبال بدقيقة يريد الورق وهو متصل بفروع صغيرة دقيقة هكذا العلوم من قرأ منها علم التجارة أو علم الكيمياء على فرض استخراج الذهب به فانه يغرّم به ويقول إنما العلوم لجمع المال وهو المقصود وماعدها جهالة . ومن قرأ علم الزهد والتصوّف احتقر المال وتعلق بأسباب الكمال وتهذب النفس وهنا قارون كان من القسم الأول وكلا القسمين في نقص مشين فلا بد من معرفة سائر العلوم معرفة اجالية ثم التفرغ لواحد منها ولا يكون المسلم كما كان قارون

يحفظ علما واحدا ويجهل سواء فيعيش ناقصا وحيدا لأن ذوقه لا يطابق أذواق الناس فيصح عالم التجارة عدو صاحب تهذيب الأخلاق ويكون الناس في تقاطع ، فعلى الناس أن يقرؤا سائر العلوم فعمل الزهد لا بد منه لدى المال حتى لا يكون أحدهم مغرما بالمال فتضيع حياته سدى ولذلك وبخه الله فقال لماذا عرفت علوم الدنيا وتركت علوم الآخرة والدنيا والآخرة لي ، هلاقرأت العلمين (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) لئلا أى أغره علم المال فافتخر به وجهل علم تواريخ الأمم الفائرة والقرون البائدة وكفى فيهم من كانوا أكثر منه مالا وأعز نفرا فهل كانوا

فقل لمن يدعى علما ومعرفة \* حفظت شيئا وغابت عنك أشياء

ولذلك يقال « البلاءة خير من الفطانة البتراء » هؤلاء جميعا واقعون في الهالك محكوم عليهم بالاعدام لافرق بين الأولين وبين الآخرين ومنهم قارون انهم يهلكون بذنوبهم لأن الله علم بظواهر ذنوبهم كما هو عالم بواطنهم فيهلكهم (وليسأل عن ذنوبهم المجرمون) وكيف يسألون وأمرهم عنده معلوم ، ثم أعقبه بذكر بعض ذنوبه ليعلمنا الله كيف تكون الذنوب الكبائر والمواقف الكسنة في مظاهر لا يظنها الناس إنما ولا يتقدمونها ذنبا بل تلك المظاهر أحوال عادية وأمور مباحة مظاهرها رجات وباطنها زلات بل أعظم الزلات فيا ليت شعري أى شئ وأى إثم فى قوله تعالى (خروج على قومه في زينته) وماذا فعل ؟ يقال انه خرج على بطة شهاء عليها سرج من ذهب وعليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ثلثائة جارية يضاء عليهم الخلى والثياب الخروهن على البغال الشهب ، ولأحاجة الى نقل أقوال غير هذا لأنها عبارات متقاربة وإنما المقام مقام هذا السؤال أى ذنب فى هذا وهل ظهور الانسان مع نسائه ومع الفرسان وعليهم ملابس جبيلة حرام ، إن هذا ليس بحرام إلا اذا كان هناك بعض ملابس محرمة وهذه الملابس حرمها من الصغار . إن هذا المظهر مظهر مباح فما ذنب قارون إذن ؟ ولماذا يذكر ذلك المظهر بعد قوله - وليسأل عن ذنوبهم المجرمون - وهل اذا غنى الجهال مثل ذلك الجمال والزينة إذ (قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لم يلاحظ عظيم) من الدنيا ، هل هذا ذنب لقارون وإنما هؤلاء لجهالتهم تمنوا مثل قارون كما ترى ونسمع في كل قرية وبلدة وضعة هذه العبارة بعينها حتى ان الرجل والشاب والمرأة والفتاة يقول كل منهم يا ليت لي مثل ما أوتى فلان وفلانة على أى نعمة كتب جيل أودابة يركبها أو بهيمة يأكل لبنها أو مزرعة يحصد غلتها وما أشبه ذلك ، إن هذه عادة جميع أهل الأرض في زمن قارون وقبل قارون وبعد قارون ، فما ذنب قارون إذن ؟ نعم ذنبه ظاهر فى الآية إذ قال تعالى - فبنى عليهم - وسأيت ما فعله من أنه برطل المرأة الباغية لتهم سيدنا موسى ، فهذا بعض البنى منه ولذلك دمه الله وخسف به وبادره الأرض . أقول ولكن ذكر خروجه على قومه في زينته لا بد فيه من أمر خفى والأفضل اذا يذكر بعد ذكر هلاك الأمم وأن المذنب منهم ليسأل عن ذنبه كما قال تعالى - فيومئذ ليسأل عن ذنبه إنس ولأجان - والجواب على ذلك ، ان من الذنوب ذنوبا باطنية وقال علماؤنا رحمه الله انها أشد فتكا بالانسان من الذنوب الظاهرية . إن الله لم يذكر في القرآن إلا انه بنى على قومه وانه - قال إنما أوتيته على علم عدى - وانه - خرج على قومه في زينته - ولم يذكر مأسأته عليك مما نقله المفسرون عن بنى اسرائيل من أمر المرأة وغيرها ، فلنبحث فى هذا الذى جاء فى الآية . إن فيه لكبائر الذنوب مثل الكبرياء والاعجاب والتعالى على الناس . فهذه وأمثالها ذنوب كبائر ويقول علماؤنا انها هي المهلكة . إن هذه المظاهر إما أن تكون من أشرف الأعمال وإما أن تكون من أسفلها فاذا كانت لاظهار مجد الأمة وقهر عدوها وكسر نفسه واظهار العظمة الدينية والقومية فهي جهاد فى سبيل الله . فأما اظهارها لاذلال النفوس وكسر القلوب والتعالى على الاخوان وأبناء السلاسل فذلك تفرق للكلمة واظهار للعظمة فى غير موضعها فان الناس اخوانه ومتى تعالى عنهم خففهم فلا جامعة بينهم ولا رابطة تربطهم



فيذلون في الدنيا بانقضاء الأعداء عليهم وفي الآخرة بجهمهم . فظاهر قارون كانت من القسم الثاني قصصا الله يعلم المسلمين ويقول لهم لتكن نفوسكم شريفة وإياكم أن تطغوا إنما نظرى لقولكم لا تصوركم ، فكم مظهر نعمة يريد بها تعالى والتفاخر ، وكم مقيم زينة وصانعة وليمة أو عرسا أو مأثما وهو في ذلك كله كقارون ، ليست هذه المظاهر عند كثير من الناس إلا ليظهروا بها الكبرياء والتعالى على الناس وإظهار العظمة - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون \* أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون - إن هذه الآية وردت في المرتين ، ففعل قارون وأمثال قارون من كل ذي مال ولو قل في الأمة الإسلامية يدخله الرياء والاعجاب بالنفس والكبرياء والتعالى على الأقران وهي هي المهلكات المزججات قال تعالى - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون - هذا هو القرآن وهذا كلام الله وأكبر مصيبة حلت بالإسلام أن الذنوب الباطنية لم تذكر في مدارس التعليم واكتفى الناس بالأحكام الشرعية الظاهرة وظنوا أن التعليم في البواطن خاص بالمجاذيب والصوفية وهذا من أكبر عيوب التعاليم الإسلامية . إن هذا هو السبب في أنك ترى بعض المسلمين في المكتبات العاتقة النافعة لا يسعدون ، ويرى الناس يصرفون أموالهم في الزينة والزخرف والسفر إلى أوروبا للترفيه والرياضة ومصراتي هي بلادى يسافرنها كل سنة نحو خمسين ألفا بصغافون في أوروبا ، وترى الناس في المآتم والأعراس يدفعون أموالا كثيرة ، كل ذلك لأن التعاليم الإسلامية اليوم لم تدخل القلوب . إن التعاليم الإسلامية إنما قصرها الناس على ظواهر الأجسام وتركوا القلوب فارغة لاعلم ولا رجة ولا احساس إلا آماج عفوا وبدون قصد . فأما تربية الوجدان فانها متروكة للأهل والأقارب والبيئة . إن المسلم إذا سمع هذه الآيات يقول انها في الكفار فأما أنا فيكفى الإسلام وهذه أكبر خطر . يقول المسلم « مادمت لا أؤذي أحدا ولا أسرق ولا أنزى فأنا لاذنب علي » وهذا هو الخطأ الفاحش والذنب العظيم . إذن أين أمثال هذه الآيات ولم أزل القرآن . إن استار المسلم بالدين واحتججه به وقوله في مسلم وإنما هذه الآية واردة للكفار هو الذي أوقع الأئمة في الجهل وضياح المل والبخخ والزينة والاسراف ونفس بنا وبدارنا الأرض خسفا معنويا وذلا حقيقيا . فلئن خسف بقارون وداره الأرض فهلك هلاكا حسيا فلقد خسف بنا وبدارنا الأرض خسفا معنويا ، فأينما تول وجهك في بلاد الإسلام لا ترى إلا جهالة عمياء وضلالا ورياء إلا قليلا من ذوى النفوس الشريفة فهم الذين يرجع إليهم وسيقومون بنشر أمثال . هذه بين المسلمين وسيرجع للإسلام محمدا على يديهم ويكونون نورا للمسلمين . إن الله ماقص هذا القصص إلا ليرينا أن أمثال هذه الذنوب كالكبرياء والرياء والتعالى ليس ذنبها في الآخرة وحدها بل شؤمها يحصل في الدنيا كما حصل اليوم للمسلمين ، هذا في ذنب قوله تعالى (وقال الذين أوتوا العلم) بأحوال الدنيا والآخرة لأولئك الممتنين (ويلكم) دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى كيف تتعالون بالزينة وتفخرون بالحلية (تواب الله) في الآخرة (خير لمن آمن وعمل صالحا) مما أوتي قارون ومن الدنيا وما فيها (ولا يلقاها) أى المتوبة أو أوجهة والعمل الصالح (إلا الصابرون) على الطاعات وعن المعاصي وبذلك الصبر وحفظ الشهوات يصرفون ما لهم لوجه الله وللأعمال العاتمة ويكونون قدوة صالحة ويرفعون أمتهم ويحفظون مجدها ويتحلمون ما لهم لاسعاد أمتهم فينالون بذلك الصبر الثناء في الدنيا وحب الناس وفي الآخرة يدخلون الجنة فانه لا آخرة إلا على حسب الدنيا . إن النفوس الإنسانية مصروفة إلى الهوى والشهوة والعادات الموروثة والأمور المحسوسة . انظر الى الصلي انه يريد أن يوجه قلبه في الصلاة لله ولذلك الذكر والقراءة والحق فلاتطوعه نفسه وتنصرف الى أمورهمها . هذا طبيعيا فإذا جاهدتها مرة بعد مرة قوت وثبتت وتذكرت ثم يصير ذلك عادة جديدة ثم يستلذ بها هكذا في المال تنصرف النفس الى الزينة وإظهار الشرف والغنى والجاه والثروة فإذا وجدت من يفهمها أن المال ليس لهذه السقاسف بل للثبته

الدين وشريف العواطف ويذكر هامة بعد أخرى صاد ذلك عادة لازمة واستلذ بها لذته دائمة ويسمع نداء الناس عليه والأخرة خير وأدوم . إن اتجاه قلب المصلح بعد شموسه وجاحه وشروده وانقياده بعد نظوره للحضور في الصلاة وصرف ذى المال ماله للحتاجين وللتنافع العاقبة بعد ربايته وكبرياه وجهالاته لم يكن إلا بالصبر . إن ردع النفس عن طبعها لا يكون إلا بالصبر عن المألوف والبذل المعروف . هذا معنى قوله تعالى - ولا يلقاها إلا الصابرون - ولا جرم أن قارون لم يكن منهم كثير من أمثاله من أغنياء الأمة الاسلامية الآن بل انه استعان بالمال على اهانة قومه وعصيان ربه ككثير من أغنياء المسلمين الآن وقد ذكر المفسرون منها ما يأتي (١) أوحى الله الى موسى أن مر بنى اسرائيل أن يعلقوا في أرديتهم خيوطا أربعة في كل طرف خطا أخضر تكون السماء يذكروني به اذا نظروا الى السماء ويصلون الى منزل منها كلابي فامتثل بنو اسرائيل وتكبر قارون وقال هذا فعل الأرباب لعبيدهم

(٢) جعل الله الحبورة لهارون وهي رئاسة المنيع فكان بنو اسرائيل يأتون بقراباتهم الى هارون فيضعها في المنيع فتزل نار من السماء فتأكله فحسد موسى وهارون وقال أنا أقرأ التوراة وأنت تنال الرسالة وهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك فأقام له موسى الحجة أن هذا من الله فعدتاه سحرا . ذلك أن القوم وضعوا عصيهم في قبة وحرسوها طول الليل فأورقت عصا هارون ولم تورق سواها من العصي فقال هذا سحر ك المعهود ولكم سحرت قبل هذا

(٣) أمره بالزكاة فلما جمعها استكثرها وعصى ولم يعطها

(٤) أراد أن يفضح موسى بين بنى اسرائيل فبرطل بيا لترميته بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محسن جلدناه ومن زنى محسن رجعنا فقال قارون ولو كنت أنت قال ولو كنت أنا قال إن بنى اسرائيل يزعمون أنك جرت بفلاحة فاستحضرت فنادى موسى عليه السلام بالله أن تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على أن أريك بنفسى غفرت موسى شاكيا منه الى ربه فأوحى اليه أن مر الأرض بماشت فقال يا أرض خذيه فأخذته الى ركبته ثم قال خذيه فأخذته الى وسطه ثم قال خذيه فأخذته الى عنقه ثم قال خذيه فغسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الأحوال فلم يرجعه فأوحى الله اليه ما أظلمك استرحك مرارا فلم يرجه وعزتي وجلالي لودعاني مرة لأجته ثم قال بنو اسرائيل انما فعل ذلك ليرته فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله

إن ذلك كله كان نتيجة عدم صبره أى انه لم يصحح جراح نفسه عن رعونتها وميلها الى الكبرياء والشهوات والقرآن لم ينجح فيه هذا التفصيل وليس فيه إلا قوله تعالى (غشنا به وداره الكبرياء) مرشدا بذلك المسلمين أن يصرفوا هواهم عن التعالى والكبرياء والتعالى في الزينة لئلا يخسف بهم وبما لهم الأرض كما حصل الآن فقد أصبح ما لهم تحت تصرف غيرهم من الأمم المحتلة وذلك لجهلهم وقلة علم وعاطفهم إلا قليلا فصرف الناس أموالهم وعقولهم في الرياء والمباهاة وجهلوا المقصود من المال ومن الحياة فضاعت بلادهم وهذا هو الخسف العظيم ، وأى شيء خسف قارون وداره ؟ الخسف الآن خسف الأمم بتأمرها ، يدخل جيش الأعداء القاهرة في بلدة من بلاد الاسلام فيصبح الناس عبيدا للغاصبين ونهية الطامعين ، ذلك هو الخسف الأكبر ، خسف أمة لاخسف فرد ، فليخسف الفرد ولتبقى الأمة ، أما الأمم الاسلامية الحديثة فانها ابتليت بخسف الأمم والأفراد ولجهل كثير من العواطف الغافلين الساهين الناعمين الجاهلين ، الخسف حتم لكل مرء وبإف وجاهل بمقاصد المال ومقاصد الصحة والعلم ، يخسف بهم سواء أكانوا أمم أم أفرادا كقارون (فما كان له من فئة أعوان ينصرونه من دون الله) فيدفعون عنه عذابه (وما كان من المتصدين) المتعدين منه يقال نصره من عدوه فاتصرا اذا منعه منه فامتنع . وكيف يكون له معين . وكيف يكون للأمة الغافلة ناصر

وهو هو قد فرطوا في قواهم وأضاعوا مجدهم وخربوا بيوتهم بأيديهم . إن النصر للصابرين . إنما النصر نتيجة الصبر على حفظ المال وحفظ الشهوات والعقول وجعل ذلك كله للفضائل والمنافع العاتية

﴿ ضرب مثل لحال المترفين في ما لهم بالمترفين في ما لهم ﴾

أضرب لك مثلا بوضع لك السابق كله لتعلم أن هذه الآية لم تنزل في القرآن لتعجب الجاهل من قارون كيف خسفت به الأرض وكيف كانت البنى لم يفرها المال بل نطقت بالحق وهو براءة موسى وأشباه ذلك . كلا . إن هذه القصص جاءت لحقائق علمية ومعاني قدسية وحكم عقلية وآيات عمرانية وبحاجب نظامية وسعادة اسلامية للسلمين في مستقبل الزمان . قال أطباء هذا العصر من النصارى والألمان وغيرهم ﴿ إن الذين يتعاطون اللحم والبيض واللبن وأمثالها من كل ما فيه غذاء كثير التغذية تقوى أجسامهم وتحمل وجوههم ويمسدهم أقرانهم لأن المواد الغذائية في هذه الأصناف الثلاثة قوية فتدخل في نسيج الجسم وخلياته بقوة فتملؤها فيظهر ذلك على الوجوه والأعضاء وتحمل الخلود وتقوى الجسوم . وهناك فريق ثان ضعيف البنية منهوك القوى قد أضر به المرض فظهر في جسمه القروح والبثور والعوارض الكثيرة وهو يئن من المرض ولا يقوى على هضم الطعام أحيانا ، فيقول الناس إذا رأوا الأول قائما بينهم هاشا باشا باليتنا كنا مثله ويمسدون على ما آتاه الله من قوة الجسم والبدن والجمال والحسن وبيننا الناس على هذه الحال إذا ذلك القوى المتين خرب صريعا في يوم أو بعض يوم ، أما ذلك المريض الضعيف فانه كثيرا ما يعيش بعد ذلك سنين وسنين وهذا أمر عجيب ، الغذاء حسن جيل مقو فلهل المقوى صار ؟ وماذا يصنع الناس ، فأجاب هؤلاء الحكماء قائلين اعلم أن الرجل القوى الجسم كان ضعيفا والضعيف الجسم كان قويا لأن القوى الجسم لما أكل هذه المواد السامة وامتلاّت به أنسجة جسمه ولم ترحم تلك الأنسجة ولم تشفق عليها ولم تكن كالأغذية الواردة عليها من المواد البنائية والفواكه والحبوب ، تلك الأغذية التي تدخل تلك الأنسجة بلطف وتؤدة لأنها ليست كثيرة التغذية بل قوة الغذاء مصحوبة بمواد أخرى تحول بينها وبين تلك الأنسجة فلا ترهقها كأرقتها أمثال اللحم وماعه أقول لما حصل كل هذا في جسم ذلك القوى ظاهرا وامتلاّت الأنسجة بالمادة الغذائية احتاج الجسم أن يخرج الفضول ويستريح مما زاد عن قوة الأنسجة الممتلئة فلا يجد لذلك سبيلا فامتلاّ الجسم كما يمتلئ النهر بالماء حتى يفيض ولا بد من قطع موضع من الجسر ، هكذا ذلك الجسم يمزق في يوم أو بعض يوم ، أما ذلك الضعيف فإن جسمه لما امتلاّ كذلك القوى فانه لقوته فتح منافذ سبهاها الناس أمراضا كالقروح والبثور والأمراض فتخرج الداء من الأجسام ويستريح الجسم وما ذلك بداء وإنما هو موجه للجسم وإخراج للفضلات منه فتكون النتيجة هكذا . المريض قوى والصحيح ضعيف .

هذا هو الذي قاله الأطباء في العصر الحاضر وبنوا على ذلك أن الانسان خبره أن يأكل البقول والفواكه والحبوب وأن يتنع عن اللحم والبيض واللبن أو يقلل منها ما استطاع لذلك سبيلا . أفلم ترى أن صاحب الثروة الواسعة الذي أشبه قارون في بذخه كذلك القوى الجسم . أولست ترى أن الذي أنفق ماله لأهل قريته ورفع أمته وذلك العالم الذي جعل علمه لأتمته أشبه بذلك المريض الذي قوى جسمه على دفع الأذى . ألا ترى أن ما يظنه الناس انه فقر عند ما يسطون المال مستحقه أشبه بما يظنه الناس مرضا بظهور القروح والبثور فاذن يكون المنفق غنيا والممسك المتباكي بلا زينة فقيرا . أوليس هذا أشبه بما في قوله ( وأصبح الذين تمنوا مكانه ) منزلته ( بالألمس ) منذ زمان قريب ( يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ) يبسط ويقدر بمعنى المشيئة لا لكرامة تقتضي البسط ولا لظن يوجب القبض فالقبض والبسط كالليل والنهار والصغر والكبر والعفيف والشقاء يجران على الصلح والطالع امتحانا لهما واختبارا وتربية من رب العالمين وقد أخطأ الانسان فانه إذا أكرمه الله ونعمه يقول - ربني أكرم من . وأما إذا ما ابتلاه فقصر عليه رزقه فيقول ربني

أهانن • كلا - ثم كلاً إن الأمر امتحان واختبار وتربية ولفظ « ونى » لا يجب و« كان » للتشبيه أى ما أشبه الأمر - إن الله يسط - الخ (لولا أن من الله علينا) فلم يسلنا ما تعيننا (لخلف بنا) لأنه يحق بنا ما حاق به فيخسف بنا (ويكأنه لا يفلح الكافرون) لنعمه الصارفون لحافها فحقه قليل ومن هؤلاء المكذبون برسله • أليس هذا هو ما يحصل الآن أمام أعيننا في الدنيا لآسيا في هذا العصر

(١) ألم تر ألى قيصر الروس كيف كان له السلطان التام والقدرة والصولة والعظمة والجاه وقد ملك مقاليد الروس ، وما ادراك ما الروس ، أمة عظيمة قوية تحتها أم وأى أم ، مائة مليون أوزير يدون ، فإذا حل به لما جاءت الحرب الكبرى ؟ أنزله قومه من على عرشه وذبحوا أبناءه أمامه وأنزلوه بعد ذلك دارالهوان وقتلوه قتلاً شنيعاً بعد أن أجاجوه وأذاقوه مرّ النكال • أليس ذلك هو عينه ما حصل لقارون وللسرفين في ما كلهم مخالفين نصيح الأطباء ، بحسد هم الناس ويقولون ياليت لنا مثل قيصر انه لدرحظ عظيم ، ياليت لنا سمحة مثل هذا السمين الوسيم من الأسماء ، أفليس الناس بعد انقلاب الأمر على قيصر وحاول المنون بذلك السمين الوسيم يقولون نفس هذا المقال يقولون تنجب كأن هذه الدنيا دار خدعة ، انظر الى قيصر كيف أبادته الجنود وأهلكه من كان يفر بهم وذلك لأنه استبد بالأمر وخرج على قومه في زينته وهو يريد الحياة الدنيا والناس كلهم كانوا له كالعبيد • هكذا حصل في الاستانة وخلع عبد الحميد من ملكه وهكذا كثير من ملوك أوروبا

(٢) أولست ترى أن أولئك الموسرين من مصر وأهل الشام والمغرب وغيرهم من أقطار الاسلام الغافلين عن منفعة المال يباهون بالدرر والقطار والولائم ويتظاهرون بها وقد ركبهم الدين ورهن العقار والفرجة واقفون لهم بالمرصاد يخربون بيوتهم بالدين وهم غافلون والناس من حول هؤلاء المثرين يقولون ياليت لنا مثل ما أوفى فلان المثرى ، انظروا الى زينته ، انظروا الى قصوره ، انظروا الى الجوع التي جمعها في عرسه أو مأثمه ثم ينقض عليه دانتوه فيبيعون العقار ويخربون الديار ويصبح كأن لم يكن بالأمس • ذلك مشاهد في كل قرية وبلد وضيفة ولكن الناس غافلون وترى الذين كانوا يحسبونه بالأمس بعد سقوطه يقولون - ويكأن الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده وقدر - لولا أن الله لطف لكان جعلنا مثله مغرورين فأصبحنا عبرة وشاة للأعداء على الداء المضال. ذلك هو المقصد من قصة قارون ثم ذكر الله القصة جيع ما تقدم فقال (تلك الدار الآخرة) الإشارة للتعظيم أى تلك التي سمعت من أبناء الأمم وعرفت وصفها ، وقوله - الدار - بدل والآخرة صفة الدار والخبر (تجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض) غلبة وقهراً (ولا فساداً) ظمناً على الناس كما أراد فرعون وقارون وكفار مكة لما آذوا النبي وأصحابه (والعاقبة) المحمودة (للتقين) ما لا يرضاه الله (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسئبة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) أى إلا مثل ما كانوا يعملون ولما كان الصابرون الذين لا يفتخرون على الناس وتكون أموالهم وحياتهم وقفا على أهمهم موعودين بالثواب في الآخرة أعقب بما يفيد أن الحظ في الدنيا والآخرة لهم فلمهم الآخرة ولهم الدنيا ، فالذى لا يبيع المولى في شهوة الطعام له الصحة الحقة والنسب سبيل الاتفاق في المنافع العامة يرى في الدنيا سعادة لا يحلم بها ذلك المسرف المرائي بما يتبها له من حب الناس وتنائمهم عليه وإكرامهم وتبجيله واعظامه فقال (إن الذى فرض عليك القرآن) أى أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لأنك الى معاد) دنوى وأخرى ، أما الدنىوى فانك ترد الى مكة إذا اشتقت اليها لأنها مولدك ومولد آبائك ، وأما الأخرى فانك ترد الى المقام المحمود الذى وعدت أن تبعث فيه وهذا المقام أنت محمد وبعده كل من عرفه ، ولقد تقدم أن هذا المقام يشير الى ارتقاء العلوم في هذه الأمة في مستقبل الزمان كما ارتقت عند أسلافنا ، فهم رفعوا منار العلوم التي هي مناط الحد كما تقدمناه وسبقه فونه كما أوضحناه • وملخصه أن هذه الأمة ستترقى في مستقبل الزمان . وملخص ذلك كله أن الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً وهم مفتقون أموالهم في الخيرات ينالون الخير في الدنيا والآخرة كما حصل

لرسول الله ﷺ إذ قال له جبريل لما نزل المجفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها  
 «أشتاق إلى بلدك» قال نعم قال فإن الله تعالى يقول - إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد -  
 فهذه الآية لا مكية ولا مدنية ، ثم قرئ ذلك فقال (قل ربي أعلم من جاء بالهدى) وما يستحقه من الثواب في  
 الدنيا والآخرة كما قال تعالى - وآتيناه أجره في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين - (ومن هو في ضلال  
 مبين) وما استحقه من العذاب والاذلال في الدنيا والآخرة كما قال تعالى - لهم عذاب عظيم في الحياة الدنيا  
 وللعذاب الآخرة أخصى وهم لا ينصرون - والمقصود من ذلك نفسه عليه الصلاة والسلام والمشركون وكذا  
 كل مهتد وكل ضال كما عرف . ولما كان الصبر على شدة الكفار ومقاساة الأحوال شديدا على النفوس وقد  
 وعد الله نبيه على صبره على أذى قومه وما يلاقيه من الصعاب أن يرده إلى مكة في الدنيا وإلى المقام المحمود  
 في الآخرة . أكد ذلك بما سبق له من شوقه إلى لقاء جبريل ونزول الوحي أيام الفترة في أول النبوة فلقد كان  
 لشدة وجده وهيامه وغرامه بملاقة جبريل وتلقيه الوحي منه يكاد يلقي نفسه من فوق الجبل وذلك الشوق  
 جعله الله في الأنبياء وفي العلماء والحكماء ليكون ذلك أدعى إلى صبرهم على مقاومة الأعداء ومقارعة الإخوان  
 ومصادمة الحوادث فانهم لو لم يشقوا تلك المراتب ولم يرتقبوا تلك الفضائل بل أنت لهم سهلة هينة مرية  
 لجوها إذا أودوا وأولتروها إذا قهروا فلشتاق للشيء الذي يلج في طلبه وكره وهو مجتمع عليه محبوس عنه إذا  
 بلغ منه بعد اليأس كان أحوص الناس عليه وأزعمهم وأغرمهم وأسبهم إليه وهذا قول الله تعالى (وما كنت  
 ترجو أن يلقي اليك الكتاب) أي يوحى (إلا رجة من ربك) أي ولكن رجة من ربك ألقى اليك الكتاب  
 فأنت أوتيت الكتاب بعد الشوق وقطع الرجاء فها نحن أولاء وعدناك بالعز في الدنيا والمقام المحمود في الآخرة  
 الآن وقد كنا شوقناك إلى الوحي ومنعناه عنك وقد قطعت رجاءك استزادة لشوقك لتزيد بالكتاب غراما  
 وعليه حرصا حتى تصبر على الأذى وتقاوم المشركين (فلاتسكنون ظهرا للكافرين) أي لاتسكنون معنا لهم  
 بعدارتهم والاجابة إلى طلبهم وكيف يكون ذلك منك وأنت مانت هذا الكتاب لإلابة الطلب القوي والشوق  
 إن ذلك أدعى لصبرك هكذا أكرمناك ودرنا أمرنا - وما كنا عن الخلق غافلين - وهكذا جيع الحكماء  
 والعلماء والصالحين يشقون إلى المعالي ثم يمنعونها زمانا ليصبروا على ما أحبوا متى نالوا وهذه سياسة الله في  
 هذا العالم الأرضي إنه لطيف لما يشاء (ولا يصدنك عن آيات الله) عن قراءتها والعمل بها (بعد إذ أنزلت  
 اليك وأدع إلى ربك) إلى عبادته وتوحيده (ولاتسكنون من المشركين) بمساعدتهم (ولاتدع مع الله إلها  
 آخر) وذلك القول لقطع أطماع المشركين وكيف يصدونك أو ينالون بغيتهم منك أوتسكون أنت معهم ونحن  
 قد أحكمتنا أمرنا بما ذكرناه فشوقناك ثم أرسلناك وهذا القول يقتضي أن سياسة الشوق أعظم وسيلة للنفاذ  
 العامة ، فالدعاية والشوق للأفراد وللأمم والجماعات إلى فنيته من الفضائل هي الداعية للاستزادة منها  
 فعلى المسلمين في أنحاء المعمورة أن يشقوا الشبان إلى مجد آبائهم وإلى حفظ بلادهم وإلى استخراج  
 ثمرات أرضهم ومعادن جبالهم وبيتون فيهم هذه الفكرة ويحسوها حسا دائما على ذلك وعلى النظر في  
 الجانب بذكر بعض جهلها ، وكما تمت هذه المطالب ازداد الشبان بها غراما حتى إذا نالوا بغيتهم استمسكوا  
 بتلك الزايات أجيالا وأجيالا حتى تنحور العزائم وتنبور السواثر وتضمحل الأمم وتغوت الأمم ذلك يؤخذ من  
 هذه الآيات إذ رب الله أمره لنبيه بأن لا يعاون الكافرين ولا يصدن عن آيات الله وأن يدعو إلى ربه وأن  
 لا يكون من المشركين ولا يتخذ غيره دكسلا على أموره كلها ولا يعتمد إلا عليه . كل ذلك رتبته على أنه شوقه  
 إلى الوحي وأدعى إليه بعد اليأس ، هكذا فليقبل المسلمون وليقيم بذلك المدرسون في البلاد الإسلامية ، وقوله  
 (لا إله إلا هو) معروف (كل شيء هالك إلا وجهه) أي إلا ما أريد به وجهه لأن كل شيء أريد به غير الله فهو  
 هالك ، فكل ما المصلحة فيه كما تقدم من الأمتة يقصر الروس وبالأغنياء في الاسلام المسرفين الجاهلين وبقارون

وفرعون وكفار مكة كل فعل هؤلاء هالك (له الحكم) فصل القضاء بالعدل فيخذل المسرفين المرائين وينصر  
الفاضلين العادلين على وجه الحكمة وطريق الصواب (واليه ترجعون) الجزء الحلقى . انتهى التفسير اللفظي  
لقسم الرابع من السورة . وهنا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - نخرج على قومه في زينته - ﴾

لقد ذكرنا في هذا التفسير في سور كثيرة أن التتم مضف للأجسام والعقول والهمم ، ومن لطائف  
الاسلام انه حرم لبس الحرير والتختم بالذهب على الرجال ، ذلك ليقتل باب التتم الذى يورث القعود عن  
المعالي ، والأتم لأحياء لها إلا بالرياضة البدنية ومزاولة الأعمال العسكرية ومشاق الجندية لحفظ الثغور ونظام  
البلاد وقوة الأجسام وصيانة النفوس والقوى من الضعف . إن السعادة كل السعادة في ترك التتم وكثرة  
الأعمال الجسمية وترك النعيم فانه أدعى للسعادة والهناء والصحة والقوة وحفظ البلاد

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض

ولافسادا والعاقبة للتيقن - ﴾

إن ذكر هذه الجملة بعد ما قص الله من قصص قارون وموسى وما نجلى للناس من أمر المال وانه زائل  
وأن الذين أوتوا العلم قالوا إن ثواب الله خيرالح ثم خسفت الأرض بالمال وصاحب المال . أقول إن ذكر  
هذه الجملة بعد ما تقدم فتح باب لأرقى ما وصلت إليه الحكمة والفلسفة . ياسبحان الله . أليس من العجب أن  
يكون أرقى الحكماء في نظر علماء العصر الحاضر والفار يقولون ﴿ إنه لا يصح أن يسمى موجوداً إلا ما كان  
معصوماً من الزوال ﴾ واقد نسمع كثيراً من حكماء القدماء يقولون ﴿ إن الحركة وجودها ضعيف وبرهنوا  
على ذلك ﴾ فبهذه هي القاعدة التي بنى عليها أن العلم لا يبنى إلا على ماهويات ، فأما ما لا نبات له فلا يبنى العلم  
عليه . ولاجرم أن ماني السموات والأرض كله متغير والمتغير غير ثابت وغير الثابت لا يبنى عليه علم فالعلم الذى  
نقفه مبنى على أمور وراء هذه المادة ويسمونه (عالم المثال) وكل ما نراه أو نحس به فها هو إلا ظلال لذلك  
العالم أو صور له أو آثاره لا غير وذلك العالم هو الثابت الذى يبقى فلذلك نرى العلم باقياً فهو باقى ببقاء ما بنى عليه  
والمادة لا بقاء لها فلا علم يتعلق بها ، وعلى ذلك يقول أولئك الفلاسفة ﴿ فلنوجه وجودها للعالم الذى يبقى  
ولنحقر هذه الدار الفانية ﴾

أما الدار الدنيا فليست دار حياة وإنما هي دار متقلبة متغيرة فليس من حقها أن تسمى حياة كما أنه ليس  
من حقها أن تسمى موجودة ، فاعجب من القرآن ومن أن تشرحه حكماء الحكماء وعلم العلماء ، فجّل الله وجلّ  
العلم ، واعجب كيف يقول الله في آية أخرى - وإن الدار الآخرة لى الحيوان لو كانوا يعلمون - فأفاد أن عدم  
العلم هو الذى يمنع الناس من أن يفهموا أن عالم الأرواح هو العالم الثابت وهو الموجود على الحقيقة وما سواه  
من المادة باطل ، وهل يفهم هذا القول إلا أولوا العلم المذكورون في هذه السورة وهو ذلك - وقال الذين  
أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير - وأفاد أن ذلك يعوزه الصبر . انتهى صباح يوم السبت قبيل ظهر (٢١)  
يوليوسنة ١٩٢٩ م

﴿ اللطيفة الثالثة . الموازنة بين فهم الصحابة رضى الله عنهم وبين فهمنا في القرآن ﴾

كيف كان سلفنا الصالح يفهمون القرآن ، وكيف كان فهمهم سبباً في انهم ملكوا ملك فارس والروم ،  
وكيف كان فهمنا للقرآن بعد ذهاب القول الاسلامية والقوة العربية غير مجد ولا مفيد فقلبتا الأمم وصرنا لهم  
خاضعين . ذلك نفهم من حكاية الريع بن زياد مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه . قال الريع بن زياد  
الحارثي كنت عاملاً لأنى موسى الأشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمره  
بالقدوم عليه هو وعمله وأن يستخلفوا جيها (أى أن يتخذ كل واحد منهم له خليفة يقوم بالحكم في غيابه)

قال فلما قسمنا أثبت (برقاً) قتل (بارقاً) مسترشد وابن سبيل أي الهبئات أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عمله فأومأ إلى بالخسونة فاتخذت خفين مطارقين أي مطبقين يقال طارقت نعلي إذا أطبقتهما ويقال لكل ماضوعف قد طورق ولبست جبة صوف ولت عمائم على رأسي أي أدبرت بعضها على بعض على غير استواء ويقال رجل أوث إذا كان أهوج مأخوذ من الورنة ، فدخلنا على عمر صفنا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه أحداً غيري فدعاني فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثي قال وماتتولى من أعمالنا قلت البحرين قال كم ترزق قلت ألفاً قال كثيراً تصنع به ؟ قلت أتعوت منه شيئاً وأعود به على أقرب لى فأفضل منهم فعلى فقرأ المسلمين قال فلا بأس أرجع إلى موضعك فرجعت إلى موضعي من العف فصعد بنا وصوب فلم تقع عينه إلا على "دعاني فقال كم سنك قلت خمس واربعون سنة قال الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابي حديث عهدهم بلبن العيش وقد تجوعت له فأني تجيز وأكار بعير (الكسر والجلد والوصل بكسر الأول في الثلاثة العظم بفصل بعاليه من اللحم وجمع الكسر أكار) فجعل أصحابي يمافون ذلك وجعلت أكل فأجيد فجعلت أنظر إليه يحظني من بينهم ثم سبقت مني كلة فتميت في - سحت في الأرض فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو جعلت إلى طعام ألين من هذا فزجرني ثم قال كيف قلت ، فقلت أقول يا أمير المؤمنين ان تنظر إلى قولك من الطحين فيخبز لك قبل ارادتك إياه بيوم ويطلع لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز واللحم غريضا (أي طرياً) فسكن من غربه (أي لانت حدته) وقال أهنأ غرت (أي ذهبت) قلت نعم فقال ياربيع إنا نؤثنا ملائنا هذه الرحاب من صلاتي (الصلائي كل مطبوخ ومشوى بالنار) وسباتك (هو ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصه وهو الحواري والرقاق تسمى سباتك) وصاب (هو صلب يتخذ من الخردل والزبيب ولكني رأيت الله عز وجل نبي على قوم شواتهم (أي عابهم ووجعهم) فقال - أذهبتم طيبانكم في حياتكم الدنيا - ثم أمر أبا موسى بأقراري وأن يستبدل بأصحابي اه

### ( الكشف الحديث )

( في إيضاح قوله تعالى - كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون - )  
اعلم أن هذه الآية أصل عظيم من أصول العلوم الطبيعية والذي جاء في نص هذه الآية هو آخر رأي وصل له العلماء ، انظر إلى علوم اليونان فلقد ابتدأت حياتي العلمية الفلسفية بقرائنها ولم أكن أعلم بالحديث فرأيت القوم يقولون ان السموات والكواكب كل هذه أزلية أبدية ولا يمكن خرقها ولا التثامها فهي قديمة كما أن الله قديم وباقي كما ان الله باق ولا يمكن أن تجزأ ولا تنفصل . أقول ومعلوم أن هذا المذهب يخالف ديننا على خط مستقيم ، ثم إن المتأخرين من العلماء أجمعوا أن هذه الكواكب مركبات من عناصر وانها كانت بخارا قدما وفي المستقبل ترجع بخارا الخ ولا جرم أن هذا يوافق ديننا أي ان علماء أوروبا قرروا ما يوافق ديننا موافقة تامة وان كانوا لا يعلمون ولكن بقيت العناصر وهي فوق الثمانين ، فهذه لا تنحل مطلقا ، فإذا هي دائمة وتقوم في دوامها مقام السموات في بقائها عند القدماء فرجع الأمر إلى مثل ما كان عليه القدماء . هنالك ظهر علماء زماننا فقالوا . كلا . بل كل هذا الوجود ونفس هذه المادة تنحل كما تنحل مركباتها ، وآخر رأي هو أن العناصر محكوم عليها بالفناء كالمركبات منها

### ( إيضاح هذا المقام . النظرية القديمة )

قد أثبت لك أن بعض علماء اليونان ومن تبعهم من علماء الاسكندرية أيام دولة الرومان بمصر قد قالوا ( إن السموات لا تنحل ) وأزيد عليه أيضا انهم قالوا ( إن المواليد الثلاثة وهي الحيوان والنبات والمعادن مركبات من عناصر أربعة وهي الماء والتراب والنار والهواء ، فلذا حكمنا بأن السموات وكواكبها لا تنحل ولا تتجزأ ولا تنفك فانا نحكم أيضا على الماء والنار والتراب بأنها لا تنحل ولا تتجزأ ، فالشمس لا تنفك والقمر

لابقى والكواكب لا تنفى ) واستمر الأمر على ذلك مئات السنين

### ( تقص هذه النظرية )

هناك جاء متأخرو علماء الاسلام كما تراه فى ( كتاب المواقف ) للعلامة العبد وهكذا السيد وغيرهما فزولوا بعض القواعد كقولهم ( إن الأرض تدور حول الشمس وليست الشمس دائرة حول الأرض ) ثم جاء ( كوبرنيكوس ) و ( غاليلى ) من علماء أوروبا وأوضحوا هذا ودونوه وهذا وإن لم يكن تقضا لهذه النظرية هو فتح باب للنظر فيها والتفكر والهدم . هناك نظر المتأخرون من الفرنجة مثل العلامة ( لافوازيه ) فانه وضع هذه النظرية وهى

### ( المادّة لاتعتمد ولا تتجدد )

ومعنى هذا انك لو أنيت مادّة خشبية وأحرقتها فان الأجزاء تتفرّق فبعضها يطير فى الهواء و بعضها يبقى خفا فى الأرض وهكذا . نحن نأكل الخبز فالحيز لم يذهب منه شئ فانك لو وزنته فوجدته رطلا فهذا الرطل يقسم اقساما فقسم يصير دما بعد تمام هضمه وقسم يخرج مع العرق والبول وقسم يخرج مع الفضلات ، فدمنا موجود يصير لحما وعظما وخفا الخ والفضلات والعرق لا تزال فى هوائنا وفى أرضنا وفى حقولنا فترجع فى أجسام نباتنا وحيواننا أو فى تراب أرضنا . هذا هو الوجود كله عند ( لافوازيه ) وهناك حللوا هذه المادّة فوجدوا أن العناصر الأربعة مركبات من عناصر ألق منها ، فالحاء من الاكسوجين والادروجين والهواء من الاكسوجين والاوزوت ومعه بخار الماء والفحم وهو الكربون ومواد أخرى ، وقد عرفوا من العناصر فوق الفخاين ولها جداول عجبية تبين المناسبات بينها كما ستراه فى ( سورة العنكبوت ) فهذه العناصر وإن أبطلت النظرية القديمة لم تحل بها المشكلة ، فاذا قلنا ان الكواكب مركبة من عناصر كما يتركب حيواننا ونباتنا وماؤنا وأرضنا وأن هذه الكواكب وهذه الأرض تتحلل وتذهب مركباتها وتتفرّق وأن ذلك معروف من أضواء تلك الكواكب فانهم حللوها بالنظر فوجدوا فى كل كوكب أضواء مختلفة كالنحاس والحديد والرصاص الخ أى انهم وجدوا هذه الكواكب مركبات من عناصر هى نفس العناصر الأرضية والشمسية لأن أشعة تلك الأضواء تشبه أشعة المعادن المختلفة المذكورة وبحثوا بحثا طويلا فى معاملهم . أقول إن هذا أيضا لم يحل المشكلة لأن هذه العناصر التى تتحلل اليها الكواكب لا تنفى كما هو رأى ( لافوازيه )

( الرأى الحديث الموافق لقوله تعالى - كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون - )

### ( رأى العلامة جوستاف لوبون )

اطلع العلماء اليوم على مادّة اسمها ( الراديوم ) فهذا الراديوم له ضوء غريب عجيب جدا . ذلك أن أشعته لها مزايا لا توجد فى غيرها بها تتحلل أجزاء النصر أى ينقص وزنه فهذا أدهش العلماء كيف يكون هذا الشعاع سببا فى نقص الوزن فأخذوا يطلون ذلك بطل لم تصب كبد الحقيقة وذهبت أبحاث الرياح ، ولكن ( جوستاف لوبون ) قال ما يأتى ( إن جميع العناصر تقبل هذا الانحلال ولكن الراديوم أقواها وأسرعها انحلالا مع علمنا أن جزءا واحدا من ألف جزء من الجرم فى الراديوم الذى هو أسرع المواد انحلالا يبقى دهورا وهو يشع الملايين وملايين الملايين من تلك الفترات حتى يصبح معدوما تماما أى ان الراديوم المذكور يصير قوّة لا مادّة ومثله العنبر وإن كان أبطأ انحلالا عن الراديوم وهكذا سائر العناصر قابلة لهذا الانحلال لكنها أبطأ وأبطأ ثم قال وهذا الانحلال البطيء يكون بخروج أجزاء ضوئية سرعتها فى الثانية الواحدة ( ٢٠٠٠٠٠٠ ) مائتا ألف كيلومتر . وقرر العلماء الذين وافقوا ( لوبون ) انهم لو استطاعوا أن يحلّلوا جرما واحدا من الحديد فى ثانية واحدة أى لو قدروا أن يدمموا كما يدمم الراديوم ويحوّلوه الى قوّة لا وزن له لأفادونا قوّة من هذا التحوّل تعادل قوّة نجر قطارا حديديا حول الكرة الأرضية أربع مرات فان القوّة التى يتحوّل اليها ذلك الجرام تساوى



قوة (٦٨٠٠) ألف ألف حسان ) ومعنى هذا أن المادة التي نراها والعناصر التي تركب منها كل نبات وحيوان وإنسان تتعدهم كلها ، وما هذه العناصر إلا قوى محزنة متراكمة مجتمعة سميها مادة وما هي إلا حالة من حالات عالم يسمى الأثير ، فالأثير الذي لا وزن له ولا لون ولا يرى ولا يعرف إلا بالعقل والاستنتاج هو الوجود كله ، فإذا رأينا كهرا به أو ضوءا أو نورا أو حرارة ومضاطبا قلنا هذه كلها قوى يتحول بعضها إلى بعض وهي في المعنى شيء واحد هو الأثير المائي للفضاء في جميع هذا الفراغ فإليه يرجع كل شيء بل هو كل شيء ، وما هذه العناصر الأرضية والسموية بالنسبة للأثير إلا كلمات قد صارت لجا أو البخار صراماء ، فاذن أنا وأنت وأرضنا وسماواتنا وعناصرنا كلها عبارة عن قوى أشبه بقوى الكهرباء والنور تجمدت وتكاثفت وهانحن أولاد نراها تنحل في الراديوم مثلا . إذن هذا الوجود الذي نعيش فيه والذي نسميه مادة متوعدة إلى عناصر وإلى كواكب وشموس ماهو إلا قوى متجمدة متكاثفة كتكاثف البخار فيعود ماء فالبخار إذا صراماء أمكن رجوعه إلى بخار ثانية هكذا المادة . فاذن لامادة ، واذن فهمنا قوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون -

### ( حظ هذا التفسير )

أفلا ترى أن هذا التفسير حظه عظيم ، انظر إلى التوفيق ، انظر كيف أمكن انطباق الآية في آخر السورة على آخر كشف حديث وكيف كانت هذه الآية توافق نفس العلم الذي به ارتقت أوروبا وقهرت المسلمين به ، اللهم إني أحمدك على نعمة العلم والحكمة ، بل انظر فوق ذلك إلى ماستراء في (سورة العنكبوت) أنا الساعة أكتب هذا صبح يوم الأربعاء وهو ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٣٦ وذلك أثناء طبع هذا التفسير بعد أن تم تأليفه وقد كنت كتبت في (سورة العنكبوت) في العام الماضي ما يناسب هذا المقام ولم أكن لأعلم ولم يخطر لي أن آخر الشراء هو عين أول العنكبوت (وبعارة أخرى) لم يكن ليخطر لي أن قوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه - هو عين مادوتته في (سورة العنكبوت) من أن - الم - في أول السورة هي عبارة عن حروف مفرقة وهذه الحروف المفترقة تفتح باب العناصر وأن المركبات السماوية والأرضية ترجع إلى عناصرها كما ترجع الكلمات والغلب والقصاصد إلى الحروف الأبجدية وأن الأمم الإسلامية يجب عليها أن تنظر في التحليل والتركيب لأن العالم الذي نعيش فيه لا نعقله إلا بتعليقه كما أن القراءة لا تتم إلا بمعرفه حروف المعجم التي تتركب منها الكلمات وهناك في السورة جدول للعناصر والصلة بينها . إذن سورة العنكبوت أصبحت موضحة لسورة الشعراء من بعض الوجوه واتصل آخر الثانية بأول الأولى

### ( ظهور هذه الوحدة في النبات والحيوان )

#### ( النورة والمخروع )

إن النورة كما تقدم في (سورة الفاتحة) يكون فيها أعضاء الذكور في أعلى عودها والأنثى في وسط العود والمخروع يكون ذكره أسفل والأنثى أعلى ولكنها عند الالتحاق تنزل الأنثى فتكون أسفل من الذكر فيقع اللقح عليها ثم تكون النورة فيها ثم يصدم الذكران والانثى ، وهذه الحال حاصلة في كل نبات ، والنخل وإن امتاز ذكره عن أنثاه هكذا حالة الذكر والأنثى متعاونان ثم يذهبان ، وكل حيوان وكل إنسان أشبه بعود النورة وعود المخروع فانك ترى شجرة المخروع وتقول هي واحدة وترى النبتة من النورة فتقول هي واحدة ومع ذلك ترى في هذه الوحدة ذكرًا وترى أنثى فيها مختازان ، فهنا وحدة تنوعت ، هكذا النخل وحدة تنوعت وهكذا الإنسان والحيوان ، فالرجل والمرأة فيها معنى الوحدة التي رأيناها في النورة والمخروع وهذه الوحدة تذكرنا بالوحدة العاتقة في الوجود فهو كله يرجع للأثير والأثير شيء لا وزن له ، فالظاهر كلها ذاهبة ، هذا كله معنى قوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون - والحمد لله رب العالمين

﴿ ايضاح لهذا المقام بأوسع مما تقدم وذلك تذكراً في قوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه الحكم واليه ترجعون - وقوله تعالى في سورة أخرى - كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام - ﴾  
 إن هاتين الآيتين من واد واحد ، فقوله - هالك - وقوله - فان - كلاهما اسم فاعل وهو حقيقة في الحال ، وكثيرا ما كنت أسمع بعض أساتذتي يقولون ذلك وأن الموجود على الحقيقة هو الله ولا موجود سواه الآن ، ولما كانت العقول اليوم في الأمم لا تعرف إلا الحقائق أخذت أبحث في هذا الموضوع فوجدته يرجع الى ﴿ مسألتين اثنتين ﴾ المسألة الأولى ﴿ هل المادة موجودة وجودا حقيقيا ﴾ ( المسألة الثانية ) هل هذه العوالم صائرة الى الزوال ؟

أما المسألة الأولى وهي هل المادة موجودة وجودا حقيقيا ، فاعلم أيها الذكي أن نفس المادة من سموات وأرضين وما بينهما قد صعب على العلماء اثباته وطلروا في تحقيقه ، وبيانه أن القسام من علماء الفلسفة قالوا إن هذه المادة مفرقة على حواسنا ، فهذه الأضواء والحركات والسكنات والألوان والقرب والبعد اختص بها البصر ، وهذه المسموعات من صوت الانسان والحيوان والجمادات اختصت بها حاسة السمع ، وهذا الثقل وهذه الخفة وهذه الحرارة وهذه البرودة اختصت بها حاسة اللمس ، وهذه الخلابة وهذه اللوحة والمرارة وما أشبهها اختصت بها حاسة الذوق

اذا لما فكرنا في هذا الوجود لم نعرف منه إلا هذه الصفات وهذه الصفات شيء والمادة شيء آخر ، أما المادة فإنتا لم نعرف لها برهان ولا برهان على وجودها إلا هذه الأوصاف فهذه المحسوسات ماهي إلا أعراض وأخبارا حكموا بأن المادة وجودها ضعيف

هذا ما يقوله قدماء الفلاسفة وهذه المحسوسات هي التي عرفوها في (علم المقولات) وهي كليات عشر تشمل جميع هذا الوجود والذي ذكرته لك منها هنا ملخص كلمة منها وهي (الكيف) والكيف عندهم يرجع الى كيف محسوس والى كيف معقول والذي ذكرته هو الكيفيات المحسوسة التي استنتجوا منها ضعف أدلة وجود المادة . هذا آخر آراء القدماء في المسألة الأولى وهي هل المادة موجودة وجودا حقيقيا

### ( آراء المحدثين )

أما آراء علماء العصر الحاضر فاتهم وافقوا القدماء ولكن على منهج غير منهجهم قالوا إن الذي نعرفه من هذه العوالم أماننا إنما هو الأثير والأثير شيء تصورناه ولم نره وهذا الأثير فيه حركات كثيرة وتلك الحركات تنوع فيها حركات تصير كهرباء . ومنها حركات تصير نورا ، ومنها حركات تصير حرارة ( وبعبارة أخرى )  
 إن هذه المذكورات من النور والحرارة والكهرباء ماهي إلا حركات ظهرت بمظاهر مختلفة أي أنها شيء واحد اختلفت مظاهره بحسب استمداد قوا نحن الأحياء على الأرض . فأما ما نراه من جماد ونبات وحيوان وانسان وجبل وسجرجا هو إلا نفس هذه الحركات حصل لها ما حصل للحركات التي صارت نورا وكهرباء وحرارة غاية الأمر أن الحركات التي صارت نورا قليلة بالنسبة للحركات التي صارت قمعاً أو قطناً أو ذهباً أو فضة فان الحركات التي سميناها نورا تعدّ بملايين الملايين فقط فيقال إن حركات النور في الثانية الواحدة من حوالى ( ٤٠٠ ) مليون مليون الى حوالى ( ٧٠٠ ) مليون مليون . فأما الحركات التي تكون حجرا أو شجرا أو ماء فانها تعدّ بأكثر من هذا فيقال مثلا إنها ستة آلاف مليون مليون فبذل أن كنا نقول إن الحركات في النور تعدّ بمئات الملايين صرنا نقول إن الحركات التي صارت مادة تعدّ بألاف الملايين . إذن الموجودات كلها ترجع الى حركات وكلما كانت الحركات أقل كان الموجود أظلف وكلما كانت الحركات أكثر كان الموجود أكثف .  
 ولعمري إن هذا يخالف ما هو معروف في بادي الرأي . ألا ترى رعاك الله أن النور سريع الحركات وأن الحجر والشجر معدومة الحركات . فانظرك كيف اقلب الوضع وأصبح ما كان يظهر لنا أنه كثير الحركات قليل الحركات

وما كان قليل الحركات قد كثرت حركاته

فيجبنا من وجودنا في هذه الأرض ، الأوضاع متقاربة والأحوال معكوسة والعلم يظهر لنا الحقائق على غير ما نعهد . سبحانه اللهم حكمت علينا أن نمش في عالم مقابو الوضع معكوس الحال ، نرى الشمس جارية حول الأرض فيقول العلم . كلا . الأرض جارية حول الشمس . ونرى أن المال والولاء والدنيا كل ذلك سعادة فيقول لنا العلم والدين . كلا . فالسعادة غير هذا . ونرى بحسب نظرنا أن الإنسان متى مات فلا وجود له ويقول العلم والدين . كلا . بل هو حي . إن هذه الحياة مقابو الوضع معكوسة الحال ترى الكبير صغيرا والصغير كبيرا والعظيم حقيرا والحقير عظيما

فهناك برهانا على ما نحن بصدده من أن المادة كلها ترجع لحركات أذكرك بما تقدم في (سورة النور) عند قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - فأذكرك بقطرة الماء المذكورة هناك وانما رجعت إلى جزئيات ضئيفة وتلك الجزئيات يبلغ عددها نحو عدد نجوم السماء ثم هي مع هذا كله لائلا فراغ هذه القطرة بل تملأ جزءا من مئات الآلاف من الفراغ المذكور ثم هذه الجزئيات مع قدر مقدارها بالنسبة للفراغ الذي تشغله القطرة ظهر انما ترجع إلى كبرياء سالبة وإلى كبرياء موجبة ( وبسبارة أخرى ) نقطة ضوء تجري حول نقطة أخرى ستة آلاف مليون مليون مرة في الثانية الواحدة وباختلاف مقادير هذه السرعة في الجري اختلفت المادة بحسب مازاه فقلنا هذا أكسوجين وهذا ايدروجين وهذا ذهب وهذا فضة الخ . والحقيقة أن هذا كله أمر واحد هونور أو كهرباء لاغير وباختلاف الحركات ظهرت المواد المختلفة . أما أنا فاني أجد الله عز وجل . أحسك يا الله على أنك وفقنتي لتلخيص هذا الموضوع وشرحت صبرى لتبيانها فيعرف الأذكاء في أمم الاسلام وغيرهم أن العلم الذي وصل إلى عقول أمم الأرض الآن أظهر أن الموجود انما هو حركات والحركات ضوء أو كهرباء أو حرارة أو ذهب أو قرح أو حديد لا أقل ولا أكثر . فالحقيقة شيء والظواهر شيء آخر

واعلم ايها الذي أن كثيرا من الناس حينما يقرؤن هذا يهجم في نفوسهم خواطر تزعمهم فيقولون ( إذا كان الموجود ماهو إلا حركات اختلفت مظاهرها فكيف يكون عندنا جنة ونار وحساب وعقاب ودنيا وآخرة إذن هذا كله لا وجود له ) وهذا قول من لا تحصيل عنده . فانا اذا عرفنا حقيقة هذه الدنيا على حسب ما وصلت اليه عقولنا فليس معناه أن هذه الموجودات والمظاهر لا عمل لها . كلا . فان فائدة هذه المباحث في مثل هذا المقام أن تظهر لنا الحقائق فأما تعطيل قوانا وملكاتنا وأعمالنا فهذا ضرب من الجهل . إن هذه الحقائق تبرعقولنا وتفهمنا أن هذه العقول أمرها عظيم وانها قادرة أن تحيط علما بالمادة علويها وسفليها ( وبسبارة أخرى ) انما أكبر من الشمس والأقمار والكواكب الثابتة والسيارة لأنها تحكم عليها وتصورها وتخليها وترجعها كلها إلى أمر واحد . إذن هذه العقول نور أكبر من النور الذي خلقت منه المادة بدليل أن هذه العقول حكمت على جميع العوالم فقلت انما نور والنور يرجع إلى حركات والحال كم أفضل من المحكوم عليه ، فنفس هذا البحث يرينا عظمت نفوسنا وشرفها وانها تكبر وتكظم أن تخضع لهذه المظاهر بل مقامها الأسنى أن تعيش في ملأ أعلى ومقام أشرف - في مقعد صدق عند مليك مقتدر -

( آراء أفلاطون )

ولاجرم أن هذه الآراء قد عرفت اجبالا أفلاطون إذ يقول ( إن هذه المادة لا نبات لها ومالائبات له فلا تعلق به ومالائقة به لا يصح مناطا للعلم بل العلم مبنى على أمور ثابتة ) وما هي هذه الأمور الثابتة ؟ هي التي سبها هو ( المثل الأفلاطونية ) التي أوجعتها في غير هذا المكان ، وما هذه المثل الأفلاطونية إلا العوالم العقلية التي تعلو عن المادة ، وكل ورد عليه من اعتراض ، وكل أجيب عنه ، وسترى هذا البحث في (سورة القتال) إن شاء الله تعالى في رسالة ( مرآة الفلسفة ) التي ظهر فيها هذا الوجود أوضح مما قاله أفلاطون ولا يرد علينا

ماورد عليه من الاعتراض ذلك لظهور الحقائق في زماننا والله واسع عليم سبحانه اللهم وبمحمدك ، علمت الأولين وعلمت الآخرين وجعلت العلم كله يرجع الى أمر واحد وأهملت (أفلاطون) قبل الميلاد ما علمت لعلماء العصر الحاضر ، إنك رحيم بعبادك معلم الأولين والآخرين ، ومن عجب أن علماء الهند قديما يقولون كما رأيته في كتاب (راجا يوقا) المترجم الى الإنجليزية من الهندية (إن المادة أصلها عقل بدليل أنها ترجع اليه) ألا ترى أن الغذاء فينا يرجع الى قوة فكرية ، فمن المادة العضلات والأعضاء ومنها نفس العقل إذن رجعت الى أصلها وهذا رأى عجيب وهذا الرأى يقول به (استوارت سميث) فانه يقول (إن المادة ماهى إلا عقل تكاثف) وهذه العبارة منقولة عنه في نفس ذلك الكتاب . انتهى الكلام على المسألة الأولى وملخصها

(١) ان القدماء يقولون (إن الكيفيات المحسوسة باللمسة ٣٩ كيفية مفترقة على حواسنا وحواسنا لم تدرك المادة وإنما أدركت هذه الكيفيات لاغير) إذن وجود المادة ضعيف

(٢) علماء العصر الحاضر يقولون (إن العوالم كلها ترجع الى حركات فلافرك بين الضوء وبين الحجر كلاهما حركات والحركات أضواء والأضواء باختلاف حركاتها تصبح محسوسة لنا فان كثرت الحركات كانت مواد صلبة وإن قلت كانت سائلة وإن زادت قلتها كانت ضوءاً أو كهرباء الخ

(٣) أفلاطون من علماء اليونان يقول (إن المادة لاثبات لها ومالاتبات له لا يصح أن يكون مناط العلم بل لا يصح أن يسمى موجوداً فالوجود الحقيقي هو العالم العقلي المسمى المثل الأفلاطونية)

(٤) يقول القدماء من علماء الهند (إن المادة أصلها فكر بدليل أنها تعود الى فكر) ويقرب منها رأى (ستوارت سميث) ومن قرأ آراء (اينشتين الألماني) لا يجدها تعدو ما كتبناه هنا فهو يقول هذا القول بعينه غاية الأمر انه أوضحها وأطال فيها وأعلن عنها . فهذا العالم الألماني أعلن أيام الحرب الكبرى هذه المسألة وقال (إن هذا الكون ساكن لاوجود لشيء فيه وماهى إلا الحركات ظهرت لحواسنا مختلفة المظاهر) وهذا الرأى قد تقدم في هذا التفسير فارجع اليه إن شئت

وهذا هو نهاية الكلام على المسألة الأولى وهى هل المادة موجودة وجوداً حقيقياً تفصيلاً واجزألاً وأجد الله على التوفيق ونعمة العلم ونعمة الايضاح والحمد لله رب العالمين

### ( المسألة الثانية هل هذه العوالم صائرة الى الزوال )

اعلم أيها الذكى أن المسألة الأولى رجع الأمر فيها الى تحقيق هذا الوجود وانه راجع للحركات لاغير ولكن هذه الحركات مظاهر وهذه المظاهر لها قيمتها العظيمة لحياتنا كلها وأعمالنا وديننا وآخرتنا ترجع أكثرها الى هذه المظاهر فليس معرفة أصل الوجود بمغن فتبلا عن نفس هذه الموجودات فاقع عليه حواسنا له مقام عظيم في العلم فلا ينبغي لنا أن نفضل ما يفعله كثير من جهلة الصوفية الذين يقولون (إذا لم يكن في الوجود إلا الله فالعلم يكون جهلاً والبحث جنوناً) وهذا يرجع بالإنسانية الى الكسل والجهل والجزع ويقول عَلَيْهِ السَّلَامُ اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل الخ ، إذن لهذه المادة التى هى مظهر من مظاهر الحركات والأنوار مقام عظيم وعليها مدار الباحث وهى السبيل الموصل الى ما وراءها وحينئذ نقول هل هذه المادة التى ظهرت أمام حواسنا يوماً ما ستفنى بحسب ما يظهر لحواسنا ، وهنا ظهر فى الدنيا (رأيان انتان \* الرأى الأول) وهو القديم \* لاشئ يزيد على المادة ولاشئ ينقص منها ، وهذا رأى (لافازيه) وهو يعتبر اليوم الرأى القديم . ومعنى هذا أنك اذا أحرقت خشبة أمامك ثم جعلت مابق من رمادها ماطار فى الجوّ من دخانها وبخارها كان مساوياً فى وزنه لو وزن الخشبة . وعليه يكون الماء والهواء ونحوهما لا تفنى فلما يدخل النبات ويخزن فيه ثم يتحلل هذا النبات والماء الذى كان فيه لا بد أن يرجع بخاراً مرة أخرى

ولا ينفى وهكذا الهواء ونحوه . إذن المادة تتحلل وتتركب وكأنما هي حروف الطبع توضع في الصندوق وترتب وتنظم ويطبّع بها الكتاب ثم تفرّق كرة أخرى وهكذا فالحروف واحدة معلومة محدودة في المطبعة والكتب المطبوعة بها تعدّ بلكات والآلاف هكذا هذه العوالم بحسب النظر الظاهر والمشاهدة في هذه الحياة

( رأى الحديث « لاشئ يزيد على المادة ولكن كل شئ صائر الى الزوال » )

لعلك حين تسمع هذا القول تقول ان المسألة الأولى والمسألة الثانية اللتين ذكرتهما مرجعهما واحد فان المسألة الأولى رجع الأمر فيها الى أن العوالم كلها ترجع الى الحركات والحركات الى الأثير ، وهذا الرأي القائل ان المادة صائرة الى الزوال معناه يرجع لهذا ، فراجع الأمر الى أن هذه المادة تتحات وتتجزأ وتصر في آخر أمرها الى القوة والقوة ترجع الى الأثير فقلت . كلا . ليست المسألتان واحدة وإيضاحه بضرب المثل أن أقول انظر حباك الله العلم وأهلك التوفيق وشرح صدرك للحكمة وأتالك الكمال الى رجل أصيب بمرض عصبي وهذا المرض جعله يرى أشباحا منجمّة وأشخاصا بظهورون له فيؤذونه ويسمعونه ما يكره ولا يزالون يولون الظهور له وهو يستغيث ولا يغث ويسأل ولا يجيب وهو في الحقيقة ما ظهر له إلا ما خيلته له نفسه من الصور الخفيفة التي ظهرت له كأنها حقيقة فلا تزال تلك الصور تظهر له وقتا فوقتاً حتى يوارى في ترى رسمه بسبب ظهور تلك الأشباح المزججة والتاريخ القديم والحديث قصص علينا قصص هؤلاء العصبيين الذين أوردتهم مرضهم موارد الحثث وأقلقتهم تلك الصور وأمضت مضاجعهم وهبأتهم للوت ومفارقة الحياة ، لست في هذا القتل أمخيلة تخيلة بل هو حقيقة عرفها علماء الطب وعلماء الأخلاق ، هذا المريض بذلك المرض العصبي يرى تلك الأشباح ، لماذا ؟ لأنه مستعد لذلك فاستعداداً له هيأ له تلك الأشباح والمظاهر وهذه حقيقة عند لا تقبل الشك ولذلك تمنع عنه النوم والأكل والشرب والذات ثم يرد أحواض النايأ ليخلص من هذا العذاب المهيمن ، فينجا هو كذلك اذا الناس حوله يصفونه بأوصاف الجنون والتخبط والطيب يقول إن أعصابه فيها مرض هيأ له ظهور هذه الصور فهنا ( رأيان ) رأى الجمهور الذي سلت قواه العقلية من الخطل فهو يقول لاصور ولا أشباح ، ورأى المريض الذي أصيب بهذا الخطل والخبل فهو يقول بوجود صور وأشباح والجمهور تكون نتيجة معارفه انه لا يفرغ لأشباح ولا يخاف من عفاريت وهذا العصبي يتأثر فيموت

اذا عرفت هذا المثل فاعلم انه منطبق على المسألتين السابقتين . فمماثل الناس في الأرض إلا كمثل هذا هذا العصبي المريض . ومماثل العوالم الروحية التي خلصت من المادة إلا كمثل العقلاء الذين في الأرض حول هذا العصبي . ومماثل الصور والأشباح التي تظهر له إلا كمثل هذه المادة الظاهرة لنا في الأرض الآن . فاذا قال العصبي هنا صور وأشباح وقد صدق فعلا وما كذب وقال الناس حوله لاصور ولا أشباح وقد صدقوا وما كذبوا فهكذا نحن الآن في الأرض نقول هنا موت وحياة وسناء وأرض وجاد وحيوان ونبات وقد صدقنا وهناك عوالم أخرى روحية لا ترى إلا أنواراً وحركات وقد صدقوا فنحن صادقون في اعتبار هذه العوالم موجودة وصادقون في قولنا باعتبار آخر انها غير موجودة . ومن الجهل أن نخطأ أحد القامين بالآخر ثم إن هذا المريض العصبي اذا بقى على حاله مريضاً وانفق أن الصور والأشباح لم تعد تظهر له فهذه حال أخرى نظيرها ما نقوله في المادة نحن فالتا نقول ان المادة آيلة للزوال ونحن على حالنا الحاضرة أي اننا بالعلم عرفنا أن هذه المادة ونحن في حالنا الحاضرة تأخذ في الزوال وترجع الى قوة والقوة ترجع الى عالم الأثير . إذن هنا فرق بين المسألة الأولى والمسألة الثانية ، المسألة الأولى فيها أن هذه العوالم لاحقيقة لها بل ترجع الى الأثير في التحقيق العلمي وهذا كالتال الأول للمريض بالمرض العصبي ، والمسألة الثانية ترجع الى أن المادة ونحن على حالنا صائرة الى الزوال كما ان العصبي وهو مريض زالت الأشباح وماعدت تظهر له

هذا هو الفرق بين المسألتين ، فالمسألة الأولى فيها بطلان العوالم في التحقيق العلمي ، والمسألة الثانية تفيد

أن بطلان المادة يصير عملاً واقعاً تطبيقاً للعلم على العمل ، وعليه نقول - كل شيء هالك إلا وجهه - و- كل من عليها فان - أما في الحال الآن في التحقيق العلمي وأما في الفواهر وفي مقامنا الإنساني في الأرض . قبل نحن مأمورون ومسوقون إلى العمل في العالم بمجد باعتباره موجوداً فلا وجوداً يناسب حالنا ، وأما في الحال بأن يبطل هذا العالم الذي ظهر لنا ويزول من الوجود فلا كانه زائل الآن في النظر العلمي ولا يجوز للناس أن يخلطوا أحد المقامين بالآخر فلا يقول جهال المسلمين وبعض الذين يدعون التصوف ﴿ إذا لم يكن في الوجود إلا الله فلم النصب والعمل فلنتوكل ولنتم ﴾ وإذا قال بعض المتفلسفين صفاء العقول من الذين قرؤوا قصور العلوم وجهلوا الحقائق ﴿ ليس عندنا في الوجود إلا هذه المحسوسات فعلام النصب والتعب في تحصيل الحقائق ولا حقائق إلا ما نراه فلننشد الذات ﴾ فهو لا يقال لهم أتم مساكن جهنم علوم الأمم المحيطة بنا وإذا أتم كسلكهم إلى هذه الفكرة فوقتم في أول الطريق فأنتم مغرورون ، وهؤلاء يأكلون كما تأكل الأنعام والتارتموى لهم ولما أطلع صديقي العالم على هذا المقال قال لقد أجدت صنعا ولكن هنا ﴿ سؤالان الأول ﴾ انك جعلت النوع الإنساني أشبه بالمرضى مرضاً عصبياً يرى الأشباح ولا حقيقة لها . إذن هذا الإنسان الآن في حال نقص . فقلت إن الإنسان في هذه الأرض روحه من عالم النور ووجوده في أرضنا يعدله عن مقامه السامي الشريف وهذا هو الرموز له بقصة آدم إذ عصى وأكل من الشجرة وهذا هو الرموز له بالذنب ، ألم تر إلى قوله تعالى - واستغفر لذنوبك - ألم تر إلى السلم يقول في كل صلاة في الجلوس بين السجدين ﴿ رب اغفر لي وارحمني الخ ﴾ إن السلم يطلب المغفرة دائماً أذنب أولم يذنب ، ولا معنى لطلب المغفرة لغير ذنب . إذن هناك ذنب عام لنوع الإنسان وهو تجسده في هذه المادة والذنب هنا ليس بالمعنى المتعارف بل بمعنى آخر كالنقص أو الاحتياج عن مقام الكمال أو البعد عن عالم الأرواح والصفاء والنور ولهذا المعنى تفسر كثير من الآيات كقوله تعالى - إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً - بغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر - ولا ذنب لنبياً ﷺ متقدماً أو متأخراً من الذنوب المعروفة . كلا . وإنما الذنب هنا بمعنى الوجود في هذه المادة الجسمية التي هي أشبه بسجن يسجن فيه الناس ولكنهم بالعبادة والعلم والعمل يتخلصون من ذلك السجن ، فالذنب هنا يرجع إلى معنى يقرب من هذا ، ولا جرم أن هذا المعنى ملازم لكل شيء في الأرض . إذن نبياً ﷺ أشبه بمن دخل السجن لا يسجن ولكن دخله ليخلص المسجونين ولكنه في أثناء بقاءه في السجن قد جاز وأبعد عن مقره العالي الشريف فلما منع أن يسمى هذا ذنباً مجازاً . وهذا هو السر في طلب الاستغفار . هذا هو السؤال الأول

فقال أما ﴿ السؤال الثاني ﴾ فإني أقول انك لم تبين لنا إيضاح المسألة الثانية وهي أن الكون صائر للزوال ومن الذي قال بهذا الرأي وما برهانه ؟ فقلت إن هذا الرأي رأي الدكتور (جوستاف لوبون) العالم الفيلسوف الفرنسي فإن الناس يقولون ﴿ إن علم الطبيعة أساسه الجوهر الفرد ﴾ ولكنه هو يقول ﴿ إن المادة تتحلل فعلاً ﴾ وجعل المادة أشبه بالنبات والحيوان والإنسان ، فكل نبات وكل حيوان تتحلل وترجع إلى المواد الأصلية والعناصر المكونة ، فهكذا المادة تكون على الحال الأخيرة ثم تصير كواكب وأرضين ثم تتحلل وترجع إلى عالم الأثير فهي كحيوان أو كنبات ، وقد قرأ علماء أوروبا كتابه الذي شرح فيه هذه الآراء وسماه « نشوء المادة » أحسن تقريراً ثم قالوا إنه أعظم كتاب علمي ظهر بعد كتاب « أصل الأنواع » لداروين وملخص كلامه أن الرأي القديم القائل أن الكون مركب من مادة قابلة للوزن ومن قوة تحرك المادة ولاتقبل الوزن أيضاً وتكون كهرباء وحجارة ونورا الخ ومن أمر لطيف يسمى أثيراً غير قابل للوزن أيضاً تنسج فيه الجواهر الفردة وهذه العوالم الثلاثة كل منها مستقل عن الآخر فهو يقول إن هذا الرأي القديم خطأ وإن هذه العوالم الثلاثة لا فواصل بينها . فالمادة تتحول إلى قوة والقوة تتحول إلى أثير . يقول (جوستاف لوبون) لا نبات

هذه المسألة ﴿ إن الراديوم وما أشبهه يذهب بهاء منشورا ويزول من الوجود بإرسال ذرات صغيرة منه ذات سرعة عظيمة ﴾ . ويقول إن جزءا من ألف من جرام (الراديوم) الذي هو أسرع المواد انحلالا يبقى دهورا وهو يشع ملايين الملايين من تلك الفترات الى أن تتحول مادته الى قوة أخيرا فصلا . إن جعب المادة لافرق بينها وبين الراديوم غاية الأمر أن الراديوم أسرع انحلالا وانحلال الراديوم يكون بإرسال ذرات صغيرة منه بسرعة تقرب من سرعة النور أى (٣٠٠.٠٠٠) كيلومتري الثانية وقد قاسوا تلك القوى التي تضع في أثناء انحلال المادة فوجدوها أشد القوى في هذا العالم وقد قالوا انهم لو قدروا أن يحولوا جراما من الحديد بحيث يعدم في ثانية واحدة لتتحول هذا الجرام الى قوة تعادل قوة (٩) آلاف بليون و (٨٠٠) مليون - صان وهذا المقدار كاف أن يحرق قطارا حديديا حول الأرض (٤) مرات ومن هذه القوة الكامنة في المادة النور والكهرباء والحرارة والجاذبية ، فهذه تتحول بعضها الى بعض لأن أصلها واحد وما الكهربية إلا نتيجة انحلال المادة وهكذا ضوء الشمس فهو ناتج من انحلال مستمر في عناصر وهكذا

فهذا هو الرأي الجديد لجوستاف لوبون القائل إن العالم المادى مصيره الزوال ككل حيوان وكل انسان وهذا هو تفسير الآية . يقول الله تعالى - كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون - إذن أصبح الرأي الجديد هو المفسر لهذه الآية ، فكل شئ هالك إلا وجهه فلا فرق بين النحلة والخلة وبين نفس المادة العاتة فكل منها له عمر محدد ثم ينعدم ، فإذا رجع الحيوان والنبات الى المادة الأرضية والهوائية رجعت المادة جميعها الى عالم الأثير وعالم الأثير عالم إلهى لا ندري سره - وأن الى ربك المنتهى -

ومعالم الأثير إلا كعالم الخيال الذى نحسه فى نفوسنا فإن الانسان متى أغمض عينيه وهو مستيقظ أخذ يحول فى عوالم لانهاية لها يشاهدها بحاسة باطنية ثم ان الصور التي تبرزها فى الخارج لانصنعها إلا بعد أن تتصورها فى خيالاتنا أن المادة الخارجية لا تظهر إلا من الأثير فعالم الأثير عالم مجهول لا يقربه لنا إلا هذا الخيال الذى نتخيله ولا نراه

فلتظنر أمة الاسلام بعدنا ولتأملوا هل أمكننا تفسير هذه الآية إلا بقراءة علوم الأمم حولنا ؟ ألسنا بهذا نعترف قوله تعالى - ويقول الذين كفروا لست مرسلنا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب - فالعلماء فى الأمم بعدنا هم الذين يفهمون أسرار النبوة و يقولون معنى - كل شئ هالك إلا وجهه - ومعنى - وقال الذين أوتوا العلم ويسلمون وأبلى الله خبر - الخ

وهذا وأمثاله هو السبب فى أن القرآن يذكر فى الأمور العظيمة العلم وأولى العلم ويقول الله - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - إذن دين الاسلام فى المستقبل لا يحمله إلا أمم ارتقت بالعلم ودرست مناهل كل فن ، فويل بعدنا للسلمين الجاهلين ، وويل ثم ويل لمن قرأ هذا التفسير ولم يكن نبهرا ونورا مشرقا للسلمين فأعرض وتولى عنهم مع قدرته ولم يكن مصلحا لعقول المؤمنين . انتهى ما رددته فى تفسير هذه الآية عند الطبع يوم الاثنين أول يوليو سنة ١٩٢٩ م

﴿ جوهرة ثمان ﴾

(الأولى) فى بعض سر - طسم -

(الثانية) فى العلة بين السورتين

﴿ الجوهرة الأولى فى سر - طسم - أى الطاء والسين والميم فى أول سورة القصص ﴾

فى ليلة الخميس ١٨ يوليو سنة ١٩٢٩ خطرتلى وأنا ذاهب الى المنزل هذه العاني فى سر - طسم - فى أول هذه السورة . لقد جاء فى أول السور المتقدمة أن هذه الحروف قد خست لتذكر السلمين اليوم بأهم ما ينقسم من السكالم فى هذه الحياة وغيرها وهذه السورة طبعاً بدت بما يشير لتلك فيها . إن هذه السورة مبدوءة

بقصص فرعون محتومة بقصص قارون ، ولاجرم أن فرعون استضعف طائفة من الناس واستعيا نساءهم لأنه مفسد . ثم إن هذه الطائفة من الله عليها وفازت ، إذن أهم ما في هذه السورة أن الطوائف الضعيفة المستعبدة يوما ما تنصر على أعدائها - وتلك الأيام ندلوها بين الناس - ومثل ذلك أمر قارون فإنه أعطى المال ففرح وأفسد ثم ذهب هو وماله وكان الذين أوتوا العلم أرشد عن أوتى المال . هذا ملخص ما في السورة طوائف ذليلة ، سياسة ، أو ما لا يكون ما لهم الفوز ، فالسياسة في أول السورة في قصص فرعون وموسى والمال في آخرها في قصص قارون ، فلما كانت هذه المعاني هي أهم ما يقصد في زماننا لرقى المسلمين كان ما فتح الله به في هذه الليلة مناسباً لذلك ، ألم تره أشار بالطاء لطائفة والسبب لنهها واستعبادها وهذه السبب مذكورة في - يستضعف - و - يستعجى - وفي - المفسدين - فالسبب في الكلمتين الأوليين مذكورة مع الإذلال وفي الآخرة لتوجيه الفكر الى صفه الظالمين وهو الفساد ، ولما كانت هذه الطوائف الضعيفة لابد من نصرها كثر ذكر الميم في هذه المعاني إذ قال - وزيد أن نبي على الذين استضعفوا في الأرض ونجملهم أئمة ونجملهم الوارئين ونمكن لهم - الخ فالميم في - طسم - تشير الى جعلهم أئمة لأن الميم جاءت في الكلمتين وفي جعلهم الوارئين وفي نمكنهم في الأرض . إذن - طسم - في هذه السورة فيها ملخص السورة ، ولعلنا قلنا يقول هذه الحروف لم تأت في أول الكلمات غالباً بخلاف كثير من السور السابقة فأقول إن من فهم أسرار حروف أوائل السور فيما تقدم يسهل عليه استخراج غوى هذه السورة من الحروف في أوها ، إذن من عرف ما تقدم يعرف الحكمة الإلهية واذن يفقه ما ذكرناه هنا سريعاً ، لذلك جعل الله هذه الحروف هنا موزعة على آيات كثيرة وليست أكثرها في أول الكلمات وظهور هذا السر الآن في هذا التفسير يرى ﴿ الفرضين ﴾ الفرض الأول ﴿ هو ما تقدم وهو أن الطوائف الضعيفة لابد من فوزها وأن الله رؤف بها ، فالطاء للطائفة والسبب لنهها والميم لنصرها ، وهذا ملخص السورة كما تقدم ، فهذا الفرض اليوم يشير الى رقى المسلمين كأنه يقال لهم أيها المسلمون كل دليل يبرهن بعد ذلك فافقروا التاريخ ، فإياكم أن تقنطوا من رحمة الله فيرجع لكم بحكمكم فلسم أول أمة ذلت بعد عزها ﴾ الفرض الثاني ﴿ أن تحترس الأمم الاسلامية وغير الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها من الفرور بالملك واستعطف الأمم فإذا قويت أمة اسلامية فلتعلم أن الله لها بالمرصاد وإذا أذلت أمة فان الله يقتضى للظالمين من الظالم ، وكل هذا تشير له - طسم - فكان هذه الحروف مبشرة لكثيرين الأمم الأذلاء ومنفرة للأمم الأقوياء وانهم لابد أن الله ينصر الضعفاء يوما ما عليهم فيجب الاحسان للأمم الضعيفة والنصح لهم والحمد لله رب العالمين

### ﴿ الجوهرة الثانية في الكلام على الصلة بين آخر سورة القصص وأول سورة العنكبوت ﴾

اللهم إنا نحمدك على جلال العلم وبهاء الحكمة ، أرينا يا الله في قصة قارون انه غره المال والخزائن و - قال انما أوتيته على علم عندي - ووجته على انه جهل تصرفك في القول واهلاكك للأمم وشهد الذين أوتوا العلم أن هذا ظل زائل وقتل للناس في غضون ذلك انك لاتحب الفرحين وانك لم تجعل العاقبة إلا للذين لا يفسدون في الأرض ولا يريدون العلو فيها ثم ختمت السورة بأن هذه المواد غير موجودة عند التحقيق وانما هذه النفوس الأرضية قد حكم عليها أن يكون نظرها للوجودات نظرا يعجبها فيها ويجعل عقولها مشغولة بهذه المادة وفي الحقيقة لامادة وانما تلك أشياء أقرب الى الخيال منها الى الحقائق ، فناسب أن تكون سورة العنكبوت مبتدأة بمسألة الفتنة وأن هذا النوع الانساني مبني كله كإبتلى الأنبياء والعلماء وذلك ليجتهد الناس في أعمالهم ويصل كل منهم الى درجت التي استعملها ، ثم أخذ بعد ذلك بحررض على الجهاد وأن لقاء الله لا يكون إلا بهذا الجهاد . إن هذا الانسان كله مكبل بقيوده محبوس في سجنه حكم عليه حكماً قطعاً أن يعيش في ظلمة الطبيعة ويقضى الضرورة الحيوانية ويتلبس بالطين ويأول شهوات البهائم ونزوة السباع وضراوتها



فلست نراه إلا ساعيا جهده لكسرة يأكلها وشهوة يسدها وغضب يثيره فقواه موزعة وآراؤه مشتتة هذا هو الإنسان أوله وآخره ، وما الدين ولا العلم ولا العمل إلا سعى للخلاص من هذه الطبيعة الطينية . واعلم أيها الذكي أن هذه المعاني لا تكتشف إلا لمن أدرك ماعليه الناس الآن . إن الناس تراهم في هذه الأرض مجبورين مقهورين على أعمال كلها نصب وتعب وما أرضنا إلا جواهر نارية متكافئة وباطنها مواد محرقة وكل نبات وكل حيوان أجسامها قابلة للاحتراق ونحن لآ حياة لنا إلا بالحرارة التي هي من طبع النار ، وهاتين أولاه تنتقل من سجن إلى سجن فإذا سجننا في سجن الجوع أو الشبق وهو بنا من هذين السجنين يتعاطى الطعام وباستماع الذكور بالاناث دخلنا في سجنين آخرين وهما سجن حوز المال وحسب الترف وذلك المحافظة على ممالكنا ثم الحسد والبخل وما أشبه ذلك ، وسجن الثرية الذين نسي ونكذ لتربيتهم وتعليمهم ونحزن لمرضهم وجهلهم فنخرج من سجن إلى سجن ومن عذاب إلى عذاب ونحن نظن أننا سعداء فرحون ثم إن الأمم كالأفراد فهم متعدون منافقون مخادعون متحاربون . لقد خلقنا الإنسان في كبد - قتل الإنسان ما أكفره - إن الإنسان ليطغى - وكيف لا يكون في خسرو وهو مشغول بما كفيته البوذة وسعدت به حشرة أبي دقيق ، حشرة أبي دقيق دودها يأكل ورق القطن وتجده موفرا لها فهي به سعيدة ، وماتل الإنسان من سعيه مثل ماتل تلك الحشرات الساكنات في قصور خضراء من ورق القطن فيها ثريات لامعات بهجت هي أزهار القطن ، وهذا الإنسان كله أوله وآخره يسى ليحصل سعادته في الدنيا فلم ينل ثم هو يغفل بنفسه ويفكر في أصل العالم ومنشئه وهذه النجوم والشموس ولماذا خلقنا في الأرض وهكذا فيجزه البحث فيرجع طرفه خائسا وهو حسير

هذه هي مرتبة الإنسان ولهذا أمر بالجهاد ليخرج من هذه المازق وضربت له الأمثال تارة بقصة آدم وآونة بقصة قارون ، فإذا وجدنا قارون افتتن بالمال فذلك ليس خاصا به بل كل الناس بل الذي لامال عنده قد يكون قلبه معلقا به كقارون ، وكمن من صعلوك لا يملك شروى تثير أمت الدنيا وأصلته ، وكمن من غنى زهدا فهما كما قيل

علقتها عرضا وعلقت رجلا \* غیری وعلی أخرى ذلك الرجل

واعلم أن جميع الذنوب التي وردت في الشرائع السابقة واللاحقة كالزنا والسرقة والقتل ما هي إلا آثار أو نتائج لما كن في هذه النفوس من الشهوة والغضب ، فامتثل تلك الصفات في النفوس إلا اكتمل الأقداء في العيون ، وما مثل هذه الذنوب إلا اكتمل التيباب يقع عليها فلول تكن في العيون أقداء لم يقع التيباب عليها فوقع التيباب شبه به الذنوب والقذى في العين شبه به أساس تلك الذنوب ومن أزال الأساس فقد أزال ما بني عليها ولا تزال هذا الأساس إلا بالجدة والاستغفار والتوبة والأعمال الصالحة والرجوع إلى مبدع العالم واعلم أيها الذكي أن من عرف ماقبله لك الآن وأدركه حتى الإدراك عرف أسرار في البيانات وحلت له مشا كل كثيرة ﴿ مثال ذلك ﴾ أن المسلم يقول في المجلس بين السجدين ﴿ رب اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني وارزقني واهدني وعافني ﴾ يقول المسلم اغفر لي في كل ركعة ليس معناه انه قد أذنب خلافا فكم من المسلمين من يقول اغفر لي ولا ذنب له وقد كان ﷺ يقولها وقد أجمع العلماء انه معصوم من الذنب فهو ﷺ وكثير من المسلمين لا ذنوب لهم فكيف يطلب هؤلاء الطاهرون غفران ذنب لم يقع منهم . إذن طلب الغفران منصب على أساس الذنوب وهي الطبيعة الترابية التي شبهناها بقذى العين الذي هو السبب في وقوع التيباب عليها . إذن المسلم يطلب غفران الذنب سواء أذنب ذنبا أولم يذنب لأن هذه الطبيعة الطينية معرضة للذنوب فإذا كان المسلم مذنبيا طلب غفران هذه الذنوب القرعية وإن لم يكن مذنبيا طلب إزالة أساس الذنب لا غير ، وبهذا نفهم قوله تعالى - إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماقدمت من ذنبك وما تأخر - فالغفران

هنا منسب على تلك الأساس التي اقتضتها الطبيعة الانسانية في هذه الأرض

( بيان ما يشير الى هذا المعنى عند الأمم السابقة )

وإذا أنت أيها الذكر رجعت الى ما تقدم في آخر (سورة المائدة) وقرأت أن الدين المسيحي مأهول الإلصدي صوب دبابات قدّمت في مصر والهند والتبت والعراق عند الآشوريين والبابليين وأهل المكسيك القدماء وهكذا ترى بعضه في (سورة مريم) منقولاً عن علماء الألمان الكاشفين لهذا المعنى سنة ١٩٠٣ ذمّا وجدوه على الألواح في بلاد العراق ، أقول إذا رجعت الى ذلك كله وقرأته وفهمته حقّ فهمه أيقنت أن الصلب كان أمراً شائعاً في تلك الأمم على سبيل الخرافة وقد نقل الى الدين المسيحي نقلاً لاغير وأن هذا الصلب لابن الله البكر ليخلصهم من ذنوبهم بخروجه من هذه المادة وانهم جميعاً يفسون أنفسهم في الماء (ماء المعمودية) وأيضاً قد شاع في أكثر الديانات وآخرها الاسلام أن آدم عصي وانه هبط من الجنة الى الأرض وهكذا فكل ذلك من واد واحد ، نعم تلك الديانات منسوخة عندنا نحن المسلمين والمنسوخ لاحق له ، ولكن كلامنا الآن في شيوع هذه الآراء في الأمم . ان العقول الانسانية لا تقل في فطرها عن فطرة الحيوان بل فطرة الانسان أرقى وأرقى ولم نجد في الحيوان غرائز باطلة بل هي كلها غرائز شريفة أبدعها المبدع الحكيم ، فإذا كان هذا في الحيوان فكيف إذن بالانسان الذي جعله الله خليفة في الأرض وشرفه فكيف تم فيه خرافات الصلب وهذا الصلب لابن الله البكر ، وكيف تشيع عادة ماء المعمودية ، أقول إن هذا كله انما شاع في هذه الديانات وقبلته الفطر الانسانية وبقيت فيها دهوراً ودهوراً لأن هذا النوع الانساني كله يحسّ بأنه موضوع في طبيعة تبعده عن مقامه العالي وشرفه الرفيع فهو عاص وهو يحتاج الى التطهير من المصيبة فداء المعمودية مأهول لإلزام طهارة النفس والعلم والعمل والصلب خروج النفس من هذه المادة وارتقاؤها وتنزهها عن شهوات أهل الأرض . كل هذه المعاني مخبوءة في عقول أهل الأرض فتارة تظهر بهذه الخرافات كالصلب وماء المعمودية وتارة تظهر بهيئة حقائق مثل ماها ذنوب ويطلب من الله غفرانها ، ومثل ان أماناً آدم قد عصي وهبط من الجنة . كل ذلك يرجع الى تلك الأساس التي ذكرتها لك ، ولست أقول لك ان كل دين من تلك الأديان كان حقاً بل أقول ان هذه خرافات ابتدعتها الناس في الأمم وقبلتها تنوسهم ولكن لماذا قبلت النفوس هذه الخرافات ؟ انما قبلت هذه الخرافات لأنها تعبر عن فطرها

ولما أراد الله انقاذ الانسان من الخرافات وعلم انه استعدّ لظهور بعض الحقائق أنزل دين الاسلام وعبر بالغفرة والذنوب . هذا ثم انك اذا سمعت الله يقول في آخر القصص - فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون - فان هذا راجع الى الذنوب الفرعية ، وإذا سمعته يقول - تلك النار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً - الخ فهذا راجع الى طهارة تلك الأساس وتهذيبها ، وإذا سمعته يقول - نخرج على قومه في زينته - الخ فذلك لقروح تلك الأساس وإذا سمعت ذكر الجهاد والفتنة في أول القصص فما هو إلا إنعام لما في آخر القصص وهكذا ذكر الأعمال الصالحة والسيئات والأفعال كل ذلك تكميل لما في آخر السورة قبلها . انتهى والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الجمعة ١٩ يوليوس سنة ١٩٢٩ م

( تذييل )

( حكمة أقامها الله على قلوب بعض عباده من الصوفية وهي ان من لآوى الاستئناس بالله عن الدنيا فهو جاهل )

وهي من حكم قصة قارون قاتنها تتحدّد الزهد في الدنيا )

هذه القصة كما نمت المال والدنيا حوّضت على عدم نسيانها بالكلية ، فالقصة أعطتنا طريقاً وسطاً فلا نكون عائلة على الناس ولا نكون طماعين جاعين ، ولقد شاع في أيامنا هذه أن كثيراً من الشيوخ ورجال

الصوفية وجهلة الوعاظ يحقرون أمر الدنيا للناس فيبطل سعى كثير من العاقله ويكون نفس أولئك الشيوخ عالة على الأمة يلتمسون منها الهدايا تقرباً إليهم بما هو شائع معروف وهذا إثم وضلال ، فقلله ما خلق العقل والقدرة والأعضاء والحواس الطاهرة والباطنة ليعطلها ولكنه فصلها تفصيلاً لأجمل تقوم بها فتظهر مواهبها في الحياة الدنيا والآخرة ولقد رأيت في كتاب الشيخ الشيرازي المسمى « ددر الفواص على فتاوى سيدى على الخواص » مانعه « سألت شيخنا رضى الله عنه عما استند إلى الزاهد في الدنيا من الأساء والحضرات الإلهية فانه لا بد لكل شئ في العالم من استناده إلى حقيقة إلهية ونرى الحق تعالى رجوع وجود العالم على عدمه فبخلق من تخلف هذا الزاهد ؟ فقال رضى الله عنه الزاهد في الدنيا هو هدى الأولين والآخرين المتبعين للأوامر الإلهية لأن الله تعالى قد عشق الخلق في الوجود وزينه لهم وجعل ذلك حجاباً عليه لا يصل أحد إلى معرفته تعالى إلا بالاعراض عن زينة الكونين ، فمن زهد في الدنيا والآخرة فقد تخلص لربه عز وجل ومن زهد في الدنيا فقد تخلص للآخرة ومن لم يزهد في الدنيا لم يتخلص بشئ ونفس وانتكس ، فلزاهدون قد تخلقوا بأخلاق الله تعالى في كون الله تعالى منذ خلق الدنيا لم ينظر إليها أعني نظر محبة ورغبة والافهه تعالى ينظر إليها نظر تديروا ممداد ولولا ذلك ما كان لها وجود ، وكذلك الزاهد لا ينظر إلى الدنيا نظر محبة ورغبة وانما هو نظر تديروا ممداد لا يصح له أن يستغنى عنها فان من ادعى الاستغناء بالله عن الدنيا فهو جاهل إذ الغنى بالحق حقيقة لا يصح بالاستغناء عن الوجود نعمت خاص بالله عز وجل فابقي مقصود القوم بالزهد في الدنيا لإفراغ القلب وعدم التعمل في تحصيل ما زاد على ضرورات العبد لا غير عكس مرادهم بالرغبة فيها . فقلت له إن بعض الناس يزهد في الدنيا ويقول انما أزهده فيها توسعة على اخواني في الرزق فما حكمه ؟ فقال رضى الله عنه هو زهد معاول . فقلت له فكيف ؟ فقال لأن في اعتقاده أن الذى تركه قسمه الحق له ثم أعطاه للخلق وهو باطل . فقلت له فما الخلاص في مقام الزهد ؟ فقال رضى الله عنه الخلاص أن يكون بما ضمنه الحق تعالى أوثق منه بما في يديه ثم يتصرف فيما في يده تصرف حكيم عليم إذ هو نائب الحق من حضرة اسميه المعطى والمانع فيمنع بحق ويعطى بحق والله غفور رحيم » انتهى وبهذا تم الكلام على (سورة القصص) والحمد لله رب العالمين

## سورة المنكوبت مكية

إلا من أول السورة الى قوله تعالى - وما هم بمحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون - فغنية  
وآياتها ٦٩ - نزلت بعد الروم

( وهي قسمان )

( القسم الأول ) في تعليم الصبر والجهاد وطاعة الوالدين والمجاهدة في سبيل الله وفي برهما ومجاهدة  
الأصحاب وعدم إطاعتهم اذا أرادوا فتنه المؤمن ، ثم قصص الأنبياء من أول السورة الى قوله - وما كان الله  
ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون -

( القسم الثاني ) في حاجة الكفار وأهل الكتاب واثبات النوبة من قوله - مثل الذين اتخذوا من  
دون الله - الى آخر السورة

( القسم الأول )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم • أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ • وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ • أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَمُنُّونَ السَّيِّئَاتِ  
أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ • مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ وَهُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ • وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ • وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُنَّ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ • وَوَصَّيْنَا  
الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ تَرْجِعُكَ  
فَأَنْتَ بِنَفْسِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ •  
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ  
نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ • وَلَيَعْلَمَنَّ  
اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ • وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ  
خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِمَحْمِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ • وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ  
وَأَنفَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ  
فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ • فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ  
السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ • وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • إِنَّمَا تَتَّبِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ  
تَتَّبِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا  
لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ • وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ  
لِلْمَعِينِ • أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ • قُلْ سِيرُوا  
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
• يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ • وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا  
فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ • وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ  
أُولَئِكَ يَلْعَنُوا مِنَ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا  
أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ • وَقَالَ إِنَّمَا  
أَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بِنَفْسِكُمْ  
بَعْضُ يَلْعَنُ بَعْضًا كَفَرُوا وَتَوَّأَوْا كُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ • فَأَمَنْ لَهُ لُوطٌ  
وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْوَزِيرُ الْحَكِيمُ • وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا  
فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ • وَلُوطًا  
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ • أَلَيْسَ لَكُمْ  
لَأَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ النَّكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا  
أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ • قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ  
• وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا  
ظَالِمِينَ • قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَغْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْصِفَنَّ وَأَهْلُهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ  
الغَابِرِينَ • وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا بِهِمْ وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا  
تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانِكَ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِينَ • إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ  
الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ • وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ •  
وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي

الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ \* فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ \* وَعَادَا  
وَتَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ  
وَكَانُوا مُسْتَعْصِرِينَ \* وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُؤْمِنًا بِالْغَيْبَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا  
فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَائِقِينَ \* فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَنَهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ  
مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ  
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ \*

### ﴿التفسير اللفظي﴾

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الم) تقدم الكلام فيه في سورة آل عمران ، وسيأتي بيان آتم لها في هذه السورة ، فانك ستري  
قريباً أن - الم - هنا تشير إلى قوله تعالى - أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق - الخ فيه - الم - وذلك  
ليحقق العلماء بالحكمة ، ههنا أخذ الله عز وجل يصل هذه السورة بما قبلها ، إن أواخر السورة السابقة كان  
في ذكر قارون وأهل العلم والجهلاء وكيف كانت الزينة القارونية تفر الجاهلين وكان أهل العلم غير مغترين بها  
ولا يزعجين من فوائدها ولا فرحين بنوالها لعلمهم أن دوامها مستحيل وأن هناك ما هو أجمع منظراً وأبقى أثراً  
وهي الحكمة والعلم ونعيم الآخرة فكان ملخص ذلك المجاهدة في ترك هوى النفس فلا تعلق على الناس ولا  
فساد في الأرض ، فهذه السورة ابتدئت بتجسيم هذا الموضوع والتدقيق فيه فقال الله (أحسب الناس أن  
يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أي أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم - آمنا - كلا انهم لا يتركون  
لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكليف كاللهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وأنواع  
المصائب في الأنفس والأموال والفقر والقطط ومصاراة الكفار ، ولقد فاق الله بعض الناس ببعض لتخلص  
نفوسهم من أسرار المادّة وذل الطبيعة لأن التهذيب والتأديب إما بالعلم والمعرفة والعبادة وإما بأنواع المصائب  
فكلاهما جعله الله في الأرض لتخلص الناس من أشراك هذه المادّة

(١) فيجاهد المرء شهواته المذكورة في آخر القصص حينما يرى زينة المترفين والأغنياء كزينة قارون  
وهذا الجهاد إما بالعلم كما قص الله عن أهل العلم إذ قالوا - ويلكم نواب الله خير - الخ وإما بالعبادة والنوازل  
كالجهلاء لما رأوا هلاك قارون ففرغوا معرفة سطحيته ونوا - ويكأن الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر -  
(٢) ويجاهد أبويه ويكون معهما بوجهين فهو بارٌّ بهما عاصٍ لأمرهما إذا أمرهما بالكفر كما سيأتي  
(٣) ويجاهد الأصحاب إذا أغروا أن يكفروا وسهلوا له الأمر كأن يقولوا له - نحن نحمل عنك خطاياك ،  
وملخص ذلك كله جهاد الشهوات ، وجهاد الأصحاب ، وجهاد الأعداء ، وكل ذلك اختبار للناس وتهذيب  
واعلم أن كل ما رواه المنسرون في هذا المقام من أنها نزلت في عمار أوفى مهجع أو غيرهما لم يرد له ذكر  
في الصحيح وفوق ذلك روايتهم مناقضة للحقيقة لأنهم ذكروا أن بعضهم أودى في مكة والمؤمنون في المدينة  
وذلك يناقض كون السورة مكية وكثير من أحاديث النزول ليست في الصحيح فتفتن ، ولم يرد في هذه السورة  
من الصحيح إلا حديث أم هانئ كما سيأتي رواية الترمذي وحديث ابن عباس رواية رزين وبقية الصحاح  
لا شيء فيها مما يخص هذه السورة ، وسأتبع هذه الطريقة في بقية التفسير إن شاء الله تعالى ، فلا ذكر بقية

## تفسير هذا القسم فأقول

هنا يقول الله أيها الناس لا تغفلوا اني خلقتكم سدى انما خلقتكم لأريقكم لعالم أرقى من عالمكم ولا يتم ذلك إلا بعمل وعمل ، ولما كان العلم والعمل وحدهما لا يقويان على ارتقاكم ساعدتكم بمآيتنا بكم من التوازل والمصابب الطبيعية والأفقس والآفاق لأن هذا يرقى نفوسكم وان كنتم لا تشعرون ولم أدخل العبادات من ذلك فقلقد أمرتكم بالتخلي عن بعض المال والشهوات والجوع في الصيام لأبكل بالعمل التهذيب الذي وضعته بالطبع في أرضكم كما أني كنفتكم بالزرع والكسب لاصلاح معاشكم فأكثر معاشكم بالطبيعة التي نظمناها ولا يكمل إلا بعملكم هكذا المصابب والتوازل وتغير الأحوال التي لا تتقرون عنها كل حين مهنات لنفوسكم فجاء الدين فأكملها تهذيباً وتاديباً بصرف النفس عن المال والولد الى الزكاة والحج والصلاة والجهاد وغيرها خياتكم كلها حياة شقاء شئكم أم أيتهم فان جاهدتم ارتقيتم والا كان العذاب واصبا عليكم في الدنيا وبعد الموت لأن الميت اذا لم يكن له أجنحة كالعلم والعمل يلعب بها هناك فكيف يعيش في تلك الأجواء الثقبة الحرة البهية فلذلك لم أدخلكم من الجهاد كما لم أدخل من قبلكم من الأمم البائدة (ولقد فتنا الذين من قبلهم) فذلك سنة قديمة قديمة شرعناها لكم كما شرعناها للأمم قبلكم فلا ينبغي أن يتوقع الناس خلاف ذلك (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) أي فليظنن الله الصادقين والكاذبين وليميزنهما وأوليجزلنهما فالمراد بالعلم أثره ومن ظن خلاف ذلك من الناس فهو سيء الحكم جاهل (أم حسب الذين يعملون السيئات) كالشرك والمعاصي (أن يسبقونا) أي بل أحسب هؤلاء أن يفوتونا فلا تقصروا أن نجزيهم (سواء ما يحكمون) أي بئس حكما يحكمونه حكمهم ، وكيف يحكمون هذا الحكم وأنا لم أخلق الخلق سدى ، أنا ربهم في عالم المادة وهذا بهم بأنواع التهذيب والتعذيب والرياضة والعلم عسى أن يلحقوا في هذا العالم نورجلالي وجلالي (من كان يرجوا لقاء الله) في الجنة وأن يشاهده ويرى مآلهم رأت ولأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فليفرح (فان أجل الله لات) وكيف لا يفرح وكل مصيبة نزلت أو تكليف جاء به دين فأما جعل ليقرب العبد من ذلك المقام ويبعده عن ظلمة المادة وليس الله بغافل عن المطيع والمعاصي (وهو السميع) لأقوال الفريقين (العلم) بما أكنته قلوبهم من كفر وجهل أو إيمان وعلم فيضع كلا في مركزه الخاص به ، فعلى المرء أن يجاهد حتى يبلغ تلك المرتبة العالية (ومن جاهد فأنا مجاهد لنفسه) لأنه يريد أن يتخلص من عالم النقص حتى يستعد لمشاهدة العوالم الطيفة ثم يصل الى الله ولا يكون ذلك إلا بتلطيف النفوس فليس ذلك الجهاد راجعاً لله بل هو لنفس العبد (إن الله لفني عن العالمين) فهم في حاجة الى لقاء بتصفية نفوسهم لاهو فالجهاد إذن لهم لاه إذ معنى لعمل لا تعود فائدته على العامل نفسه فكل عبادة أو تكليف يراد بها ارتقاء النفس فقول العبد - إياك نعبد - ليس الله في حاجة اليها بل تلك تلطيف النفس ببعض التلطيف بذلك التوجه فتخلص شيئاً فشيئاً من المادة وهذا هو قوله (والذين آمنوا و عملوا الصالحات لنسفرن عنهم سيئاتهم) كالنكفر بالإيمان والمعاصي بالطاعات فترقع نفوسهم عن العالم المظلم (ولنجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي أحسن جزاء أعمالهم والحسن في الجزاء أن تكون الحسنة جزاءها حسنة والأحسن أن تكون الحسنة جزاءها عشر حسنات أو أكثر ثم أخذ يشرح بعض الجهاد في الوالدين إذ قال (ووصينا الانسان بواليه حسناً) أي وقلنا له أحسن بوالديك حسناً وأقلنا أفضل بهما حسناً (وان جاهدك لتترك في مآليس لك به علم) أي لاعلم لك بلهيتي بل هو مني أي لتترك في شيئاً لا يصح أن يكون إلهاً (فلا تطعهما) في ذلك وكيف تطيعهما في مصيبة خالقك وخالقهما (الى صرحكم فأنبشكم بما كنتم تعملون) فأجازيكم على الخير والشر \* روى انها نزلت في سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه وأن أمه حلفت لا تنتقل من الضحك ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد وليبت ثلاثة أيام كذلك ثم إن ابنها أوقع في قلبها اليأس من اسلامه فرجعت فأكلت وأن هذه الحادثة أيضاً كما كانت سبب هذه كانت سبب

التي في لقمان والأحقاف وهذه الرواية لم ترد في الصحيحين ولا بقية الكتب الستة ، ثم قال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) أي في جنتهم فليستعدوا لذلك بالجهاد فالصلاح درجات وللعلم درجات وكل يوم القيامة يدخل فيمن هو أهل لهم ، وليس الصلاح مجرد دعوى لادليل عليها بالعمل . إن الصلاح لا يكون إلا بالجهاد والصبر على الأذى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى من الله) كاحصل من تعذيب الكفار المؤمنين (جعل فتنة الناس) أي ما يصيبه من أذيتهم في الدنيا ليصتوه عن الإيمان (كعذاب الله) الذي قدره على الكافرين ليصرفهم عن الكفر ، فهو لاء يجزعون من عذاب الناس ولا يصبرون عليه فيطيعون الناس في كفرهم كما يطيع المؤمن ربه غلوفه من عذابه وهل فتنة الناس كعذاب الله كلا . ان عذاب الله أشد وأبقى فهو لاء لأتبات لهم ولا صبر ولا سعادة لأحد إلا بالصبر وانما يروغون كما يروغ الثعلب ويتقلبون قلب الحرباء وذلك القلب لضعف قلوبهم ، ولذلك اذا جاء نصر أو غنمة قالوا لئانكم وهذا قوله تعالى (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم) في الدين فاشركونا فيه ، فهو لاء هم المنافقون (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) من الاخلاص والنفاق ثم أكد فقال (وليعلنن الله الذين آمنوا وليعلنن المنافقين) يقال انها نزلت فيمن أخرجه المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزل فيهم - الذين تنوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم - ولذلك يقال إن هذه الآيات العشر من أول السورة الى هنا مدنية وبقا السورة مكي وقد علمت أن الأحاديث ليست في الصحيح المأثورة

هذا ولما تم الكلام على جهاد الوالدين وما بعده من المنافقين ذكر جهاد الأعداء الذين يفترون أصحابهم ليتروا الدين فقال (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبلنا) الذي نسلكه في ديننا (ولنحمل خطاياكم) فاتركوا الاسلام واتبعوا ديننا القديم وعلينا أن نحمل خطاياكم وهذا قول صناديد قریش لمن آمن منهم (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون) في قولهم نحمل خطاياكم (وليحملن أثقالهم) أثقال ما اقترفوه من الإثم (وأثقالا مع أثقالهم) أي وأثقالا أخر معها فان من سن سنة سبته فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من وزر من اتبعه شيء (وليأسألن يوم القيامة) سؤال تفریع (عما كانوا يفترون) من الأباطيل التي أضلوا بها ، وههنا أبتدأ سبحانه بذكر قصص الأنبياء ليتعظ المسلم بما يرى من جهاد المجاهدين شرحا لقوله - ولقد فتنا الذين من قبلهم - الخ فابتدأ بما فتن به نوح ومن معه حتى يصبر الناس كما صبروا وكذلك ابراهيم ولوط وشعيب وهود وصالح وموسى ، فهو لاء كلهم صبروا هم وأتباعهم على ما أودوا فنجوا وهلك أعداؤهم

﴿ جوهرة في قوله تعالى - ومن جاهد فإمّا يحاهد نفسه إن الله لفتي- عن العالمين - ﴾

اللهم إنك خلقتنا في الأرض ونحن فيها أشبه بالفرقي في بحر الحى ، أرواحنا قبسة من نورك فأزنتها الى الأرض وليست كل روح جسمها ووقعت في حيص يص فى أبدا لتجاهد لتتجوز من الخطر الملازم لها وهي هذه الأجسام وشهواتها وأخلاقها وأحوالها ، وليس الجهاد قاصرا على أمر دون أمر فالجهاد يشمل كل عمل يرفع هذه النفس عن الدنيا ويقربها في سفرها وينقلها من غرقها ويخرجها من بحر هذه الحياة اللجج والجهاد ﴿ نوعان ﴾ جهاد داخلى وجهاد خارجى ، فالجهاد الداخلى لقتوى الشهوة والغضب فيعتدل الانسان في قوته الجسمية والعقلية ، وجهاد خارجى وهو دفع الأعداء وبعض العبادات ومنها الحج فهو من أهم أنواع الجهاد بل الحج يذكرنا بسعادة نوع الانسان ويرمز الى ﴿ فائدين ﴾ منها صحة البدن واجتماع الأمم بسلام ، إن الاسلام لو لم يكن فيه سوى الحج لكفى لسعادة الانسان ، فيه جهاد النفوس بترك الخيط من التياب كما تقدم قريبا في (سورة القصص) عند الكلام على منافع الشمس في آية - قل أرأيتم - الخ والاجتماع بالاخوان من سائر الأقطار ليشهدوا منافع لهم . واعلم أيديك الله أيها الذكر أن مسألة الحج يقصد بها الى أمر عظيم وهو



نبد التمالى والتكبر وترك الترف والنعيم اللذين يسببان هلاك الأمم في هذه الدنيا ، ولقد فاقنى في سورة الحج وفي البقرة وغيرهما من السور التي ذكر فيها الحج أن أين أكثرهما ذكرته هناك ولكن الله عز وجل يريد أن يمن على أمم الاسلام بالعلم والحكمة ، فأول ما خطر لي خاطر الحج من حيث الصحة العلة بتعرض الجسم لضوء الشمس كان بسبب ععادة شاب مى أخذ يذكر مناسك الحج وأن أوروبا قد أخذت تنفيذ القصور والورر وتذهب الى أعلى الجبال ليعرضوا أجسامهم لحرارة الشمس تبعاً لأوامر الصحة ، هنالك حضر لي هذا الخاطر فكتبت بعض ذلك في (سورة القصص) كما قلت لك آنفا ولكن انظر ، ان الانسان يعيش ويموت وهو لا يزال في حاجة الى الاطلاع ليعلم ما لم يكن يعلم فاقى في هذا اليوم صباح ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٩ اطلعت على هذا الموضوع في (الرحلة الحجازية) لصديقى محمد ليلى بك البغوتى فرأيت وفي الموضوع حقه فأنقصه هنا تلبية لنداء الوجدان واتمما للكلام على الجهاد لأن جهاد النفوس الانسانية في الحياة الدنيا يجب أن يشمل الجهاد الجسمي والجهاد الروحي وجهاد الأجسام بصفاتها وخلوصها من الأمراض بترك الاكثار من الماء كل وباستخلاص أنفعا في الحياة والصحة وبتترك الاكثار من الملابس التي تضر بالصحة في كل أمة بحسبها . والجهاد الروحي بحب الاخوان بل بحب جميع الأمم ولن يكون ذلك إلا بترك الترف والنعيم والحرص ومد يد المساعدة العانة فلامتد في الأرض مساعد لآخوانه ولاضعف جسم يقوم بأود محتاج . إن الحياة جميعها جهاد . وما كان يهيج بالى ويزيد بلبالى أمر الملابس فاقى وجدت الأم قد اختلعت لأنفسها خطة ضيق الملابس والتصاقها بالجسم ولم أجد في هذا الانسان إلا مقلدا . الناس جميعا مقلدون وقليل فيهم المفكرون وهذا القليل لا قوة له على اخضاع هذه الجوع ، ولطالما وقفت أمام صورة في المتحف المصرى يقال انها صورة (شيخ البلد) فكنت أجد الجسم ليس عليه إلا إزار واحد فجبجت وصرت أقول باليت شعرى ، أليست هذه مصر ، أليس هذا منها وأنا منها ، فلماذا اكتفى هذا الرئيس ومرؤسوه بالإزار ونحن لبسنا ملابس وماهى إلا حل ثقل علينا . هذا الموضوع وغيره حرك وجدانى فبحث فلم أجد لي سبيلا إلا مناسك الحج وفهم بعض أسرارها ففرت أن الله فرضه ليقول للناس هاهوذا وصفرق الانسان ليقرا الناس علم الصحة فيعرفوا أن مهتهم لا تتم إلا بالتجرد في بعض الأوقات من الثياب وتعرض أجسامهم للشمس وليكونوا بزى واحد تقريباً حتى يتحابوا فتكون مدارس الغرب ومدارس الشرق على وتيرة واحدة ، هنالك يتعاونون جميعاً وهنالك تقدم لهم الأرض خبراتها وكنوزها . ولم أجد كتاباً يشرح هذا الموضوع مثل ما جاء في تلك (الرحلة) وهذا نص ما جاء فيها تحت العنوان التالى وهاهوذا

### ﴿لباس الاحرام﴾

كان الناس قديماً يصنعون ملابسهم من القطن أو الكتان أو جلود الحيوانات بحال بسيطة جداً والمصريون كانوا يستعملون في أول أمرهم المثير ثم البرنس وهو قطعة من القماش تلقى على الأكثاف وترى بها عزم وترسل الى الركبتين في العانة أو الى أسفل منها في الخاصة حتى اذا ترفت البولة في عمراتها أمالوا من ذلك البرنس الى الكمين ولبسوا من تحته قميصاً لا أكام له أخذه عن الأنبييين<sup>(١)</sup> وكانوا في مبدل أمرهم يلبسون ثيابهم بلون واحد (أخضر أو أزرق أو أحمر) ثم اتهموا باستعمال كثير من الألوان في ثيابهم مع ما كانوا يوشون به دائر ملابسهم بالأشرطة المنقوشة . أما الاشوريون فقد كانوا يشتغلون بقطعة كبيرة من القماش ويمرونها من تحت ابطهم الأيمن ويضطون بها الصدر ثم يرسلونها على الكتف الأيسر حيث تثبت طرفها إما بقفدة أو بمشبك

(١) هم سكان أنيوبيا وهى ملكة قديمة كانت في جنوب مصر في المنطقة التي بها الحبشة وما والاها شرقاً الى الصومال وشمالاً وغرباً الى جزء عظيم من السودان المصرى

(انظر سطر عشرين من صفحة ١١٥٣ من الجزء الثاني من دائرة المعارف الفرنساوية الكبرى) ثم غيروا هذا الزي بأن لبسوا قميصا صغيرا ومن فوقه شئ يشبه العباءة والأحجام كانوا يزبدون على ذلك سراويل واسعة . وأهل اليونان كانوا يلبسون رداء طويلا ولساعا ويمرّونه من تحت أبطهم الأيمن بعد أن يلفوا به وسطهم ثم يرسونه على ظهورهم بعد أن يغطوا به كتفهم الآخر ثم صاروا يمشون بهذا الرداء الجسم جيعه . ذلك بأنهم كانوا يأتون بهذا الرداء الطويل ويربطون طرفيه ثم يدخلون ذراعهم الأيمن مع الرأس من فتحة ما بينهما بحيث تكون العقدة على الكتف الأيسر ثم يلف الجسم بياقي هذه الشملة ويسمونها (شيون) كما تراه الى اليوم في عرب البادية المصريين خصوصا عرب الغرب منهم . ولاشك في أنهم أخذوا هذا الزي من الرومانيين أو القبطانيين ولبت فيهم على بداوته الأولى الى الآن وهذا الشكل يوجد منه صور كثيرة على الآثار الرومانية وقد شاهدت شيئا يماثل تماما على قاعدة المسلة التي في القسطنطينية في ميدان السلطان أحمد وعلى بعض النواويس الموجودة في متحف الاستانة بل وفي النقوش الموجودة في سقف جامع القاهرة (القنطرة) وهو أول كنيسة بنيت في الاستانة وحولت الى مسجد بعد الفتح . أما أتكخاتنا المصرية فقد شاهدت فيها أن ملابس المصريين في قديم الزمان كانت تنحصر في لبس المتر وهو فوطه يلف بها النصف الأسفل من الجسم على هيئة ما يكون الرجل في أيامنا هذه داخل الحمامات العمومية (١)

وأخص بالذكر ما رأيته على هذه الصورة تمثال «دكفرين» المشهور بشيخ البلد في القاعة حرف (أ) من الدور الأول عمرة ٧٤ وهو باني هرم الجيزة الثاني ومن ملوك العائلة الرابعة المصرية التي كانت توجد في القرن الخامس قبل المسيح ، ثم تمثال (رعنفر) من العائلة الخامسة في القاعة حرف (هـ) ثم تمثال (أمور وأمون) وهما من معبودات المصريين ، ثم صورة للمسيح بالسخة الصغيرة للطريقة الجينية تمثله بمتر بسيط ولا يمكن تحقيق ما على نصفه العلوي لأن يد الزمن قد عت ما عليه ، ويوجد غير ذلك كثير من التماثيل البرنزية والنحاسية التي في دواليب المتحف لاسية شبه احرام كامل وقد شاهدت من بينها تماثلا من الفخار للعدواء وهي ملتصقة بشملة تقطى جيع جسمها وابنها على يدها

أما القاعات الرومانية واليونانية التي على عيني من المتحف من الدور الأول ففيها مثال الاحرام بأشكاله التامة فترى في وسط القاعة حرف (١) امرأة رومانية من الرخام الأبيض الوردى هيئة احرام كامل أعني انها ملتصقة برداء أبيض يضطى كل جسمها ماعدا رأسها ، ويقرب منها مثال رجل من الجرانيت الاسود ملتصق برداء قد انحصر عن ذراعه الأيمن وهو ما يسمونه في الاحرام بالاضطباع وفي رجله نعال لا تقطى ظاهر القدم اللهم لا العروة يدخل فيها الإبهام ويخرج منها سيران رقيقان يتصالبان على مادن الكمين ويربطان فيما دون العقب وهو ما يسمونه في الجوار بالنعال الشرقية التي أجبت المذاهب الأربع على حمة الاحرام بها وهذه النعال تراها أيضا في قدم منفصلة عن جسمها موضوعة على يسار الدخول في القاعة حرف (أ) ومتاحف الفنون الجيلة في جميع أنحاء الدنيا غامة بصور الناس في العهد القديم وهم في لباسهم البسيط الذي يماثل لباس الاحرام بل هو هو بعينه والقوم يمثلونه تماما في تشخيص الروايات التي تمثل الزمن القديم الروماني أو اليوناني وخصوصا في تمثيل صور الأنبياء والحكماء . ويقال ان اليهود كانوا يستعملون في معابدهم لبس غير النحيط . أما الآن فيكتفون بوضع رداء على أكتافهم من الصوف يسمونه (تليت) أو (تيسوت) ليتشبهوا بموسى عليه السلام في بساطة لباسه . ومن هذا ترى أن ملابس الناس في الزمن القديم بل في جميع أدوار الأمم الحالية حتى في إبان الحضارة كانت على هذه البساطة ، وليس هذا بغير فان آلة الخياطة ما كانت معروفة في تلك

(١) هذا اللباس شائع الآن في أغلب بلاد السودان وغيرها من البلاد التي لا تزال على فطرتها الأولى ونشاهده على كثير من أعراب البادية في احرامهم وفي غير احرامهم

الأزمان ، ولقد كان الناس يستعملون أولا في خياطة ملابسهم شوك الأسماك وسل النخل ثم توصلوا الى استعمال  
الابر الحديدية ، أما الإبر التي من الصلب فانها لم تخترع إلا في القرن الرابع عشر للمسيح ولم يذبح استعمالها في  
أوروبا إلا في القرن السادس عشر ، وكان أبسط تلك الملابس شكلا ونوعا ملابس الاشوريين الذين هم اخوان  
الكلدانيين الذين خرج منهم ابراهيم لأن كليهما من الجنس السامي ، وعليه فلباس الاحرام كان هو هو بذاته  
ذلك اللباس البسيط الذي كان يلبسه ابراهيم عليه السلام حين أمره الله تعالى بالحج قائلا - وأذن في الناس  
بالحج يأثوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق - وما زالت هذه السنة قائمة في حج البيت الى  
الآن ، وأما كونه أبيض فلأن لون الياض شعاع الطهارة والنظافة والا فالفرض من الاحرام لبس غير المخيط  
مطلقا إشارة الى أن الانسان خرج الى ربه من زخارف الدنيا وما فيها الى بساطة الوجود وبدأته ، خرج الى  
ربه من أهنة الحياة ورففها وتمثل بين يديه تعالى بحال رجع فيها الى طبيعة الوجود البشري من حيث البساطة  
التامة التي كان مظهرها ذاك الزي الذي يمثل الاشتراكية الحقة بكل معانيها فيستوى فيه الصعوك والمالوك .  
هذا الزي الذي يستقبل الانسان في مهده ويشيعه الى لحده حتى كأنه يقول الى ربه : اللهم إني قد زعزت  
عن نفسي ظاهرها وباطنها رداء قد وشته الأبطال ودوّهت الأضاليل وخوجت اليك وقد جردت نفسي لك  
عما أمك طامعا في نيل مالا أمك من نعم إن عشت أعود بها الى حياة جديدة كلها فضيلة وشيرو بركة أو أقضى  
بها إن مت في سبيلك ومحبتك وطاعتك وأنقل بها الى دار السعادة الحقيقية فأحشر في زمرة المقبولين والصدّيقين  
زمرة الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »

وهل رأيت ذلك اللباس الأكبروسى البسيط « لباس الرهبان » الذي رسم عليه كل من تمثال (غليوم  
الثاني) أمبراطور ألمانيا والأمبراطورة قريته وأرسل بهما ليوضعا في الملجأ الألماني الذي بني في بيت المقدس  
وسافر البرنس (ايتل) لافتتاحه رسميا بالنيابة عن والده الأمبراطور في شهر ابريل سنة ١٩١٠  
على أنه لا يبرز عن فطنتك وينبوع فكرتك أن الأطباء وجدوا أخيرا أن الانسان لا بد له من  
تمرّض جسمه الى الهواء المطلق ومؤثرات الجو نحو شهر من كل سنة يسترجع فيه الجسم قوته ويستعيد نشاطه  
بفضل ملاصقة أوكسوجين الهواء لجميع مسام جفائه ، وبهذه العملية يحترق ما في الدم من السكر بون الذي  
تشبع به أثناء دورته من الفضلات التي تخلف في الجسم فيعود الى القلب دما نقيا زكيا صالحا لتغذية الحياة  
بمادة القوة التي تكون بها العافية التامة والصحة العامة التي هي قوام الوجود بل الحياة بجميع معانيها .  
لذلك ترى الاوربانيين وعلى الخصوص الانجليز (لاعتنائهم بصحتهم أكثر من غيرهم) يعملون كل سنة  
الى الجبال أو الى شواطئ البحار فيخلعون ثيابهم إلا مايسترعورتهم ويقيمون على هذه الحال شهرا أو أكثر  
يستعيدون فيه ما فقدوه من قواهم في سبيل العمل طول سنتهم ، وكثيرا ما رأيت الفرنجة في هذه الأماكن  
الصحية على شاطئ البحر حفاة عراة معرضين بكل جسمهم للهواء وبرودة الجو أو حارة الشمس جلة ساعات  
وليس عليهم إلا تلك العانة المستعارة التي يظنون بها السيلين ويسمون ذلك بعلاج الطبيعة أو علاج الهواء  
ولاغاية اذا رجعت بنا المدينة الحديثة الى كثيرها كان عليه القدماء في بداوتهم الذي يسميه الجهاد خشونة  
وتوحشا . انتهى ما أردته من تلك الرحلة والحمد لله رب العالمين

واعلم أيها القاري كما قد تمت لك أن الحياة كلها جهاد وانما أطلت الكلام على الحج لأن فيه أصول سعادة  
الأمم جسما وروحيا فهو نموذج الجهاد العام وأي جهاد يفوق توافق الأمم وارتباطها واتحادها وأول من قام بذلك  
رسول الله ﷺ فهو الذي حرك الأمم شرقا وغربا وها هي هذه الموجة التي أرسلها فيها قد سكنت في الشرق ثم  
تحركت في الغرب ثم رجعت الى الشرق ثانيا ، كل ذلك لم يقصد منه إلا اجتماع جيع الأمم شرقا وغربا ورمز  
لتلك بالوقوف بمرقة والتجرد من الخيط وغير ذلك من المزايا والاحكام ومصرح بذلك فقال - حتى تضع

الحرب أوزارها - هنالك قال العلماء إن ذلك يوم يصبح أهل الأرض ﴿قسمين﴾ قسم مسلم وقسم مسلم اه  
﴿خطابى للمسلمين﴾

أيها الأمم الإسلامية ، حكمة الجهاد عاتمة تشمل العبادات والأعمال المدنية كلها والصناعات والسياسات ،  
إن ذلك كله إما فرض عين وإما فرض كفاية ، فالصلاة والصيام ونحوها فروض عين والعلوم ونظام المدن  
والصناعات فروض كفايات وتحتاج الى جوع كثيرة حتى تكفى الأمة ، فالنجارة والحداة والكهرباء وصناعات  
السفن والطائرات ونظم المدن كلها فروض كفايات واجب على الأمة أن تتعاون عليها طوعاً أو كرها ، وليس  
عمل من هذه الأعمال يكفى فيه الفرد الواحد فالجوع هي التي تتعاون على كل ذلك

أيها المسلمون ، لقد أودع الله في عقول الأمم وفي أديانها بذور السعادات ، هاهوذا لم يذر العباد يتخبطون  
ويضربون في بحر الحياة اللجج بل أسعفهم بأصول العلم وغرسها في أفئدتهم وفي عاداتهم وفي دياناتهم ، لك  
الحمد يا الله على نعمك العاتمة ، أنت الذي ألهمت القسماة الأييينا بناء ولا يصعلوا عملا إلا نقشوه على الأحجار  
وكتبوه في الطوامير وأبقاه الأولون للآخرين ، أنت يارب أبقيت آثار الأولين ليقيمها الآخرون ، هذه مصر  
والعراق والشام وبلاد الهند وأمريكا والصين وأوروبا يظهر كل يوم فيها كنوز مدفونة وأجسام مطمورة ونقوش  
مفهومة أبقاها الأولون للآخرين ، أنت الذي دفنت الفصح المحجى قديما ثم أبرزته لأهل الأرض الآن ليكون من  
أكبر أساس السعادة في العالمين ، فالأرض ملأتها بالثناثر والغفاس والنقوش وأودعت فيها وفي الجوق كهرباء  
تصل الناس بعضهم ببعض وهم يتعجبون ، ولما كانت النباتات في الأرض من وحيك وزلت بأمرك وقبل  
الناس دعوة الرسل بألهاكم كنزت فيها علوما وخزنت فيها حكما كما كنزتها في الأرض والهواء والماء والسماء  
ألهمت الأنعام والحشرات وكل حيوان إلهامات كلها نافعات لها وأتزت للإنسان ديانات وجعلتها هدى  
للعالمين في كل زمان بحسبه ، وهذا ديننا كنزت فيه علوما وعلوما وهذه العلوم لا يثيرها إلا البحث والتتقيب ،  
التوحيد والصلاة والصيام والزكاة والحج التي هي أركان الاسلام قد كنزت فيها سعادات الأمم ، هذه الصلاة  
التي هي بعض الجهاد المذكور في هذه الآية قد جعلتها مذكرة بجميع الحكمة والفلسفة والحكمة ولا الفلسفة  
إلا ما أجنبت السماء وأقلته الأرض ونظام هذا العالم ، المؤمن صباحا ومساء يقول ﴿ربنا لك الحمد ملء السموات  
وملء الأرض وملء ما بينهما الخ﴾ كما قدمناه مرارا ، وهل جيع الطبيعات والرياضيات إلا ما في السموات  
والأرض . الله أكبر . لقد أنعم الله على بنعمة هذا التفسير وما هو إلا سر الصلاة التي هي ركن من أركان  
الجهاد المذكور في هذه السورة وسيأتي فيها - ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - ، فهنا يقول تعالى - ومن  
جاهد فأنما يجاهد نفسه - وفي أواخر السورة يبين أهم أركان الجهاد وهو الصلاة الخ

﴿رؤى المؤلف الكثرية بالفتوح﴾

اعلم أيها الذكرى اننى من إبان شباني كنت أرى رؤى كثيرة جدا كلها تدل على ما أعمله الآن وبشرت  
بأن هناك عملا نافعا لا بد منه ، ولما بلغت سنى نحو (٥٩) سنة رأيت وقت الصباح كأنى أقول أنا يارب قائم  
بأعمالى ولا تقصير عني فأين إذن ما بشرت به فسمعت قائلا يقول كذبت انك لا تحضر قلبك في الصلاة فلما  
استيقظت أخذت أحضر قلبي في الصلاة بغير الامكان فانفتح الباب لهذا التفسير . ومن عجب أن كثيرا من  
المسائل تحضر لي بعد الصلاة أوفى أثنائها ، وبسبب هذا الاستحضار عرفت أن الصلاة ملخص العلوم أو مفتاح  
لأصولها وهكذا سميت الفاتحة فطلعت إذن أن المسلمين بتأملهم في الصلاة يصبحون أمة غير هذه الأمة .  
الصلاة عبادة ولكن اذا كنا نرى الناس يشربون للماء ويأكلون الفاكهة ومع ذلك يخلونهما ويدرسونهما  
حتى يتم الانتفاع بهما ، فإذا كان الماء والهواء والتراب لا يتم الانتفاع بها إلا بتحليلها فكيف بالصلاة والصيام  
والزكاة والحج ، أفليس انتفاع الجهال بها في العبادة كانتفاعهم بشرب الماء ، أو ليس الانتفاع بكشف أسرارها

وماترى اليه كانتفاع الأمم الآن بتحليل الماء والهواء الخ أليس هذا سرّ قوله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فلهجات لأولى العلم أما الجهلاء فلا حظ لهم من العبادة إلا كحظ الشارب من الماء . هذا ما أقوله في الصلاة وسيتم الكلام عليها في آية - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - الخ ولأذكر الحج بعد الصلاة لأنه هو الذى أضنا فيه الكلام قريبا وقد ظهر أن الله كثر فيه آثار الأمم وأصبحت الأمم المريقة في المجد ترجع الى حال البساطة وسهولة الحياة فيصنعون سعادة لم يحلم بها أولئك المترفون الغافلون إذن الحج الذى هو من أركان الاسلام قد حل في طبائنه بذور السعادة والمدنية المستقبلية التى يرجع فيها الانسان الى الاجتماع العلم والصحة التامة

فانظروا أيها المسلمون ، صلاة تحث على الفلسفة وحج يحث على الصحة العامة ونظام الاجتماع العام . وههنا جاء دور الزكاة ﴿ الزكاة ذكر فيها الامام الغزالي انها مساعدة للفقراء ومذهبة لشح النفس فان الانسان اذا ملك حب المال قلبه أقلقه وأحزنه بعده عنه يموت هو أو يأخذ منه ظمأ أو بالقضاء والقدر ﴾ ويقول ﴿ إن المقصود من ذلك راحة النفوس ﴾ وتقول نحن فكما أن الصلاة مذكرة بالعلوم والحج بالاجتماع العام وصحة الأبدان هكذا الزكاة يراد بها أن يكون الناس جميعا اخوة كما قتله عن الامام الغزالي في أواسر (سورة البقرة) فانه يقول ﴿ إن مال الانسان للامة كلها عند الخواص أما الزكاة فاعلم تؤخذ من البخلاء ﴾ فبين إذن أن اتفاق المال بالزكاة متم لنظام الاجتماع الذى فهمناه من الحج فالحج يعطينا درس الاجتماع العام والصحة والزكاة تكمل ذلك بالمساعدة . وههنا جاء دور الكلام على الصيام

الكلام على لصيام معروف في الكتب ولكن نحن الآن في تفسير القرآن وتفسير القرآن انما يكتب لأجل الأمم كلها لأن القرآن كتاب الله والناس عباد الله والصوم درس من أهم مظاهره اليوم في الأمم علم الصحة ، نعم هو قرى الى الله ولكن فيه فوائد أخرى ، إن علم الصحة اليوم قد تطور وأخذ الناس يهجر المداواة بالعقاقير ويكتفون بالرياضة البدنية والجوع ، يصوم المسلم ويصل المسلم ويحج المسلم ولكني أقول إن من أكبر العار أن لا تظهر أسرار هذا الدين لإعلاء يد الأمم لإعلاء يد المسلمين . يحج الناس ويكتفون من الحج بظواهره ويقف العلماء في الأمم الاسلامية عن دراسة الحقائق الاجتماعية

الله أكبر . بعد هذا التفسير سيقوم في الاسلام فطاحل العلماء ويدرسون كل شئ في الوجود وبعد ذلك يدرسون أركان الاسلام ومتى درسوا عرفوا انها يراد بها اجتماع جميع الأمم شرقا وغربا على الصحة والتعاون العام . هذا الصيام درست الأمم في زماننا وعرفوا بص سره ففتح لهم بابا واسعا من علوم الصحة والمداواة الله أكبر . وهأنذا أسمعك ﴿ مقالين ﴾ أحدهما ﴿ مقال عن حال زعيم الهندوس الأكبر مهاتما غاندى ﴾ والثاني ﴿ ما جاء في مجلة دكل شئ ﴾ تحت عنوان (المعالجة بالصوم) فهناك ما قاله معرب كتابه المسمى ﴿ كتاب الصحة ﴾ ومعه الاستاذ الشيخ عبد الرزاق الملبج أبدي وهذا نص ما قاله في مقدمة التعريب إن من سوء حظ الشرق أنه لم يقدّر استقلاله السياسى بحسب بل قد فقد استقلاله الفكرى أيضا ولذلك تراء يقصد الغرب في كل شئ حتى إنه أصبح لا يفكر في نفسه ولا يقيم للأشياء وزنا ولا يميز بين الحق والباطل بل لا يزال نظره الى الغرب فان رآه يقول شئ إنه حق قال هذا أيضا إنه حق وبالعكس

أنا لا أكره الغرب ولا أنكر فضله في العلم والمدنية ولا أحرّم الاقباس والاستفادة منه ولكن الذى أقبه وأشمئ منه هو الاستعباد الفكرى للغرب لأن هذا الاستعباد اذا تمكن من نفوسنا لن نستد حرتنا السياسية المضوبة ولن نجدد أسس قوميتنا للهتمة . أقول هذا لأنى أخشى أن ينبذ فريق من القراء هذا الكتاب قبل أن يطلع عليه ، لا لأنه يستحق النبذ بل لأنه جاء من مصدر شرقى بحث فيحسبه سخافة شرقية ، فلذلك أرجو من هوعلى هذه الشاكة أن يتجهل في الحكم عليه ليقراء باعنان فان لم يهجه فليمره إن شاء ،

والى طمينا هؤلاء أقول إن هذه الآراء ليست خاصة بفاندى وحده بل هناك فى أوروبا وأمريكا أيضا ثورة كبيرة على الطب وأساليبه وأدويته بل إن تقدم العلوم أخذ يهدم أركان هذا الطب الذى نسميه (الحديث) ويسمونه هنالك (القديم)

الى أن قال : « إن هذا الزعيم كذلك يدعو الناس الى المعيشة الفطرية الساذجة ونبد البغخ والترف والى التخلص بالأخلاق الفاضلة والمحبة الشاملة العامة والتحكك بجميع مافى الأديان من الخير والتقوى وخشية الله والرافة بالبشر . ليت شعرى كيف يكون عجب المفترين بالمدنية الغربية اذا رأوا هذا الزعيم الهندى بأعينهم ، انهم ليرونه عاريا حافيا حاسرا قد تجرد من الملابس قائلا لا يصح لى أن أتجمل بالملابس والملايين الكثيرة من بنى جلدتى لا يجحدون ما يسترون به عوراتهم ويقون به أجسادهم من الحر والبرد ، قتره الآن متجردا ليس على جسده لباس اللهم إلا إزار صغير يستر به عورته . وكذلك شأنه فى مأسكه ، لا يأكل المشتيات والمذات والأطعمة الشائقة ، ليس ذلك لأنه يرى رأى المتشفين الغفل الذين يحرمون أنفسهم من اللطيبات ويحسبون ذلك قربا الى الله بل يرى ذلك مضرا بالصحة البدنية والعقلية فذلك نراه لا يأكل الملح ولا اللحم ولا العدس ولا الحبوب ماعدا خبز القمح نادرا وقد حصر غذاءه فى الفواكه وهو يكثرن أكل البرقال والموز ويفضلها على غيرهما من الفواكه »

الى أن قال : « وأكبر دليل على قوته انه صام أربعين يوما متتابعة لم يذق فيها أى شئ ومع ذلك لا أغشى عليه ولا أحس بضعف بل مازال يكتب لجرائده المقالات ويفزل كل يوم من القطن المقدار الذى قرره لنفسه ومن أعجب ما رأيته أنه بينما كان قسلا قد قل كثيرا فى الاسبوع الأول من الصوم حتى خافوا على نفسه أخذ يزداد وزنا بعد ذلك وقد تحير الأطباء فى تعليل ذلك . ثم انه فوق ذلك قد ملك زمام نفسه فبعث كما قرر نفسه أن يعيش فلا ينام إلا القدر الذى قرأه فى القرآن ينام ويقوم بجميع أعماله بنظام تام بدون أن يطرأ عليه أى خلل ثم انه لا يفضب أبدا ولا يستعمل ولا يفرغ بل يبقى دائما هادئا مطمئنا كأنه مالك نفسه سخرها فأصعب له أطوع من بنائه . ومن عجب أسرء انه يعيش مع زوجته ولكنه يحسبها كأخته أو أمه كما صرح بذلك فى إحدى خطبه فقال : « أنا وزوجتى قد اتفقا على أن نعيش كالأخ والأخت أو كالابن والأب أو البنت والأم فأنا لها كآب وهى لى كأم » . وكلامه هذا لا يرتاب فيه لأن عيشته مفتوحة وليست بسر وهو لا يكتب أبدا مهما اضطرت الأحوال اه » . هذا ما أردت نقله من ذلك الكتاب المذكور والحمد لله رب العالمين

وأقول ، إن هذا الزعيم الهندى قد جمع بين فضيلة الصيام وفضيلة الحج فاستفاد بهما صحة وقوة . هاهوذا تجرد من أكثر التياب . وهاهوذا قلل الطعام فبال صحة والعافية . ولدت أقول ان هذا عبادة ولا انه يئاب عليها . كلا . لأن الصيام لا يصح إلا من مسلم وكذا الحج وأيضا الحج انما يكون بمكة لا بالهند ولكن ليس المقام فى خصوص الدين بل المقام فى أن منافع الصوم ومنافع بعض مناسك الحج فى حد ذاتها مقوية لصحة الانسان كما قرره . فهذه فى الحقيقة دراسة للحج والصيام من بعض الوجوه . وعلى المسلمين بعدنا أن يتولوا هذه الدراسة ليتسوا ما تيسر فى أم الاسلام . انتهى الكلام على المقال الأول

( المقال الثانى ) مجله فى مجلة « كل شئ » بتاريخ ١٨ يوليو سنة ١٩٢٧ تحت العنوان الآتى

### ( الصوم للمعالجة )

كان الناس ولا يزالون للآن يصومون للأغراض الدينية وقد يكون صومهم كليا أو جزئيا ، فى الهند يهدم الصالحون الى الكفف عن الطعام كلية جلة أيام ، ولا يزال بعض الأقباط ، مصر يصومون عن الطعام والشراب كلية ثلاثة أيام فى ذكرى يونس الذى بلعه الحوت ، أما الصوم الجزئى فى الامتناع عن اللحم كما يفعل بعض

## المسيحيين الى الآن

وجميع الذين يصابون بكثرة الزلال في الدم أو تصلب الشرايين ينصح لهم الأطباء بالامتناع عن اللحم وخاصة ذلك اللحم الأحمر بالامتناع أيضا عن تناول زلال البيض ونحو ذلك بل من الأطباء من ينصح لكل من جاوز سن الأربعين أو الخمسين أن يمتنع كلية عن اللحم والاقصر على الأغذية النباتية ، وقد دفت عادة الصوم في هذه الأيام حتى ان طيبيا فرنسيا يشير على كل انسان جاوز الأربعين أن يصوم صياما كاملا يوما في الاسبوع ، ويشير أيضا بأن يتعاطى مسهلا في الصباح حتى تبقى أمعاؤه فارغة لا يشغلها شاغل يوما كل أسبوع ، ومن الأطباء من ينصح بالامتناع عن العشاء للسنين

ولكن فائدة الصوم ليست للامعاء وحدها بل هي أيضا للجسم كله وذلك لأن الجسم اذا لم يحمل الدم الى خلاياه طعاما جديدا انكفأ على نفسه تأكل منه الخلايا القوية الخلايا الضعيفة وفي الوقت نفسه يزول الشحم من الجسم تظهر المسالك وتحمل معها فضلات كانت تعوق الدورة الدموية فاذا انتهى الصيام بعد ثلاثين أو أربعين يوما لم يبق بالجسم سوى خلايا قوية . وللجسم عقل يهتدى به أيام الصيام فهو يتخلل عما لا فائدة فيه الى ما فائده صغيرة ، أما الأنسجة التي لا يمكن للجسم العمل بدونها فلا تتلف من الصيام . فاذا شرعنا في الصوم فاننا نفقد أولا الشحم ثم اللحم ، أما الأعصاب ومادة الدماغ فلا تنقص درهما واحدا بعد صيام ثلاثين أو أربعين يوما وذلك لأن مادة الأعصاب ثمينة وعليها ميزان الجسم كله وعقله وهي اذا فقدت شيئا لم تستعنه . أما اللحم والشحم فيمكن استعادتهما بعد فقدهما . والصيام الذي يمارسه الناس للعاطلة الآن هو عن الطعام فقط . أما الماء فان الصائم يشرب كما يحب وينتهي لأنه في حاجة اليه حتى يفضل خلاياه . وأنسجته ويحمل معه الفضلات ويظهرها منها ، وبعض الصائمين الآن يضع قطرات من عصارة الليمون أو الفاكهة أو الخضراوات الطازجة على الماء حتى لا يحرم الجسم من الفيتامين لأن جسم الانسان قد يستطيع أن يعيش بلا طعام نحو خسين أو ستين يوما ولكنه لا يمكنه أن يبقى هذه المدة بلا فيتامين

ويمكن كل انسان أن يمارس الصيام ولكن يجب الحذر من الإفراط لأن الصائم اذا بقي نحو عشرين يوما بلا طعام رقت جدران معدته وأمعائه واعتاد جسمه حالة الصوم فاذا فاجأ قناته الهضمية بطعام جامد فقد يؤدي نفسه بذلك اذى كبيرا إذ قد يفسى عليه من هذه الصلصة وقد ينخرق جدار الامعاء أو المعدة ، فالإفراط يجب أن يكون رويدا رويدا حيث يقتص الصائم بوجعة بعد وجعة

ونحن نذكر فيما يلي تجارب المستر (ارفنج) وهو رجل انجليزي صام بغية التخلص من ضعف المعدة وضعف الأعصاب الناشئ عن تراكم الفضلات في الجسم ، فقد قال انه ابتداء أول يوم من الصيام بأن شرب ستة أكواب من عصارة البرتقال وفي اليوم الثاني شرب أقل من ذلك من هذه العصارة أيضا وفي اليوم الثالث لم يشرب سوى الماء القراح وبقى على ذلك عدة أسابيع وكان أحيانا يمزج الماء بقطرات من عصارة الليمون . وبعد الاسبوع الأول من الصيام زالت الشهوة للأكل فكان يترضى بلشئ ميلين أو ثلاثة في اليوم على مهل وفي غير مشقة وكان لسانه قد اكسى بغزو أبيض يكاد يفضل عنه اذا مسح . ويقول الراسخون في فن الصوم (إن الصحة لاتعود الى الجسد حتى يزول الفرو الكاسي للسان) ولكن الواقع انه لا يزول تماما وانما عند اقتراب نهاية الصوم يتحسن اللسان ويرق هذا الكساء من الفرو ، وكان المستر (ارفنج) قد هبط وزنه واستمر المهبوط الى الاسبوع الرابع حين وقف الجسم فلم يفقد في الأسبوعين سوى رطل أو رطلين فقط . وفي اليوم الثامن والأربعين جلس في الشمس فنام نوما طويلا استيقظ منه وهو في غاية الضعف وقضى اليوم التاسع والأربعين وهو في الفراش . وفي اليوم الخمسين عاد اليه نشاطه فنهض وزال عن لسانه بعض فروه فقمتم بهذه المدة وخاصة عند مرأى أن الآلام التي كان يشكو منها قد زالت كلها

أما كيفية رجوعه فانه شرب في اليوم الخمسين نصف كوب من اللبن تمصه كما يمص الانسان الليمونة .  
وفي اليوم التالي صار يشرب كوبا من اللبن كل ساعتين فيمتصها أيضا وبعد ذلك يتناول كوبا من اللبن كل  
نصف ساعة واستمر على ذلك أربعة أسابيع تناول في نهايتها (حجة) وكان قد فقد في صيامه ٩٠ رطلا استعادها  
وزاد عليها ، ومن غريب ما رأى انه كان يلبس نظارات تقصر نظره فلما صام عاد اليه نظره كله سليما اه  
﴿ ضرب مثل لخال العابدین الذين يفكرون في العبادة بحال قراء القرآن بلا تعقل ﴾

اعلم أن مثل العباد الذين يعبدون ولا يفكرون في عبادتهم ولا يعرفون مقصودها كمثل من يقرأ القرآن  
بلا فهم ولا عقل فكلها له نواب على مقدار نيته ولكنهما في مرتبة ضعيفة ، هذا في القراءة وهذا في العبادة  
فاذا فكر العابد وأدرك معاني الكلمات التي يقرأها في الصلاة التي يقيمها ومقاصد الزكاة التي يؤثرها ومناسك  
الحج التي يؤثرها وعبادة الصوم التي يقترب بها كان هؤلاء كلهم أشبه بمن يفهم معاني القرآن ويعمل به ، فلذا  
ارتقى العابد عن هذه الدرجة أدرك السر المحزون والجوهر المكنون كالذي ذكرناه هنا في أمر أركان الاسلام  
وانها بذور لسعادة انسانية عامة في الطب وفي الاجتماع والتعاون العام كان ذلك خليفة الله في أرضه وكان أشبه  
بمن ارتقى عقله في القرآن وأدرك أن علوم الحكمة كلها وأسرارها موافقة للقرآن وأن هذه العلوم كلها لا تخالف  
بينها وبين القرآن الذي أنزله الله بالوحي واته كلما كان الانسان أضعف منزلة وأقل فهما وأسف رايًا تباعدت  
مسافة الخلف بين دينه وبين العلوم عند عقله ، وكلما ارتقت نفسه منزلة وازداد عقله كمالا تقارب العلم والدين  
عنده على مقدار ارتقاء علومه وعقله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الجهاد على ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ جهاد بالفرية • جهاد بالعقل • جهاد بالوحي • والأخيران أفضل من  
الأول . إن الجهاد بالفرية لا يعوزه عقل ولا فكر ولا روية فهو أضعف رتبة وأقل قيمة ، فأما الجهاد بالعقل  
وبالوحي فهما أرقى منزلة وأكمل شرفاً وأعظم قدرا

الأتري رعاك الله أن هذا الانسان ضار على ألا يجب إلا بمنوع والأيفرح إلا بما تباعدت أقطاره وصعب نواله  
وعز مطلبه . ومنع وتولى بركنه كما ترى أن الماس والياقوت والزبرجد وأمثالها من الأحجار الثمينة يحرم عليها  
الناس كل الحرص لغلل ثمنها وصعوبة طلبها ووعورة طرقها وهم يشاهدون أمامهم في منازلهم وحقولهم  
وسماهم زهرا جلا وكوكبا مشرقا متلاكا أجل من الياقوت والماس والزبرجد وأبهج وأعلى ولكن الزهر  
والكواكب مبدولات والماس والياقوت ممنوعان ، لذلك رغب الناس في المنوع وزهدوا في المبدول ولذلك  
نجد الكواكب في السماء لا يفرح بها الجاهل وإنما يفرح بها المفكرون من العلماء ويحرقون الأحجار الثمينة  
وأشياء الزينة في هذه الأرض اذا وازنوها بما عرفوا من جلال الكواكب وسيرها في مداراتها ودقة حسابها  
وبهجة نظامها ، فالجاهل وقف عقله عند الزبرجد والياقوت والعالم ارتقى خقرهما ولكنه سعى سعيًا حثيثا  
وجد سعي ارتقى الى الأفلاك . كلاهما لا سعادة له إلا بالجهاد . فالجاهل جاهد بالمال حتى نال الماس والزبرجد  
والياقوت . هنالك وقف عقله وحط رحله وأندس

فأقت عصاها واستقر بها النوى • كما قرّ عينا بالإياب المسافر

والعالم جاهد بالأبطال في ارتقاء عقله وبذل ثمن ذلك النوال بالسهر والنصب والتعب والجهد وأنشد

على قمر أهل العزم تأتي العزائم • وتأتي على قمر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها • وتصغر في عين العظيم العظام

وقال آخر ومن تكن العلياء أكبر هم • فكل الذي يلقاه فيها محب

وقال غيره قلنا ولا الدنيا • من ركوب الحنا ركوب الدنيا

وقال غيره لا تحسب المجد تمرا أنت آكله • لا تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا



إذا عرفت هذا فهناك نبذة في الجهاد بالفريزة ثم أتبعها بنبذة في الجهاد بالعقل ثم أذكر تأييد الوحي بالعقل في الجهاد وذلك في ﴿ثلاثة فصول﴾

### ﴿الفصل الأول في الجهاد بالفريزة﴾

إن من قرأ هذا الكتاب أوجله صلحة منه عرف كثيرا من غرائز الحيوان فانه يراه مفرقا في سور كثيرة فانظر رعاك الله في (سورة النحل) واعجب من نظامه ونظام الأرض فانك تراها مرسومة هناك في جانب رسم ملكة النحل وجنودها المحيطين بها . فهاتان دولتان عظيمتان دولة الأرض ودولة النحل ومثلها دولة النمل . الله أكبر . جلّ الله . إنك يا الله رحيم لطيف حكيم عليم ألهمت الأرض فجعلت لها دولة لا تضارعها في أرضنا دولة من دول الانسان ولا الحشرات ولا الطيور وعدد كل دولة من دول الأرض لا يعرف متناه فهي أعظم من ملكة النمل والنحل . وإذا كان الناس الآن وجدوا أن أعظم دولة للنمل عرفوها قد بلغت (٥٠٠) خمسمائة مليون نملة ولا نظير لها في الممالك الأرضية إلا السولة الصناعية المتكيفة التي هي انكلترا بل هي لم تصل لهذا العدد مع ملحقاتها التي ليست ملثمة بها للثام رعايا النمل . أقول عرف الناس ذلك كما تقدم فانهم لم يقدروا أن يحصوا ملكة واحدة من ممالك الأرض كما تقدم شرحه في سورة النحل وسيأتي تمام الكلام على ذلك في (سورة سبأ) عند آية - ماد لهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته -

هأنذا أيها الذي ذكرت لك ممالك ثلاث أنت عرفت في هذا التفسير مشروحة فاقراها في سورة النحل وفي سورة النمل وفي سورة سبأ وأقتصر لك عليها في بيان الجهاد بالفريزة . فهذه وغيرها من الطيور والحشرات وحيوانات البر والبحر ترى جهادها جهادا اجتماعيا لا فرديا فأيقنا بهذا أن الجهاد كلما كان من جمع كان أقوى وأعظم وكلما كان فرديا كان أضعف وأقل فائدة . والعبرة في هذا أن الناس كلما كانوا أكثر عددا في العمل والجهاد كانت الفرة أضعاظا مضاعفة على مقدار كثرة العدد على شرط أن تكون الجماعة مهما كثرت على رأى واحد ومشرب واحد وفكرة واحدة ونظام قوى متين . فإذا كان الجهاد بالفريزة الذي أثبتنا انه أقل مرتبة من الجهاد بالعقل والوحي لم يكمل إلا بالاجتماع فليكن ذلك الاجتماع فيما هو أكمل منه أكثر وجوبا وأولى بالعتابة . انتهى الكلام على الجهاد بالفريزة

### ﴿الفصل الثاني في الجهاد بالعقل﴾

أيها الذي ، إن العلم سعادة وهناء ، وأي سعادة وأي هناء من أن نجد في هذا المقام أن غرائز الحيوان في اجتماعها قد اتصلت بأراء الحكماء والفلاسفة

أيها الذي ، اننا بالبحث في العلم كلما أولغنا ازدادنا بهجة وسعادة ، وأي بهجة وأي سعادة أعلى وأدوم من اتفاق الغرائز في الحيوان مع عقول الحكماء في الشرق والغرب ﴿وبعبارة أخرى﴾ ان عقول الناس كلها إنما تسعى لترجع العلم كله والحياة كلها الى مبدأ واحد وقاعدة واحدة ، فكلمنا وصاوا لهذا التوحيد في عمل ما أحسوا بالهناء والسعادة وكلما تباعدت القواعد واختلفت الاصول كانت العقول أقرب الى الشقاق وأبعد من السعادة لما نجد من التناقض والاختلاف في هذا الوجود

هذه الحشرات وهذه الطيور وهذه الأنعام ترى أكثرها كوّنت لها ممالك منتظمة أيما نظام متقنة أيما اتقان ، فهل تحب أن أتنبك بأعقول الحكماء والعلماء ، انظر كيف ضربوا الأمثال للاجتماع ، انما ضربوا الأمثال بنفس الحيوانات واجتماعها واتلافها واتحادها في طلب النافع والفرار من الضار ، وانما ضربوا هذه الأمثال بالحيوانات لأنهم آمنوا بقولهم انما لوهم المقروه وكتابهم -م المفتوح ومدرستهم العاتية ، فالأتم قديما قبل نزول الانجيل والفرقان كانوا يضرّبون الأمثال بالحيوان للاجتماع وان كان ذلك ضربا من الصور على طريق الخيال لأنه أقرب الى الأفهام وأدعى الى الاقبال . يقصدون بذلك أن الجهاد يكون أتم كلما كان عدد

المجاهدين أوفر ونظامهم أتم . فانظر الى أمثال (كيلة ودمنة) الذي ألّفه يديا الفيلسوف وترجه عبد الله ابن المقفع الى العربية بعد أن ترجمه (برزديه) الطبيب الفارسي الذي كان أبوه من المقالة وأمه من عظماء بيوت الزمزمة من الهندية الى الفارسية فان من الأمثال هناك ما جاء في باب الأسد والثور من تمثيل (يديا) الفيلسوف رأس البراهمة للتحاين يقطع بينهما الكذب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء ثم لا يلبثان أن يتقاطعا ويتدبرا بالأسد والثور اللذين تحابا وحصلت بينهما المودة والمحبة . ثم جاء (دمنة) وأخذ يشي بينهما ويقول للثور يا ثور إن الأسد يريد أكلك وقال للأسد إن الثور يريد مقاتلتك وعلامة ذلك انك اذا توجهت اليه وجدت حركات غريبة فلما رأى الأسد الثور خاف الثور واضطرب فظن انه يريد مقاتلته ففتك بالثور الأسد ثم ظهرت الحقيقة بعد ذلك وحكم على (دمنة) جزاء كذبه

ومن تلك الأمثال مثل الحمامة المطوقة فقد ضربها ذلك الفيلسوف ليعلم الناس انهم يقدرّون على الاتحاد سواء أكانوا من وطن واحد وأمة واحدة أم من أوطان مختلفة وأمم كثيرة . ذلك أن ديشليم الملك قال ليديا الفيلسوف قد سمعت مثل المتحاين يقطع بينهما الكذب والى ماذا صار عاقبة أمره من بعد ذلك فحدثني ان رأيت عن اخوان الصفاء كيف يتبدأ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض فذكر الحمامة المطوقة وهي سيدة الحمام اذ وقعت هي وهن في الشبكة فخطبتهن خطبة قالت : لا نتخذلن في المعالجة ولا تسكن نفس إحداكن أحب اليها من نفس صاحبها ولكن تعاون جميعا فترفع الشبكة ، فلما علت الحمامات في الجرد استعانت المطوقة بمجرد كان صاحبها قديما يسمى (زيرك) فزلت معه بالشبكة عنده فقرض الشبكة حتى فرغ منها فبعت المطوقة وأخواتها . فلما رأى الغراب صنع الجرذ مع الحمام أحب مصاحبته وانضم اليهما السلحفاة والظبي . فكما تعاون الحمام الذي هو من نوع واحد تعاون الغراب والظبي والجرذ على نجاة السلحفاة حين جاءها الصياد ليقتصها . هذه أساليب تلك الأمثال التي ضربها حكيم الهند لجهاد الانسان المؤيد بالجماعة انتهاجا لخطة الحيوان بغيرته وبهذا انتهى الكلام على الفصل الثاني

### ﴿ الفصل الثالث في الجهاد بالوحى الذى هو أعلى من سابقه ﴾

قد ذكرنا آفا أن الهدى ( ثلاث طرق ) طريق الفرزة ، وطريق العقل ، وطريق الوحى ، وكل مرتبة أرقى مما قبلها وأقل مما بعدها ، وربما يظن قوم أن فرزة الحيوان كوحى الأنبياء وربما يستولون بقوله تعالى - وأوحى ربك الى النحل - وهذا خطأ فان الفرزة فطرية ساذجة وان كانت صادقة والوحى أمر علوى بحكم العقل وصقله ويرقيه ، فالوحى جاء لتنظيم العقول والفرزة لنظام العمل في الحيوان والعقول الانسانية أرقى من الأعمال الحيوانية ومنظم الأعلى أرقى من منظم الأدنى

ها أنت ذا رأيت غرائز الحيوان فهمى بها مجاهدات وعقول الحكماء وتعليمهم للناس فقد جاء على مقتضى غريزة الحيوان ، فهل لك أن أسمعك ما جاء بالوحى فاقرأ ما ستمسعه واعجب من هذا الوجود ، حيوان ذوا اجتماع بغيرته وانسان يتعلم الاجتماع بتعليم حكائه ثم أنبياء تراهم ينظمون اجتماع الانسان على نسق غرائز الحيوان وحكمة الحكماء في الانسان بحيث يصقل تلك العقول ويهيئها

فاسمع ما أقصه عليك من جهاد رسول الله ﷺ عسى أن تنهج نهجه . فانظر كيف كاتب الأمراء والملوك وحلّمهم على التآلف والتآزر والمودة والاخلاص حتى اتحدوا والتأموا وصاروا أمة واحدة يشار اليها بالبنان . فها هو ذا جهاد الفرزة وجهاد العقل اللذان بدأهما الله في الحيوان والانسان أكلهما بما هو أعلى فأرسل نبينا ﷺ يذكر العقول بما اختبأ فيها من الكمال الفطرى - انما أنت مذكر - إنما نحن نزلنا الذكر - فما الوحى إلا تذكير للناس بما سترته عادتهم وتقاليدهم عن فطرهم الذريعة الالهية المستمدة من سماء الكمال وكمال الجمال

## ( خير مناهج الجهاد )

اعلم أن للجهاد مناهج وطرقاً مثلاً عبدها (بتشديد الباء) أناس مضوا قبلنا وخير المجاهدين من درس سير العظماء والعلماء والحكماء ، فلتقرأ أيها الذكي سير أولى العلم والحكمة واعلم أن الله ما خلقنا في الأرض إلا لنسبي كل قوائن التي خلقها فينا وفصلها تفصيلاً . أما والله ليس أن كل امرئ عن هذه الأعضاء المفصلة وهذه الحواس المسكلمة وهذه العقول المحككة وعما أعطيت من نعم وما أتيت لها من قوى وقدر واعلم أنك مسؤول عما أودع فيك من هذه العطايا والنعم بجاهد أمد الحياة وتبدأ بجهاد نفسك ، فإذا رأيت منها خوراً أضعف عزيمته فاستعن بالله وأدم الدعاء وثق به فإنه يجيب دعاءك لاسياً إذا كان هذا الدعاء عن شدة ولوع بما تدعوا إليه فتكون أشبه بالضرط فهنا الإجابة محققة لاشك فيها

وخير من تقتدى بهم في جهاد نفسك وفي ارشاد غيرك رسول الله ﷺ فإذا ألمت بك حاجة فادع كما دعا رسول الله ﷺ إذ يقول « اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سرى وعلايتي لا تخفى عليك شئ من أمري أنا البائس الفقير المستجير والوجل المشفق والمعترف بذنوبي أسألك مسألة المسكين وأنت أليك ابتهاج المذنب القليل وأدعوك دعاء الخائف الضريع من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه وذلل جسده ورغم أنفه لك ، اللهم لا تحطني بدعائك رب شقياً وكن في رؤف رحماً يا خير المسؤولين ويا خير المعطين »

ومن دعائه ﷺ في الاستسقاء « اللهم اسق عبادك وبهائمك وانثر رحمتك وأحي بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريضاً (١) نافعاً غير ضار عاجلاً غير آجل » ومن دعائه « اللهم حولينا ولا علينا ، اللهم على الآكام (٢) والجبال والظراب (٣) ويطون الأودية ومنابت الشجر » ومن دعائه « اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً غداً مجللاً (٤) عاماً طبقاً (٥) سحاً (٦) دائماً ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم إن بالعباد والبلاد والبهائم والخلق من اللاؤاء والجهد (٧) ما لا نشكوه إلا إليك ، اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الصرع واسقنا من بركات السماء وأنبت لنا من بركات الأرض ، اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك ، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً فأرسل السماء علينا مدراراً »

وإذا أصابك هم أو دين فقل ما أمر به رسول الله ﷺ « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الخبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » فإذا دعوت به وداومت فإن الله يجيب دعاءك كما روى في الحديث وهكذا من الأدعية التي وردت في الصحاح ، فإذا قويت نفسك وهذبت ورأيت فيها ميلاً قويا إلى الارشاد والنفع العام فاعلم أنه لا يقف أمامها ما يمنعها ولا يصدها أحد في العالمين . وإياك أن يصيبك خور أو ضعف واسمع ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز » وإن أصابك شئ فلا تفل لوائى فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل

(١) المرء الطيب الساتع والمربع المنصب وكلاهما بوزن كرم

(٢) جمع أكمة وهي الراية

(٣) الجبال الصغار واحداً غرب ككتف

(٤) الفندق المطر الكبار القطر ، والجبل الذي يجمل الأرض ويسمى بمائه أوبائه

(٥) مائل للأرض مضطرباً

(٦) قوله سحاً بفتح السين وتشديد الحاء أى دائم النزول

(٧) اللاؤاء الشدة والجهد المشقة كقتل

الشيطان ، واعلم علما ليس بالظن أن الله لما خلق هذه النفوس الانسانية جعل قواها موزعة على ما يحتاج اليه النظام . واعلم انك اذا منحت منحة إفاضة الخير والارشاد والتعليم فان تأثيرك على سامعك حاضرا وعلى قارى كلامك غائبا لن يكون إلا على مقتضى ما تملى به نفسك فعلى مقدار الأحوال المضرة في نفسك تكون نتائج كلامك . اننا نرى النار تحرق بجوهرها وكذلك الماء يحرق بنفس جوهره لا بعوارض فيه وهكذا السم السم في الإهلاك والنواء في الشفاء . كل هذه مؤثرات بأنفسها وطبائعها هكذا شأن التعليم والارشاد ، فاذا رأيت نفسك متجهة وطال الأمد على هذا الاتجاه فاعلم انك رجل قد أذن لك وقد اصطفيت لترقية العقول واصلاحها فشمع من ساعد الجدة وادرس سيرة رسول الله ﷺ وسير الصحابة وعظماء الأمة وحكماءها واقف آثاره ﷺ في وعظه وارشاده للأفراد وللجماعات الذين كانوا معه ولمن بعده عنه ، فاذا رأيت هذا كله مغفوسا في نفسك من غير تكلف ولا تنصع فاعلم انك منصور مقبول الوعظ والارشاد لجامع في الله بعد أن تقرأ أمثال ما قاله ابن شهاب : « بلغنا أن رسول الله ﷺ كان يقول اذا خطب ، كل ما هوأت قريب لا بعد لما هوأت ولا يبجل الله لجملة أحد ولا يخف لأمر الناس ، ماشاء الله لا ماشاء الناس ، يريد الله شيئا ويريد الناس شيئا ماشاء الله كان ولو كره الناس ، ولا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله ولا يكون شيء إلا بإذن الله ، وهكذا تقرأ خطبته ﷺ لما قدم المدينة » قال ابن اسحق : « كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ فيها بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ونعوذ بالله أن تقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل . انه قام فبهم خطبها فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال (أما بعد) أيها الناس فقدموا لأنفسكم تعلوا (١) والله يصعقن (٢) أحكم ثم ليسدعن غنمه ليس لها راع ثم يقولن له ربه وليس له ترجان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولك نبيك وأنت كمالا وأفضلت عليك فاقدمت نفسك ؟ فليظرن مينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم لينظرن قدومه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يتقى بوجهه من النار ولو بشق من تمره فليفعل ومن لم يجد بكلمة طيبة فانها تجزى الحسنه بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

قال ابن اسحق . ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال « إن الحمد لله ، أحمد وأستعين ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إن أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفاح من زينة الله في قلبه وأدخله في الاسلام بعد الكفر فاختره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه أحبوا ما أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم ولا تملاوا كلام الله وذكره ولا تقس عنه قلوبكم فانه قد سماه خيرته من الأعمال فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته وأصدقوا الله بالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم . إن الله يفضل أن ينكت عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » (٣)

وقرأ ما ورد عن أحمد بن حنبل انه ﷺ قال « أما بعد فان رجالا يزعمون أن كسوف هذه الشمس وكسوف هذا القمر وزوال هذه النجوم عن مطالعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض وانهم قد كذبوا ولكنها آيات من آيات الله تبارك وتعالى يعتبر بها عباده فينظر من يحدث منهم توبة الخ » وقرأ خطبة حجة الوداع . لما زالت الشمس يوم عرفة أمر ﷺ بناقته القصواء (٤) فرحلت ثم سار حتى أتى بطن الوادي فخطب الناس خطبة عظيمة فذكر لك نصها من رواية ابن هشام في سيرته وهاهي ذه

(١) بنون التوكيد

(٢) من باب علم

(٣) روى ذلك هناد وعن أبي سلمة مرسل

(٤) القصواء لقب ناقة رسول الله ﷺ ولم تكن قصواء أى مقطوعة طرف الأذن

« الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره وتوب اليه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير ، أيها الناس اسمعوا قولي فاني لا أدري لعل لا ألقاكم بعد علي هذا بهذا الموقف أبدا ، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كرمة يومكم هذا وكرمة شهركم هذا وانكم تتلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وأن كل ربا موضوع ولكن لكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع وأن أول دماءكم أضع دم بن ربيعة بن الحارث (وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل) فهو أول ما أبدا به من دماء الجاهلية (أما بعد) أيها الناس . إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه إن يطمع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحترقون من أعمالكم فاحذروه على دينكم . أيها الناس إن النسوة <sup>(١)</sup> زبادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرّمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرّموا ما أحل الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليه <sup>(٢)</sup> ورجب مضر الذي بين جدادى وشعبان . (أما بعد) أيها الناس فإن لكم على نساءكم حقا وطعن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه . وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان <sup>(٣)</sup> لا يملكن لأنفسهن شيئا وانكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس قولي فاني قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بيننا كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه فلعن أن كل مسلم أخ لمسلم وأن المسلمين أخوة فلا يجلل مسلم من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم ، ألاهل بلغت ؟ فقال الناس اللهم نعم فقال رسول الله ﷺ اللهم اشهد »

فاذا قرأت هذه الخطبة وأماطها علمت أن لكل مقام مقالا وانتهزت فرص الحوادث والوقائع وهناك يسمع قولك ويهش السامعون له وييشون . فانظر كيف انتهز ﷺ فرصة كسوف الشمس وجعلها موضوع وعظ . فهكذا فيمكن تعليمك على حسب الوقائع والأحوال ولكن أنت نبراس زمانك باجتهادك أنت نفسك وإذا رأيت ظلماعهم وقتنا طمت فتفكر في قوله ﷺ في بعض خطبه « أما بعد فإن الدنيا خضرة حلوة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فانظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ، ألا إن الغضب جرة توقد في جوف ابن آدم ، ألا ترون إلى حرة عينية واتفاخ أوداجه <sup>(١)</sup> فاذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فالأرض الأرض ، ألا إن خير الرجال من كان بطنه الغضب سريع الرضا ، وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا . فاذا كان الرجل بطيء الغضب بطيء النوى وسريع الغضب سريع النوى فانهما بها . ألا إن خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب وشر التجار من كان سيئ القضاء سيئ الطلب . فاذا كان الرجل حسن القضاء سيئ الطلب أو كان سيئ القضاء حسن الطلب فانهما بها ،

(١) النسوة التأخير في الوقت . كان العرب يؤخرون بعض الأشهر الحرم إلى شهر آخر

(٢) ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم

(٣) عوان بالفتح معينات لأزواجهن أو عوار كما في رواية أي أمانات عندكم

(٤) الأوداج عروق الدم في العنق

ألا إن لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته . ألا وأكبر الغدر غدو أمير عاتمة . ألا لا يمنع رجلا مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه . ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند أمير جائر . ألا إن مثل ما بقي من الدنيا فيما مضى منها مثل ما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه )

وهي نفسك لتذكر الناس بأثامه . ومتى علمت قبول جهادك فيمن يليك ورأيت النفوس مشرقة لما تقول متبعة طريقك في جهادك وأن عواطفك قد أشربت قلوب من حولك بتأثير وعظك وهديك فهناك يجب عليك أن تتخاطب من بعد عنك كفاعل رسول الله ﷺ . قد كان رسول الله ﷺ يريد أن يجعل الناس كلهم في الأرض أمة واحدة فلننسخ نحن على منواله ولنوقظ العقول الاسلامية لنستجبه لإصلاح الأرض مع الأمم . أفلا تذهب منه ﷺ إذ أخذ يدعو الأمم أمة مة فأقرأ ما كتبه ﷺ إلى صاحب الجيامة

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هوزة (١) بن علي . سلام على من اتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخلف والحافر (٢) فأسلم تسلّم واجعل لك مائتة يديك (وكان الحامل لهذا الكتاب سليطاً (٣) بن عمرو العاصري فأكرم هوزة وفادته) وكتب إلى النبي ﷺ يقول ما أحسن ما يدعو إلى وأجله والعرب تهاب مكافئ فأجعل إلى بعض الأمر أتبعك وأجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر فقدم بذلك كله إلى النبي ﷺ فأخبره وقرأ النبي ﷺ كتابه فقال لوسائلي سبابه من الأرض ما فعلت باد وباد ما في يديه . وقد مات هوزة مرجع رسول الله ﷺ من الفتح »

ثم أقرأ ما كتبه الملك عثمان « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى جعفر (٤) وعبد بن الجملندي (٥) سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام أسلمنا تسلمنا فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحيى القول على الكافرين وأنكأ إن أقررتما بالاسلام وليسكما وإن أبيتا أن تقرّا بالاسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيل تحمل بساحتكما وظهر نبؤي على ملككما وقد بعث بالكتاب مع عمرو بن العاص فخرج به حتى وافى عثمان ، قال عمرو فلما قدمتها عمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين وأسألهما خلقاً فقلت إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك فقال أخى المقتم عليّ بالنسب والملك وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ، ثم قال وماندعو إليه ؟ قلت أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وتحمل ما عبيد من دونه وتشهد أن محمداً عبده ورسوله . قال يا عمرو إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فإن لنا فيه قدوة . قلت مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ ووددت أنه كان أسلم وصدق به وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للاسلام قال فإني تبعته ؟ قلت قريباً فسألني أين كان اسلامك ؟ قلت عند النجاشي وأخبرته أن النجاشي قد أسلم قال فكيف صنع قومه بملكك ؟ قلت أقرّوه واتبعوه . قال والأساقفة والرهبان تبعوه ؟ قلت نعم . قال انظر يا عمرو ما تقول إنه ليس من خصلة في رجل أفصح له من الكذب . قلت ما كذبت وما نستعجله في ديننا . ثم قال ما أرى هرقل علم بسلام النجاشي . قلت بلى . قال بأي شيء علمت ذلك ؟ قلت كان النجاشي يخرج له خراجاً فلما أسلم وصدق بمحمد ﷺ قال لا والله لوسائلي درهما واحداً ما أعطيته فبلغ هرقل قوله فقال له النياق أخوه أئدع عبدك لا يخرج لك خراجاً ويدين بدين غيرك ديناً محدثاً . قال هرقل ، رجل رغب في دين فاختاره لنفسه ما أصنع به ؟ والله لولا الضن بملكك لصنعت كاسنح . قال أنظر ما تقول يا عمرو . قلت والله صدقتك قال عبد فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه . قلت يأمر بمعاذة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر

(١) هوزة بوزن جوزة

(٢) الخلف للبعير والحافر للفرس ويطلقان عليهما

(٣) سليط بوزن جيل

(٤) بوزن جعفر (٥) يضم ففتح فسكون وهو مقصور

وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنى وعن الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب . قال ما أحسن هذا الذى يدعو اليه لو كان أخى يتابعنى عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخى أضغ ملكه من أن يدعه ويصير ذنباً . قلت إنه إن أسلم ملكه (بشديد اللام) رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنهم فبذرها على فقيرهم . قال إن هذا خلق حسن وما الصدقة ؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ في الصدقات في الأموال حتى انتهت إلى الإبل قال يا عمرو وتؤخذ من سوائم مواشينا التي ترمى الشجر وتزد المياه . فقلت نعم . فقال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لهذا قال فكثت ببابه أياماً وهو يسل إلى أخيه فيخبره كل خبرى ثم إنه دعاني يوماً فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبي<sup>(١)</sup> فقال دعوه<sup>(٢)</sup> فأرسلت فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس فنظرت إليه قال تكلم بحاجتك فدفعته إلى الكتاب فمحتوما ففرض خاتمه وقرأ حتى انتهى إلى آخره ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته إلا أنى رأيت أخاه أرق منه قال ألا تخبرني عن قرين كيف صنعت . فقلت تبعوه إما راغب في الدين ولما مقهور بالسيف . قال ومن معه ؟ قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في ضلال فما أعلم أحد باقى خبرك في هذه الخرجة وأنت إن لم تسلم اليوم وتنبه وتوطنك<sup>(٣)</sup> الخيل وتبدي خضراك فأسلم تسلم ويستملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال . قال دعنى يومى هذا وارجع إلى غدا فرجعت إلى أخيه فقال يا عمرو إني لأرجو أن يسلم إن لم يسن بملكه حتى إذا كان الغدا أتيت إليه فأتى أن يأذن لى فانصرفت إلى أخيه فأخبرته أنى لم أصل إليه فأوصلنى إليه . فقال إني فكرت فيما دعوتنى إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما نى بدى وهو لا تبلغ خيله هنا وإن بلغت خيله ألفت قتلاً ليس كقتال من لاقى . قلت وأنا خارج غدا فلما أيقن بمخرجى خلا به أخوه . فقال ما عنى فيما ظهر عليه ؟ وكل من أرسل إليه قد أجابه فأصبح فأرسل إلى فأجاب إلى الاسلام هو وأخوه جميعاً وسدقا إلى ﷺ وخلياً (بشديد اللام) بينى وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانلى عوناً على من خافنى .

وهكذا تأمل كتابه ﷺ إلى المنذر بن ساوى . بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر ابن ساوى وكتب إليه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، أسلم أنت فأتى أحد اليك الله الذى لا إله إلا هو (أما بعد) فان من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول ، من أحب ذلك من الجوس فانه آمن ومن أبى فعله الجزية فأسلم ، وكتب إلى رسول الله ﷺ (أما بعد) يا رسول الله فأتى قرات كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ومنهم من كرهه ، وبأرضى محوس ويهود فأحدثت فى ذلك أمرى ، فكتب إليه رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى ، سلام عليك فأتى أحد اليك الله الذى لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله (أما بعد) فأتى أدركك الله عز وجل فانه من ينصح إنما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلى وينصحه أمرهم فقد أطاعنى ومن نصحه لم فقد نصح لى وإن رسلى قد آتوا عليك خبراً وإنى قد شفعتك في قومك فترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فأقبل منهم وآنك مهما تصلح فلن نغزلك عن مملكك ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية ﴾

وبعد ذلك تنظر مكاينته ﷺ إلى ملك الحبشة ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة ، أسلم أنت فأتى أحد اليك الله الذى لا إله إلا هو المالك الفتوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكنهه ألقاها إلى مريم البتول<sup>(١)</sup> الطيبة المحبنة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والملاواة على طاعته وأن تتبعنى وتؤمن بالذى

(١) الضع وسط العنود أو ماتعت الأباط وقوله بضبي متى ضبع بوزن قاب

(٢) بالبناء للجھول (٣) بشديد الطاء (٤) البتول أى العابدة

جامع فأتى رسول الله وأتى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من أتبع الهدى . وقد بعث النبي ﷺ بكتابه هذا مع عمرو بن أمية الضمري<sup>(١)</sup> فقال للنجاشي يا أحممة إن على القول وعلى الاستماع إنك كأنتك في الرقة علينا وكأننا في الثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه . وقد أخذنا الحجة عليك من فيك . الانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفي ذلك الموقع الحز وأصابة للفصل والا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم وقد فرق النبي ﷺ رسله إلى الناس فوجاهك لما لم يرجعهم له وأتمنك على ما أخافهم عليه بخبر سالف وأجر ينتظر فقال النجاشي أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وأن العيان ليس بأشقى من الخبر . ثم كتب النجاشي كتاب جواب النبي ﷺ إلى محمد رسول الله من النجاشي أحممة ، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا اله إلا هو . (أما بعد) فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فوبر الساء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت نفروقا (العلاقة بين النواة والقشر) إنه كما ذكرت وقد عرفت ما بعث إلينا وقد عرفنا ابن عمك وأصحابك فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين ﴿

وهكذا تفكر في كتابه ﷺ إلى كسرى ملك الفرس ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة - ليسنر من كان حيا ويحق القول على الكافرين - أسلم تسلم فإن آيت فضلك إثم المجوس . فلما قرئ عليه الكتاب من قه فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال من ق الله ملكه وقد كان ﴿

ثم قرأ كتابه ﷺ إلى المقوقس ملك مصر والاسكندرية وهذا نصه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط . سلام على من أتبع الهدى (أما بعد) فإني أدعوك بدعاية الاسلام ﴿٢﴾ أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط - يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم - الآية ، وقد بعث به ﷺ مع حاطب بن أبي بلتعة فلما دخل على المقوقس قال له إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال ﴿٣﴾ الآخرة والأولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بفيرك ولا يعتبر بغيرك بك . فقال إن لنا ديننا لن ندعه إلا لما هو خير منه . فقال له حاطب ندعوك إلى دين الاسلام الكافي به الله فقد ماسواه . إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قرش وأعداهم له اليهود وأقربهم منه النصارى ، ولعمري بامشارة موسى عيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا إليك إلى القرآن إلا كدعائكم أهل التوراة إلى الانجيل وكل نبي أدرك قوما فهم أمته فخلق عليهم أن يعيروه وأنت عن أدركه هذا النبي ولنا تهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به . فقال المقوقس إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بجهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجد بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آية النبوة بأخراج الحبة ﴿٤﴾ والاخبار بالنجوى ﴿٥﴾ وأسأظر وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية له ثم دعا كتابا له يكتب بالبرية فكتب إلى رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم محمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك (أما بعد) فقد قرأت كتابك

(١) بفتح الأول

(٢) دعوه وهي كلمة الشهادة التي يدعى إليها أهل الملل

(٣) النكال العقاب الذي يزجر الغير (٤) المختبى (٥) السر



وفهمت ما ذكرت فيه وما مدعوا إليه وقد علمت أن نبيا بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بحاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة وأهدبت اليك بقة لتركبها والسلام عليك ولم يسلم ﴿ وهكذا تقرأ كتابه ﷺ الى هرقل ملك الروم وهذا نصه ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى (أما بعد) فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤثرك الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك إثم الأريسيين (١) - يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون - ولما قرأ هرقل الكتاب فكر في الأمر ثم جمع عظماء الروم في قصر له بمصر (بكسر الحاء) ثم أطل عليهم فقال « يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا لهذا النبي » فاصوا (٢) حصة حمر الوحش الى الأبواب فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الايمان قال ردوهم علي وقال إني قلت مقالي آتفا (٣) أختبر بها شدةكم على دينكم فقد رأيته » فسجدوا له ورضوا عنه ﴿

فإذا تبعت أمثال هذه المكاتبات والخطب ألفتها ﷺ بخطب الأشراف في بلاد العرب بأسلوب غير الذي يخاطب به الملوك ويعطى كل ذي حق حقه . ألا تراهم يقول ملك الحشة ﴿ وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلته ألقاها الى مريم ﴾ ولكنه يقول ملك عمان وأخيه ﴿ وانكما إن أقررتما بالاسلام وليتكما وان آبيتا أن تقررا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيل تلج بساحتكما وتظهر نبوتي على ما لكما ﴾ فانظر الفرق بين الكتائين الذين اختلفا على مقتضى الحالين

فإذا قرأت هذا وأمثاله هناك تعرف كيف ترقى الأمم الاسلامية الآن وكيف تتحد مع غيرها في الأعمال النافعة وانظر لطف حاطب بن أبي بلتعة مع المقوقس وقوله له ﴿ لست تهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به ﴾ وهذا أمر عجيب ووازن بين هذه المعاملة ومعاملة ملك عمان . إن هذه الأحداث والأخبار تعطينا فكرة عامة وهي أن نلبس لكل حال لبوسا ونجتد في رقي الأمم الاسلامية ونكلم كل امرئ بما يصلح له ولا نتفرد منا إذن دين الاسلام في مستقبل الزمان سيقوم به قوم أرق وأعلى من رجال تقدمونا بعد العصر الأول الذي هو خير العصور والعصرين بعده وسيكون اصلاحا لجميع الأمم والحمد لله رب العالمين

### ( بيان عام في أمر الجهاد )

لك الحمد اللهم على نعمة العلم وبهجة الحكمة . رأينا جبال صنعك وحكمك البالغة التي نظمت بها لأفلاك في علاها والحيوانات في فلالها والأمم في هداها

يقف المصل ذا كرا رحمتك بسم الله الرحمن الرحيم يكررها كل حين ويعترف بأنك أنت ريت جميع العوالم مع رحمتك التامة وحكمتك الشاملة وقيامك بالقسط فيها وعدلك في الحكم وهو قد شاهد نظامك في حركات الأفلاك ومداب الأسماك فطبل إذ ذاك هدايتك لصراطك ومصارطك للإشمول الرحمة وعموم الحكمة والنظام - مامن دابة إلا هو أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - فصرط ربي تأتلف الطيور في الهواء والأعنام في المراعي وعيشها بسعادة وهناء وصرط ربي أن يلهم أمثال (بيديا) كما ذكرناه آتفا أن يصوغ الحكم ويعلم الناس الاتحاد تشبها بالجلمات وبالجمامة المطوقة مع الفار والسهلجفة والغراب وصرط ربي أن يتحد الناس على المنافع العاتقة . اللهم إنك أنت الذي ألهمت الخلق فأحكمت نظامها وعلمت النحل فهديتها طرقها ورسمت للحصاة رسما في عقولهم ففسجوا على منوالك في إلهامك الحيوان ، ولعمري ما مكانه رسول الله ﷺ

(١) جمع أريسي نسبة الى أرييس كفضيل وهو الفلاح

(٢) تفروا (٣) قريبا

الى ملك عمان والحشة ومصر والروم والفرس إلا على نهج صراط الله في الهداية فهناك هداية بالفرار أو لا  
وبالعقول ثانيا وهنا هداية بالوحى الذى نزل ليصل العقول ويجمع الشتات ويؤلف بين القلوب ، سبحانه  
الهم وبمحمدك لا إله إلا أنت الحكيم العليم

### ( زيادة إيضاح )

أنت يا الله جعلت صلاة المصلى شاملة معاني عملة إذ يلحظ نظام الكواكب وتجاذبها ونظام الجسم الانسانى  
في دعاء الركوع والسجود فيرى انتظام الوضع بين الكواكب وانتظام الحركات في سيرها وجمال الترتيب  
والتنسيق والجندرة والاتساق في السمع والبصر والمخ والعظم والعصب وما استقلت به القدم فلا يسهه إلا أن  
يطلب أن يكون الناس في اتحادهم على مقتضى ما شاهد في الآفاق وفي جسمه وهناك يرى أن الهداية للصراط  
المستقيم هي صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض كما انها هداية الله الذى - مامن دابة إلا هو أخذ  
بناصيتها - واذن يرى المصلى أن الصراط المستقيم في الفاتحة هو صراط المنتم عليهم لاصراط المفضوب عليهم ولا  
صراط الضالين فان هاتين العاقتين لم يخلقا للنظام العام وسعادة الأمم فان أهل الغضب والضلال متسا كسان  
وهل يجمعهما إلا المهديون الى الصراط المستقيم وهذا هو الذى - صل أيام النبوة فانه ﷺ ما كاد يسمع آية  
- قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا  
أربابا من دون الله - حتى أرسل رسله الى الأمصار وخاطب الملوك يريد أن يكون النوع الانسانى على وتيرة  
واحدة من حيث نظام السياسة ويجعل أولئك الذين على صراط مستقيم مسيطرين على أولئك المفضوب عليهم  
والضالين . أرسل ﷺ رسله وقواده وجيوشه وكان ذلك كله بلذة روحية فكان الصحابة والتابعون لا يريدون  
إلا وجه الله وان من قرأ سير الصحابة والتابعين ودرس محاورات هؤلاء مع الملوك والأمراء كما تقسمت في  
محاوره حاطب بن أبى بلتعة مع من أرسل اليه من الملوك ومحاوره عمرو بن العاص كذلك وقرأ ما تقدمت في  
(سورة الكهف) محاورات عبادة بن الصامت مع المقوقس وكيف كانوا يفهمونهم في الخطاب ويذعنون للحق  
فالحق والحق أقول لولا هذه اللغة الروحية ما توغل المسلمون في بلاد الله شرقا وغربا . إن الله جعلهم  
رسل نظام عام على شريعة أن يكونوا رجة للأمم على مقدار ما تحمله هذه الطبيعة الطيبة . يسبحان الله  
بقيت هذه الخصلة (٣٠) سنة كما قال ﷺ (الخلاقة بعدى ثلاثون ثم تكون ملكا عوضوا خلف من بعد  
الخلفاء ملوك لم يكونوا كخلفاء) . إن الخلفاء كانوا يصلون مقصود التوبة فخرموا على أنفسهم مال المسلمين  
علما منهم أن الأمة اذا انفست في الشهوات زال ملكها في الدنيا وعذبت في الآخرة . ناهيك ما تقدمت في  
آخر (سورة القصص) من حكاية الربيع بن زياد لما وفد على عمر رضى الله عنه فأقرأه تبيد أنه خاف من قوله  
تعالى - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون  
في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون - ماذا كان يخاف عمر ؟ خاف عذاب الهون وخاف عذاب الخزي  
في الحياة الدنيا اذا استمتع بالذات ولذلك لم يبع لنفسه أن يتخذ ما كل لمجرد اللذة  
هذا هو رأى أكابر الصحابة ، حرم عمر على ابنته أن يضح ثوبها بلباس المسلمين ونظيره في ذلك أبو بكر  
وبقية الخلفاء الراشدين ، خلف من بعدهم خلف بعضهم أضاعوا النخوة والعزة وتلهوا بالتفنن في اقتناء  
الجواري والانفاس في اللذات بعد الغزوات فكانوا لا يبالون باذلال الأمم ولا باذلال المسلمين وأخذوا بعض  
الدين وتركوا بعضه . ذلك ان الله ألبس الأسر ولكنه يقول - فلا تقتحم العقبة \* وما أدراك ما العقبة \* فك  
رقبة \* أو اطعام في يوم ذى مسفة \* فيما ذا مقربة \* أو مسكنا ذا متربة \* ثم كان من الذين آمنوا ونواصوا  
بالصبر ونواصوا بالمرجة \* أولئك أصحاب الميمنة - فانه أول ما ذكر في هذه الآية قال - فك رقبة - اذن  
فك الرقبة أهم مابه تقتحم العقبة وذكر بعدها الإطعام ثم ذكر الإيمان مع الصبر والمرجة . اذن هنا فك الرقبة

أولا والمرجة آخرها وهكذا دخل العتيق في أكثر أبواب الفقه

إنه عليه السلام أرسل لمنفعة الأمم ولما وجد النوع الانساني قد تأصلت فيه علة الأسر أبيع له أن بأسر كما تأسر الأمم فلواته حرم أسره على المسلمين لاقرضوا فانهم في الحرب بأسره غيرهم اذا غلبهم واذا غلبوا غيرهم لا بأسرهم وهذا هو هلاك الأمم الاسلامية وظلمهم ، لذلك أباح أخذ الاسرى ورغب في العتيق وجعل بين العتيق والعتيق ولاء ومودة حتى ان العتيق يرث من أعتق كالقريب . ومعنى هذا كله أن يكون الأعداء أصدقاء ( وبعبارة أخرى ) تصبح الأمم المغلوبة مندوحة في الأمم الغالبة بطريق الولاء الذي هو كالنسب

هذه الأحكام لامندوحة عنها ، فالمسلمون بأسرون غيرهم ثم يعتقونهم وخير من هذا أن يمنوا عليهم فلا أسروا ولا فداء . وكل هذا كان موكولا للولاء والملك كانوا يستبدون بالأمر ، ثم قاضى المسلمون بعد ذلك مما يسمعون من أخلاق أبي بكر وعمر وعلى وأمنائهم فاستباح الملوكة لأنفسهم كل أنواع الزينة والفسوق وجعلوا تلك الأخلاق الفاضلة ، واذا سمعوا قوله تعالى - فذلك يبيّنهم خافية بما ظلموا - أوسعوا الآية المتقدمة التي أخافت عمر رضي الله عنه وهي - أذهبت طيبانكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - الخ يقولون هذه وردت في الكفار فأصبح فهم المتأخرين غيرهم المتقدمين فانفمسا في الذات فذهب نخوتهم ودولهم وعزمهم ولاءه لا يظلم الناس شيئا

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الذي يقتبس منه الصحابة الحقائق ثم انكمش المسلمون وتركوا هذه الفضائل واقتصروا على الفقه وظنوا أن الحرام والحلال كافيان في الاسلام وتركوا آيات كثيرة جدا ظنوها زلت في الكفار أوفى المنافقين ، فبهذا صار الاسلام غريبا وكيف لا يكون غريبا وآيات العبر ونظام الأمم قد تركت وجعلت خاصة بقوم غيرنا . إذن بعض المسلمين صدق عليهم قوله تعالى - واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفينا ففسقوا فيها حق - عليها القول - فالترفون في الآية هم أنفسهم الذين قال الله فيهم - أذهبت طيبانكم في حياتكم الدنيا - الخ . سرفى بلاد الاسلام شرقا وغربا فانك لا تجد هذه المباحث العاتقة راجعا اللهم إلا في هذا الزمان فان النهضة قد سرت بين المسلمين وسيتم أمرها ، واعلم أن المسلمين في زماننا لاملجأ لهم إلا أن يقوم فيهم مجتدون مصلحون يبرعون السبل ويوضحون الطرق ، وفي أجد الله عز وجل أن يكون هذا التفسير قد جعل فيه روح الإصلاح ، وهناك كتاب في بلاد الاسلام معروفون يسعون على منهج الإصلاح وهذا زمان النهضة وسياخذ حظه ويرى الأمم التي تدب به ان شاء الله

( جهاد بعض المتأخرين من الأمم الاسلامية السابقة جهاد خذلان واتكاس )

لقد طال الأمد على أعمانا الاسلامية فقتت القلوب وكثر الفسق والفجور فأين الجهاد ؟ والجهاد يراد منه الإصلاح ، وكيف تصلح أم انفسست في الشهوات وقل فيها المصلحون بعد الصور الأولى وكلما تمدد الزمان ازداد العصيان بسبب الترف والجهل العميم . فوازن رعاك الله بين أزمان النبوة إذ أريد جعل أهل الأرض أمة واحدة وبين أيام انحطاط دولة العرب بإسبانيا وطردهم منها في كلام العلامة ( سدوي ) الفرنسي وهذا نصه ( الباب الرابع في انحطاط دولة العرب بإسبانيا وطردهم منها ، وفيه خمسة مباحث ) المبحث

الأول ، في وقوع عتة عمالك اسلامية من اسبانيا تحت حكم ملوك النصارى )

نعود الآن الى ما خلف من تاريخ عرب اسبانيا فنقول ( لما أغارت الأهلالي على عساكر الموحدين المحافظين بإسبانيا أوقعوا بهم أول نكبة وأخطبها لكنهم أماطوا عنهم جورا يلزمهم أن يستعدوا عقبه لصد النصارى بتجديدهم للحكومة مركزا عموميا تبنى عليه المصلح العاتكة لكنهم عدلوا عن ذلك وأخذ كل ينظر في مصالحه الخاصة ، ولذا انقسمت الحكومة الاسلامية الى عدة دول صغيرة مستقلة عن بعضها لم يكن منها ذات شوكة في الجلة إلا ملكتنا ( والنسة ) و ( الجرد ) وملكنا ( ابن هود ) و ( محمد الحار ) وكان ذلك التفريق مساعدا

للفرنج على أخذهم عدة ممالك واحدة بعد أخرى )

ثم قال ( فريند ) ممالك السياسة بتوليتهم محمدا الجار على جميع بلاده الرحبة الممتدة من حدود الجزيرة الى المربة بين جبل طارق وهو يسقه بشرط أن يؤدي له جزية كل سنة وجنودا زمن الحرب ويذهب الى المشورة التي تعتقد في ( قسطنطينة ) ثم حاصر فريند ومعه محمد الجار مدينة اشبيلية التي كانت كرسى سلطنة المرابطة والمرحدين فقاومه أهلها زمنا طويلا لورود مدد اليهم من الوادى الكبير وعبورهم قطرة من سفن على هذا النهر الى مدينة تزيانة المشتملة على لوازمهم فجوز ( فريند ) في جون بسقاية ومينيات اقليم جاليسه سفنا صغيرة استولى بها على مصب نهر الوادى الكبير ثم ألقى سفنا كبيرة كسرت تلك القنطرة بشراعهافكان لأهل اشبيلية جماعة سلخوا بها المدينة الى فريند سنة ١٢٤٨ بشروط توافقتهم لبيع أملاكهم ميعادها أطول من ميعاد أهل ( والنسة ) وقد تيسر لهم بأخذ ( مدينة اشبيلية ) سرعة اقياد جميع البلاد التي على ميمنة نهر الوادى الكبير وجالوا حين استيلاء البرتغال على مدينتي لولة وأيامنة سنة ١٢٤٩ بسواحل البحر التي بين نهر الوادى الكبير والوادى البانغ جولة منتصر مؤيد فأخذوا مدنا بعضها للمسلمين )

فانظر كيف ترى ( فريند ) مع محمد الجار بخاربان ( اشبيلية ) وقد سلت لفريند أى ان الأمير المسلم يساعد الفرنجى على أن يملك بلادا اسلامية ، ذلك لأن الترف والتعجم هما اللذان يقعدان بالأمر عن المعالي ثم تأمل ما تقدمت في المجلد الثالث عشر في ( سورة الشعراء والخل ) فانك تجد تاريخ القوم وانها غرقوا في بحار الفسوق والفسجور والله عاقبة الامور

ولأختم هذا المقال بما لم أذكره فيما مضى مما أنتجه التخاذل الذى سببه الانغماس في الشهوات وشيوع العزل والتفنى والتفاخر بالخر وانحراف الأمة عن العلوم والمعارف ورضاها بالقشور فتفرقت وذاق بعضها بأس بعض ، ذلك عبرة لمعتبر وتبصرة لمذكر

جاء في تاريخ ( زبني دحلان ) صفحة ( ٣٠٩ ) ما نفسه ( من الممالك التي في شرق الأندلس بر بستر وسرقطة والشر الأعلی ومدينتي طليطلة ومرسية وبلنسية وغير ذلك والمتعلون عليها من ملوك الطوائف بنو سليمان ابن محمد بن هود الجذامي من سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وكان قبلهم متقلبا عليها بنو منذر بن مطرق التجيبي فانزعما منهم بنو هود في السنة المذكورة فلما كانت سنة ست وخسين وأربعمائة نازها جيش الاردملش وحاصرها وقصر الأمير يوسف بن سليمان بن هود في حيايتها ووكل أهلها الى فنوسهم فأقام العدو عليها أربعين يوما ووقع فيها بين أهلها تنازع في القوت لقتله وانصل الخبر بالعدو فشد القتال عليها والحصر لها ، وكان لها مدينتان فدخل المدينة الأولى خمسة آلاف منزع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلة وجرى بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسة افرنجي ثم اتفق أن القاة التي كان الماء يجري فيها من أنهر الى المدينة تحت الأرض في سرب موزون فانهارت القناة وفسدت ووقع فيها صخرة عظيمة سدّت السرب بأسره فاقطع الماء عن المدينة ويأس من بها من الحياة فلاذوا بطلب الأمان على أنفسهم خاصة دون مال وعيال فأعطاهم العدو الأمان فلما خرجوا نكس بهم وغدر وقتل الجميع إلا القائد ابن الطويل والقاضي ابن عيسى وبهما نقر من الوجوه وحصل للعدو من الأموال ما لا يحصى حتى إن الذى خص بعض مقدمي العدو ألف وخمسة مائة أبقارا ومن قار الحلى والكسوة ما يحمل خمسمائة جل وقدر القتل والأسرى مائة ألف نفس . ومن نوادر ما جرى على هذه المدينة لما فسدت القناة واقطعت المياه أن المرأة كانت تقف على السور وتنادى من كان بالقرب منها أن يعطيها جرعة ماء لنفسها أولولها فيقول لها اعطني مامعك فتعطيها ما معها من كسوة وحلى وغيرها ، وكان السبب في قتلهم أنه خاف من وصول أحد لنجدتهم وشاهد من كثرتهم ما هاله فشرع في قتلهم ، فلما قتل منهم نيفا على ستة آلاف نادى الملك بتأمين من بقي ، وأمر أن يخرج من بقي بالبلد فازدحوا على الباب الى

أن مات منهم خلق كثير ووزلوا من الأسوار بالجبال خشية الأزدحام في الأبواب ومبادرة إلى شرب الماء وقد كان تحيز في المدينة جماعة ولم يخرجوا وكانوا مقدار سعمائة نفس من الوجوه وحلوا في نفوسهم وانتظروا ما ينزل بهم فلما خلت عن أسروقتل وأخرج من الأبواب والأسوار وهلك في الزجفة نودى في تلك البقية أن يبادر كل منهم إلى داره بأهله وله الأمان وأرهبوا فلما حصل كل منهم بمن معه من أهله في منزله أقسمهم الإفريج بأمر الملك وأخذ كل واحد منهم دارا بمن فيها وكان جماعة من أهل المدينة قد نفروا ولادوا برؤس الجبال وتحصنوا بمواضع منيعة وكادوا يهلكون من العطش فأنهم الملك على نفوسهم وبرزوا في صورة الملك من العطش فأطلق سبيلهم فيمنهم في الطريق إذ لقيتهم خيل الكفر من لم يشهد الحادثة فقتلهم إلا القليل من بقي أهله ، وكان الإفريج لما استولوا على المدينة يقتضون البكر بحضرة أيها والتيب بحضرة زوجها وأهلها ، وجرى من هذه الأمور والأحوال ما لم يشهد المسلمون مثله قط فها مضى من الزمان ومن لم يرض منهم أن يطأ بعض النساء ذوات المهنة أعطاهن خدمه وغلمانهم يعيشون فيهن وبلغ الكثرة منهم ما لا يمكن أن يوصف على الحقيقة ، ولما عزم ملكهم على التقول إلى بلده تخبر من بنات المسلمين الجوارى الأكار والتيب ذوات الجبال ومن صبيانهم ألوفا حلهم معه ليهديهم إلى من فوقه من ملوكهم وترك من رابطة خيله ير بشر ألفا وخسمائة ومن الرجال ألفين

ومما كان في هذه الوقعة الشعاء أن بعض تجار اليهود جاء (بر بشر) بعد الحادثة ملتمسا فدية بنات بعض الوجوه ممن نجوا حصلن في سهم قومس منهم كان يعرفه قال فذهبت إلى منزله واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا في نفيس ثيابه والمجلس والسرير كما خلفهما ربهما يوم محنته لم يغير شيء من ريشهما وزينتهما ووصافته مضمومات الشعور فقامت على رأسه ساعيات في خدمته فرحب في وسألني عن قصدي فعرفته وجهه وأشرت إلى ونور ما أبدل له في بعض اللواتي كنن واقفات على رأسه وفيها كانت حاجتي فتبسم وقال بلسانه ما أسرع ما طمعت فيمن عرضاه لك أعرض عنهم وتعرض لمن شئت ممن صبرته لحسن من-بي وأسرى من أقاربك فقلت له أما الدخول إلى الحصن فلا أرى لي فيه وبقر بك أنست وبكفك الممانت فاعطاني بعض من هنا فاني أعطيك وغبك قال وما عندك فقلت العين الكثير الطيب والبر الرفيع القرب فقال كأنك تشبهني بالنس عسدي ، بإياه بنادي بعض أولئك الوصاف (يريد بإيهجة فغيره بجعته) قومي فأعرضي عليه ما في ذلك الصندوق فقامت إليه وأقبلت بيد النانير وأكبس البراهم وأسفاط الحل فكشف وجعل بين يدي العلاج حتى كادت توارى شخصه ثم قال لها أدنى إلى من تلك التخوت فأدنت منه قطعة من قطع الوشي والخز والديباج الفاخر حتى حار ذلك ناظرى وبهت واسترذلت ما عندى ثم قال لي لقد كثر هنا عندي كل شيء حتى ما ألتذ به ثم حلف لي أنه لو لم يكن عنده شيء من ذلك ثم يذل لي أحدهم ذلك ما سحت بهذه الحارية التي تطلبها نسبي فهي ابنة صاحب المنزل وله حسب في قومه واصطفيتها لنفسى لمزيد جالها لأجل أن تلد لي وفضلنا هذا مثل ما كان قومها يصنعون بنسائنا إذا ملكونا حين كانت دولتهم وقد ردة الله لنا الكرة عليهم فصرنا فيما تراه وأز يدك بأن تلك الخودة الناعمة وأشار لي جارية أخرى كانت مغنية لوالدها ثم قال لها يا فلانة خذي عودك فأخذت العود وقعلت تسويه وأما أنا مثل دمعا يقطر على خدتها فتسارع العلاج ومسحه بيده واندفعت تغني بشعر ما فهمت أنا فضلا عن الطبع وأظهر الطرب فلما ناست مما عنده قت منطلقا واطلعت على كثرة ما بأيديهم من السبي والمغنم فطال تعجبي قال في فتح الطيب فهذا مقنع لمن تدبره وتذكره لمن تذكره - إن الله لا يضير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فان أهل الأندلس لما توات عنهم النعم انهمكوا في اللذات والشهوات وحل بهم داء التقاطع وقد أمروا بالتواصل والآفة فأصبحوا على شفا جوف يؤدي إلى الهلكة لاحالة وأنهم كانوا يعطون أنفسهم بالباطل ويشترون بالنعيم الزائل وقد بدوا

عن طاعة خالقهم ورفضوا وصية نبيهم وغفلوا عن سد نفورهم حتى جاس عدوهم بخلال ديارهم ثم سرى الباقى اليهم جميعا فلاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ﴿ ١٥ ﴾

وانما سقت هذه الحادثة ترى أيها الذكي كيف كان اتباع الشهوات سببا في التخاذل والتخاذل سبب في انتهاك العدو حرمة البلاد وضياح المال والعرض والشرف والجاه ، وانظر كيف أصبحت الفتاة بهجة مملوكة للعلاج في نفس منزل أيها ، وكيف يأمر تلك الفتاة التي كانت مغنية لأبيها أن تقضى له ، أوليس مما يؤسف له أن يجعل الرجل ابنته مغنية له . كل ذلك دليل على ضياع الأمم . نعم هذه المدينة في السنة التي بعدها استرجعها المسلمون كما في نفس التاريخ وفعلاوا بالفرجة مافعله الفرجة بالمسلمين ولكن ليس المدار على الانتصار المؤقت في بلدة من البلاد بل المدار على استقامة القلوب وارتقاء النفوس فهو النصر الحقيقي وإذا أراد الله ذل قبيلة \* رماها بنشيت الهوى والتواكل

﴿ كيف أثمر الجهاد لتحري أوروبا بعد خود أم الاسلام ﴾

لقد ذكرت لك أيها الذكي فيما تقدم كيف تمزقت الوحدة الاسلامية بعد القرون الأولى ، وكيف انغمس المسلمون في الشهوات والمعاصي وفسقوا فسوقا أدوا عنه وهو الأسر والذل والفتك والفسك ، وكيف دخل العدو الدار وفسقوا بالبنات والنساء أمام الأزواج والآباء ، وانظر الى الفتاة (بهجة) كيف اصطفاها العلاج لنفسه بحجة انها كانت ابنة رجل عظيم وقد استخدمها في نفس منزل أبيها على فراشه ، وانظر كيف وكل الأمير الأندلسي يوسف بن سليمان أمر أهل برشترالى أنفسهم وقال لهم دافعوا عن أنفسكم

إن أعظم سبب في فشل الأمم ومنها الأمة الاسلامية أن الأمر يوكل الى أناس يظن فيهم الخير فاذا مات الآباء ونشأ الأبناء على الترف والنعيم بقى الناس مسحورين بالابن كاسحروا بالاب قطع ذلك الابن وابن الابن الشعب بطابعهم فهو يرتع في ملاهيه ولذاته وهم يقلدونه ، ولما رأت الأمم الحاضرة ذلك استبدلت مجالس التواب والشيوخ بذلك النظام العتيق ، فاذا كان الملك فاسقا جاهلا لم يضرم شئ فلهم الحل والعقد وعليه التصديق فليكن كما شاء جاهلا أو علما . هذا هو الذي عليه الأمم الآن ولكنهم لم يصلوا الى هذا إلا بعد جهاد وجهاد وصبر طويل وتجارب هدامهم اليها الاسلام ، وانما قلت هدامهم اليها الاسلام لأنك اذا رجعت الى تفسير (سورة التوبة) عند آية - يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار - الخ رأيت هناك أن الانقلاب الاوروي ماحدث إلا بما قرأه أمثال (فولتير) و(روسو) من كتب المسلمين المنهوبة من الأندلس أو المأخوذة من مصر (اقرأ مذكرات سيدة أوروبية أسلمت) تحت عنوان « الحضارة الاسلامية والحضارة الاوروية » فلقد أثبتت هناك ذلك بأجل العبارات ، وقرأ قبل ذلك كيف كان ظم القسيسين والبابوات ، ولعمري لم يكن ذلك إلا للخضوع القبيح الذي يخضعه الانسان لغيره جهلا بقوله تعالى - وان تطلع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله - وبقوله تعالى - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين \* قال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صدناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كتمنا بحرمين \* وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون \* وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون \* وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعبدين -

وفي القرآن من أنواع المحاورات بين الرؤساء والمؤسسين ما لا يدع عفرا لمحتفر وقد غفل عن هذا المسلمون واستقطط له الاورويون ، ولقد تقدم في هذا التفسير أمثلة كثيرة لاستيقاظ الاورويين والموازنة بينهم وبين المسلمين ، ولأكتف الآن بأمر عجيب نشر في جرائدنا في وقت طبع هذا المقال لاسعاد هذا التفسير والصناية

الإطية به يوم ٤ أغسطس سنة ١٩٢٩ فقد جاء في جريدة الاهرام ماضه

### { ٤ أغسطس }

( أويوم اعلان حقوق الانسان )

عند ماشرق شمس هذا النهار ويستقبل الناس يوما جديدا يتم اقضاء مائة وأربعين سنة كاملة على اليوم الذى أُنشئت عنه الآن

ففى يوم (٤) أغسطس من عام ١٧٨٩ ذكرى قيمة بالغلود فى نفوس الشعوب المحبذة التى تقتر بالحرية والأهم الباهضة التى تشدها ، وحقيق بالفرنسيين خاصة أن يجعلوه تبيجلهم ليوم (١٤ يوليو) الذى جعلوه عيدهم القومى وهولايمتازى الواقع إلا بهدم حصن الباستيل وقتل حراسه القلائل والتمثيل بهم أشنع تمثيل واخراج بضعة نفر من أقيته المظلمة لاهم فى المير ولاهم فى النفير

أما فى يوم ٤ أغسطس سنة ١٧٨٩ وان شئت الدقة فى مساء ذلك اليوم فقد نال الشعب الفرنسى ماكان يسبو اليه ويجهاد فى سبيله وهواعلان حقوق الانسان على أساس المبادئ التى نادى بها (جان جاك روسو) وهوا الامتيازات التى كانت للأشراف ورجال الدين الذين طالما أقتلوا كلهم الشعب ودفنوا به فى قرار سحق من الفقر المدقع والضرر المفجع واليك البيان

فى مثل يومنا هذا منذ قرن وأربعين سنة بانضم كان الناس فى باريس فى هرج ومرج على أثر الظفر الذى عقد لهم لوائه يهدم الباستيل فى (١٤ يوليو) من العام ذاته والفلاحون فى الأقاليم يعمنون هدما وسلبا فى قصور الأشراف التى تمثل الباستيل بينهم حتى لا يكونوا وراء أهل باريس فى ميدان المجد والقضار والبلاد من أقصاها الى أقصاها فى ثورة مروعة انكمش أمامها رجال الادارة خشية أن يحل بهم ما حل "بحاكم الباستيل وزادت الحالة سوأ حين امتنع التجار عن عرض ما لديهم من الأقوات خوفا من السلب والنهب ، واذ أدرك الفوضى مقدار قوتهم صاروا يشيرون لأقل شئ وينقضون على كل من توهموا فيه العداء لهم ، فتارة يصلونهم وطورا يقطعونهم إربا وكانت سفليات النساء فى الأسواق فى مقدمة أولئك الفتاك وأكثرهم شرا . ووقف مجلس الأمة (وكان مؤلفا من الهيئات الثلاث الأشراف والقساوسة والعامة) يراقب الحوادث فى حيرة ووجل خوف سوء العقبى وكل ما يبينه أعضاؤه من الموقف انه لايرجى لذلك الحال من هدوء إلا اذا جرد الأشراف والكهنة من امتيازاتهم ، على أن ذلك لم يكن محتمل الوقوع إذ وقف الملك لويس السادس عشر يشد أزر هؤلاء وينصاع اليهم بتأثير زوجه الملكة (مارى انتوانت) فظل خطر الموقف مسلطا فوق الرقاب جميعها الى أن كان يوم (٤) أغسطس سنة ١٧٨٩ واذا المهجرة تقع من تلقاء نفسها ، فى مساء ذلك اليوم وقف فى مجلس الأمة أحد الأشراف وكان فقيرا واقترح النزول عن امتيازات الأملاك ، فاهى إلى اللحظة حتى دب ديب الفيرة فى النفوس وتبارى الناس فى تنفيذ هذا رأى ، وما اقتضت البلية حتى كان الأشراف قد نزلوا عن كل امتيازاتهم وكذلك أعلنت حقوق الانسان فى تلك الليلة على أساس المبادئ التى نادى بها (روسو) وجعلها أن الناس ولدا أحرارا متساوين فى الحقوق وأن الغرض من الحكومات ضمان الحرية والأملاك الشخصية وصيانة الحقوق وحماية الأرواح ومنع المظالم وأن لكل أمة الحق فى وضع القوانين وتقرير الضرائب وهى وحدها السلطة العليا فى البلاد وليس لأحد أن يستعمل هذه السلطة إلا بإرادتها . وحين أعلنت هذه المبادئ أخذ الناس بها وجاءت الجمعية الأهلية بصدده فأدخلتها فى صلب الدستور وهكذا تقوّضت مظالم العهد القديم وأشراف العالم على عصر جديد ملؤه العدل والحرية والمساواة

ذلك هو يوم (٤) أغسطس سنة ١٧٨٩ الذى يتم بانبلج شمس هذا الصبح مرور ١٤٠ سنة عليه ، واذا

كانت حادثات كبار وخطوب جلل أنت بعده في إبان الثورة الفرنسية حتى شاهد القرن التاسع عشر أياما سوداء ملؤها الدم والمار فان ذلك كله لايجب عن الناس نعمة ذلك اليوم المجيد انتهى

### ( قصة نوح عليه السلام )

قال تعالى ( ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ) وقد كان عمره ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وفي ذكر الألف تخيل لطول المدة الى السامع لأن القصد من القصة تسلية النبي ﷺ وتثبيت ومجاهدته لما يكابده من الكفرة ، وإياك أن يصدك عن هذه القصة مآزاه من طول الأعمار التي لم نعهدها ولم يظهر في التاريخ المعروف نظيرها فان التاريخ القديم مجهول جهلا تاما ، وليس المقصود من مثل هذه أن نبعث في السنين كيف كانت وأمثال ذلك فانك اذا ظننت أن ذلك هو المقصود لم تنفع بالقصة . إن الانسان اذا قرأ أن قوما قاسوا شدائد وطالت المدة عليهم وهو يعلم أن مدته قصيرة اطمأن وصبر وبجاهد لينجو ويهلك عدوه كما هلك أعداء نوح ( فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ) أى طوفان الماء وهو يطلق على كل طافف بكثرة من سيل أو غلام وما أشبه ذلك فلتعتبر بهذا ولا تنزع وقتك فتقول كما يقول البعض ( إن السنة عبارة عن دورة الأرض حول الشمس مرة ) فربما عبر هؤلاء في أيامهم بالسنين عن دورة القمر حول الأرض وهو شهر عندنا واذن يكون عمر نوح كالأعمار المعتادة التي لا تبلغ مائة سنة ، أقول لك لا تنزع وقتك في هذا فانا نلجأ اليه عند القطع بعدم حصول ذلك والمقام ليس مقام تاريخ بل المقام مقام جهاد وصبر وأدب ولم ينل أحد السعادة إلا بالاجتهاد والجهاد ومقارعة الخصوم ، فاذا طالت المدة كان ذلك أدعى الى التأسى والاعتداء ( فأعجبناه وأصحاب السفينة ) أى أعجبنا نوحا ومن ركب السفينة معه ( وجعلناها ) أى السفينة أو الحادثة ( آية للعالمين ) يتعلمون بها ويستدلون بها

### ( جوهرة في قصة نوح وسفينته )

اقرأ ما تقدم في ( سورة هود ) وفيه بيان أن الطوفان في القرآن جزئي لا كلي وهناك تقرأ المقام مفصلا على مقتضى الكشف الحديث ولكن اطلعت بعد ذلك على تفصيل أوفى في كتب حديثة مختلفة ، فمن ذلك ما جاء في بعض المجلات العلمية بتاريخ يوم الاثنين ١٥ صفر سنة ١٣٤٨ - ٢٢ يولييه سنة ١٩٢٩ وهذا ملخصه : يرى بعض العلماء اليوم أن قارة تسمى ( ليموريا ) كانت في الاوقيانوس الجنوبي وتصل بآسيا من جهة وبأفريقيا من جهة أخرى وإن قارة أخرى تسمى ( انلنفس ) كانت وراء جبل طارق وكانت قبرا لأفريقيا وآسيا معا ثم غطاها ماء الاوقيانوس ففرقت . وأن قارة أخرى كانت في الاوقيانوس الباسفيكي على بعد ألفي ميل وأربع مائة ميل غربي سواحل أمريكا الجنوبية وقد أغرقها الماء وذهبت كأسس الدابر ، فهذا طوفان أغرق قارات في أزمان قديمة لا يصبها التاريخ وهناك قصص للطوفان بعضها في التوراة وبعضها جاء في مجموعة ( سجلات جلجيمش ) في النصوص البابلية وبعضها عن أهل الصين وبعضها عن أهل الهند ، أما قارة ( ليموريا ) فهذا ملخص ما جاء عنها في هذا المقال بذلك التاريخ وهذا نصه

### ( جغرافية العالم القديم . القارات الصائفة وكيف اختفت . الحيوانات الباقية والمنقرضة )

تذهب الى ( جزيرة مدغشقر ) بعتة علمية لدرس حيوانات هذه الجزيرة وأحافيرها ولتعليل بعض الظواهر البيولوجية الغريبة فيها ومن جعلتها قلة الارتباط النسبي بين الحيوانات التي فيها والتي يختلف بعضها عن بعض الى حد مدتهش ، ومع ان هذه الجزيرة لاتبعد عن سواحل أفريقيا أكثر من ثلثائة ميل فان بينها وبين حيوانات القارة الافريقية بونا شاسعا ، من ذلك انها خلو من ذوات القوائم الأربعة الكبيرة الأجسام ماعدا



بقر الماء (فرس البحر) ولكنها موطن حيوانات كثيرة لم توجد في موضع آخر من العالم ، وليس ذلك فقط بل ان أحافير الجزيرة تدل على انها كانت في الأزمنة الغابرة موطن حيوانات وطيور وزحافات لاجود لها لاقى الخرافات ، من ذلك طير (ايورنيس) ولعله أكبر الطيور التي حلفت في جوار الكرة الأرضية وكان يضع بيضا هائل الحجم يبلغ طول محوره ثلاث عشرة بوصة ونحاتها عشر بوصات أى بحجم بيضه كبيرة مستطيلة وكان هذا الطير أكبر كثيرا من النعامة ويشبه طير (الموا) من طيور نيوزيلندا المنقرضة ويزعم الكثيرون أن طير (ايورنيس) المذكور هو طير الرخ الذي ورد ذكره في روايات « ألف ليلة وليلة » وأن واضع تلك الروايات قالوا وصف الرخ مما سمعوه من العرب الذين ساحوا في أفريقيا ووصلوا الى (مدغشقر) ورأوا طير (ايورنيس) وفي مدغشقر أيضا طائفة من الزحافات الهائلة من فصيلة الضب أو العظاية وكان فيها قديما عظامات يبلغ طول كل منها ستين أو سبعين قدما وكان ذلك في الزمن الذي كانت فيه الزحافات سيدة جميع المحاور على الأرض ، ومن الظواهر البيولوجية الغريبة أنه مع قرب جزيرة مدغشقر من الساحل الأفريقي فإن حيواناتها تختلف عن حيوانات أفريقيا كل الاختلاف حالة كونها تشبه حيوانات آسيا مع بعد الشقة بينهما ، وقد حاول بعضهم تعليل ذلك بقوله « انه كان في الحقب الغابرة قارة في الاوقيانوس الجنوبي تتصل بكتا آسيا وأفريقيا وقد أطلقوا عليها اسم (ليوريا) أى بلاد الليمور وفيها نشأ هذا الحيوان ثم انتقل الى مدغشقر وبتأدي الأساقب غارت (ليوريا) في قاع الاوقيانوس وبقيت فصيلة الليمور في جزيرة مدغشقر )

( قارة اتلنس وقارة أخرى كانت في الاوقيانوس الباسفيكي )

وعلى ذكر هذه القارة الزعومة نقول إن كثيرين من الكتاب والمؤرخين يعتقدون أن جغرافية العالم القديم كانت تختلف عن جغرافية هذا الزمن وأنه كان ثمة غارات وبلاد ضاعت لأن مياه البحار طغت عليها ، من ذلك قارة (اتلنس) وقد أشار إليها أفلاطون قديما وكان الأقدمون يقولون بوجودها وراء أمهدة هرقل (جبل طارق) ويزعمون أنها أكبر من آسيا وأفريقيا معا ولا يزال بعضهم يقول بوجودها قريبا حتى هذا اليوم ، بل إن بعض علماء الجغرافيا يزعمون انه كان في الاوقيانوس الباسفيكي أيضا قارة غارت بطنين البحر عليها ، وهم يؤيدون زعمهم هذا بمدة براهين من جعلتها وجود نقوش على بعض منحور (جزيرة بستر) وهي جزيرة من الاوقيانوس الباسفيكي على بعد ألفين وأربعمائة ميل غرب سواحل أمريكا الجنوبية ، وفي الواقع أن في هذه الجزيرة مئات من النقوش والتماثيل المتقنة الصنع ومعظمها تمثل رؤسا بشرية لافوقها في دقة الصنع أجل تماثيل اليونان القديمة ، وفي تلك الجزيرة الصغيرة أيضا دلائل كثيرة على حضارة بائدة وأهالي هذه الجزيرة لا يماززون بضع مئات يناقلون قصة الطوفان أباهن جد ، ومن المحتمل جدا أن تشير هذه القصة الى طغيان مياه الباسفيكي على القارة المذكورة

واذا أنكرنا قصتي (اتلنيس) والقارة الباسفيكية الضائعة كان لابد لنا من الالتجاء الى نظريات أخرى لتطيل بعض الظواهر البيولوجية غير المفهومة ، ومن جملة تلك النظريات ما يزعم بعض العلماء من أن القارات المعروفة في الوقت الحاضر هي عائمة على وجه المياه وأن قارتي أفريقيا وأمريكا الجنوبية كانتا متصلتين معا في العصور الغابرة ، وفي الواقع اننا لو أمكننا زحمة هاتين القارتين ووصلهما معا لكان الاتصال تاما ومتينا من الوجه الطبوغرافي ، ولو أمكننا أيضا زحمة (مدغشقر) والهند وأستراليا ووصلهما معا لكان لنا منها قارة (ليوريا) التي سبقت الإشارة إليها ولعل هذه النظرية كثيرا من المشاكل التي يصعب اليوم فهمها

وأما ملاباة في التوراة فهذا فيه « رأى الرب أن شر الإنسان قد كثرت في الأرض فحزن انه عمل الانسان في الأرض وتأسف في قلبه وقال « امحو ا عن وجه الأرض الانسان الذي خلقت . الانسان والبهائم والطيور السباع لأنى حزن ا في علمتهم » وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب فقال الرب لنوح نهاية كل بشر

أما لأن الأرض امتلأت ظلما منهم ، اصنع لنفسك فلما من خشب مساكن سفلية ومتوسطة وعالية تجعلها فيها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء ، كل ما في الأرض يموت ولكن أقيم عهدي معك فتدخل الفلك أنت وبنوك وامراتك ونساء بنيك ، من كل حي تدخل الى الفلك اثنين لاستبقائهما ، ولما كان نوح ابن ستمائة سنة صار طوفان الماء على الأرض فتدخل نوح ومن معه الفلك وانفجرت ينابيع الفجر العظيم وانفتحت طاقات السماء وكان المطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة فكان الفلك يسير على وجه الماء ، وبعد مائة وخمسين يوما قصت المياه واستقر الفلك على جبال ارارات ﴿

﴿ القصة البالية والصينية والهندية ﴾

هذه هي القصة كما وردت في التوراة ، أما جبل ارارات فهو في الشمال الشرقي من أرمينيا فكان أعلى الجبال المعروفة في العالم اليهودي في ذلك العهد ، قصة الطوفان هذه لا يمكن أن تؤخذ بمعناها الحرفي والأرجح أن الطوفان الذي نشر اليه كان طوفانا علميا ، وإذا رجعنا الى عوام الأقدمين نجد عن الطوفان قصصا كثيرة أفرها الى نص التوراة القصة البالية كما وردت في مجموعة ﴿سجلات جلجميش﴾ فقد جاء فيها أن جلجميش (وهو من الجبارة) زار أحد أسلافه ليسأله كيف نجى من الموت بالطوفان فأخبره سلفه بقصة بناء الفلك وهي القصة السومرية بينها ويقال انها أقدم قصة في هذا الموضوع ، وقد اقتبسها البابليون عنهم أخذها اليهود لما كانوا في الأسر ، ومن أشهر قصص الطوفان أيضا القصة الصينية والقصة الهندية وكلتاها تشير الى طوفان محلي نشأ عن فيضان الأنهر وهطل الأمطار ، ولأن القصة البالية أيضا نشأت عن فيضان دجلة والفرات وغمرها البلاد المحيطة بهما ، وفي بلاد (اور) شالي العراق بعثت انجليزية تنقب عن الآثار وتبحث عما يبثت قصة الطوفان ، وقد كانت (اور) منذ أربعة آلاف سنة مركز حضارة راقية ، والأرجح أن مدينة (اور) نفسها (وهي مسقط رأس الخليل) بلغت أوج ثروتها ورخائها في سنة (٣٥٠٠) قبل التاريخ المسيحي وكان أهلها ماهرين في صناعة الأدوات المعدنية ولاسيما الفضية والذهبية ، وتقلب على (اور) أزمنة مختلفة فبعد أن بلغت أوج حضارتها ثار الطمع في قلوب حسادها ففروها ونهبوا معابدها وهياكلها وبعذك التهمتها النيران ثم أعيد بناؤها ثم أخربها الغزاة مرة أخرى ثم أعيد بناؤها الى أن طغى عليها نهر الفرات فأغرقها وأهلك أهلها ، ومنذ ذلك الحين أصبحت (اور) قفرا يابا ، ومن المحتمل جدا أن الطوفان الذي أهلكها هو الطوفان الوارد قصته في التوراة . وما يجدر بالذكر أن بعثة الآثار التي تنقب اليوم في أنحاء المدينة قد استطاعت ازاحة القرب عن جانب كبير من خرائبها فظهر أن بيوتها كانت مبنية على هندسة تكاد تكون حديثة فقد كانت مبنية من الحجر والآجر (الطوب) ومعظمها ذو طبقتين ولكل منها حوش أوفناء ، كذلك كانت هندسة هذه المدينة في أيام ابراهيم الخليل وكانت كما سبق القول مستطراة وفيها نأش وترعرع ويظهر أن جيع الأمم التي نشأت في وادي دجلة والفرات كانت تتناقل قصة الطوفان على وجوه شتى ، وليس في ذلك ما يدهش اذا تذكرنا أن أولئك الناس كانوا يعيشون مهتدين دائما بخطر طوفان النهرين العظيمين وقد كانت مخيلتهم بتكرلم دائما قصة بطل نجى من الطوفان بأعجوبة إما لقضية فيه أو لسبب آخر جلجميش عند البابليين ونوح عند اليهود و(مان) عند الهنود و(إبتان) عند غيرهم وهم جرا . انتهى ملخصا مع تفسير يرجعنا لتسهيل الفهم

أقول ، اعلم أن ما تأتي به الكتب السجارية ينزل لكل أمة بحسب مزاجها وعقلها وما جاء في التوراة يقبله اليهود وما جاء في القرآن مقبول عندنا ، أما البحث العام فذلك يعوزه دراسة علوم كثيرة كالتاريخ والجغرافيا وعلوم الآثار وعلوم طبقات الأرض ، وكان الانسان ينظر الطعام ويشمه ويفوق وقد يسمع حركته كما يفعل الناس اذا أرادوا معرفة البليخة أي ناضجة أم لا ، هكذا اذا زاولوا مسألة وجب بحثها من وجوه عدة ، فانظر

الى مسألة الطوفان كيف تعددت رواياتها ثم انظر الى علم طبقات الأرض اليوم ، ألا ترى انهم وجدوا غما في الأقطار القطبية وقد تقدم في هذا التفسير حتى إن بعض المهندسين يريد أن يصنع هناك محطة للطائرات لأجل امدادها بالفحم من هناك وبسبب الفحم يمكن تكوين الكهرباء . إن مسألة القطبين وأن فيهما الفحم هذا أمر مجمع عليه وهل يكون الفحم إلا في أرض حارة . إذن كانت هذه خطأ استواء ثم تغيرت الحال في أزمان مجهولة فصارت قطبا ولما صارت قطبا دفنت فيها غاباتها وحيواناتها وطلبت و بقيت الى الآن . ومن المسلم به أيضا أن الأنهار وهي تجري من اليابسة الى البحار تجرف معها مواد وتذفها في البحر وهذه المواد تتراكم جيلا جيلا ثم يأتي زمن تصير قارة جديدة إذ يحصل هناك انقلاب عام فيصير البر بحرا والبحر برا بحادث لحاق عظيم لأن الأرض ملتهبة نارا في باطنها . وانظر لمجاهد في كتاب ( اخوان الصفا ) تحت عنوان ( الأدوار والأحوال )

إذ ذكر أن البر يصير بحرا والبحر يصير برا في أزمان وعين لها نحو ( ٣٦ ) ألف سنة وأن ذلك تبع تقدم الاعتدالين ولكن أقول إن هذا ظن دليله ضعيف وانما المعروف هو ما تقدمت لك . إذن هذه الأرض تتقلب كما يتقلب الليل والنهار وهذه القارات يوما ماتذهب ويحل محلها قارات أخرى تتخلق الآن في قاع البحر وستظهر بزرارة عظيمة ، ففصة نوح ونحوها ما هي إلا فتح باب لهذه المغامرات العظيمة التي أعرب عنها الله بقوله - وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معدنوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا - ألا ترى رعاك الله أن البراكين اليوم ( كما ستفرون في أول سورة فاطر عند قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - ) تأتي لنا من باطن الأرض بمادة بركانية تكون أصلح للزرع من جميع القرية فوق الأرض ، فكم للبراكين والزلازل من منافع فإذا أتمت قارة عملها خف بها الأرض هي وأهلها وأظهر قارة أخرى أحسن منها . فالقارات والمدن والأمم أشبه بالأشخاص لكل أجل محمود لمنافع هو يصنعها ولا يعلمها سواء ، وهلاك قارة أو أمة كهلاك فرد واحد لافرق بين الفرد والأمة والقارة والمدينة . اهـ

### ( قصة ابراهيم عليه السلام )

قال تعالى (د) اذكر قصة ( ابراهيم إذ قال لقومه أي حين كل عقله وتم نظره ) اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ) مما أتم عليه ( إن كنتم تعلمون ) الخير والشر وتميزانها ( إنما تصبدون من دون الله آوثانا وتخلقون إفكا ) أي تصنعون أصناما بأيديكم تسمونها آلهة ( إن الذين تصبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا ) فكيف تصبدونهم إذن ( فاقبضوا عند الله الرزق ) فانه المالك ( واعبدوه واشكروا له ) لأنه النعم عليكم بالرزق والشكر يستلزم العلم بما يجب الشكر عليه والذي يشكر عليه كل مافي السموات والأرض مما خلق الله فيجب النظر فيه ومعرفة كل على مقدار طاقته وذلك هو قوله - أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده - الخ فذلك هو مفتاح الشكر الذي سيذكر بعد اتمام هذا المقام وهو قوله ( اليه ترجعون ) في الآخرة ( وإن تكذبوا ) أي تكذبوني ( فقد كذب أم من قبلكم ) من قبلي من الرسل فلم يضربهم تكذيبهم وانما كان ضررهم على أنفسهم ( وما على الرسول إلا البلاغ المبين ) الذي يزول معه الشك فأما كونه يصدق وينفع فليس عليه ، ثم أخذ يشرح مبادئ الشكر التي هو اخلاص بالقلب لسائر الناس وثناء باللسان على الله وصرف كل نعمة فيما خلقت له وتلك للمبادئ هي المعرفة والعلم فقال ( أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ) من مادة ومن غيرها ( ثم يعيده ) كما بدأ لأن من قدر على البدء فهو قادر على الاعادة ( إن ذلك ) أي الاعادة أو ما ذكر من الأمرين ( على الله يسير ) لأنه اذا قال للشيء كن فيكون ( قل ) يا محمد أو يا ابراهيم ( سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ) على اختلاف الأجناس والأحوال وسيأتى شرحه ( ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ) بعد النشأة الأولى التي هي الابداء ومن عرف النشأة الأولى عرف أن الآخرة أهون ( إن الله على

كل شئ قدِير) والممكنات كلها تتعلق بها قدرته (بعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته على مقتضى درجته التي استحقها ، ولا معنى للسجل إلا وضع كل شئ في موضعه (واليه تلبسون) تزدون (وما أنتم بمجهزين) ربكم عن أن يدرككم (في الأرض ولا في السماء) إن فرتم من قضائه بالتواري في الأرض أو التحصن في السماء أو التلاصق الفاضية فيها لأنه خلقكم ليربيكم فيها ويدبر عليكم دوائر النحاس والسعد والعذاب والنعيم . كل ذلك لتمجيدكم وترتيبكم وتخليصكم من المأذة ورجوعكم الى عالم الأرواح فتلاقوه إن استحققتم وتزدون الى العذاب إن قصت ترتبكم فأين تذهبون إذن (ومالك من دون الله من ولي ولا نصير) فلاولى يمنعكم ولا نصير ينصركم من عذابى (والذين كفروا بآيات الله) دلائله الدالة عليه عقلية وتقليدية (وتفاهة) بالبعث (أولئك يئسوا من رحمتى) أى يئسوا منها في الدنيا لأنهم ظنوا أن الله خلق هذه الأرواح فأحبها ثم أماتها بلا فائدة ولا حياة بعد الموت وهذا عمل من لارحة عنده ولا رافة كما قال تعالى - قل لمن مافى السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة لاجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه - فجعل من موجبات الرحمة التي كتبها على نفسه أنه يجمعنا يوم القيامة ويقول هنا إن هؤلاء يئسوا من رحمة الله فهذه هى الرحمة حقا ، فأما خلقى الناس ثم هدم بنيتهم هدمًا تامًا واعدادهم لأرواحهم لارحة لها فهذا لارحة فيه ، ولذلك تعبد أكثر الآيات بقرن فيها ذكر الله بذكر اليوم الآخر ، وقوله (وأولئك لهم عذاب أليم) أى بكفرهم (فما كان جواب قومه) قوم ابراهيم له (إلا أن قالوا اقتلوه أو سرقوه) أى قال الرؤساء ذلك ورضى به الأتباع فأسند الى كلهم فقدفوه في النار (فأنجاه الله من النار) فصارت بردا وسلاما (إن فى ذلك) أى فى انجائه منها (آيات) كعظمته من أذى النار وانخادها مع عظمتها فى زمان يسير وانشاء روض مكانها (لقوم يؤمنون) لأنهم المنتفعون بها (وقال إنما اتخذتم من دون الله آثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا) أى اتخذتم آثانا سبب مودة بينكم فتكون - مودة بينكم - مفعولا ثانيا بتقدير مضاف (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) فيناكر الأتباع والمتبعون ويلعن بعضهم بعضا شأن اللصوص وقطاع الطرق اذا وقعوا فى قبضة القضاء (وما أكرم النار) يعنى العابدين والمعبودين (وما لكم من ناصرين) مانعين من العذاب (فأمن له لوط) وهو ابن أخيه وأول من آمن به لما رأى النار لم تحرقه (وقال لى مهاجرا لى) من قومي إذ أمرنى بذلك فهاجر من قريه «كوفى» وهى من سواد الكوفة مع لوط وامراته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم . ويقال انه هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (انه هو العزيز) الذى لا يظلم وهو الذى يعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى إلا بمصلحة لى (وهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا ن ذريته النبوة والكتاب) يقال انه لم يعث نبى بعد ابراهيم لنسله (وآتيناه أجوه فى الدنيا) وهو الشاء الحسن فكل أهل الأديان يحبونه ويصلون عليه والفرية العالوية والأنبياء من نسله ، هذا له فى الدنيا (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) أى فى زميرهم مثل آدم ونوح ولدر يس

( قصة لوط عليه السلام )

قال تعالى (و) أرسلنا (لوطا) إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين لم يفعلها أحد قبلكم وفسرها فقال (أنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) وتعرضون للسابلة بالقتل وأخذ الأموال حتى اضطلت الطرق وكذلك تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن مكان الحرث (وتأتون فى نادىكم المتكر) وذلك انهم كانوا يحجبون فيه وكانوا يستعملون الخلف والسخرية كما فى حديث الترمذى ومعنى الحب الضرب ومعنى الخلف بالمهجة رى الحصة من طرف الأصبع (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) فى استبلاح ذلك وفى دعوة النبوة (قال رب انصرنى على القوم الفاسدين) بابتداع الفاحشة وسهال من بعدهم (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالإشارة بالولد والنافلة

(قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية) قرية سدوم (إن أهلها كانوا ظالمين) بتأديهم في المعاصي وكفرهم بلوط (قال إنا فيها لوطا) فكيف تهلكونها فيهلك مع المالكين (قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيه وأهلنا إلا أمرنا أن كانت من الفارين) الباقين في العذاب أو القرية (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) جاءته المساءة وانهم بسببهم مخافة أن يقصدتهم قومه بسوء (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وتدير أمرهم طاقته كما يقال ضاقت يده في مقابلة ربح ذرعه بكذا إذا كان مطيقا له لأن طويل القراع ينال ما لا ينال قصير الذراع (وقالوا لا تخف ولا تعزن) علينا (إنا منجوك وأهلك) أي إنا مهلكوهم ومنجوك وأهلك ونصب أهل باضار فعل (إلا أمرنا أن كانت من الفارين) إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم (ولقد تركنا منها آية ينة) وهي حكايتها المشهورة وآثارها البارحة (لقوم يعقلون) أي يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار . هذا واعلم أن الكلام على قري قوم لوط وأين مقرها تقدم في المجلد الثالث عشر عند ذكر القصة في القرآن فلنرجع إليه إن شئت تجد هناك لكشف الحديث بجلا واسعا

﴿ قصة شعيب عليه السلام ﴾

قال تعالى (والى مدين أخاهم شعيب فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) أفعالوا ما ترجون به نوابه (ولاتمشوا في الأرض مفسدين) فكذبوه فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي في دورهم ياركين على الركب ميتين

﴿ قصة عاد وثمود إذ أرسل لهم هود وصالح عليهما السلام ﴾

قال تعالى (و) أهلكنا (عادا وثمودا) وقد تبين لكم من مساكنهم) يا أهل مكة إذا نظرتهم إليها عند مروركم بها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) وهي المعاصي وعبادة غير الله (فصدّهم عن السبيل) السوي (وكانوا مستبصرين) متمكنين من النظر والاستبصار ولم يضلوا

﴿ قصة موسى عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) أهلكنا (قارون وفرعون وهامان) ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين) أي فاتين بل أدركم أمر الله (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط رموا بالحساء وهي الحصى الصغار كما كانوا يرمونها بأصابعهم وهم يأتون في نادهم المنكر (ومنهم من أخذته الصيحة) يعني ثمود ومدين (ومنهم من خسفنا به الأرض) وهو قارون (ومنهم من أغرقنا) وهم قوم نوح وفرعون (وما كان الله لينلهم) ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) إذ تعرضوا للعذاب باستعداد نفوسهم له على مقتضى النظام لنزى نظمناه في سرّ الخليفة . انتهى التفسير للنظري لقسم الأول من السورة

﴿ لطيفة في قوله تعالى - أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير ﴾

قل سيعروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة - ﴿

لقد مضى الكلام على هذه الآية في ضمن الكلام على قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - الخ (في سورة البقرة) بطريق الاستطراد فلنفضل الكلام عليها تفصيلا الآن

يقول الله - أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق - الخ ثم يقول - قل سيعروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق - وهذا أمر صريح يوجب علينا معاشر المسلمين التمشير والمجدة والطلب الحثيث في معرفة كيف بدأ الله الخلق . أمرنا الله بالسير في الأرض والسير ﴿ قسما ﴾ سير جسمي وسير معنوي ، فالأول عثم على الجهلاء والتلاميذ ، والثاني عثم على العلماء والحكماء ولا يكون الثاني عادة إلا بعد الأول ولا معنى للسير الثاني إلا البراسة فأما مجرد النظر الظاهري كنظر العاتية ونظر البهايم فهذا ليس بنظر وليس بسير

واعلم أيها الذكي اني في مبدأ امرى كنت أقول في نفسى هذا العالم إما منظم ولما مبعثر لا نظام فيه ولا ترتيب فان كان الأول فله إله وان كان الثانى فلا إله لأنها عبرة عن اجتماع واقتراق بلا ضابط ولا رابط ولا نظام ، ولقد ذكرت هذه القصة في كتابى **«التاج المرحم»** وقلت ما معناه « انى توجهت الى مبدع هذا الوجود وطلبت منه أن يوقفنى على نظامه ولعلنا سألته سبحانه فى الحلوات ودعوته فى الحقول وعلى شطوط الأنهار وبين الأشجار وفى الليالى والأسحار أن يفهمنى ذلك حتى يكون اليقين داخل نفسى لا يعثر خارجى وأصبحت بهذه الفكرة مغرماً وعليها معولاً وكنت اذا نظرت الطيور وفى كنانها وهنّ يغردن طرباً ويعطرن فرحات ويرين أولادهنّ صابرات . أقول اذا كان صانع هذا العالم قد أعدّ للطير عدته وأبان له محبته أفلا يكون لهذا الانسان سبيل الى مايتفهمه وطريق الى ماله حاجة فيه وكان ذلك مبدأ فكرى فى هذه الدنيا وكنت اذا عثرت على شاطئ النهر على بعض حشرات ذات خطوط منظّمة وذات زوايا مهندسة وأشكال بهجة أقول باليتنى أرى هذه الدنيا كلها على هذا النمط فأقرّ بإله نظمها وحكيم أبدعها ولكنى أرى الجبل والقفر والبر والبحر والشجر والخبر والأرض والسما لا نظام فيها مقبول ولا عمل فيها محسوب

أليست هذه المرأة تضع حب التربة فى الأرض التى شقها المهرات وزوجها واضع يده على قائمة ذلك المهرات يسوق داجين فأين النظام ؟ بهائم ليست مستقيمت الرأس الى أعلى وانسان رأسه مشرّب الى العلا وماء يجرى فى الحقول وحسب ينفى فى الطين ؟ أمور غير مضبوطة وأحوال ليس لها قانون ولا نظام مسنون ثم توجهت وتوجهت ودعوت ودعوت وقلت لو أن صانع هذا الكون علمنى نظامه لأودعت ذلك بطون الكتب وتركته لمن يمدى من الحائرين وخلفته للأذكياء المفكرين كيلا يشكوا كما شككت ولا يهنوا كما هنت ولا يضلوا كما ضللت ، ثم صفت كتباً مختلفة المقاصد والحمد لله إذ وفقنى لهذا التفسير . إن هذا غاية مطلبى من هذه الحياة ونهاية مأربى من هذه الدنيا ، فهل تحب أن أريك جلال الوجود والنظام المشهود لتعرف قوله تعالى - قل سيعرفوا فى الأرض فأنظروا - ، فانظر ما سأضع بين يديك وأعجب من حكم عالية وجواهر عالية ووجوه باسمة وعيون ساحرة وشموس ساطعة وأنوار باهرة فهناك مبادئ الوجود وأوائل الصالح المشهود ولنبدأ بالعالم

العالىة وننتبه بالعالم السفلىة

(١) فترى أولاً نظام الكواكب

(٢) ثم نظام العوالم الأربعة الانسان والحيوان والنبات والمعادن

(٣) ثم نظام العناصر

(٤) ثم بيان أن الانسان خاصة دعى الى معرفتها

(٥) وبيان ذلك فى أدعية الصلاة نفسها وكيف كان المسلم فى صلاته وأدعيته يكثر رصباً ومساء نفس هذه المبادئ ويتلوها وهو غافل عن معانيها وهو بتلك التلاوة وبتلك الأدعية مأثور أن يبحث فى هذا العالم وكيف بدأ الله الخلق

(٦) ثم بيان أن الله مترك الناس سدى بل أعطى الجهلاء خلال هذا النظام وألقاه على ألتهم وفى أفعالهم بصورة مصفرة

وحق قرأت هذه الصور اوضح لك العالم ورأيتك كقلادة الحسناء أو كنزل نظمته بانيه وأحكم نظامه أو كحديقة غناء رتبت أشجارها واتظمت مزارعها ، أو كمدينة أحكمت طرقها ويونها أو كبيت السطرنج انتظمت طولاً وعرضاً وفيها أهرم اللاعبيين وأذى الحاسبين

(١) **«نظام السموات»**

سأفرد عليك من نبأ السموات ما يناسب التمام ولأوضحه على قدر الامكان لتعرف كيف وضعت الكواكب

وضعا محكما بحيث كان بينها مسافات منتظمة وكان يكفي أن أحبك على ما كتبت لك في (سورة البقرة) وغيرها مثل (الأنعام) ولكن سأعيد هنا ما فيه الكفاية

إن في علم الحساب متواليات هندسية ومتواليات عديدة ، فالأولى مثل قولك (١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠) وهكذا (١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠) والثانية مثل (١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠) فانظر كيف وضع الله الكواكب وجعل نظامها بالنسبة للشمس على الطريقة الأولى بحيث إذا فرضنا بعد الزهرة (٣) يكون بعد الأرض (٦) والمريخ (١٢) وكوكب مهشم بقيت آثاره تجرى كما كان يجري وقد كشفه العلماء (٣٤) والمشتري (٤٨) وزحل (٩٦) وأورانوس (١٩٢) ونبتون (٣٨٤)

هذا هو القانون الذي استخرجه العلماء في العصر الحاضر لأبعاد الكواكب السيارة عن الشمس بحيث يكون بعد كل كوكب ضعف بعد الكوكب الذي قبله ، فكانت هذه الكواكب معايب وضعها صاحب البيت على أوضاع لا دخل فيها ناطقة بلسان الخيال - وما كنا عن الخلق غافلين - إنا كل شئ خلقناه بقدر - وكل شئ عنده بمقدار - وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - إن الله سريع الحساب -  
أليس من السار اللذيذ أني حيث في هذه الدنيا حتى كتبت هذا ، اللهم إني أحمدك على نعمة العلم والحكمة أيها الذي ، أنا لا أريد في هذا المقام كثرة العلم لأن المقام يقتضي الأمثلة السهلة المقبولة فكيف مذكرته في الفلك وأما تحقيق تلك الأعداد فارجع اليه في نفس هذا التفسير في سورة البقرة والأنعام فإن مذكرته اجال وهناك تفصيل ومساحة بألاف الآلاف من الأميال

### (٢) نظام الإنسان والحيوان والنبات والمعادن

هأنذا رأيت نظام الكواكب من حيث وضعها ، فهل نظام هذه المواليد على الأرض كنظام الكواكب في الأبعاد . كلا . وإنما نظامها بحال مخالفة لتلك ، إن هذه المواليد سلسلة واحدة متصل أعلاها بأدناها

(١) التراب

(٢) الجبس . الزاج . الشب . أدنى المعادن

(٣) الذهب . الباقوت . والجواهر النفيسة كلها أعلى المعادن

(٤) خضراء الفسمن والكمأة وهي أدنى النبات

(٥) النخل والكشوثي وهما من أعلى النبات

(٦) أنبوبة تنبت على الصخور في سواحل البحار فيها دودة تخرج نصف شخصها من جوف تلك الأنبوبة

الحلزونية . هذا أدنى الحيوان

(٧) القرد . الحصان . الفيل . هذه متصلة بعالم الانسان

(٨) أدنى الانسان سكان أطراف المعمورة لامرقة لهم ولا علم

(٩) أعلاه الأنبياء والحكماء

(١٠) الملائكة

(١١) الله فوق الجميع

هذه هي السلسلة التي شرحها القدماء ولقد شرحها مرارا في هذا التفسير بطرق شتى ، فترى الجبس والشب والزاج معادن أقرب إلى التراب ليست شريفة كالذهب ولا الباقوت ولا الزال المعادن في ارتقاء حتى تصل إلى الفضة التي هي أرق من النحاس ثم الذهب ، فهذا الأعلى من المعادن يابيه أدنى النبات وهو اللاصق بالأرض ينبت صباحا ويذبل نحيي يراه الناس كل يوم في الفسوات أيام الربيع ثم ينتهي نحيي وهكذا كل يوم ويرتقي النبات

الى أن يصل الى النخل والكشوفى ، أما النخل فقد امتاز الفركيه عن الأتقى كانه حيوان ، وأما الكشوفى فهو نبات يعيش على غيره من النباتات ويمتص منه فكأنه حيوان ، فالنخل قارب الحيوان فى اتصال الفكر عن الأتقى والكشوفى فى استقلاله وعيشه عيشة حيوانية على النبات لاعلى التراب والماء والعناصر الأرضية ثم بلى ذلك حودة الحيزون التى تكون على شاطئ النهر والبحر إذ لها حاسة اللمس وليس لها حاسة غيرها فهى قريبة من النبات . انه يحس بالضوء فيميل اليه بإحساس ضعيف جدا ويرفع غصنه الى أعلى ويمد فروعه فى الأرض نحو المواضع السدبة ويتجافى عن المواضع اليابسة ، فإذن بين النبات وبين أدنى الحيوان مناسبة والحيوان يرتقى من الأدنى الى الأعلى وهو الانسان وهو درجات من أدنى الى أعلى وأعلاه الأنبياء ومن ثابوا حكمه وعلموا وبعد هؤلاء عالم الملائكة وفوق ذلك الله فهو منزله عن هذه المادّة والمخلوقات . فهنا إذن نسبة كاملة والعالم سلسلة منتظمة

### (٣) ( النظر فى المعادن )

إن المعادن كثيرة منها الاسفيناج والاسرب والاسفندرى والتكار والجص والتوتيا والذر والذهب والرصاص والرماد والزاج والزنبرج والزنثى والزنبرج والزرجد والزنبرج والزرصد والشب والعقيق والعنبر والفضة والفيروزج والقبور والكبريت والكحل وملح الطعام والمرجان والمغناطيس والموميا والنورق والتشادر والخاص والنفط والياقوت . قال العلماء ( إن من المعادن الألماس وهو لا يحترق بحجم من الأحجار المعدنية إلا هشمه إلا جنسا من الاسرب فانه يؤثر فيه ويكسره ويفتت مع رخاوته ولينه ونقن راحته ) ومماثل تأثير هذا الحجر الضعيف المهيمن فى هذا الجوهر الشريف إلا اكمل ( البقرة ) تسلطت على القليل القوي فآذته ، فالألماس قام فى المعادن مقام الحديد فى الخشب والياقوت مسلط على أكثر المعادن . ثم إن للماس يتكوّن فى معدن الياقوت ويخرج من الرياح والسيول من معدنه وهو ضربان أبيض كالبلور ويسمى البلورى وأبيض يخالط بباضه صفرة ومن خواصه انه يقطع كل حجر يمر عليه وإذا وضع على الحديد ودق بالمطرقة لم ينكسر وغاص فى وجه السندان والمطرقة . والياقوت لا تنصل فيه المبرد لثبته إلا الألماس والسبذاج بالحك فى الماء . والمغناطيس يجذب الحديد . فانظر كيف كان الياقوت يعمل فى أكثر المعادن وهو مسلط عليها والألماس مسلط على الياقوت وعلى سائر المعادن والاسرب الذى هو جنس من الرصاص ولكنه غير ناضج مسلط على الألماس المسلط على الياقوت وعلى سائر المعادن . ثم إن هذه المعادن تتجمع من أقطار المسكونة فى أماكن مختلفة ومع ذلك راعها متحدة الوجهة بحيث تتحد على المنافع العامة ولها نظام فيها الجاذب ومنها المنجذب ومنها الحاكم على الجميع ومنها ماهو ممتنع . وهذا الحاكم وهو الألماس له مؤدب من رعيته وهو الاسرب وكأنه قاض يحكم على الملك وإذا رأينا العلماء والحكام فى الناس على مقدار الحاجة هكذا نرى للمعادن لاجتماعها بالقطع لإقلال على قدر الحاجة ونرى ما كان منها ناضجا فى أكثر الأحوال يكثر كالجص والتشادر وما كان متوسط النفع يكون متوسط الوجود كالنحاس والرصاص وما كان لازمة أو لتعامل كان وجوده أقل كالكهرب وما كان لجزالة الجمال ندر وجوده كالألماس والياقوت . فهذا نظام يشبه نظام الكواكب فيما تقدم فلك نظمت أوضاعها وكلواليد الثلاثة فانها متنسق نظامها متقارب وضعها . وهذه أيضا رتب على مقدار الحاجة اليها وهى وإن دخلت فيما قبلها أردت أن أفضل الكلام فيها تفصيلا توطئة لما سيأتى فى القسم الرابع وهى

### (٤) ( العناصر عند علماء العصر الحاضر )

إنى أجد الله إذ وصلت الى هذا المقام فأريد أن أطلعك على نظام بدع فى العناصر التى عرفها علماء العصر الحاضر وهو فوق السبعين عدا . قد كلن القدماء يقولون إن العناصر (٤) وهى الماء والتراب والهواء ولكن علماء العصر حلوا هذه فأصبحت فوق السبعين وأسأضح بعضها ولكن ليس المقام مقام علم العناصر



ولامقام تحليلها وانما المقام مقام نظام وحساب . إن هذا الأمر أعجب ما رأيت في العلم ولكني لا أقدر أن أشرحه كما يجب . إن معرفة الدقة في الحساب والنظام بين العناصر والنسب بينها لا يعرفها إلا أكابر العلماء في هذا الفن وهم لم يعرفوها إلا بعد ما عرفوا الخواص الطبيعية والكيميائية وبعد تلك الخواص يعرفون النسبة والجمال فكيف يمكن أن نفهم ذلك ونحن في تفسير القرآن ونخرج عن جال موضوعنا الى مجاله مقفرة وطرق يصل فيها السارون . أقول إن الله يضرب الأمثال للناس فلا تقدم لك ضرب مثل يشرح صدرك وتعرف به هذا المقام الجليل ، تصور رجلا مريا عنده نحو ثمانين رجلا يزرعون في حقوله فأقبل عليه علماء بلاده ضيوفا فأحسب أن يريهم عجيبه فقال إن هؤلاء الرجال إذا أنا أوقفهم صفوا في أماكن معينة من هذه الأرض بحيث يتكون منهم صفوف طويلة وصفوف عرضية فإن كل رجل أرتبه مع ما بعده بحسب الوزن فشكل رجل يزيد عما قبله وقيتين في الصف الأول الأفقي وهكذا الصف الثاني والثالث الى الصف الرابع عشر وذلك من المئين الى الشمال بحيث يكون آخر واحد أكثر من أول واحد بعدد الرجال مرتين من الوقيات ، وهنا يكون الجيب العجيب تجدد كل واحد من كل صف أفقي أعني من المئين الى اليسار أكثر مما قبله وقيتين وأقل مما بعده وقيتين كما قلنا اجالا وأيضا يكون هونقه بالنسبة لمن هو فوقه أقل (١٦) وقبة وبالنسبة لمن تحته أكبر (١٦) وقبة في الخط الرأسى ومع هذا كله تجد كل صف أفقي قد اتحدت أفراده في ثمانية أشياء كالعرض والطول وطول الشعر بحسب الطبيعة ومقدار ما يأكلون بالوزن ومقدار ما يشربون كذلك والمرض يكون في وقت واحد والنوم في وقت واحد والفرح والحزن كذلك لا يختلفون البتة

هذا من جهة الصف الأفقي . أما من جهة الصف الرأسى فإن الرجل مع من خلفه ومن أمامه يتفقون في الصفات الباطنة فيعرف الصف الواحد علوما متفقة حتى يعرف واحد منهم علم النحو والصرف والفقه والتفسير والشعر والعروض والأدب وعلم الموسيقى تجد الصف كله يعرف تلك العلوم . إذن لكل واحد خصال يشترك فيها مع الصف الأفقي وخصال يشترك فيها مع الصف الرأسى ، وإذا مات واحد من هؤلاء فإن صفاته معلومة لأن صفاته الجسمية بالنسبة للخط الأفقي وصفاته العقلية بالنسبة للخط الرأسى مفهومة معلومة فيمكننا أن نعرف صفاته ونوقن بأننا نجد في قريتنا أطفالا يولدون بهذه الصفات فالومات ثلاثة من صفوف مختلفة فالتا نوقن أنه سيولد أطفال يحلون محل الذين ماتوا بشرط أن كل طفل يخلق متصفا بتلك الصفات المعروفة عندنا ويحل محل من مات بصفاته التي لا تخطئ فيها . ولقد مات عشرون رجلا وصفاتهم معروفة وهاتين أولاه نرتب المولودين حديثا ونضع كل مولود في مرتبة ومتى كبر رأينا هذه الصفات في الأماكن الخالية . هذا هو المثل الذي أردت ضربه ليقرب لنا موضوع النظام في العناصر فصاحب الضيعة جعل رقعة من أرضها وقسمها مربعات وجعل المربعات صفوا منتظما وأوقف كل رجل في مكان مرتين بترتيب الوزن من المئين الى اليسار وهذا الترتيب بعده تظهر خواص عجيبه حتى إن كل رجل يشترك صفه الأفقي في صفات نحو ثمانية وهكذا هومع من أمامه ومن خلفه تكون له صفات أخرى خلقية وكما مات واحد يولد آخر ويكون له نفس تلك الصفات وإذا مات منهم عدد جاء بطله ويمكنهم أن يصفوا كل من يخلق قبل وجوده . فلذا رأينا وجودا على هذا النمط كان في غاية النظام . وإذا تصورنا أن هنا موجودات على هذه النسبة كما ستره الآن في العناصر فإن العقل يدعش لذلك أشد الدعش وتصبح هذه العناصر في أوزانها وأوصافها أشبه بالجدول الآتي في الصفحة التالية

١١	٢٤	٧	٢٠	٣
٤	١٢	٢٥	٨	١٦
١٧	٥	١٣	٢١	٩
١٠	١٨	١	١٤	٢٢
٢٣	٦	١٩	٢	١٥

فلذا صعب عليك التمثيل بالرجال في الضيقة فيما قدمناه فانظر هذا الجدول فهو يقرب لك المقام . فكل صف من صفوفه الرأسية و صفوفه الأفقية وهكذا القطران عدد (٦٥) فاجمع أى صف تجده على هذا الخط وهذه الأعداد من (١) الى (٢٥) وضعت على هذا النظام فكان هذا الاتحاد في الجمع . اذا عرفت هذا فقمس عليه نظام العناصر الآتى ولكن هذا تقريبي إذ نظام العناصر الآتى يكون نسبة كل عنصر الى صفه الأفقى غير نسبته الى صفه الرأسى كما رأيت وأيضاً الصفات هناك كثيرة ولكنها هنا في الجدول ليست متعددة ، ولقد أطلت ليسهل عليك ملاحظته (انظر الجدول الآتى في الصفحة التالية)



أنت أيها الذكي تتعجب من هذا النظام البديع ، كيف رتب العناصر اثنين اثنين عند وزنها بمعنى أن الايدروجين وهو أخفها جعل وحدة يقاس بها كايقيس الناس بالذراع ، وهذه العناصر كلها أقل منه بعدد (٢-٣-٤) الى آخرها ثم وجد بينها تناسب في الخطوط الرأسية ، إذن هي تفاوتت باثنين أفتيا وتفاوتت رأسيا بمضاعف اثنين وهو (١٦) وهو العدد المسمى بزواج الزوج الذي هو عدد الشطرنج المعروف وكان هذه رقعة شطرنج والله وضع العناصر فيها ورتبها ليرينا كيف بدأ الخلق بنظام ، وهل كان يدور بخلدك قبل هذا أن هذا العالم الذي خلقنا فيه قد جعلت أصوله التي يحل اليها الانسان والحيوان والنبات بينها تناسب في أوزانها كتناسب مسألة الشطرنج إذ أن الملك الهندي لما اخترع الفيلسوف الشطرنج طلب منه أن يخبى شيئا ليكون كالمكافأة فقال اعطني قمحا بحيث لو جمعت في البيت الأول من الأربعة والسبعين بيتا من الشطرنج حبة يكون في الثاني (٢) وفي الثالث (٤) وفي الرابع (٨) الى آخره فلما حسبه لم يكفه القمح الذي في الديناميات السنين وقد كتبها في كتابي ﴿ نظام العالم والأتم ﴾ وتقدم في سورة مريم . هذا نظام العناصر حسابيا ﴿ نظام العناصر الطبيعي والكيميائي ﴾

انك ترى أن كل صف رأسى تشترك أفراده في الخواص الطبيعية (١) كاللون (٢) والطعم (٣) والرائحة (٤) والذوبان (٥) والانصهار (٦) والفلين (٧) والحرارة النوعية (٨) والكثافة فأما الصفوف الأفقية كالهليوم مع الليثيوم فانها تشترك في الصفات الكيميائية مثل (١) الاشتراك وكونه فلزا أو غير فلز (٢) وهل يتفاعل مع الاودروجين (٣) والوزن الذرى (٤) والوزن المكافئ بالنسبة للأودروجين ومعنى ذلك أن يقال هذا العنصر اذا حل محل الاودروجين في التفاعل مع الاكسوجين مثلا فكم درهما تقوم مقام الايدروجين فطرد الايدروجين وتحل محله (٦) ثم مع أى عنصر يركب (٧) وخواص المركبات وتركيبها (٨) وتأثيره في الأحماض ﴿ مثال ذلك ﴾ الاونيوم تأكل تجرد أن له نسبة عديدة الى ماقبله وما بعده ونسبة هندسية الى مافوقه وماتحة فهنا اجتمعت النسبة العددية والنسبة الهندسية وهذا هو عين الموسيقى والتغمات والشعر ، فهذا العالم كله موسيقى وشعر ونظم وتجدد يشترك في خواصه الطبيعية المذكورة مع مافوقه وهو البورون وماتحته وهو انكليديوم وخواصه الكيميائية يشترك فيها مع ماقبله في الخط الأفقى وهو المغنيسيوم وما بعده فيه وهو السليكون فاذن تكون الصفات (١٨) صفة منها اثنتان عديدتان و (١٦) طبيعة وكيميائية ﴿ مجربات العلم في هذا الجدول وهجائب القرآن وفهم قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - وقوله - إن الله سريع الحساب - وهو كله معنى قوله - قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق - ﴾

إذن يسهل عليك أيها الذكي أن تفهم كيف أخبر (متدليف الروسى) سنة ١٨٦٩ مخترع هذا الجدول بما سيحدث وهو أن الطبيعة تحتوى على معدن جاليوم وجرمانيوم ومعدن آخر وصين في هذا الجدول محلها الذى رأيتهم ذكر الخواص الطبيعية والكيميائية ونسبها الحسائية التى هي من الصفات الكيميائية أيضا ثم جاء العلماء بعده فكشفوا هذه المعادن الثلاثة على وزن ما قرره فتأمل وتعجب ، وعليه سيكشف الناس كل عنصر وضع في حربه شرطه سوداء أو تظن في هذا الجدول وقد عينوا مواضعها وخواصها كما فعل (متدليف) سنة ١٨٦٩ فهنا أحد وعشرون عنصرا قد عينها الناس متربعين كشفها في الزمان المستقبل والعناصر التى كشفت الى الآن (٨٦) والباقي المنتظر (٣٤) تقريبا فتكون العناصر كلها (١٢٠)

ولعمري أى فرق إذن بين نظام الكواكب ونظام العناصر ، فهنا (متدليف الروسى) أخبر بعناصر قبل وجودها وأبان أوصافها فكانت كما ذكرنا وكذلك في علم الفلك فانهم كشفوا أيضا ان بعد كل كوكب سيار مضاعف لبعده ماقبله عن الشمس وبهذه الطريقة قالوا إن بين المريخ والمشتري فراغا كان يجب أن يكون فيه سيار في المسافة (٢٤) ثلاثا تحتل النسبة المحفوظة ، فانظر الجدول في (سورة البقرة) وقد ذكرناه في هذا

المقال اجالا قريبا ، وقد كشف العلماء كواكب كثيرة في فضاء ذلك المكان الذي عنه العلماء وهي عبارة عن قطع صغيرة من ذلك الكوكب الذي كان في ذلك البعد ثم جاء أجله وقامت قيامته فصار هشا وهامى الكواكب الصغيرة التي اشتقت منه تدور حول الشمس ولكن لا يعرفها إلا العلماء الرصد ومن أجزاء سيريس

( الكلام على الروديوم وعلى الذهب وأمثالها )

لقد عرفت كيف كانت العناصر منتظمة تنظيما بديعا بهيجا وهذا النظم فيها أبدع وأبهج من نظام الجدول الخمس الذي رأيته آنفا واني أجد الله عز وجل إذ كنت أيلم العلم أبحث في هذا العالم عن نظامه وقد اطلعت على أوافق كذلك الوفاق الخمس فكنت أقول ياليت شعري إن الله كان يقدر أن يجعل العالم منتظما كنظام هذا الجدول ، إذن يكون هذا العالم بديعا ويستدل الانسان به على ربه ، أما الآن فاني أقول إن هذا الترتيب أعجب وأبدع من ذلك الجدول الذي يجب منه المبتدئون ، ما كان ليخطر بالبال أن يكون هذا العالم على هذا النظام ، وما كان يحيل لي انه حتى كما رأيته الآن ، يا هياكل الجب ، كواكب منتظمة أبعادها حيوانات ونباتات ومعادن سلسلة صفاتها منتظمة متتالية عناصر مرصعة مرصوفة محسوبة منظومة ، هذا هو الشعر ، هذا هو النظم ، هذه هي القصائد ، هذه هي الأغاني ، لا ، بل هذه هي السعادة والنعمة وبهجة جنان الخلد ، إن أهل الجنة إذا لم يتعلموا يودون لو يعرفون هذا معرفة أجل من معرفتنا ، جل الله ، ما أبدع هذه الجواهر وأفرها للتواخر وأسرها للخواطر وأشرحها لصدور الأكار

### ( نظام النفوس الانسانية والملائكة )

إن في هذه الجواهر هجاب أخرى . ألا ترى إلى الذهب والحديد والرصاص وأمثالها كيف نظمت كما قمتناه في وجودها بحيث تكثر النافعة للعموم وتقل غيرها كما شرحتنا في الكلام على المعادن . ألم يقل الذهب لأن فائده يجب أن يكون هو على مقتضاها . ألم يكن الروديوم الذي قد كشف حديثا قد قل وجوده جدا جدا بحيث أن الذي كشف منه لا يصل إلا إلى دراهم معدودة . ألم تر أن هذه القلة تناسب حتما ، لماذا ؟ لأنه هو الحاكم على المعادن . انظر كيف كان الألباس فيها قمتنا يحكم على المعادن ويسلط عليها ويكسرهما أما هو فلا يحكم عليه إلا الأسرب كما علمت فأما هنا فإن الروديوم تسلط أشعته على بعض المعادن فيجعلها إلى البيض الآخر حتى أصبح الناس يرون أن العناصر من أصل واحد بسبب هذا التأثير . أأنت ترى أن هذه الأشعة قد أثرت في الطر تأثيرا كبيرا . أأنت ترى أن قلة هذا المعدن لا بد منها ولو كثرت لأحدثت تغيرا في علنا الأرضي . أأنت ترى أن الذهب كالحكيم والنحاس والحديد والاكسوجين والادروجين وغيرها كبقية الناس . أأنت ترى أن هذا المقام هو الذي شرحه أفلاطون في جمهوريته إذ جعل الناس قسما كالذهب وقسما كالفضة وقسما كبقية المعادن وهم الحكام والجووش وبقية الأمة . أأنت ترى معنى أن الأنبياء أشبه بالروديوم . أأنت ترى أن هذا هو قوله عليه الصلاة والسلام ( الناس معادن كعادن الذهب والفضة تغيرهم في الجاهلية خياريهم في الاسلام ) أأنت ترى معنى أن هذا النظام في العناصر يغفل للانسان أن هناك نظاما أدق منه في عالم الأرواح الانسانية وانهار بما كان بينها نظام كهذا النظام أودق بحيث لو بحث الناس في عقولهم المختلفة لوجدوا هناك نظاما تتفق وتختلف بنظام بحيث تقوم تلك القوى الكامنة بحاجة البشر . أأنت ترى أن الناس يجهلون نظام عقولهم وانهم لا يزالون أشقياء حتى يعرفوا نظام عقولهم . أأنت ترى أن نظام عقولهم يكون أدق من حيث نسبة من نظام الثرات لأن الأرواح أرقى من المادة والأرق تكون فيه النسب أدق . أأنت ترى أن الناس سيبحثون عن هذه الغرائز في طباعهم ولكني لا أدري هل ينالونها في المستقبل على هذه الأرض أم ذلك مؤجل ليعرفوه بعد موتهم في العوالم التي سيمرون بها في عوالم البرزخ وهناك يدرسونه أنضمهم دراسة أدق من دراسة هذا الجدول . أأنت ترى أن هذا يناسب قوله تعالى - وما لنا إلا له مقام معلوم - وإذا كان المقام معلوم بالنسبة

للنرات عجبا فبالك بالمقام المعلوم لللائكة . أوليس هذا كله يناسب نظام الشمس والكواكب في شروقها وغروبها لأن لها جداول لا خلل فيها . يا أنه عجبت من صنعك وابداعك وفهمنا على قدر طاقتنا قولك - أولم يروا كيف يسدى الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير . قل سبحوا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق . - هذا هو بدء الخلق وهو عجيب جدا عجيب

﴿ اللطيفة الخامسة في أن حاجة الناس دفعتهم الى هذه العلوم ﴾

أيها الذكي ها أنت ذا اطلعت على نظام هذه العوالم وعلى بدء الخلق ورأيت كيف حض عليها القرآن أفلا تنظر معي كيف انفق الشرع والحاجة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ انظر كيف أمر الله بأن نعرف كيف بدأ الخلق ولم يكتب بذلك بل أحوج الانسان وحكم عليه أن يبحث في ذلك كله لأجل أموره المعاشية . انظر كيف تروى العالم الرومي يبحث عن نسبة العناصر وهو لم يبحث عنها إلا وهو محمى في طلب علوم الدنيا لأجل الحياة الحاضرة والله يقول لنا أيضا انظروا ، ايه ، ما أجهل الانسان ، ما أجهل أمة الاسلام ، أبعد هذا يا أمة محمد ﷺ تناسون ، أمركم ربكم ودعت الحاجة الى معرفة حقائق الدنيا وأتم تأملون ، أنتم أتم الذين وعدتم وأمرتم أن تكونوا خير أمة أخرجت للناس وأن تكونوا رحمة للعالمين وتخرجوا الناس من الظلمات الى النور ، أأنتم ورثة السلف الصالح . كلا . كلا . والله أتم ورثتهم ولكن في تحمل الشريعة واستمرون ورثتهم في هداية الأمم بعد ظهور هذه الحقائق في هذا التفسير وغيره وستقودون نوع الانسان بعد الآن . فانكم أن هذه الحقائق والدقائق والنظم البديعة استخرجها الناس لأجل حياتهم الدنيا ولم يفعل الله ذلك معهم إلا لأن طباع أهل الأرض لا تتحرك إلا بحركة قسرها وهو الامور الحيوية ليدافعوا عن أنفسهم الأعداء ويحبوا لأنفسهم الغذاء ولعمري لم يجعل الله هذا فهم إلا ليكمل نفوسهم بقدر الامكان فان علاج الصناعات وممارسة الزراعات والتجارات ونظم السياسات وما أشبه ذلك وكذلك أعمال الحرب كلها مما تدعول في العقول والاطلاع على الجباب ، وأهل الأرض لولا ما ابتلاهم الله به من ذلك ما اطلعوا فهم متهورون مأمورون بالاطلاع والمسلحون قد دعاهم دينهم للاطلاع فناموا لأنهم لم يعلموا أنهم مأمورون بالتدقيق لهذا الحد فعلمهم من الآن أن يبحثوا ويقرأوا العلوم التي عرفها الناس ثم يسيطروا على سائر العلوم

﴿ ذكر البارود والعناصر التي ركب منها الأمم ﴾

قلنا إن الله حكم على الأمم بالحرب وغيره لتعرف دقائق العلوم وقلنا إن المسلمين جهلواها فموجبوا بأن الفرجة دخلوا بلادهم وأذلهم بالأسلحة والغازات الخائفة ، وأقول الآن إن النوع الانساني الذي خلقه الله على هذه الأرض ركب تركيبا مناسباً وليس يتحرك للعارف غالبا إلا بمؤثرات بلغة والمؤثرات كقذمتنا ﴿ تسمان ﴾ دينية ودنيوية ، والدنيوية إما لجلب رزق كالزراعة والتجارة والصناعة ومنها الطب ولا جرم أن العناصر وتحليلها ومعرفة ذراتها ومعارها لابد منها للأدوية الطبية والزراعة والتجارة وهذا أمر معلوم ، فهذا جعل لجلب المنفعة ماعدا العقاقير الطبية فاعلموا لدفع مضرة المرض . ولما لدفع ضرر ذلك أن علم صناعة الحرب تقم تقديما عظيما ومعرفة العناصر ومقاديرها أمر واجب لذلك

انظر الى صنع البارود فهو مخلوط من ملح البارود والكبريت والفحم ، فن الأول (٧٥) ومن الثاني (١٢٠٥٠) ومن الثالث (١٢٠٥٠) وهذا عند الفرنسيين و(٧٤) و(١٠) و(١٦) على هذا الترتيب عند الألمانين و(٧٦) و(١٠) و(١٤) عند الانجليز على الترتيب ومن أراد تلوين السوارح بالبياض فليأت بنحو (١٦) من ملح البارود و(٤) من الكبريت و(٣) من البارود الناعم

(نيران زرقاء) كلورات بوتاسيوم (٢٦) كبريت (١) أوكسى كلورور النحاس (١٤) وهالك مقادير

للنار الحمراء وللنفسجية

وللتيران الخضراء كلورات بوتاسيوم (٢٨) أزوتات باريوم (٣٥) أوكسى كلورور النحاس (١) صمغ لك  
(١٠) كلورور الرصاص

للون الصفرة (٥) كلورات بوتاسيوم (١) صمغ لك (٢) أوكسالات صوديوم  
هذه نبذة من التركيب وفوائده وكيف كان وزن العناصر أصبح ضروريا لنوع الانسان حتى في دفاعه  
عن نفسه وكيف استطاع أن يركب من الكبريت والفحم وملح البارود أنواعا ثم كيف قدر على التلويح بالخضرة  
والصفرة والحمرة وغيرها ، ذلك كله بوزن وحساب كما صنع الله عز وجل في نباته وحيوانه إذ استخرج من  
أجزاء معلومة ما لا يتناهى من أشكال بديعة وموريجية وبدائع وغرائب . إن الانسان خليفة الله في الأرض  
فقرأه يسير على سنن حكمت وإن لم يعلم . سلط الله الناس بعضهم على بعض بالقتال والحرب فاضطروا لمعرفة  
المادة وتحليلها وحسابها كما اضطروا لذلك في أمور معاشهم فهم مضطرون للعلم والتحليل والتركيب في الحايث  
حال جلب المنفعة وحال دفع المضرة . فهذه العلوم تقوى أجسامهم وترقى نفوسهم ويسيروا في الأرض  
ويركبون السفن الحربية ويحاربون في الجؤ ويمزقون الأجسام فتشتت الأسم وتبقى الهلهم وتدفن الرمم  
ويبقى الأحياء مجدين . إن الله بالحرب والضرب يريح أرواحا من هذه الأرض فتخرج منها إلى عالم البرزخ  
والأرواح الباقية تستفيد عبرة واختبارا . أيها الذكي لا تظن أني أبيع الحرب . كلا ، وإنما كلامي في الحكم الكونية  
التي فهمتها من عمل الله في الأرض . انه سلط بعضهم على بعض لأن هذه الأرض ليست محل إقامة بل هي دار  
صناعة وتعليم وتنشيط . جهلت هذه الأرواح الأرضية التي تمر بأرضنا علوما ومعارف فأنزلها في الأرض وسلط  
عليها هذه الأخلاق وأرسل لها أنبياء وحكماء ثم قال افضوا فكل ميسر لما خلق له فطاعنا وتعارى بواثقنا  
كل ذلك ليستيقظوا للنتيجة وهي أن تعرف نفوسهم نظام هذا العالم وتصل إلى الجبال فإذا وصلوا إلى  
الجبال وعرفوا الحقائق يدخلون في دار أخرى تكون العلوم فيها بالشوق لا بالحرب والضرب والفقر ومبادئ  
العلوم هناك مآزاه هنا من الجبال . ولعلك تقول أى جبال هنا

﴿ الجبال في هذا العالم ﴾

اعلم أن نهاية هذا العالم الجبال ولا يمكن إدراكه إلا بالحكمة والناس يفهمون الجبال العادى في الوجوه  
وجبال الوجوه في ﴿ أربعة أشياء ﴾ الخدين والعين والأنف والقم . هذه الأربعة متى كانت منظمة سائرة  
على النسب الصادقة فانها تكون جيلة ومتى تافرت قبحت وظهرت مكروهة الطلعة . وليس في الأرض انسان  
إلا وهو يدرك هذا الجبال اجالا ولكنه لا يدرك سببه والسبب هو النسب التي قررها العلماء لأعضاء الانسان  
وليس هذا مقام بيانها ، وصرح الجبال في الزهر والنبات والحيوان هو النسب العددية والهندسية ، وليس في  
الأرض ولا في السماء جبال إلا بهذه النسب ، وترى الناس ياربون للشعر والموسيقى وليس ذلك إلا للنسبة  
العددية والموسيقية والشعر والموسيقى من راد واحد فإن السبب والوحد والفاصلة المشروحة في ذلك العلمين ترجع  
كأما إلى حركة وسكون في علم الموسيقى وحرف ساكن وحرف متحرك في علم الشعر ، فالشعر والموسيقى يرجعان  
إلى هذين ، فترى الأبحر السته عشر التي جعل لها التحليل دوائر حياصة متغلطة لم تخرج عن النسبة الحياصة  
والهندسية وهكذا جميع الأغاني وضروب الموسيقى على هذا النمط كما نرى في الماخورى من علم الموسيقى مثل  
بحر البسيط من علم الشعر وكلاهما (٤٨) ما بين ساكن ومتحرك في كل منهما (١٢) سببا و (٨) أوتاد ومعلوم  
أن السبب متحرك وساكن والوحد متحرك وساكن فتكون الأسباب (٢٤) حرقا والأوتاد (٢٤) وهناك  
تظهر النسب الهندسية والنسب العددية كما هو واضح في ذلك العلمين . إذن ظهورك أن الناس لا يفهمون  
بالجبال المحسوس إلا للحساب والنسبة وإن كانوا لا يعلمون ذلك وكلما كان التسلسل أتم كان السرور أعظم ،

هكذا في الجبال الصقلية الذي لامع في إلا تلك النسبة ، ومن وازن ما ذكرناه في الجبال الظاهري وفي الشعر بما أبناه هناك في الجدول الذي اخترعه العالم الروسي يرى فرقا عظيما ، يرى التناسب هناك أبداع ، إذ يرى الخواص الطبيعية والخواص السكّانية مضافة إلى الأوزان الثرية ، فالشعر والموسيقى والجبال الظاهري لم يدخل فيها شيء سوى الحساب ، أما في أوزان القدرات فهناك (١٦) صفة تزيد على النسبة المذكورة ولذلك نرى لذة العلماء والحكماء أضعاف أضعاف لذة الجهلاء لأن الجاهل لا يعرف إلا ما أحسن به والعالم ترقى وأدرك ما لا يفهمه الجاهلون - مثل هذا فليعمل العاملون -

أقول وكأن هذا الجبال الذي يظهر في هذه القدرات وأمثالها هو مبدأ لنظام أجل تدركه النفوس إذا خرجت من هذا العالم والشوق هنا يؤهلها للرق هناك ، لذلك نجد النفوس الانسانية مجتدة على الأرض في طلب العلم للجلب وللدفع ، والدليل على ذلك ما رواه في تعريف حكماء الشرق للتربية قديما وحديثا (١) قال ابن المقفع « مانحن إلى ما تنقوى به على حواسنا من الطعام والمشرب بأحوج منا إلى الأدب الذي هو لقاح عقولنا »

(٢) قال أفلاطون « الفرض من التربية هو امتداد كل من الجسم والعقل بما يمكن من الكمال والجبال ومن رأيه أن يربي قليل من أبناء الخاصة لأجل نظام الحكومة »

(٣) وقال ملنون « التربية الصحيحة الكاملة هي ما تؤهل المرء للقيام بأي عمل خلاصا كان أو عاملا بمهارة وإخلاص نام أثناء السلم والحرب » وهذا التعريف يقرب عما قرأناه

(٤) وقال جيمس مل « التربية تؤهل المرء لأن يكون عاملا من عوامل السعادة لنفسه أولا ولسائر مخلوقات الله ثانيا »

(٥) وقال جون استوارت مل « التربية تشمل كل ما يفعله المرء أو يفعله غيره له لفرض تربيته من درجة الكمال »

(٦) وقال هربرت سبنسر « مهمة التربية هي إعدادنا لحياة كاملة »

(٧) وقال بعض علماء بروسيا « التربية لإعلاء جميع القوى الانسانية لإعلاء تتعادل فيه جميع القوى ولكن ميول البشر واستعدادهم مختلفات فقد يكون من الحكمة الاهتمام ببعض القوى في انسان أكثر منه في آخر » ولهذا زاد بعضهم على التعريف المتقدم فقال بطريقة مبينة على طبيعة العقل « فكل قوى العقل يجب أن تفحص ثم تقوى وتحمى على حسب طبيعتها »

(٨) « القرآن » ألتستري أن هذه التعاريف كلها جاءت في هذه الآية ، وهل ترى اني الآن أنقلها لغير فائدة التفسير ، اني نقلها لأنها في نفس الآية ، فقوله تعالى - قل سبروا في الأرض - والسير حركة وهي ترجع للقوة الجنسية ، وقوله - فانظروا - راجع للقوة العقلية فكأن الله بهذه الآية يأمرنا بنظم الجسم وبنظام العقل وبهذا دخلت التعاريف السابقة كلها في الآية والآية شملتها ، فالحركة للتجارة وللحج وللقتال ولطلب العلم وللاسياحة كلها سير في الأرض وكل حركة للتمرين وللأعمال الهامة تقرب من السير لأنها حركة على وجه العموم ، وكل صناعة فيبدؤها بالعلم ونهايتها بالعمل فهي مشتركة بين الجسم والعقل ، فصناعة البرود مثلا مبدؤها العقل في العمل والمدارس ونهايتها السير في الأرض وإطلاق النار ، فأولها العقل وآخرها عمل وجميع القوى العقلية تنمو بالنظر - إن الآية قرنت بين التمرين الجسمي والتمرين العقلي فهي تعطي الجسم حظه والعقل حظه وهذه كانت صفة نبينا ﷺ فانه كان في أثناء الجهاد يروح إلى وسط الناس ويعلمهم . حركة العقل وحركة الجسم متقاربتان . ومعنى تذكرت ما جاء في (سورة التوبة) من أن كثيرا من آياتها أوحى بها في سفره إلى غزوة تبوك عرفت تفسير قوله تعالى - قل سبروا في الأرض فانظروا - الخ وكذلك غزوة أحد



وغزوة بدر . فكان الجسم والعقل مشتركين في تخية العقول . إن الاسلام لم يقف عند هذا الحد في تربية النفوس بل ان أدعية الصلاة مؤيدة لتلك

الطيفة السادسة . مقاصد الصلاة في الاسلام العلوم والحكم وارتقاء العقول بها ﴿

ذكرت لك أن ديننا يأمر بالعلوم وأن الفطر الانسانية والحاجة الماسة اضطرت الناس الى العلوم وأذكر هنا أن الصلاة تبث على العلوم ، فكما أن القرآن كله حث على النظر في هذه الدنيا نجد المؤمن في أقطار الأرض يقرأ كتابات تحث على العلوم وأكثر الناس لا يعلمون ، انظر الى الفاتحة فهي مبدوءة بالحمد ثم الدعاء بالهداية الى الصراط المستقيم وقدم هذا . وانظر الى الأدعية في الركوع والسجود والجلوس بين السجدين والشهد وأنواع الحمد والثناء ، إن الحمد عند الرفع من الركوع تحث على معرفة العوالم العالوية والسفلية عامة والمحمد في الركوع والسجود تحث على علوم الطبيعة بأجمعها ، انظر الى هذه الجهاب في العبادات ، انظر الى دين جاء لأمر أرقى من الأمم الحاضرة . يا الله إنك أمرت المسلم أن يقول عند رفع رأسه من الركوع : « سمع الله لمن حمده و بنا لك الحمد مل السموات ومل الأرض ومل ما بينهما ومل ما بينهما ومل ما شئت من شئ بعد » وهل للمحمد اللغزني معنى إلا بالعلم بالمحمود عليه وما المحمود عليه إلا هذه العوالم التي ذكرناها ودخلت في قوله تعالى هنا : « فانظروا كيف بدأ الخلق - أي معنى للحمد بدون علم . إن المسلم يصلي ولا يعلم أن الصلاة تدعوه للعلوم . إن المسلم اذا صلى وقلبه غافل لاصلاة له واذا صلى وقلبه حاضر وعرف للعلمي فلما أن يقف عند الألفاظ وهو متوجه لله فيشتاق اليه ثم يموت فيرجع اليه وهو عابد في درجة خاصة ولكنه لا يرتقي الى درجات رفيعة ، فأما اذا فهم المقصود من الصلاة فانه يتغلغل في العلوم إذ يعلم أن الصلاة تحث على الجد في معاني هذه الكلمات ومعانيها هي جميع العلوم . يرفع المسلم رأسه قائلا : « و بنا لك الحمد مل السموات ومل الأرض الخ » فكأنه يشير الى علم الفلك وما تحاكيه و بقية العلوم اجالا ، أما في الركوع فانه أولا ينزه الله أن يكون كالخالق فيقول « سبحان ربّي العظيم » فكأنه قبل أن يخاطبه ينزهه أن يكون كمن يخاطبهم ثم يقول « اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت » وهذا اقرار بالايمان وهي أول مرتبة ولكن الوقوف عندها جهالة وكسل ثم يقول « خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين » وهذا عبارة عن علم التشريع وأن المسلم عليه أن يعرف شيأ من التشريع حتى يدرك السمع والبصر والمنع الخ وقد تقدم بعض ذلك في هذا التفسير وكذا السمع والبصر في (سورة آل عمران) والمؤمنين ويقول في السجود بعد التسبيح « اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشفق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين » ففي السجود ذكر الايمان والتسليم كما في الركوع ولكن المصل يتوغل هنا فيقول « سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشفق سمعه وبصره » فالتعبير بالخلق والتصوير وشفق السمع والبصر يقتضي زيادة العلم بالتصوير وبجانب طبقات العين وعجائب الأذن وغرائب المنع وذلك يدعو الى علم التشريع ويقرب منه معرفة أنواع الحيوان والنبات والعناصر التي خلقت هذه منها . ولست أقول ان المصل اذا لم يدرس تكون صلاته باطلة ولا يخالف مانص عليه الفقهاء - لا يكف الله نضاً إلا وسعها - ولكن المقام مقام مزاياء الاسلام في الترية ، فانظر كيف دعانا الى معرفة العوالم العالوية عند رفع رؤسنا الى أعلى ودعانا لمعرفة أجسامنا ويقاس عليها ما هو نظيرها في التخذى والتركيب وهو الحيوان والنبات وهكذا العناصر المركبة هي منها . ولما كان العبد وهو ساجد أقرب الى ربه كما في الحديث وكفى الآية كما قال تعالى - واسجد واقترب - رأينا الدعاء في السجود يوضح تشريح الجسم ويشير الى الجد في مسائل الجسم الانساني . واذا ضمنا ذلك الى ذكر الحمد على جميع النعم في الصلاة ومبادئ النعم كلها ما ذكرناه في تفسير هذه الآية وكذلك قول المسلم في قنوت الصبح فانه يدعو بطلب الهداية ويحمد الله ويشكره في آخر الدعاء . ولا معنى للحمد ولا للشكر إلا هذه العلوم وكذلك

الشهد فان المسلم يقول « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله » وهذا في معنى الحمد ويحتم ذلك بقوله « إنك جيد مجيد » والحمد لامعنى له كما قلنا إلا بمعرفة العلوم المتقدمة والا كان جدا ناقصا . أقول اذا ضمننا ذلك كله الى ما ذكرناه ظهر أن الصلاة في جميع أحوالها عبارة عن درس لهذه العلوم وحث عليها وبحرود أدعية الصلاة كاملة كافية لشوق المسلم الى هذه العلوم وإن لم يسمع من القرآن حرفا ، وسيأتي في هذه الأمة من يعرف الناس مقاصد الصلاة ويعرف الناس مقاصد القرآن ويعرف الناس حكمة الله في خلق الناس على الأرض ويعرف الناس أن الله لم يدع وسيلة لتنمية العقول إلا وضعها في هذا العالم الأرضي وأن المسلمين لما جهلوا جماله ونظامه ولم يعرفوا مافى القرآن وأن الرسول ﷺ شكوا من طائفة فقال - يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا - ولم يعرفوا ما ترى اليه الصلاة أرسل سبحانه الفرنجة ليكون هذا آخر سهم يرمى به المسلمين حتى يرجعوا الى رشدهم ويتعلموا وعسى أن يقوم فيهم من يفهمهم أن الاسلام أرقى مما أتم عليه وأن هذه هي العلوم التي يرضاها الله فهي خير من ضياع الوقت في فروغ فقهية ينقض الدهر ولا يسأل عنها أحد . اللهم إني نصحت وأفرت جهدي في النصح ، وإني أسألك أن تلهم هذه الأمة الرشد وتسعد بالها وتلهم الأذكاء منها أن يرفضوا من شأنها ويسعوا لاصلاحها ويهتدوا الصراط المستقيم

سيعلم الدعاة والمصلحون في الاسلام أن ما ذكرناه في هذا المقام ترمز اليه الصلاة على الترتيب الذي سطرناه . فالتناء في الرفع والاعتدال وفي القاطعة والدعاء بالهداية فيها وفي القنوت وفي الجلوس بين السجدين موجه لعموم العلوم فاذا نبتدى المتعلم بقراءة العلوم كما في المدارس الابتدائية والثانوية في الأمم الراقية ثم يأخذ في عوام التخصيص حتى يتقن فنا خاصا كما قرأناه مرارا . فالتناء في حال الرفع والاعتدال وماعه غير ما يذكر في الركوع وفي السجود من ذكر نوع خاص كالسمع والبصر والمخ والعصب فهذا خاص والمذكور في الاعتدال عام . فالصلاة نسخة من صفحات العلوم أوحى الله بها الى نبيه ليقرأها الناس صباحا ومساء وقد اهتدى بهذه الصحيفة البيضاء قوم وسيهتدى به أكثر المسلمين في مستقبل الزمان

### ( اللطيفة السابعة )

اعلم أن الله عز وجل كما حث المسلمين في صلاتهم وفي دينهم وفي جميع أحوالهم على العلوم ثم سلط علينا الفرنجة لما سبق في علمه انا جامدون حث الأمم الأخرى التي سبقتنا على ذلك فيها كانوا يتعبدون به لأنه ربح عام الجود . ولأذكر لك ما كان يصنعه قدماء المصريين للتقرب الى الكواكب التي كانت معظمة عندهم كما ذكره أستاذنا العلامة على باشا مبارك في كتابه ( خواص الأعداد ) قال مالمخلصه

« كان المصريون يعتنون بالوافق وأخذ عنهم فيثاغورس وجاعته وسميت بالوافق لأنهم نسبوا الى الكواكب السبعة فانهم كانوا يجعلون الجداول المذكورة في صور مختلفة وكانوا ينقشونها على صفائح من المعدن الموافق للكوكب الذي يريدونه وكانوا يجعلون جدول الوفاق المذكور على شكل كثير الأضلاع منظم مرسوم داخل دائرة عدد أضلاعه بقدر ما يشتمل عليه ضلع المربع ومكتوب عليه أسماء الملائكة الموكلين بالكوكب المطلوب ومرسوم عليه أيضا في بين أضلاع الشكل ومحيط الدائرة اشارات منطقة فلك البروج وكانوا يزعمون أنه ينفع من عمله معه . وكيفية انساب تلك الجداول الى الكواكب هو انهم كانوا يجعلون لزلح المربع المنقسم الى تسع خانات جنر عددها (٣) ومجموع أعداد صفه (١٥) والى المشتري المربع المتكون من (١٦) خانة جنرها (٤) ومجموع أعداد صفه (٣٤) والى المربع المركب من (٢٥) خانة وضله (٥) ومجموع أرقام صفه (٦٥) وقد تقسم قريبا والى الشمس المربع المتكون من (٣٦) خانة وضله (٦) ومجموع أعداد صفه (١١١) والى الزهرة المربع المشتمل على (٤٩) خانة وضله (٧) ومجموع أعداد صفه (١٣٥) والى عطارد المربع المشتمل على (٦٤) خانة وضله (٨) ومجموع أعداد صفه (٢٦٠) والى القمر المربع المشتمل على (٨١) خانة

وضله (٩) ومجموع أعدادها (٣٦٩) وكانوا يجمعون للمادة الأولى الربع المشتمل على (٤) خانات وضله (٢) وأتت الواحد الأحد الربع المكثور من خاتة واحدة وضله (١) بحيث أنه لو ضرب في نفسه لا يتغير أبدا . وقد تقدم الوفق الخمس . ولأرك شكلا واحدا آخر وهو المسبع ثم أذكر الحركة في وجود هذا في العالم الانساني

( السبع )

٢٢	٤٧	١٦	٤١	١٠	٣٥	٤
٥	٢٣	٤٨	١٧	٤٢	١١	٢٩
٣٠	٦	٢٤	٤٩	١٨	٣٦	١٢
١٣	٣١	٧	٢٥	٤٣	١٩	٣٧
٣٨	١٤	٣٢	١	٢٦	٤٤	٢٠
٢١	٣٩	٨	٣٣	٢	٢٧	٤٥
٤٦	١٥	٤٠	٩	٣٤	٣	٢٨

ولأكتف بهذا المسبع وبالمسبع الذي ذكرته سابقا وأشرح موضوع هذه الأوقات . إن هذه الأوقات كانوا يعتنون بها ويدعون أدعية للكواكب وكان ذلك على مقتضى ما عندهم من العلم . ولاجزم أن دين قسما المصريين كان دخله التحريف فصاروا يتقربون بهذه الأوقات . والسرى في التقرب بها أن أعدادها منتظمة تحير فكر الذي يتلو الزريعة إذ يجد أعدادا منتظمة تحير العقل ومدهش الب ويتدخل في عقل الناظر للأعداد نوعا من الطيرة وحسب الاقتان فأصل وضعها كان لارشاد الشعب الى حب الجبال وهو النظام وذلك يدعو للبحث في السموات والأرض على ذلك النظام في عالم السموات والأرض وربما كان ذلك من رجال الدين ثم تبادى الناس فيه فجعلوه طلب قضاء الحاجات من الأصنام التي كانوا يزعمون أنها ملائكة للكواكب التي تحفظها الملائكة لأن دين القدماء هكذا ﴿ الله خلق العالم . الملك موكل بالكوكب . الصنم سبيل للكوكب الأوقات تقرب العابد من الكوكب الذي هو يمثل الملك المقرب من الله ﴾ فهذه سلسلة طويلة أملاها عليهم رجال الدين تحصل عند طول الأمد بعد نزول الأديان فيحصل الاقطاع الى الامور المادية ويترك الأصل الذي قصده الأولون فكيف الناس على الاستغناء والاستعانة بهذه الأوقات ونسوا ما لأجله وضعت الأوقات عند الكهنة ورجال الدين وإن كانوا هم أيضا غير موقنين بتطاول الزمن عليهم فتطاول الزمن على رجال الدين وعلى العامة جعل تلك الأوقات أدعية للرزق والجاه والشهوات كما أن كثيرا من جهة الأئمة الاسلامية وبعض الخواص يجمعون القرآن في أكثر الاوقات لطلب أمور الدنيا لغرض الدنيا وهذا انعكاس على الرأس . والمقصد الأول من ديننا ارتقاء النفوس بالعمل والعلم فاتجه كثير من الناس الى جعل الدين مفتاحا لباب الشهوات . وأصل الأوقات عند قدماء المصريين قد كبر النفوس بالعلم والحكمة وجعل الله فجعلها المتأخرون منهم باب مرتقى وتجه على ذلك جهة المسلمين الى الآن ، فانظر كيف جعل الله في القدماء قلنا من وجهوا الهم الى معرفة حسن النظام في العالم بطريق الدين ثم نسيه أهله فذهبت دولتهم فأصبحو خاسرين ، ذلك أن الله عز وجل لم ينس عباده ولم يترك أحدا من خلقه بل هو عليهم مهيم يذكرهم كل حين ولا ينال العز إلا من سبق له الحسن . وبما ينبغي ذكره في هذا المقام أن (فيتاغورس) كان مغرما بعلم العدد ويقول إن العالم مركب من العدد وهذا لشدة ولوعه بالله تعالى لأن هذه الاوقات التي قلها عن المصريين قد قرأها وعرف أسرارها ورأها لانملها نحن ففنى في الخالق واشربأت نفسه الى ذلك الجبال الأسنى . وأن الى ربك المنتهى .

ويقرب من ذلك جدول العناصر المتقدم بل هو مدهش ومدهش لأنه يعرف جبال الله في صنعه بأبلغ

حجة وأقطع برهان . واعلم أن قسما المصريين لما جهلوا المقصود من دينهم نسخوه الله هكذا المسلمون لما نسوا مقصود القرآن سلبوا الله علينا الفرجة وسيجعل الله بعد عسر يسرا ويرتقي الاسلام - وما توفيق إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب - انتهى الكلام على القسم الأول من السورة

### ( الْقِسْمُ الثَّانِي )

مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ كَمَثَلِ الشُّكْبَوْتِ أَخَذَتْ يَتَا وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ  
لَيَبْتَثَنَّ الشُّكْبَوْتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ \* إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ \* وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِيَعْقِلَ إِلَّا الْعَالِيُونَ \* خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ \* أَتُلُوا مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ  
الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْفَعُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ \*  
وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي  
أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ \* وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا  
إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ  
بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ \* وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا  
لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ \* بَلْ هُمْ آيَاتُ يَتَنَبَّأُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا  
الظَّالِمُونَ \* وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَاتُ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ  
مُبِينٌ \* أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى  
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* قُلْ كَفَى بِاللَّهِ يَتْنِي وَيَتَنَبَّأُ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ  
ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ \* وَتَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ  
مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* تَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنْ جَهَنَّمُ  
لَحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ \* يَوْمَ يَفْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَقَوْلُهُمْ دُفِعُوا  
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَلْيَآيُوا فَاعْبُدُونِ \* كُلُّ نَفْسٍ  
ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ \* وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فُرْقَانًا  
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ \* الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \*

وَكَايُنْ مِنْ ذَابَةِ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • وَلَتُنْ سَأَلْتَهُمْ  
مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ • اللَّهُ  
يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ • وَلَتُنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ  
نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ  
لَا يَعْقِلُونَ • وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُمُ وَلِيبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا  
يَعْلَمُونَ • فَلَمَّا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَا اللَّهَ تَخْلِصِنِي لَهُ الَّذِينَ قَلَّمَا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ  
يُشْرِكُونَ • لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَمْلِكُونَ • أَوْ كَمْ يَبْرَوْنَ أَنَا جَعَلْنَا  
حَرَمًا ءَامِنًا وَتَحَفَّتْ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ • وَمَنْ  
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ  
• وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْحُسَيْنِينَ •

### التفسير اللفظي

قال تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أى الأصنام يتكلمون عليها فى نصرهم (كمثل  
العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) أى مثل المشرك الذى يعبد الوثن  
بالقياس الى المؤمن الذى يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبنى بيتا بآجر وحصن أو بنحته  
من صخر وكما ان أوهن البيوت اذا استقرت بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الأديان اذا استقرت  
دينا دينا عبادة الأوثان - لو كانوا يعلمون - أى لو كانوا يرجعون الى علم لعلموا أن هذا مثلهم (إن الله يعلم  
ما يدعون من دونه من شئ) هذا توكيد للثبوت أى ان الله يعلم أن الأصنام التى يدعونها ليست شأفا نافية ومن  
زائدة وشئ المجرور بمن الزائدة مفعول تدعون (وهو العزيز) الغالب الذى لا شريك له (الحكيم) فكيف  
يعبد الناس ما ليس شأفا ويذرون عبادة العزيز الحكيم (وتلك الأمثال) الأمثال بدل (نضربها) نبيها خبر  
(الناس) وان ضحك من هذا المثل سفهاء قرئش وقالوا محمد يضرب المثل بالباب والعنكبوت (وما يعقلها إلا  
العالون) ورد « العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه » (خلق الله السموات والأرض  
بالحق) محققا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالثبات من خلقهما افضة الخبر وابتدأ كل ممكن تعالى به العلم (إن  
فى ذلك آية للؤمنين) لأنهم يستدلون بالآثار على مؤثرها (اتل ما أوحى اليك من الكتاب) تصبدا وحفظا  
وفهما لمعانيه واستكشافا لقواض ما فيه (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وذلك لأنها  
حال الاشتغال بها تشغل المولى عن الاشتغال بغيرها ، وأيضاً تورت النفس خشية من الله • روى أن فى من  
الأصهار كان يصلى مع رسول الله ﷺ ولا بدع شأفا من الفواحش إلا ركب فوصف له فقال إن صلاته ستناه  
فلم يلبث أن تاب (ولم ذكر الله أكبر) أى ولم ذكر الله إياكم برحمة أكبر من ذكركم إياه بطاعته أو بالصلاة  
أكبر من غيرها من الطاعات وسميت ذكرا لأنها مشتملة على ذكره تعالى وهو العدة فى كونها مفضلة على  
الحسنات (وأنه يعلم ما تصنعون) منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة (ولا تتجادلوا أهل الكتاب  
إلا بالتي هى أحسن) بالخصة التى هى أحسن كقابلة الخسونة بالين والفضب بالكظم والمشغبة بالصح (إلا

الذين ظلموا منهم) بالافراط في العناد كأن يقتلوا أو يقولوا بد الله مغالاة أو يبنوا العهد ، وإذا استعمل  
السيف في بعض الأحوال فذلك انه كالسك في آخر الهواه فالمدار في نشر الدين أصالة على إقامة الحج لاسيا في هذا  
الزمان ، ثم أبان طرفا من تلك المجادلة فقال (وقولوا آمنا بالذي أنزل اليك وأنزل اليك وإلهكم واحد  
ونحن له مسلمون) مطيعون له خاصة وفيه تعريض بأنهم اتخذوا أخبارهم وروايتهم أر بابا من دون الله  
• وروى عن النبي ﷺ أنه قال (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله  
فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقاً لم تكذبوهم) وقوله (وكذلك أنزلنا اليك الكتاب) أي وكما  
أنزلنا الكتب الي من قبلك أنزلنا اليك الكتاب (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) كعبد الله بن سلام  
وأحزابه (ومن هؤلاء) ومن العرب وأهل مكة ومن في عهد النبي ﷺ من أهل الكتاب (من يؤمن به)  
بالقرآن (ومما يجد بآياتنا) مع ظهورها وقيام الحج عليها (إلا الكافرون) أي المتوغلون في الكفر كاليهود  
عرفوه ﷺ وكفروا به وكفرهم هو عين الجحود إذ الجحود بعد المعرفة (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب  
ولا تخطه بينك) فان ظهور كتاب جامع لهذه المزايا يستحيل أن يأتي به أي فإذن هي معجزة (إذا لارتاب  
المبطلون) أي لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي اليك لارتاب أهل مكة واليهود فقال الأولون إنه يقرأ من  
كتب الأولين وقال الآخرون إن صفه في التوراة انه لا يقرأ (بل هو آيات بينات) أي القرآن (في صدور  
الذين أنوتوا العلم) يحفظونه لا يقدر أحد على تحريفه (ومما يجد بآياتنا إلا الظالمون) المتوغلون في الظلم  
المكابرون (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) مثل العصا وناقطة صالح (قل إنما الآيات عند الله) ينزلها كما  
يشاء لست مالكها (وانما أنا نذير مبين) ليس من شأنى إلا الانذار (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب  
يتلى عليهم) فهو معجزة دائمة على مدى الزمان وليست كالعصا لأنها لا تدوم ، وقد جاء في (سورة طه) أن  
أمثال هذه الآيات الحسية تلبس وفذلك كفر بنوا اسرائيل لما رأوا عجل السامري وقد قتم إضاح هذا هناك  
(إن في ذلك) الكتاب الذي هو حجة دائمة (لرحمة) للعصمة (وذكري) وقذكرة (لقوم يؤمنون) دون  
المتعتين (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) يشهد لي أني رسول الله ويشهد عليكم بالكذب وشهادة الله انبأت  
المعجزة له بإزالة الكتاب عليه (يعلم ما في السموات والأرض) فلا تخفى عليه حال وحالكم (والذين آمنوا بالباطل)  
وهو ما بعد من دون الله (وكفروا بالله) منكم (أولئك هم الخاسرون) المصبونون في صفتهم لأنهم اشترؤا  
الكفر بالإيمان (ويستهجونك بالعذاب) كالنضرين الحرث لما قال فاطم عليا حجارة من السماء (ولولا  
أجل مسمى) وهو ما وعدت اني لا أعذب قومك ولا أستألمهم (لجاءهم العذاب وليأتينهم) العذاب (بضة  
وهم لا يشعرون) بآتيانه (يستهلونك بالعذاب) أعيدت الجلة تأكيداً (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ستحيط  
بهم وتجمعهم جميعا (يوم يشاهم الصذاب) يصيهم (من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم  
تعملون) أي جزاءه (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون) أي اذا لم تسهل لكم العبادة  
في بلد ولم تجش فيه أمر دينكم فلتهاجروا عنه الى بلد تكونون فيه أصح ديناً وأكثر عبادة • وعن سهل  
• اذا ظهرت المعاصي والبعد في أرض فخرجوا منها الى أرض المطيعين ، ويقال أيضا • إن لم تحصلوا العبادة  
لي في أرض فأخلصوها في غيرها • (كل نفس ذائقة الموت) يريد بذلك تهوين الهجرة من بلد المعاصي  
ويقول اذا كانت النفوس تجدد مرارة الموت وكرهه فكيف يهملها المهاجرة من الوطن (ثم اليها ترجعون)  
بعد الموت للتوب والعقاب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لبئسوا لهم) لنزلتهم (من الجنة غرقا) علالي  
(تجبري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجزا العالمين) أي أجبرهم (الذين صبروا) على أدية المشركين والمهجرة  
للدن والمحن والمشاق (وعلى ربهم يتوكلون) فلا يتوكلون إلا على الله (وكأن من دابة لا تعمل رزقها)  
لا تطيق حمله لضعفها أو لا تدخره فتصبح ولا تعيش عندها (الله يرزقها واياكم) فأت مع قوتكم وهي مع

ضعها سواء في أن الله يرزقكم جميعا فهو المسبب لها فلا تخافوا على رزقكم من الهجرة إذ قال بضمكم كيف تقدم على بئس ما يصنع الله لناسك (وهو السميع) تقولكم (العليم) بياتكم (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسفر الشمس والقمر) أي ولئن سألت أهل مكة ذلك (ليقولن الله) لأن العوالم منتهية إليه (فأني يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيدهم بعد إقرارهم بذلك (الله يسطر الزرق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أي لمن يشاء أي يوسع ويضيق لواحد في وقتين مختلفين ويوسع لزيد ويضيق لعمرو (إن الله بكل شئ عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم • وروى • إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك ، (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأجابه الأرض من بعد موتها ليقولن الله) أي هم مقررون بذلك (قل الحمد لله) على عصمتك من مثل هذه الضلالات وعلى صدقتك وإظهار حجتك (بل أكثرهم لا يعقلون) فيتناقضون قائم يقولون إنه خالق كل شئ ثم يشركون به سواء (وما هذه الحياة الدنيا) الإشارة للتحقير (إلا لهو) اشتغال بما لا ينفع وتمتع باللذات وفرح (ولعب) عبث وباطل لا يبقى (وإن النار الآخرة هي الحيوان) أي الحياة أي ليس فيها إلا الحياة مستمرة دائمة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حياة ، وأصل حيوان حيوان من حي على وزن غليان قلبت الياء الثانية واوا (لو كانوا يعلمون) حقيقة الحارين ما اختاروا اللغو الفاني على الحيوان الباقي ثم قال إن هؤلاء دائبون على ما وصفوا به من الشرك (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) فهم والحالة هذه لا فرق بينهم وبين المؤمنين في صورة الاخلاص لله لعلمهم أنه لا يدفع الشكائد سواء (فلما نجحهم إلى البر إذا هم يشركون) أي طابوا المعادة إلى الشرك والمؤمنون ثابتون على إيمانهم (ليكفروا بما آتيناهم) أي يشركون حتى يكفروا بما آتيناهم من النعمة (وليستمعوا) أي يستمعون بهذه العاجلة ولا نصب لهم في الآخرة (فسوف يعلمون) عاقبة أسرهم وهذا تهديد ويصح أن تكون اللام للأمر في ليكفروا وليستمعوا (أولم يروا) أي أهل مكة (أنا جعلنا حرمنا آمنا) أي جعلنا بلادهم ممنوعا مصونا بأمن داخله (ويتخطف الناس من حولهم) يستلبون قتلا وسيما (أفبالباطل يؤمنون) أي أبا الشيطان والأصنام يؤمنون (وبنعمة الله) المذكورة الواضحة (يكفرون) • ومن أعظم من افتقرى على الله كذبا (بأن زعم أن له شريكا أو كذب بالحق لما جاءه) يعني الرسول أو الكتاب وفي التعبير بلما إيمان بباطلهم إذ سارعوا إلى التكذيب بلاترو تجرد السماع (أليس في جهنم مثوى للكافرين) أي أما لهذا الكافر المكذب مأوى في جهنم ، ولما كان أول هذه السورة مسوقا للجهاد العالم بجهاد النفس والجهاد مع الوالدين والجهاد مع الأعداء ومع الأصحاب ختم السورة كما ابتدأها وبشر المجاهدين بالهداية فقال (والذين جاهدوا فينا) أي في حقنا سواء أكلن جهاد الأعداء الظاهرة أم الباطنة فيشمل سائر المعاصي حتى جهاد العكبر والحسد والحرم وكل مرض قلبي (تهدئهم سبلنا) لأننا خلقنا السموات والأرض بالحق (وإن الله لم يحسنين) بالنصرة والاعانة . انتهى التفسير اللفظي للسم الثاني من السورة

(لطائف هذا القسم )

( اللطيفة الأولى في قوله تعالى - وإن أوهن البيوت ليت العنكبوت - )

لأذكر لك ما كتبت في كتابي ( جمال العالم ) من عجائب العنكبوت تحت عنوان الآتي ونصه

( العنكبوت )

خلق العنكبوت ذا ثمانية أرجل وعلمه الله بالإلهام من الصفر في إبان حياته حتى انه ينسج بحيث تتساوى كبارها وصغارها والأمتات وأولادها في القزل والنسج ، فلا عنكبوت إلا وقد أوتى هذه الصنعة بلا تعلم

وللتعليم ولا مدرسة كآتماتها ولا تخريج ولا درس ولا تنقيب كما صارت صفار البط على العموم في الماء عقب كسر بعضها وهكذا جميع الطيور والحشرات ، ولما كان هذا التعليم غريزيا إلهيا لم يدخله الخطأ ولا السهو بخلاف النوع الانساني ولعلك احتجنا الى قول نبينا ﷺ « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان » فلا يقع من العنكبوت في نسجه ولا غزله غلط بل تراه يحكمها باقتان مع الثاني والتثبت ، فتري خيوطا متينة وشبكاتها محكمة الوضع هندسية الشكل ، وقد قال علماء المصرا الحاضر (لواجتمع كل ناسج وغزال في الدنيا وقوبلت صناعات العنكبوت لفاق الثاني الأولين والآخرين وغلب الحيوان الأعجم هذا الانسان - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور • ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خشا وهو حير -

### ﴿ العنكبوت البناء ﴾

كل عنكبوت في الدنيا غزال وناسج وبعض الأنواع بناء بيبي منازل يشاهدها الناس في أماكن كثيرة في حجوم (الكسبان) يقظها من الماخيل بقفل لم يقف أحد من علماء الحشرات على كنهه حتى يأمن من دخول عدو مهاجم أو سارق فتأمل كيف أعطى قوة وحكمة عجز عنهما الانسان في البناء كما أوتي النحل في بناء مسكنه فوق الأرض وأحكم المنافذ للنور وأفضلها عند الرطوبة أو البرد ، كل هذا يدلنا على أن هذا العالم يشمله تدبير عجيب من أدنى ذرة الى أكبر كوكب ، وما أئذ النظر في هذه العوامم والعلوم ، وما أجل الحكمة وأبهجها - إن ربك هو خلاق العليم - ألا فليتهج هذا المألون وليفرح الحكماء المدققون

### ﴿ عنكبوت البساتين ﴾

وهناك نوع يسكن البساتين وما شابهها ، تراه مضطرا الى الانتقال من شجرة الى شجرة ومن غصن الى غصن ، فإذا صنع ياترى ؟ ألهم الله أن يبنى قنطرة بين الشجرتين أو غصني بين الغصنين كما يصنع نوع من القروذ في أمريكا قنطرة كما تقدم ، ولكن طريقة العنكبوت في قنطرتها أعجب ، فذلك بالأجسام وهذه بحيث واحد يخرج من فمه مخلوقا من لابه اذا لامس الهواء جد فيمتد فيه بعد تثبيت أحد طرفيه ولا يزال الطرف الآخر يندو ويحيى حتى يمسك بورقة أو غصن فتمر عليه العنكبوت ، وبهذه الطريقة نجأ عنكبوت من الموت في حكاية واليك بيانا

حكى أنه وضع حيوان العنكبوت عنكبوت على عود في ماء قرب من شاطئ جزيرة فنزل من أعلى العود الى أسفله فوجد الماء محيطا به فرجع الى أعلى ثم أخذ يذكر في حيلة اهتدى بها الى أن غزل خيطا وأثبت أحد طرفيه في رأس العود ولازال الطرف يندو ويروح حتى أمسك بضمن من الشاطئ الآخر فسار عليه حتى نجأ سالما ، وهذا النوع البستاني ينسج على الأغصان والأوراق شبكة عجيبة يقتص بها القباب وغيره فيتخذ بها مركزا يقيم فيه ويمد خيوطه الى جميع الجوانب ، فشكل أطرافها محيط ذلك على الأوراق والأغصان وتلك الخيوط أقطارها والعنكبوت رساما وغارها وناسجها ومهندسها والصائد بها ، وما أشبه تلك الخيوط بأعمدة الجبل (البسكيت) فإذا أحكمت تلك الأعمدة بخيوطها المجدولة أخذت العنكبوت تمجدل خيوطا أخرى فأدارتها على هذه ور بطنها رجلا وثيقا عمكا عليها مع التناسق في الوضع والاحكام والمهندسة بحيث تری بين كل خيطين من تلك الأعمدة وآخرين من الملفت عليها مسافات متساويات هندسية ومنها تكون شبكة للصيد عجيبة الصنع جبلة الوضع - فبارك الله أحسن الخالقين - وفي الأرض آيات للوقنين - وهذه الشبكة قلدها الانسان في صيد السمك للقوق وفي صنع زينة منسوجة من الحرير منقوشة بالذهب مرصعة بالحلل اهتدى لها الانسان المتمدن بعد الآلاف من السهور والصور والسينن فتشعر به الفتيات الافرنجيات في اتيان الصنعة وحسنا فانظر كيف كانت نهاية الانسان بداية الحيوان . لسهل هو لك غراب العنكبوت اذا عاينت أثرها وانها تنسج ما تنسج يؤخر أرجلها فلا تحتاج الى النظر بينها ، فإذا قطعت خيطاتها قبل القروب ثم نظرت لها عند شروق





فيخيل للرائي انه خرج بلاحكمة فاذا انضم الخيوط الى بعضها كوّنت خيطا والخيوط الأربعة أنتجت خيطا أكبرواجناع الخيوط أنشأت بيتا وكان مسكنا ومحل صيد للعنكبوت ومع ذلك تسمع القرآن يقول - وإن أوهن البيوت ليت العنكبوت لو كانوا يعلمون - وصف بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت ثم أردفه بقوله - لو كانوا يعلمون - فانظر كيف ذكر العلم المقرون بلو بعد مسألة العنكبوت ، أفليس هذا الوهن قد ظهر في التحليل والتجزئة فقد جلوزت خيوط العنكبوت الحد المعروف في الدقة وتناهت في التجزئة ، فذكر الوهن هنا اشارة الى قبول التجزئة قبولاً مطرداً بحيث لا يمتنع عنها وهو مأسك ، ذلك هو السرفى قوله - لو كانوا يعلمون - فليس يدرك الناس تلك التجزئة التي أشار لها الوهن مجرد اشارة إلا بعلم الطبيعة ، ولا يدري المسلمون ما للسرفى في تسمية سورة باسم العنكبوت إلا بالتفرغ لمراسة الحشرات واذن يعرفون لماذا سميت سورة في القرآن باسم العنكبوت وأخرى باسم النمل وأخرى باسم النحل وهى حشرات وسورة باسم البقرة وسورة باسم الأنعام وهذه من ذوات الأربع ، والذي أراه أن الجليل الحاضر ومن كانوا قبله من المسلمين في الأعصر المتأخرة انما خلقوا ليحفظوا القرآن والشرعية حتى يتفكر فيها الأجيال المقبلة التي سيوقفها أمثال هذا التفسير ويخرج جبل اسلاى لم يحلم به المصور ولم تلهه سوائف البهور وهم خلفاء الله والنبي ﷺ وهذا سيكون وأنا به من المؤمنين

ومماثل العنكبوت في ذلك النظام البديع إلا ككل النحل إذ نظم بيوتاً مستقامات ذات أضلاع متساوية متقنة ، ومن العجيب أن الأشكال المسدسة كل ضلع يساوى القطر المارّ ما بين ضلعين من أضلاعها كما قرره علماء الهندسة ، ولقد أنبأ الحكمة في اختيار المسدس دون باقي الأشكال ولم يكن دائرة فيها كتبناه في كتابنا السابقة وأوضحنا عجائب هذه الحشرات وغيرها إضاحاً أتم وبياناً أكمل في كتابنا ﴿ جلال العالم ﴾ وكذا ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وغيرها وهذا التفسير انما جعلناه تذكرة عملة للأمة الاسلامية ليستيقظوا من غفلتهم وليفيقوا من سباتهم وليعلموا أن الله عز وجل ما وصف هذه الحشرات ولا ذكر هذه الآيات ولا أخدصف الأنهار والجبال والسموات والشمس والقمر والنجوم إلا ليسوقنا اليها وليحسنا عليها فانظر مسألة النمل الذي تقدم الكلام عليها فانها فضلاً عما فيها من بدائع الصنعة الالهية والحكمة الصمدانية دلالة على حكمة الخالق واتقاه ونظامه وعجيب صنعه فان لها أثراً عظيماً في الزراعة . إن تربية النحل في البساتين النضرة موجب للثروة بالعسل الكثير الذي يربو اذا كانت الخلايا في وسط الأزهار ويقط بل يموت النحل اذا كانت الأرض المحيطة به مقفرة ، ولها فوق ذلك شروط وأحوال خاصة يعرفها الدارسون لمستقرها ومستودعها من علماء الزراعة الساهرين على مصالح الأمم الناظرين فيما جادت به يد الخالق من العجائب والبدائع

ولما كانت هذه الحشرات الضعيفة ربما غفل الناس عن أمرها وصغروا من شأنها وجهلوا صنعها سعى الله عز وجل سورا من القرآن باسمها فسمى النمل والنحل والعنكبوت . أفليس ذلك تبراها يهتدى به المسلمون فيفرون صناعاتهم ويننون بمجدهم ويرسون كل مذهب وكل مطار وكل حيوان ونبات - إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار - كما قرأناه . انتهى ما جاء في كتابي ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ والحمد لله رب العالمين هذا ما أردته عند تأليف هذا التفسير ثم إني وجدت بعد ذلك أثناء تقديمه للطبع في الكتب الفرعية عجائب وبدائع في العنكبوت والنمل ونحوه فآثرت ذكرها هنا تبصرة وذكرى للمسلمين

ما من امرئ إلا رأى نسج العنكبوت . إن العنكبوت ليست من الحشرات وإن كان ظاهرها يومئ أنها منها . إن نوع العنكبوت ونوع الحشرات يتفقان في أن كلا منهما له أكتان في مقدمه يستعملهما كما يستعمل نحن أصابعنا وهو بها يتفاهم كما يتفاهم الأعمى من الناس بحاسة البصر ولكن العنكبوت لها ثمانية أرجل والحشرات جميعها لها ستة أرجل . إن الحشرات والعنكبوت كلاهما تضع بيضا وانما الفرق بينهما أن

الحشرات يتحول بعضها الى دودة والسودة تغلب الى (فيلجة) أى شرقة والشرقة تغلب حشرة تامة كما في مسألة دودة القز ففيها هذه الصفات والنحل والنمل وأشباهاها وقد تقدم في سورة النمل ، ومن الحشرات ما تقتنى بنسلها كالفحل والنحل ومنها ما لا تعرف ككثرة أى دقيق إذ تموت ولا ترى أولادها وهكذا الجراد ولكن هذا النوع يعتنى بوضع البيض في مكان صالح بنسله . أما العنكبوت فثله كمثل السباع فان يضتها متى فقتت خرج ولدها صورة طبق الأم كما في السمك والضفادع

### ( كيف تعيش العنكبوت )

إن العناكب تعيش على الحشرات ، إنما نافعة جدا ومفيدة للفلاح ولصاحب البستان لأنها تقتل الآلاف من الحشرات اللاتي تفتك بالزرع في الأرض

### ( نسج العنكبوت )

إن العنكبوت تنزل خيوطا دقيقة حريرية آتية من (مقر الفزل) في جسمها الذي فيه مسام دقيقة جدا وهذه المسام الدقيقة تخرج منها خيوط تجتمع وتكون خيطا والخيوط تجعلها العنكبوت نسيجا . إن هذه الخيوط لزجة وأى ذبابة وصلت إليها تلتصق بها

### ( أنواع المنوعات العنكبوتية )

إن العنكبوت لا تقتصر على جعل خيوطها أشبه بالخيمة . كلا . بل انها تجعلها قطرة تمر عليها من مكان الى مكان وتارة تجعلها عناقض فيه ايضا ومسكنا نظيفا لها يسر الساكنين . إن من العنكبوت نوعا تنزل الخيوط الحريرية المذكورة وتجعلها أشبه بسحاب وتطير عليه في الهواء . ويرى الناس مئات من هذا النوع طائرات في الهواء على هذه الطريقة في يوم ثائر الهواء . وهناك نوع من العناكب يجرى على سطح الماء ، وكيف ذلك ؟ انه يؤلف بعض الأوراق الجافة مع خيوط حريرية من جسمه ويجعلها (قاربا) يويم فيه على وجه الماء ويسبح به وهو قري العين وهذا القارب جعله للصيد فلهما لاحت له ذبابة أسرع بقراره اليها وأخذها الى فيه فأكلها

ولما وصلت الى هذا المقام جاء صاحي العالم الذي حدثني في (سورة النمل) فاطلع على ما كتبت هنا فقال ، لقد قرأت كتبك كلها فسنى كما تشاء في (نظام العالم والأمم) وفي (النظام والاسلام) وفي (جواهر العلوم) وفي (ميزان الجواهر) وفي (جمال العالم) قرأتها وفهمتها وقرأت هذا التفسير الى هذه السورة فاسمح لي أن أسأل هنا ماعن لي في قولك تغير لك أن أحادرك من أن أدع هذا لقرائك والمطالعين على هذا التفسير . فقلت ذلك بمرضى . فقال أوضح الفرق بين الحشرات والعنكبوت ، ولماذا أراك تشرح هذه الحيوانات هنا حتى جعلتني أسألك المزيد ؟ وهل هذا يوافق مساق الآية ومساق الآية لا يقتضى هذا الشرح فقلت أما الفرق بين العنكبوت والحشرات فقد ذكرت بعضه الآن وهو تعداد الأرجل وطريقته نحو الفرية وأريد عليه أن جسم العنكبوت مركب من (قسمين) وأجسام الحشرات مركبة من (ثلاثة أجزاء) كما تقدم في (سورة النمل) وأيضا تغلب الحشرات أجنحة والعنكبوت لا أجنحة لها ، ثم ان القسم الأعلى من العنكبوت فيه العيون والفكان وهذان في الرأس وفيه الأرجل الثمانية وهي في الصدر ، أما القسم الأسفل ففيه البطن والمؤخر ، وأما أقسام جسم الحشرات فآقراها في (سورة النمل) كما قلت لك . فقال الفحل من الحشرات وهل لها أجنحة ؟ فقلت تخفى لها أجنحة ولكن عند ما تكبر وتراول الأعمال تكسرها لتفرغ للأعمال . قال فما تقول في عدد العيون . فقلت عيون العنكبوت تختلف من زوج واحد الى ستة أزواج موضوعة مثنى في مقدم الرأس ويتحركان من العين الى اليسار وبها يفترس الفباب ، أما الحشرات فانها لها أعين تقدم شرحها في سورة النمل وأن بعضها قد بلغت العين الواحدة فيه (٢٧) ألف عين أى ان العين

الواحدة مكونة من عيون مستقلة تبلغ هذا المقدار ولولفت واحدة منها لم تلتف البقية كما شره علماء النسا وألمانيا في هذا القرن فقرأوا هناك وانظر كيف ذكرت لك هناك أن أصدقائي أهل العلم في مدارسنا المصرية عارضوني في ذلك وفيهم من كانوا في أوروبا بل بعض الأطباء أنكروه في أول الأمر ، ولما ألفت الرسالة التي تقدمت في (سورة النحل) أقرروا وصدقوا ، والسبب في ذلك أن أمتنا المصرية قد كانت تعرف هذه العلوم قبل هذه الأيام في القرن التاسع عشر ثم لما دخل الفرنجة بلادنا حذفوا تلك العلوم الطبيعية من بلادنا فصار المتعلمون يكرهونها وكثير من ذهبوا إلى أوروبا لا يقرؤونها ، أما الآن وأنا أكتب هذا التفسير فإن هذه العلوم أخذت ترجع تدريجاً وصار الأطفال اليوم يقرؤون ما كان يحمله آباؤهم منذ خمس سنين . وهذا يدل على أن العلوم الطبيعية صريحة للأمم ولولا ذلك لما حفرها الفرنج قبل استقلالنا الظاهري بمصر ، هذا ثم إن النحلة كما تقدمت العين الواحدة من عينيها مركبة من مائتي عين والذباب عينا الواحدة مركبة من أربعة آلاف عين ، فقال صاحبي أربعة آلاف . قلت نعم . قال أنكرك ذلك . قلت له هذا يدرس في جميع مدارس العالم ، وهل تريد أن تفعل معي ما فعله المدرسون منذ سنين كما أخبرتك ؟ قال لا ، قلت فدعني أتم لك الحديث ، فقال يا عجبا كل الحبيب ، أنتكون الذبابة أكثر عيوناً وتصطادها العنكبوت مع أن عيونها محدودة ، فقلت له لا تنجب وكيف تنجب من آية الله في الأرض ، فقال وآي آية ، قلت إن كثرة الآلات والقوى لا تمنع من الهلاك ، ألا ترى إلى قيصر الروس وغيره من ملوك الأرض فانهم مع كثرة جيوشهم وعددهم وآلاتهم قد سلط الله عليهم من طردوهم من ملكهم بل قتلوا بعضهم ، وهو قيصر الروس الذي أثار الحرب الكبرى في زماننا واتحد مع انكلترا وفرنسا ، قام للحرب بعد أن دبر المكائد فإذا جرى ؟ كانت هذه الحرب شؤماً عليه وبقية نحو (١١٠) مليون من الناس ومن هؤلاء (٧٠) مليوناً يصالون في حقوله ، فهذا كان من ضحايا الحرب فذل ثم قتل . إذن كثرة العدد والآلات لا تدل على البقاء ، فهذا الذباب كثرت عيونها التي تعد بالآلاف ولكن نوع العنكبوت الذي لا يزيد عيونها على ستة أزواج قام بقتل الذباب على كثرة عيونها

إن الله حكيم في صنعه ، ألا ترى أن هذا الذباب (وإن كان ينظف جوفاً بابتلاعه الرطوبات التي فيها أنواع الحيوانات النرجسية الصغيرة الفاتكة بنا القاتلة بأنواع الحيات والوباء) يرجع هونفسه مهلكاً لنا فيقتل الأمراض ويأتي بالوباء ، فهو نفسه لما تفتدي من المواد الضارة بنا ليصلح جوفاً أصبح هوضراً لنا ، خلق الله العنكبوت لتصطاده وتصطاد غيره من الحشرات الفاتكات بنا وبزرعنا ، فالذباب باحداث العدوى وغير الذباب بأكل الزرع ، فجعل الله هذه الصناعات مساعدة لنا فمن جهل بعض المسلمين أنهم لا يعلمون أن هذا مساعدهم ونافع لزرعهم وحافظ لهم ولقوتهم

يعيش المسلم ويموت وهو لا يعلم أن الله أنعم عليه بالعنكبوت ، يعيش المسلم ويموت وهو لا يعلم أن الطيور من القنابر والصافير والغربان وآي فردان واليوم تساعده في أكل البود والحشرات الفاتكات بزعه وقد أوضحت أكثر هذا في هذا التفسير فراجع بعضه في (سورة المائدة)

انه ليحزني والله أن تكون أمتنا أجهل الأمم بهذه العلوم التي تتمتع بها أوروبا ونحن عنها غافلون ، أذكر أنني وأنا مدرس بدار العلوم كنت أقرب نسج العنكبوت في حديقة المدرسة وأنظر له كل يوم فلحظ ذلك وكيل المدرسة وهومن المتعلمين فقال ما هذا الذي تحافظ عليه قلت إن هذا النسج فيه عجائب فهو نسج يحكم يدل على حكمة بالغة أبدعها صانع هذا العالم فتبسم ضاحكاً وقال لاقية له وهذا لأن المعلمين لا يشعرون بالتلاميذ إلى الجبال وهذه أكبر مصيبة في الإسلام وقد ابتدأت تزول وهذا التفسير من دلائل النهضة ومن أوائلها

فقال صاحبي كم عدد الحشرات على وجه الأرض . فقلت إن الحشرات التي من بعضها غذاء العنكبوت قد بلغت في تعداد أنواعها أكثر مما بلغت سائر الحيوانات ، وإذا كانت الخنافس وحدها تبلغ (٨٠٠٠٠)

نوع فبالك بغيرها من الحشرات وأنواع الحشرات المعروفة (٢٠٠٠٠) ويتوقعون انها تبلغ ألف ألف قتال هذا مدعى ، إلى قرأت في كلام أسلافنا أن في البحر (٤٠٠٠) أمة وفي البر كذلك . فقلت له الأمر فوق ما قالوا والله يقول - ويخلق ما لا تعلمون - ويقول - سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - وآيات الله في الآفاق وفي الأفسس ابتداء ظهورها الآن وهذا التفسير من المنبئات لها وأن المسلمين بعدنا لا ينصبون ولا يتبعون في تحصيل العلم وسبقهم فهم هداة ومصلحون ينشرون هذه العلوم بين الناس فلا يكون فيهم من يقاسى ما قاسيت مما ذكرته في كتابي ( التاج المصع ) فاني ذكرت هناك اني كنت أقرأ في كلام (الامام الغزالي) أن عجائب الله تعالى في نسيج العنكبوت وأعمال النمل لا تنهاى . فأما عجائب النمل فقد كانت واضحة لى وأما العنكبوت فقد كنت أود أن أرى شكلا منظما في الكتب لأرى حسن النسق والنظام فيه فلم أوفق لذلك حتى قرأت الكتب الاجلزية فوجدت الرسم فيها فعجبت كل العجب من أمة نائمة لا تعرف نعمة الله ولا تسير على خطوات علمائها ، فلا جبال الله أدركوا ولا آراء علمائهم اتبعوا

( هل يجوز رسم الحيوان في التفسير )

فقال لى صاحبى ، ههنا قلت عليك الحجة ، فقلت وأى حجة ، فقال أذكرك بأنك في سورة النمل وعدت أن ترسم أشكال الحيوان الذى يحتاج للاضاح ، فلم لا ترسم لنا العنكبوت حتى تطلع على الوصف الذى وصفته ولم لم ترسم لنا النملة التى وصفتها هناك ولم ترسمها ، ألم تقل ان رسم ذلك ليس مباحا فقط بل هو واجب لأن التعليم واجب ( وبعبارة أخرى ) ان هذا التأليف واجب عليك وجوبا عينيا ويجب قراءة هذا على من احتاج اليه وهو قادر إما شكر الله وإما ازبادة التوحيد ، وقد يجب وجوبا كفاثيا كما أوضحته أنت في سورة المائدة عند مسألة الغراب وفي غيرها . فقلت له سأرسم شكل نسيج العنكبوت . فقال لا يكتفى لابد من رسم نفس العنكبوت ونفس النملة والا عد هذا منك خوفا من صفار العلماء . فقلت لا أقدر أن أرسم ذلك إلا بعد شرح المقام في السنة حتى يوفق كل مطلع على التفسير أن الذى يجوز ذلك . فقال يا محبا . إن التصوير التمسى لم يرد تحريمه في كتاب ولا في سنة وما ورد في التصوير من تحريم أو تحليل راجع لفعل الانسان إما بحسبها وإما غير محسب بالرسم المعروف . قلت هذا حتى . قال وإذا كان حقا فلماذا تريد أن تطيل المقام أو تراوغ فلا ترسم هذه الأشكال ، واني أذكرك بأنك في كتاب ( جلال العالم ) قلت مامعناه ان العنكبوت لها ستة أرجل كسائر الحشرات مع ان العنكبوت غير الحشرات ولها ثمانية أرجل ، فإذا رسمت الصورة لم يحصل هذا اللبس . فقلت فلنورد الأحاديث حتى لا يقع لبس في المقام وتقطع المعاذير وهما كبيتها

(١) روى قتادة قال كنا عند ابن عباس رضى الله عنه وهم يسألونه ولم يذكر النبي ﷺ حتى سئل فقال سمعت محمدا ﷺ يقول « من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافع ، اه

(٢) روى الأعمش عن مسلم قال كنا مع مسروق في دار يسار بن غير فرأى في صفته (بشديد الغاء) نماثيل قال سمعت عبد الله قال سمعت النبي ﷺ يقول « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون » (٣) روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « الذين يصنعون هذه الصور يذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم » هذه الأحاديث ونحوها وردت في فعل التصوير بمعنى ايجاد الصورة ، أما ما كانت رقما في ثوب أو ورق فهناك ما ورد فيها

(١) روى زيد بن خالد رضى الله عنه أن أبا طلحة حدثه أن النبي ﷺ قال « لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة » قال بسر فرض زيد بن خالد فعندنا فإذا نحن في بيته يسترفه تصاور فقلت لعبد الله الخولاني ألم يحدثنا في التصاور فقال انه قال إلا رقما في ثوب أو ورق فذكره اه

(٧) روى الترمذى بسنده عن عتبة أنه دخل على أبي طلحة الأنصاري يهوده فوجد عنده سهل بن حنيف قال فدعا أبو طلحة انسانا يزرع عطا تحت فقال له سهل لم تزرعه قال لأن فيه تصاوير وقال النبي ﷺ ما قد علمت قال سهل أرم بقل « إلا ما كان رقيا في ثوب » فقال بلى ولكنه أطيب لنفسى ، وقال الترمذى حسن صحيح

(٨) روى أنس رضى الله عنه « كان قرام لعائشة رضى الله عنها سترت به جانب بيتها فقال ﷺ أميطي عنى فإنه لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى » ٨١

هذه الأحاديث تدل على إباحة الرقم ، فأما القوتوغراف فشيء آخر وانما هو صور جاءت من ضوء الشمس وضوء الشمس ماهو إلا تصوير الله ومن ذا يقدر أن يحرم تصوير الله • وقال الخطابي « إن المصور الذى يصور شكل الحيوان فأنى أرجو ألا يدخل فى هذا الوعيد لأنه ليس إلا رقما »

فتبين بهذا أن رسم الصور بيد الانسان ليس محرما بنفس نص الحديث الحسن الصحيح وكلامنا أيضا ليس فيه بل إن الصور الشمسية كلها من تصوير الله ، فاذا رأيت مورا فى هذا التفسير فانها كصور الشمس والقمر والكواكب والحيوان والنبات

فلما سمع ذلك صاحبى قال هذا حسن جدا وواضح لجميع المسلمين وانما سقط المسلمون فى مثل هذا للجهل الذى غشى على العقول فبدل أن يسبروا فى رقى الأئمة رجعوا القهقرى وفتحوا باب الكفر والنوم والجهل وأقفوا أبواب جلال الله تعالى ومعرفة عجايبه التى لانهاية لها جهلوا علوم الكائنات ولما أردتم إضاحها ختم من الجهلاء فأوردتم الأحاديث خيفة أن يقللوا أبواب العلم فى وجوه القارئین

( تذكرة )

ثم إن هذا الموضوع قد كتبه أثناء التأليف ولكن أثناء الطبع كتبت ما هو أجل هناك من هذا فى (سورة يونس) فاقراء (انظر الأشكال الآتية)



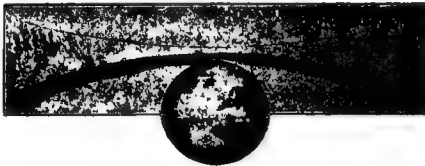
( شكل ٦ - صورة العنكبوت واضحة )



( شكل ٧ - صورة أصول الأرجل والفكين ومخرج النسيج )



( شكل ٨ - صورة جهاز الغزل )

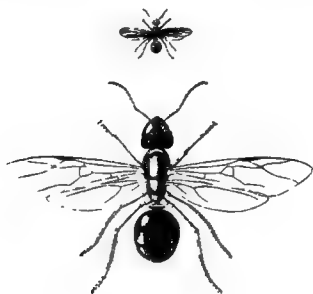


( شكل ٩ - صورة نسيج العنكبوت مع بيان حسن لها )

( يفرز العنكبوت مادة سائلة تجف بمجرد ظهورها في الهواء وتكون على شكل خيوط رفيعة ويستعملها العنكبوت كخيالة لاقتناص فريسته من الذباب أو غيره من الحشرات الصغيرة ولينزل بواسطتها من المحال المرتفعة كي لا يسقط فيتأثر بالسقوط ، ومادة هذه الخيوط خفيفة للغاية من حيث الوزن حتى ان ما يبلغ وزنه أوقية واحدة من هذه الخيوط يمكن أن يصل بين نيويورك في أمريكا وباريس في أوروبا أى بين عمارة ولورث في الأولى وبرج ايفل في الثانية ، وإذا أخذ من خيوط العنكبوت مايزن وملا أمكن أن تطلق به الكرة الأرضية مرتين )



( شكل ١٠ - صورة ذكر الغزل الحقيقي . صورته مكبرة جدا لموازنتها بصورة العنكبوت )



( شكل ١١ - صورة أتي النمل . صورة الأتي على حقيقتها . صورتها مكبرة )



( شكل ١٢ - صورة بقر النمل المسمى « افيز » )

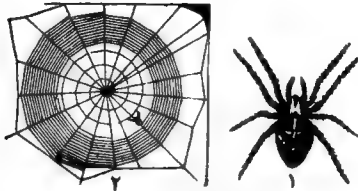


( شكل ١٣ - صورة مخلب العنكبوت )



( شكل ١٤ - صورة اجتاع الخيط )

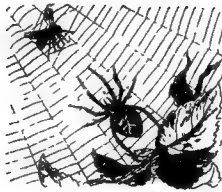




( شكل ١٥ - صورة عنكبوت الحديقة وبنيها )



( شكل ١٦ - صورة أكبر بيت للعنكبوت )



( شكل ١٧ - صورة عنكبوت الحديقة مألوفة )



( شكل ١٨ - صورة عنكبوت المنازل )



( شكل ١٩ - صورة العنكبوت المائي )

فلما اطلع صاحي على هذه الأشكال سر غاية السرور وانشرح صدره وقال لقد فت بما وجب عليك وهذا أصلح ما وقع في كتبك من الخطأ فانك ذكرت عن المتقدمين أن ربي العنكبوت اذا لامس الهواء صار خيطا فظهر الآن أن الكشف الحديث أبان أن هناك غدة ظهرت في الشكل أخرجت لنا هذا النسيج الذي مار تارة طيارة كطيارات الناس في هذا العصر وتارة سفينة في بحر لجي وتارة تكون عشا ومنزلا وشبكة سيد فهذه القوة المرسومة أمامنا منبع عجيب جدا للسفن العنكبوتية ومنزلها ومهد أولادها وشبكات مبيدها وسفنها وطياراتها وقناطرها التي تعبر عليها واذا كانت هذه حال العنكبوت التي ينشأ أضف البيوت فكيف

استحالت حال المسلمين اليوم من القوة الى الضعف فجعلوا كل شئ ونسوا نعمة ربهم في صفيرات الامور وكبارها

### ( لطيفة ) -

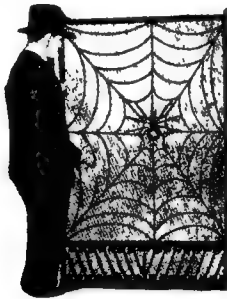
لما اطلع على هذا أحد الفضلاء قال . لقد مرّ على الأمم الاسلامية قرون وقرون ولم يظفروا في تعاليمهم بأشكال هذه الصور ولكن هذا الزمان هو الذي ظهرت فيه العلوم وتقدّمت الفنون فساعدت على ظهور هذا التفسير بهيئة جديدة ولكن ليس معنى هذه صورتها تصدنا عن المباحث العائمة . فقلت سل ما بدا لك . فقال إن الله ضرب العنكبوت مثلاً لما يعبد الكافرون من الأصنام وقرّر أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فكيف يكون بيت العنكبوت أوهن البيوت وقد رأينا من الاتقان فيه والابداع ملاحظه ؟ فهذا عجب كيف اجتمع نهاية الابداع مع نهاية الوهن ، إن الوهن لا يجمع الاتقان . فقلت اذا كان بيت العنكبوت أوهن البيوت مع انه عجيب الصنع بديع الاتقان فان هذا هو المعروف في هذا العالم ، فأنت ترى فيما تقدّم في آخر سورة النمل في تفسير قوله تعالى - وقل الحمد لله سبّركم آياته فتعرفونها - أن مقدار الماء الذي يملأ ملقعة الشاي يحتوي على مقدار من الهيدروجين وهذا المقدار فيه كهرباء لو استخرجها العلماء في المستقبل لأصبح عندنا منه مائة ألف كيلو من الكهرباء بآية وقوتها تساوي (١٣٣) ألف حصان وما هذا كله إلا من الهيدروجين الذي في ملقعة الشاي ، ماهو الهيدروجين في تلك الملقعة ؟ إن هو إلا جزء من (٩) من الماء وذلك أن الماء مركب من الاكسوجين والادروجين والادروجين في الوزن لا يساوي أكثر من واحد من (٩) من الاكسوجين إذن تسع ملقعة الشاي هو الذي يطينا قوة (١٣٣) ألف حصان ، فهذا الماء في الملقعة شئ لا يؤبه له فضلاً عن جزء من تسعة من هذا المقدار . إذن الله أتمن القليل وأدهشنا من اتقانه ، واذا كان عمله في القليل فما بالك بالكثير ؟ وهذا قوله تعالى - الذي أحسن كل شئ خلقه - فالقصة لا تمنع الاتقان لأن القدرة والعلم لاحد لهما وهذا على حد قول الشاعر

له همم لامتهى لكبارها • وهمت الصغرى أجل من الدهر

فما قاله الشاعر في مدحوه يقال هنا إن جيع البيوت في العالم سواء أكانت انسانية كبيوتنا أم كانت للحيوان والطير أمقن وأقوى من بيت العنكبوت ، ألا ترى منازل الناس وأجوار الضب والفر والذئب وأضرابها ثم الى أعشاش الطيور التي تبنيها في الأشجار ، فهذه كلها أقوى من بيت العنكبوت ، فهكذا الأصنام وان كانت مائلة أمام الناس يرونها بأعينهم لاقوة ولاعمل لها ونسبة الأصنام من حيث عبادتها الى خالق العالم الحكيم كنسبة بيت العنكبوت الى بيوت الانسان ونحوه ، فبيت العنكبوت اذا نسبنا الى بيوتنا وبيوت حيواننا كان أوهن البيوت هكذا عبادة الأصنام يتوهم الناس أنها تفهم وماهى بنافقة وانما يتخيل عبادها بوجههم نفعا لهم ، فهذا التخيل الذي لا يرى أشبه ببيت العنكبوت من حيث ضعفه لامن حيث حسن اتقانه فهذا مقام وذاك مقام آخر بل اذا تمادينا في الفهم ونظرنا بعين الحقيقة رأينا هذه الدنيا كلها أشبه بالأصنام بل المعبود حقيقة عند كثير من الناس انما هو الهوى ( وبعبارة أخرى ) الناس يحبون الدنيا كاللذات والولد حبا جبا وهذا الحب هو العبادة الحقيقية ، واذا كانت الدنيا لا نبات لها بل هي زائلة بل ظهر كما تقدّم في سورة النور عند قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - أن قطرة الماء فيها جواهر صغيرة تكاد تصل في العذ نجوم السماء التي عرفت في الكشف الحديث ، ومع هذا كله نرى هذا العدد لا يملأ من فراغ تلك القطرة إلا جزءاً واحداً من مئات آلاف آلاف وبناء عليه أصبح هذا العالم عند العلماء عالماً أجوف والمادة فيه تكاد تكون متوهمة . إذن هذا العالم عالم الوهم فليس الحكم على المادّة بأنها كبيت العنكبوت خاصاً بالأصنام بل هذا الحكم يعم المادّة كلها والحياة فيها وهذا هو قوله تعالى - وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو - وقوله تعالى وان الدار الآخرة لى الحيوان - وقوله - كل شئ هالك إلا وجهه -

وأهم ما تقدم أن يت العنكبوت من حيث اتقانه له حكم غيره من حيث ضعفه فضرب المثل به جاء من حيث ضعفه لامن حيث اتقانه وهذا الضعف له نظير في المادّة كلها وفي الأصنام فللمادّة أشبه بالوهم والخيال كما وضع في قطرة الماء في (سورة النور) ولا جرم أن هذا الإيضاح ليس يعقله جميع الناس بل يميزه علم وحكمة لهذا قال تعالى - لو كانوا يعلمون - وقال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - فالجاهل يظن أن ضرب المثل بالعنكبوت أمر سهل لأنه مفهوم والعالم يدرسه دراسة تامّة ويفهم ما كتناه فقال لقد أجبت بما شئني صدري ولكني أريد أن أسألك سؤالاً آخر ، هل قلد الناس نسيج العنكبوت لجأه وإبداعه واتقانه وهندسته . فقلت نعم فقد جاء في جملة « كل شيء » مانسه (شكل ٢٠)

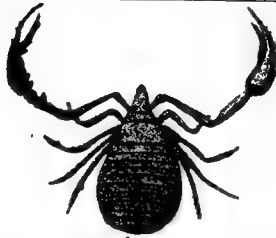
### ( محاكاة الطبيعة )



( شكل ٢٠ - باب من حديد مصنوع بهيئة نسيج العنكبوت )  
كل منا يعرف نسيج العنكبوت ويحب به كما أننا نضرب المثل به في الضعف والوهن ولكن أحد الصناع الانجليز رأى أن يقلده فصنع باباً من الحديد بهيئة نسيج العنكبوت وعرضه حديثاً في لندن فقال إعجاب كل من رآه .

### ( لطيفة )

لقد تقدّم في (سورة الفرقان) عند قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديراً - أن العنكبوت تأكل الذباب وبهذا يتخلو الجوّ للإنسان والحيوان . إذن العنكبوت نافع للزراعة لأنه آكل الحشرات ذباباً وغيره فاقراً هذا الموضوع هناك ، وأني أزيد المقام حكمة بما رأيته اليوم من أن العقارب التي شاركت العنكبوت في أرجلها الثمانية وفي الهيئة شاركتها أيضاً في قتل الحشرات فانظر (شكل ٢١ في الصفحة التالية)



( شكل ٢١ - صورة عقرب تأكل العث والسوس )

و هذه عقرب صغيرة تعيش بين الأوراق والكتب والأخشاب في البيوت القديمة وقنات بالعث والسوس وسائر الحشرات التي تأكل الثياب والأقنعة والأوراق لها ثمانية أرجل مثل سائر العقارب ولها كلابتان اذا قبضت بهما على الحشرة أزهدتها ، وهي تبيض نحو (٢٠) بيضة تحملها في طية من طيات بطنها حتى ينقف البيض وتخرج الصغار - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

والى هنا انتهى القول في السؤال الأول وما ترتب عليه من الشروح في الحشرات والعنكبوت فقد اكتملت أما جوابي لك أيها الأخ عن السؤال الثاني وهو لماذا أراك تشرح هذه الحيوانات هنا وهل هذا يوافق مساق الآية ؟ فاني أقول لك ما الذي دعاك الى هذا السؤال ؟ فقال غيبي عليك لأني رأيت أن هذه العالوم أنتمفرم بها ومساق الآية لا يعطى ذلك ، انما مساقها لهم عباد الأصنام وأن عقولهم وقفت عند أمر ضيف كضيف نسج العنكبوت ، وما مثلك في هذا إلا كاجابه في ( الاتقان في علوم القرآن ) للعلامة السيوطي أن العلامة الرازي غلب عليه أقوال الفلاسفة فأكثر منها وقال أبو حيان في ( البحر ) جمع الرازي كل شيء إلا التفسير وهكذا أبو حيان نفسه وقع فيها وقع فيه الرازي فقد غلب عليه قواعد النحو ومسايله فأكثر من ذلك كالواحدى في السبعا والزجاج ، ثم إن التعلي غلبت عليه الأخبار ، والفقيه يكاد يجعل القرآن كله للفق كالتقطبي ، فاني أخاف أن تفسيرك يكون بحسب ما غلب عليك واشتهر عنك في كتبك . فقلت له أما من ذكرت من الشيوخ فهم أسانفتنا ولولا هم ما علمت شيئا . وأما قولك ان تفسيرى خارج عن مساق الآية فهذا هو الذى أجيبك عنه وستعلم أن هذا زمان ظهور الحقائق القرآنية ، فاعلم أيديك الله أن مساق الآية كما ذكرت أنت انما هو تشبيه هؤلاء الكفار من حيث انهم اتخذوا غير الله لها بالعنكبوت اتخذت بيتا ، ولا جرم أن بيت العنكبوت بالنسبة لبيوتنا كعدم الوجود له ، وما مثل العنكبوت بالنسبة للنازل في القرى والمدن أولا هرام بمصر الذى يقارع الأجيال وهو باق على كرامه هو إلا كنسبة العدم للوجود ، واذا كان نور الشمس لما وزناه في سورة الأنعام بنور أضعف الكواكب بلغ مئات ألوف ألوف الألوف فهكذا هنا نسبة الهرم الى بيت العنكبوت أبعد وأبعد جدا ، إذن عقول هؤلاء الكافرين بعبادتهم الأصنام أصبحت نسبتها الى من يعرف الله ويدرك مصنوعاته كنسبة بيوت العنكبوت الى اهرام الجيزة بمصر ( وبعبارة أوضح ) ان عقول الكفار لما وقفت عند المنحوسات وانحصرت فيها وعبدت الأجسام وانحصرت وانحسرت في صور محدودة وهياكل معدودة كانت نسبتها الى عقول الأنبياء والحكماء والأولياء كنسبة بيوت العنكبوت الى أقوى الأبنية أو كنسبة أضعف كوكب الى ضوء الشمس القوي شبه به الرسول ﷺ فيقول في القرآن - وسراجا منيرا - فإذا ن تكون المسألة راجعة الى قوله تعالى في سورة أخرى - أتعتبذون ما تعتدون والله خلقكم وما تعملون - فأول الآية يمثل انحصار العقول وغفلتها بالوقوف على ما عتته الناس وآخروها يمثل انطلاق العقول الى باحات الجبال واشراقها بإدراك سر هذا

الوجود بقدر الطاقة البشرية . إذن أصبح هذا التمثيل داعيا الى اطلاق العقول وعدم حبسها في أشياء خامة بل يراد بذلك درس هذه الموجودات لمعرفة مبدعها وارقاء العقول في هذه الدنيا ونظام المدن ، فاذن هذا المثل حوى ﴿ أمرين ﴾ - صنع الله الذى أتقن كل شئ - وصنع المخلوق الضعيف ، صنع الله هو الذى يجب البحث فيه ووقوف العقل عند حد مخصوص هو الذى يظم ، فالنفوس التى وقفت عند عبادة الأصنام نفوس ضعيفة فآراؤها أشبه بيت العنكبوت بالنسبة لأقوى الأبنية فهى لاهحلة واهية ذاهبة ، واللبيل على ذلك أن كفار مكة لما جاء الاسلام خضعوا له طوعا قهرا فليلهم وكرها لا أكثرهم فهم اتخذوا ما يشبه بيت العنكبوت فلم يحفظهم بل غلبهم المسلمون في الحرب وهكذا يوم القيامة يعذبون ، وهكذا ترى المسلمين في العصر المتأخرة ناموا وعكفوا وجعلوا كل شئ في الدين فضلهم الفرجة في السياسة وفي الحروب

والحاصل أن كل من وقفت عقولهم وجدوا فانهم لاهحلة مقهورون فللدار على العلم في كل موطن في الدين والدنيا ، فاذا رأينا العلوم في هذا الزمان قد جلت الناس وألبستهم وأطعمتهم فمن ترك ذلك فهو كالعنكبوت اتخذت بيتا ، واذا رأينا المسلم يقرأ في علم التوحيد كليات جدلية ويقتصر على الفقه ويترك مواهب وعقله وتفكيره ونعمته رب في سمواته وأرضه وحيوانه وحشرات عكبوتيه وهوائه ومائه وهو يرى الأمم تحيط به وتعلم هذا كله ثم هو لا يفكر قلنا إن مثله كمثل العنكبوت وهو آثم لأنه ترك ما يجب عليه إما وجوبا عينيا أو وجوبا كفايا إن هذا المثل عجيب جدا وكيف لا يكون عجيبا وهو قد ذكر بيت العنكبوت والعنكبوت في بيت العنكبوت شبه به الأصنام المعبودة والعنكبوت نفسها من صنع الله وصنع الله يطلب النظر فيه شكر الله وتوحيده له ، ومن أعجب وأبداع ما صنع الله خلق العنكبوت ، فانظر فها أنت ذا رأيت عجائبا ، رأيت مراكبا وطيارا تنام ومساكنها وقناطرها فكيف كان هذا الحيوان الضعيف قد أتم الله خلقه وأكمل صنعه وجعله آية للعالمين وكيف كان أعجوبة الدهر ومثال الجبال والكمال وكيف اخترق الأفاق في الهواء بصناعاته وأبداع منسوجا خيوطه خارجات من جسمه بلا إرشاد مرشدين ولا تعليم معلمين فساح في الهواء وجرى على الماء وبنى القناطر وربى الفرية وطارد الجيوش الجبرارة من الحشرات فاقتنصها وأراح منها زرعنا اللهم اشهد

إني أسجل على المسلمين جهاهم بهذه المصنوعات التى صنعتها والجهانب التى أبدعتها والطرق التى لنا أهديتها . اللهم إنك أنت الجليل الذى أبدعت الجبال وأظهرته في هذه الحشرة التى أتقنت الصنعة وأحكمتها والمسلمون لا يصلحون . اللهم إني أذكر بهذا التفسير كل من اطلع عليه أن يبين للمسلمين حكمة ربهم وصنعه ويفهمهم انه لا معنى لشكرك الله ولا لطلب الله ولا للاعتناء بآيات الله إلا بهذه العلوم ومعرفة

انظر كيف كان المثل مضروبا لسخافة عقول الكافرين المحصورة بقاء فيه الأعران بيت العنكبوت ونفس العنكبوت . ولما كان النظر في أمر العنكبوت نفسها لا يخطر بالبال بل يقول الانسان إنه خارج عن الموضوع أفاد ذلك فقال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام ، فهو يقول إن العلماء هم الذين يفهمون هذه الأمثال ، ومعنى هذا أن العلماء بهذه العلوم كالخشرات مع ما ينضم اليها هم الذين يقولون هذا المثل والافلاذا يأتي بهذه الجلة بعد مسألة العنكبوت ، ولماذا يختص هذا المكان بأن هذا لا يعقله إلا العالمون ( بكسر اللام )

اللهم إن المثل من حيث انه يراد به أن الأصنام كيت العنكبوت واضح للصبيان والمجاهر لا يحتاج الى علماء ولا حكماء ، ثم زاده لإيضاحا فقال - خلق الله السموات والأرض والخلق - وأتبعه بذكر انه آية للمؤمنين ثم تلاه بأمره بتلاوة القرآن وبالصلاة لماذا يصل لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والفحشاء والمنكر بختان القلب من معرفة جمال هذه المصنوعات الإلهية وأعقبه بقوله - ولذكر الله أكبر - ومعلوم أن التفكير في الصنعة أشرف الذكر وهو الذى رمز له بالعنكبوت ونسجه

هنا تبين الأمر وظهر فكأنه يقول هذه الأصنام المصودة تشبه بيت العنكبوت لانبثا لها والذي ينفع الناس هو النظر في السموات والأرض ويمثل ذلك كله نفس الحشرة ، فالحشرة العنكبوتية في المثل من أبدع ما خلق الله في السموات والأرض ودقة نسجها وعجائب صيدها وقصصها وإتقان التددالي في جسمها حتى تخرج خيوطا وغير ذلك دال على جلال الصانع وحكمته ، فالمثل فيه ضعف الصنعة وإتقانها ، ضعفها من حيث مقارنتها ببيت الناس وإتقانها وقوتها من حيث نظام الله العام ، ولا جرم أن هذا لا يعقله إلا العلماء والجهلاء يكفون بظواهر القول

الله أكبر ، الله أكبر ، جلّ العلم الذي أَرانا أن هذه الحشرة خلقت لتأكل الحشرات الضارة بزرعنا وهي تكون غودجا لما يفعل الله في الأمم ، إن الأمم التي قتلْ فائدتها في الوجود وإن كثرت سلاحها ومحت أجسامها لابد من سقوطها كدولة الرومان وكدولة الأندلس الإسلامية التي غاب عنها عقلها وعلمها وعشقت الشر وحده وكان الرومان قد شرهوا وقتلهم الترف والبطنة فأخذتهم الأمم وإن كانت عندهم الأسلحة وافرة وهانحن أولاء نرى الأمة العربية كيف فتحت مصر بألاف تعد على الأصابع مع قلة العدد والعدد وقد كان في مصر مائة ألف من الجند الروماني فضلا عن جنود القبط بمصر مع وفرة العدد ، إن الله جعل الأمم التي يقتل نفعا أشبه بالذباب فهي مهما كثرت جيوشها وعددها مقهورة مصروعة مخذولة بأمر أقل منها سلاحا كما ترى في العنكبوت الذي قات عيونه وفي الذباب الذي تعد عيونه بألاف

فلما سمع صاحبي هذا قال الحمد لله الذي نعمت تم الصالحات ، أما أنا الآن فأني أعتقد أن هذا من أسرار القرآن التي كانت مخبوءة لهذا الزمان ويظهر لي أن هناك ما لا يتناهى وقد حجب عنا لقوم بعدنا ، لقد ذكرني هذا ما في (كتاب الاقان) للسيوطي الذي حدثت عنه آقا فانه جاء فيه ما يأتي في النوع الرابع والستين « إن المهجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية وأكثر معجزات بني اسرائيل كانت حسية لقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لأن هذه الشريعة باقية نفست بالمعجزة العقلية لبراها ذنوب البصائر كما قال ﷺ (ما من نبي إلا أعطى مأملة آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا) أخرجه البخاري \* قيل ان معناه أن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وأخباره بالمفنيات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه » انتهى من كتاب الاقان

قال صاحبي بعد أن قص ما تهتم ، فأنا أرى أن ما تذكره أنت في التفسير من الذي لم يظهر إلا في العصر الحاضر ، كيف لا ونحن نرى أن مثل العنكبوت ما كان ليحتمل هذا كله ويدخل في أبواب العلوم والزراعة والسياسة وفوق ذلك . يستبين في هذا التفسير أن المثل مقصود به ذلك بديل انه قال - وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام وهذا بلا شك يفيدنا أن ما ذكرته أنت من العلم في تفسير الآية كله مقصود القرآن ، فقلت الحمد لله الذي نعمت تم الصالحات اهـ

(الطليقة الثانية في قوله تعالى - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر -)  
قد مر الكلام عليها في (سورة البقرة) عند قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى - ولكن أذكر هنا جوهره وهي

(جوهره في قوله تعالى - وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - وفي حكم خطرت لي في الصلاة صباحا يوم السبت ٢٠ يوليو سنة ١٩٢٩)  
إن هيئة الصلاة في ديننا الاسلامي موافقة أيما موافقة لهذه الدنيا فإنا نرى ليلا ونهارا وشروقا وغروبا

فإذا كان النهار سقى الناس لمعاشهم وتردّدوا في مهامهم ، وإذا كان الليل استراحت أجسامهم وسكنت حركاتهم فهكذا في الصلاة يقول المصلي - إياك نعبد وإياك نستعين \* أهدنا الصراط المستقيم - الخ إذن المصلي يعبد ويستغنى بربه في كل شيء فهذا أشبه به أثناء النهار وهكذا يقول ( رب اغفر لي وارحني الخ ) وذلك بين السجدين فهو في هاتين الحالتين عامل كعمل الناس نهارا وليلتك تسمعه يقول في الرفع والاعتدال ( اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا منقطع لما منعت ، ولا راد لما قضيت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ) ويقول في الركوع ( خشع لك سمعي وبصري الخ ) وفي السجود ( سجد وجهي للذي خلقه وصوّره وشقّ سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين ) فهو في هاتين الحالتين مابين واصف للنظام الجليل في جسمه وساكن خاشع لاطلب له ولا عمل ، ففي الأحوال الثلاثة للمصلي قد سكن لعمل ربه في سمواته وأرضه وفي أعضائه جسمه ، إذن هو مستغرق في ذلك الجلال فهو يلاحظ الفاعل في فعله فإن رفع رأسه من الركوع تذكّر النعم العامة في السموات والأرض فطن بالحمد عليها وقال ( لك الحمد ملء السموات وملء الأرض الخ ) وليس ينطق بهذا إلا بعد أن بهره جلالها فلم يبق بعد ذلك إلا أن يذيق عن شهود نفسه ويشهد صانع هذه العوالم فيقول ( لا مانع لما أعطيت الخ ) ذلك لأنني لما رأيت أن جسمي ماهو إلا ذرّة من السموات والأرض ونعمتك قد شملتهما سكنت اليك لأنك ترى بي في الدنيا تربية ألهمت المرأة نظيرها في تربية ولدها والاستاذ كذلك في تعليم تلميذه فبينما المرأة تعلم ولدها الجلوس تارة والقيام أخرى إذا هي تلقمه بدهنها تارة وتنيمه في المهد أخرى . وهكذا الاستاذ بينما هو يعطي التلميذ دروسه ويلقنها له من تلقاء نفسه إذا به يقول له فكرفيا لقتك راكتب عليه موضوعا انشائيا . إن نظام الله واحد نهارا وليل وحركات الطفل يتعلم أمه ثم انامته وراحته وعمل التلميذ بنفسه في التعلم ثم إلقاء المعلم له الدرس وراحته عقب الدرس هكذا في الصلاة تسلم لله في الرفع والاعتدال ودهش من نظام السموات والأرض وهكذا تعجب من نظام الجسم في الركوع والسجود واستغرق في ذلك الجلال ثم الاجتهاد في العبادة وطلب الهداية وطلب المغفرة والرحمة في حال القيام وفي الجلوس بين السجدين وملخص هذا كله أن هذه التربية في الصلاة موافقة كل الموافقة لنظام هذا العالم ونظام التعليم في مدارس العالم قاطبة فترية الانسان في صلاته كالترية المدرسية ، فليجعل المسلمون الدروس منتظمة وقتا للجدّة ووقتا للراحة كما تفعل الأم وكما يفعل المصلي إذ يستغرق تارة في جلال الله وتارة يفكر بنفسه ويطلب منه الاعانة ، فإذا وجدنا رجلا ترك العمل وقال اني مستغرق في حب الله وجب تأديبه لأن هذا ينافي التربية ، وإذا وجدنا آخر لا يفكر في نظام هذه الدنيا وجمال خالقها بل أصبح مكبا على عمله قلنا له قد أخطأت ان هنا ليلا وان هنا نهارا وأنت جعلت حياتك كلها نهارا وقد خالفت نظام الصلاة الذي يجعلك تارة مستغرقا في نظام السموات والأرض ونظام جسمك ، وأتوة تستيق فتطلب المعونة والهداية تارة والمغفرة تارة أخرى ، وهذه نفسها حال رسول الله ﷺ ونظام القرآن ، فكان ﷺ يعمل جميع الأعمال ويكل نتائج العمل لله ، هكذا فليفكر المسلمون وليجدوا في أعمالهم على شريعة الأنبياء علما ولا نظاما ولا كمالا إلا أنقوه ثم يلمشون لما تجرى به المقادير ، وهذا هو التوكل بعينه عمل تام واطمئنان قلب لكل مأتى به المقادير انتهى والحمد لله رب العالمين

( اوضح الكلام على الصلاة وانها تنهى عن الفحشاء والمنكر )

اعلم أن العلم الذي ينزله الله على القلوب ككلماء الذي ينزل من السماء على الأرض فكما أن الماء لا تظهر أنواع تصرفاته ولا تفنون أعاجيبه إلا باختلاطه بأجسام النبات والحيوان ونحوهما ، فهكذا الوحي الحق الذي ينزل على الأنبياء لا تظهر فنون أعاجيبه ولا منوفا سكمه إلا بأن تتناولها عقول العقلاء وتفكر في معانيه . إذن تظهر أعاجيبه وتبتهج بها القلوب . ومسألة الصلاة في الآلة وانها تنهى عن الفحشاء والمنكر يعوزها البحث والتدقيق في آراء حكماء الأمم المختلفة من اليونانيين والاوروبيين وحكماء الهند وحكماء الاسلام . فإذا درسنا



ماقاله هؤلاء في هذا الموضوع استخرجنا منها خلاصة انتفعنا بها في فهم هذه الآية . ومتى تم ذلك لنا أدركنا سر نهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر لأن القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . وعليه تكون آراء الفلاسفة في جيع الأم أشبه بتفسير القرآن لأنه آيات بينات في صدورهم . وعليه يجب على المسلمين أن يفوقوا الأمم في الفلسفة حتى يظهر سر هذا الدين الذي لا تظهر عمرته حتى ظهورها إلا بدراسة علوم الأمم المعبر عنها بالآيات البينات في صدور الذين أوتوا العلم واذن فلنبدا بدراسة حكماء اليونان فنقول . اقرأ ما تقدم في (سورة الشعراء) عند قوله تعالى - واذا مرضت فهو يشفين - إذ ذكرت هناك عن طبائوس الحكيم أمراض البدن وأمراض النفس وأن الثانية تابعة للأولى وأن أمراض النفس (ثلاثة أقسام) فمنها ما ينبع لإفراط اللذة وما ينبع إفراط الألم وما ينبع إفراط الأخلاط كاللرارة والبلغم لأنها تغطي سر بيان النفس في البدن فيكون ذلك سببا للتهور والجبن وجود القريحة والنسيان وهكذا

وملخص كلامه أن الشر غير اختياري وله (علتان) فساد المزاج وسوء التأديب ولا سبيل للخروج من هذه المأزق إلا بحفظ النفس والبدن معا وذلك برياضتهما معا وريضة البدن بالحركات البدنية وريضة النفس بالموسيقى . هذا ملخصه فأقرأه هناك

واذاشرت الى آراء علماء اليونان فلا تبعه بآراء علماء أوروبا وهو ما تقدم في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - ولا تقربوهن حتى يظهن - وهذا نص ما ذكره العلامة (بنظام) الانجليزى في أصول الشرائع (ان هناك علاقة بين نظافة الجسم واعتدال الملكات النفسية وهذا الارتباط لاحظته كثير من المؤلفين فان النظافة تبعد الكسل وتحمل المرء على التحرز في أفعاله والتحكم بالوقوف في أطواره والرابطة بين نظافة الجسم وطهارة النفس شديدة جدا حتى إن شرائع المسلمين حثت عليها حثا كليا وجعلتها من الواجبات الأولية وقد ذكر في نفس كتابه أن هذا من محاسن الدين الاسلامي وقد رتب على هذا (أمرين) وجوب نظافة المسجونين ووجوب وضهم في عمل من الأعمال لأن المذنبين عنده هم القنرون أجساما الذين لا عمل لهم ، فنى نظفوا وعملوا قلت جرائمهم . انتهى ما نقلته عن بنظام الانجليزى

وأما ما قاله علماء الهند فذلك انى قرأت في كتاب (راجا يوقا) المترجم من الهندية الى الانجليزية سنة ١٨٩٥ وسنة ١٨٩٦ أن الانسان يجب عليه أن تكون له روضة خيالية بحيث يتذكر في كثير من الأوقات الصور الجلية التي لا تبتسر شهوة يريد بذلك الأزهار والكواكب وجمال الابداع والنظام وأن ذلك يقوى النفس ويرقيها . وأما ما قاله علماء الاسلام فهو ما ذكره الصلاة ابن سينا في أواخر كتاب الاشارات أن الذي يرقى بالنفس الى معاليها الصوت اللطيف والعشق العفيف والعبادة مع الفكر ، ومعنى العشق العفيف عشق الصفات والكمال والأخلاق لا عشق الصور . هذا ما أردت نقله لأشرحه فأقول

تبين من هذه الأقوال أن هذه النفس مع الجسم لا يتركان سدى ، ذلك انها تتجا من عوالم كلها متحركة فلا تكتفى بالحركات للعوالم العالوية لا تنفرد لحظة والسماوات المرسلات أولواها لانام والعالم كله حركة ونظام ، فهنا نفس وهنا جسم يطلبان كمالهما ، فأولا لابد من النظافة كما قال (بنظام) وهذه النظافة قد أصبحت ركنا في تربية الأمم وتعليم المسجونين لتدفع عنهم الكسل وسوء الخلق وبها تقل الجرائم والذنوب وهذا السر ظهر في قوله تعالى - إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين - لأن بين التوبة والطهارة علاقة متينة كما تقدم ، ثم إن الصلاة أقوال وأفعال مفتحة بالتكبير مختمة بالتسليم وهذه الأفعال حركات وهذه الأقوال دالة على معان . فهنا رياضتان لطيفتان رياضة جسمية وريضة عقلية . واذا وضعت قول ابن سينا مع قول طبائوس الحكيم تتج لنا أن رياضة النفس لا تقتصر على الموسيقى كما قاله طبائوس بل تشمل الفكر الذي تحويه العبادة كما قاله ابن سينا وتشمل الصور البهجة السالوية كما قاله علماء الهند وعليه تكون الصلاة ميذا

(لأمرين) رياضة البدن ورياضة النفس فكل منهما لا بد له من حركات والصلاة اشتملت على مبادئهما فإذا أتمَّ المسلم الصلاة فليتم رياضة الجسم بكسب المعاش أو يطمش نجوساعتين كل يوم كما يقول الأطباء في زماننا . فإذا كان الطيب يأمرنا بالمشي الذي لا تقبل فيه فهذه الصلاة اجتمع فيها حركة الفكر وحركة الجسم وهذا أفضل . ألا ترى إلى ما يقوله علماء الطب وقد تقدم في هذا التفسير أن التمارين الجسمية والألعاب الرياضية التي شاعت في الأمم الآن أدنى مراتب الرياضة البدنية لأنها لا تفكر معها . فأما العمل في البساتين والحقول فإنه أعظم الرياضات ويليه المشي وأفضل الجميع تلك الألعاب

إن من ظهر أن الصلاة أعطتنا (درسين) درس رياضة الجسم ودرس رياضة النفس ومتى انتظم هذان الأمران أصبح الإنسان قليل الذنوب قليل الشرور فإن الشرور لا تنجم إلا من قذراً لأجسام والطهارة في الصلاة تمنع ذلك ومن عدم الرياضة البدنية والرياضة النفسية كما قاله طباطبائي وهاتان الرياضتان اشتملت عليهما الصلاة بحركات الجسم وحركات النفس إذ يقف المسلم فيفكر في السموات والأرض حين يقرأ - وجهته وجهي للذي فطر السموات والأرض - الخ فهنا تحضر في نفسه تلك العوالم الجبلة فتقوى روحه وتشرح صدره وهكذا يفكر في العوالم العلوية والسفلية عند آية - الحمد لله رب العالمين - ويتعجب من الرحمة الواسعة عند قوله - الرحمن الرحيم - وهذه الرحمة لا تحدها في كل حشرة وطير وأنعام . وهكذا يفكر في خلق جسمه وأعضائه وسمعه وبصره عند الذكر في الركوع والسجود إذ يقول (خشع لك سمعي وبصري الخ) ويقول (سجد وجهي للخ) فإذا أتمَّ المسلم صلاته اتجه للأعمال في حياته الدنيوية فتكون على منوال ما في الصلاة وتنصرف نفسه للعمل الجسمي والعمل العقلي وهناك تنصرف عن الشر إلى الخير

(بهجة هذا المقال)

اعلم أن أفلاطون في جمهوريته يقول (إن حكام الجمهورية لا يكونون عادلين إلا إذا اغتضت عيون بشارتهم ولا يتم ذلك إلا بشق العلوم والمعارف لأن النفوس مغرمة بالشهوات البدنية أولاً وبالنائات كالطعام والملابس والمشرب والشهوات الغضبية كالفتن بالأعداء ، فهاتان القوتان هما المسيطرتان على نفوس الناس فإذا لم يفتح للحكام باب الذة العقلية يشقى العالم فانهم لا عمالة ينصرفون إلى اللذتين السابقتين فيشاركون المحكومين لهم في أعراضهم وأمورهم ، ولا يخرج للحكام من ذلك الظلم إلا بتلك الخلة الشريفة) هذا ملخص كلامه في جمهوريته

وأنا أقول (إن ملخص الصلاة مفتاح لجميع العلوم فاقراء فما كتبناه في (سورة آل عمران) فإن المسلم في الرفع والاعتدال يذكر السموات فيقول «مل السموات ومل الأرض ومل ما بينهما الخ» وعند الركوع والسجود يفكر في أمر جسمه وتشر به . فإذا كان المسلم في كل يوم يتذكر هذه العوالم فليس لهذا معنى إلا حب البحث فيها وهذا هو الذي يخرج نفسه من حبس الشهوتين إلى حب العلم وهو صفة القوة العاقلة كما يقوله أفلاطون الله أكبر . ظهر سر هذه الآية الآن . فالنظافة تمنع الذنوب وأذكر الصلاة تفتح أبواب العلم المانعة من الشهوة والغضب وهكذا ، فظهر إذن قوله تعالى - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - أي بنظافتها وحركاتها الجسمية وحركاتها العقلية

( تطبيق على ما تقدم )

( سبب اسلام الاستاذ عبد الله كويلم الانجليزى )

لقد كان لإسلامه تاريخ وضعه هو في كتاب وقد ذكر لي بعض الأصحاب ملخص ذلك الكتاب . قال « لقد اعتراني مرض فمرضت قضى على الأطباء فقالوا لي لا بد من أنك تسافر إلى أنظار حارة كبلاد الجزائر فتوجه إليها وخالط أهلها فوجدتهم يتوضؤون ويصلون فأعلم ما هذا ؟ فقالوا هذا أمر واجب شرعاً فترك العلة

وأخذ يسأل العلماء عما يفعل المسلمون ففهموه قواعد الدين الاسلامي فدهش وقال يا ههجا ، إن هذا الوضوء خمس مرات في اليوم انما هو نصف اغتسال لأنه غسل أطراف الجسم ولم يبق من الانسان بلا غسل إلا الجذع هنالك أخذ يدرس هذا الدين وقال ان هذه النظافة هي الصحة بعينها وسلامة الجسم بعينه والأطباء يجعلون هذا أول علامة على قوة الأجسام وسلامة العقول ، وما كاد يرجع الى بلاده حتى أخبر زوجته وأفهمها حقيقة الاسلام و بين لها فوائد الاغتسال والوضوء والصلاة والزكاة والصوم والحج وقال ان هذا صالح لرقى الانسانية جمعاء فأسلت معه ، ثم قال لها لنعرض هذا الرأي على فلان وفلانة من أصحابهما فعرض عليهما فقبلا وهكذا اجتمع له من أصحابه طائفة وأعلنوا اسلامهم ، فلما سمع بهم الجيران سطا عليهم الغوغاء وصاروا يقدفونهم بالحجارة ويعبرونهم بأنهم مسلمون ، ولما كان هو من رجال القانون المشهورين رفع دعوى على الملكة فكتوريا يقول فيها أنت ملكة انكثرتا ، فهل ملكك خاص بالنصارى أم هو شامل لأهل جميع الأديان ؟ فما كادت الدعوى ترفع في المحكمة ويصل الخبر الى الحكومة حتى بادرت الشرطة بحفظوا عليه وعلى أصحابه ومنعوا الغوغاء عنهم ،

ثم قال : وبعد ذلك سمع بنا أم الاسلام فأخذوا يرموننا بالنفاق والرياء واتنا انما أسلنا نفث المسلمين باسلامنا فندخلهم تحت حكم دولتنا ، قال قتلنا لهم ، أيها المسلمون . نحن لم ندخلكم تحت حكمنا بنفاقنا بل حكمنا كم بدافنا وجيوشنا ،

هذا ما عرفت من ملخص سيرة الاستاذ (عبد الله كويل) الذي يعتبره الناس شيخ الاسلام في بلاد الانجليز وقد كان اسلامه قبل اسلام صديقنا (الورد هيدلي) الذي كان سبب اسلامه انه قرأ الاسلام والديانات فقرأ خبرها فأسلم ونشر اسلامه في أورو وادعاه الى الاسلام . وقد نقلت من كتابه قطعة في سورة مريم قد ذكر فيها أن الألمان كشفوا سنة ١٩٠٣ كتابة في بلاد العراق ملخصها أن الكشف الحديث أثبت أن الصلب وابن الله البكر وأمثال ذلك ما هي إلا خرافات سرت للأئمة المسيحية من ديانات كانت في العراق وهكذا فافرقوا هناك والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الأحد ٢٩ يوليو سنة ١٩٢٩

### ( الصلاة اليوم في بلاد الاسلام )

لأخص اليوم أيها الذكر عليك قصص ما علمته من الصلاة في بلاد الاسلام وسأجعل ذلك فصولا وهاك بيانها

- (١) فأولا أذكر مدار من الحديث بيني وبين التلاميذ بالمدرسة الخديوية
- (٢) أذكر ما كتبه كاتب انجليزى أيام النهضة المصرية ومطالبة البلاد المصرية بالدستور أيام الخديوى السابى عباس حلمي باشا
- (٣) وحكاية معلم ولّى عهد البلاد المصرية أيام كانت تحت حكم الخديويين
- (٤) وما قصه على أستاذي الشيخ حسن الطويل
- (٥) حديث عن أهل سيلان
- (٦) وما ذكره (هنري الفرنسي)
- (٧) وصدق العلم في الجامع الأزهر ومخالفة العادات في بلادنا لهذا الدين
- (٨) وطريقة الوهاية ببلاد نجد والحجاز

الفصل الأول في ذكر مدار من الحديث بيني وبين تلاميذ المدرسة الخديوية وأنا مدرّس لهم ذلك أتى يوما ما سمعت أن وزير المعارف جمع المدرسين وأخذ يكلمهم في أمور علمية فتصادف أن أحد المدرسين قام ليصل المغرب إذ حان وقت صلاة المغرب فقال ما هذا ؟ أتريد أيها الاستاذ أن تظهر أنك أنت

المتدين ونحن لادين لنا ، ما هذا ؟ ولماذا لا تؤخرها . وقال في مجلس آخر : « إن المصلحين في الاسلام يسهرون الليل ليصادوا وهو مخالف للصحة » فلما سمعت هذا القول خطرتلى أن أحداث التلاميذ في هذا الموضوع فقلت : « أيها الأبناء اتنا اليوم أرقى عن قبلنا فالجدة التي رفع عنا الامر وأزال عنا الضرر فأصبحنا بفضل المدينة الحاضرة أعلى كفا في المدينة وأعز نصرا وأكثر عددا ومالا وولدا ، كيف لا ونحن نحافظ على محتنا وننام طول الليل كما يقتضيه علم الصحة ، أما تلك الطائفة القديمة من أم الاسلام فانهم كانوا لا يحافظون على صحتهم ويسهرون طول الليل تعبدا ويأكلون ما خشن من الطعام ولا يسمعون سعادتنا التي نلناها على يد الاوربيين المتمدينين أولئك الذين فتحوا لنا المطاعم والمشرب وأنواع اللذات فأكلنا وشربنا وتمتعنا بكل لذة وأصبحنا النابغون وغير النابغين في بلادنا يكرهون الجرنهارا جهلنا وهم في فرح وسرور ولا ينهي أحد أحدا ولا ينجعل الشارب ولا الزاني ولا غيرهما ، كل ذلك للحرية الواسعة النطاق بفضل هذه المدينة المباركة »

كل هذا وهم سكوت كأنما على رؤسهم الطير ، ثم قلت ولكن عندى مسألة واحدة وهي كيف نكون نحن على هذا المقام من العظمة والأبهة ونرى اتنا عبيد لكل الأمم فلن جيع أوروبا لها امتيازات عندنا ومن قتل منا لاديه له لأن محاكمهم هي التي تحكم ولا راد لحكمها لضعفنا وقوة تلك الأمم ، أما هؤلاء فقد حكموا أكثر تلك الأمم وهاهنا الجميع . أما أنا الآن فأتى متعجبا في المسألة . أما الرقي فنحن والحمد لله راقون وأما النذل فهو نصينا والعز نصيبهم . ههنا يا أبنائي حارفكري . نحن لا نتقيد بقيد من شرع ولادين ثم نذل وهم لا يتمتعون مثلنا ولكنهم أعزاء فما قولكم ؟ فقام شاب فيهم يسمى (بهنساوي) فقال إنك قد فتحت هذا الباب وقد أثرت في نفوسنا تأثيرا عظيما ولكن هل نظن أن مجلسا واحدا كهذا يغير أخلاقا وعادات وراثتها عن الآباء والأهتات والمدرسين ونظار المدارس . نحن تعلمنا في الابتدائي والاصلا هناك ثم تعلمنا في التجهيزي الآن وها نحن أولاء معك والاصلا أيضا . وكيف نصلي والاصلا عندنا عار . إن التصلي الذي يصلي يسخر من اخوانه ألا وان النساء في المنزل يفعلن ما نفعل تماما . فلراة المصلية يعتونها أقهلن كلالا وشرفا لانتسابها للدين ههناك نظر اليه التلاميذ جميعا نظر الشرر وردوا عليه وقالوا اسكت لقد كذبت في قولك . فقال لهم وهبل تظنون أن الاستاذ لا يعلم ذلك ؟ ألم يرهو المصل هنا وقت الظهر لا يصلي فيها عدد الأصابع من التلاميذ والمدرسة فيها مئات ومئات . فقلت دعوه فقد نطق بالواقع ومقاله هو الذي أعرفه في بلادى

هذا ماجرى بيني وبين التلاميذ بالمدرسة الخديوية في حصة يسمونها المحادثة (أو الانشاء الشفهى) التي يذكر الاستاذ موضوعا يجعله حديثا بينه وبينهم . وبهذا تعرف أيها الذكي حال بلادنا المصرية في هذا الزمان ولقد كان هذا قبل كتابة هذه الأسطر بنحو (١٤) سنة . أما الآن فقد تحولت الحال قليلا حتى ان الشبان جعلوا لهم ناديا سموه « جمعية الشبان المسلمين » وانتشرت هذه الفكرة من مصر الى بلاد الاسلام وأنا والحمد لله صليت معهم وقد أصبح رقيبها بمصر من أحد تلاميذى بالمدرسة الخديوية . ومن عجب انه موقن بالاسلام ومحب للصالح ويصلي بالليل والناس نيام وله حكم عجيبة واسمه (بهجى النردير) وقد مكث في ألمانيا (١٢) سنة يكره من موارد العلم ورجع مغرما بالاسلام غراما لاحظه . انتهى الفصل الأول

### الفصل الثاني فيما كتبه كاتب انجليزى أيام مطالبة بلادنا المصرية بالنسور

ذلك أن البلاد من أقصاها الى أقصاها في أول القرن العشرين تحركت لطلب الحرية الداخلية وأخذت الجرائد في انكثارها تنقل عن جرائدنا ما يقوله المصريون فكتب كاتب انجليزى يقول : « لا يصح للانجليز أن يخرجوا من مصر إلا اذا أصبح الخاصة والسياسيون وأهل الرأى في البلاد في الأخلاق والعواطف كالقلاحين اتنى جبت هذه البلاد فرأيت طبقة القلاحين والجهلاء والخدم عندهم عطف على الأرحام والمساكين وذوى الحاجة ويوقنون بالعقيدة ويخافون ربهم ، أما هذه الطبقة المتعلمة بمصر فانها تفر الدين وتتركه والتلاميذ

دائماً يظلون أساتذتهم والأساتذة ( قسان ) قسم من شيوخ دارالعلوم ، وقسم من متعلمي المدارس الأخرى أما الشيوخ فانهم حين يلقون الدرس الذي لا يلفت إليهم التلاميذ لأنهم يرون ناظر المدرسة لا يبالى بهذه الأمور والعبادات ويضرب بها عرض الحائط وهو لها من الكارهين فكيف نسلم البلاد لأقوام لا خلق لهم ولا كمال ، أقول وهذا مغالطة فإن هذا التحول عن الفضائل إنما جاء لجاراتهم واتباع نصائحهم وكيف يصلى الوزير أو الأمير أمام حاكم إذا رآه كذلك حقاره وأضره له سوء طول الحياة . انتهى الفصل الثاني

### ( الفصل الثالث في ذكر ماقصه على والد أحد المعلمين لولى عهد الخديوى عباس )

قال إن ولى عهد قد اختاره الخديوى مريياً لولى العهد وقد قص على حديثاً فقال : كنت يوماً جالساً مع فيلسوف بوذى عند ناظر مدرسة فرنسي فقدم لنا ذلك الفرنسي القهوة فلم أشرب فسألني ناظر المدرسة قائلاً لماذا ؟ فقلت لأني صائم . فقال وهل أتم لأتزالون خاضعين لهذه الأوهام . أى صيام وأى صلاة . دعوا هذه الأوهام ليرتقى الشرق والشرقيون وما أضر أهل الشرق إلا الأديان ومثلك راق مذهب فليكن أن ننصح أهل بلادك بنبذ هذه الترهات وانظروا إلى أوروبا تركت الدين فليكن رقاب المعلمين . فلما أراد القيام قال له الفيلسوف البوذى قابلي يأسيد أفندي يوم الأحد عند كنيسة كذا . فلما قابله يوم الأحد دخل الكنيسة فرأى قوماً يصلون وبقياً هناك نحو ساعة فلما خرجاً معا قال له الفيلسوف البوذى قد لاحظت هنا شيئاً فقال من أى وجه قال ألم تر ناظر المدرسة يصلى مع الصليين فقال إى وربى إنه لحق فقال أليس هو القائل لك دعوا هذه الخرافات فقال السيد أفندي له نعم فقال أتدري لم قال لك ذلك قال من فك أحلى فقال إن هؤلاء القوم يريدون أن يذموا لنا أديان الشرق لنتركها ومتى تركناها انحلت قوتنا وذعبت رابطتنا وحينئذ يحتلون بلادنا فهؤلاء القوم عقودا الخناصر على هذا فهم له أبداً ساعون . انتهى الفصل الثالث

### ( الفصل الرابع فيما قصه على أستاذى الشيخ حسن الطويل في هذا المقام )

وقبل أن أذكر حديث رجه الله تعالى أقدم مقدمة فأقول

إن البلاد المصرية قد حكمها المرحوم محمد على باشا ولم يكن في البلاد أكثر من ثلاث ملايين وهؤلاء كانوا يصلون ويصومون وكانت المدارس كلها أستاذ أو تلميذ قائمين بشعائر الدين في بلادنا وفى أوروبا وأمكنته بهذا العدد القليل أن يملك بلاد إنجلترا ونجد وأكثر بلاد العرب وهكذا بلاد السودان وزحف بجيوشه على بلاد الترك لولا توسط أوروبا ، فلما مات المرحوم محمد على باشا وإبراهيم ابنه ملك البلاد بعده بعض عقبه ففبروا الأوضاع وترك بعضهم الصلاة واتبعوا الشهوات فأنحلت العصية وكان هذا تمهيداً لاحتلال الإنجليز هذه البلاد . فانظروا حدثني به أستاذى الشيخ حسن الطويل

قال رجه الله تعالى ( لقد كانوا أدخلوني في زمرة الجند وارتقت إلى جاويز وقد كان أستاذى بالأزهر علمنى دعاء أدعوه لتبريج الكرب ، قال فلما كنت بالجيش في الاسكندرية أخذت أقرأ هذا الدعاء وأدعو الله أن يخرجني من زمرة هذا الجيش ، قال وكانت هناك أوامر من الخديوى أن كل من صلى أو أظهر العبادة يعاقب فلما علموا بأنى أدعوا الله بهذا الدعاء أنزلوني درجة وعاقبوني بأن أحل سلاحى وهتادى وأرجع من الاسكندرية إلى مصر ثم رفتنى ، قال رجه الله وقد جهل هؤلاء أن هذا الرف هو مطلوب الدعاء الذى كنت أدعوه )

أقول هذه حال الجيش وحال المصريين بعد أيام المرحوم محمد على باشا فكان ذلك توطئة لما نحن فيه الآن وقد كانت هذه الفكرة آتية لهم من أهل فرنسا إذ قالوا لهم إن الديانات تؤخر الأمم - وحق بهم ما كانوا به يستهزئون - انتهى الفصل الرابع

( الفصل الخامس في حديث محمد بك عراقي نجل المرحوم أحمد عراقي باشا عن أهل سيلان )

لما رجع المرحوم أحمد عراقي باشا الى مصر بعد انقضى وقد هرع اليه الناس يسلمون عليه قالت ابنة ودار الحديث عيننا على أهل سيلان فقال ( إن صلاة الجماعة أمر حتم على كل مسلم والرئيس الديني هناك يتفقد كل مسلم في صلاة الجماعة لهذا تأخر شاب عن الصلاة أحضره أكابر البلد وأنفروه أول مرة فان عاد عادوا الى الانذار فاذا كانت الثالثة حكموا عليه بالاعدام . قلت وهل ينفذ . قال نعم . قلت وماذا يفعل الانجليز ؟ قال لودخل عند ( الملكة فكتوريا ) واحتج بها لأخرجوه وقتلوه ولا يردون أمر الشرع ) فجهبت وكنت أظن أن بلادنا اذا تركت الصلاة فما هو إلا مجارة للأوروبيين وانن تمثت بقول من قال  
دواؤك فيك وماتشعر • ودواؤك منك وماتبصر

( الفصل السادس فيما قرأته في كتاب « خواطر وسوانح في الاسلام » للصلاة ( هنري

الفرنسي ) الذي ترجمه المرحوم الاستاذ فتحى باشا زغلول )

قال كنت ضابطا على جنود من أهل الجزائر وكنا يوماسافرين لأعمال الدولة ، قال فيينا الجندي راكبون وهم ينفون غناء عربيا ويشيرون نحوى بالحجة والاحلال في أثناء التفعات اذا بالعصر قد حضرت صلاته فترجلوا عن خيولهم وزلوا واستقبلوا القبلة وقالوا بلسان واحد ( الله أكبر ) فسمعت كأن الخيل والجمال والأودية والأنهار والرمال كلها تقول ( الله أكبر ) واعتراني الخجل أن أسمع قوما كهؤلاء يطمعون الله ويقولون في أنفسهم اننى كافر بالله فكذبت أنطق وأقول لهم يقوم أنا أيضا أعبد الله . قال وهناك تغيرت حالى وأخذت أبحث في دين الاسلام وتوجهت الى المساجد فوجدت عليها نورا وبهجة وجالا وبسة تشرح الصدر فأخذت أدرس هذا الدين فراغنى جلاله وبهجته ، ولولا ضيق المقام لقلت منه فضولا نليق بالمقام ولكن عسى أن أذكره في مقام آخر . انتهى الفصل السادس

( الفصل السابع والثامن في صدق العلم في الجامع الأزهر ومخالفة العادات لحقائق الدين في

زماننا وفي طريقة الوهاية بلاد الحجاز وبعض بلاد الاسلام )

اعلم أن ماسمعه الآن عن بلاد ( سيلان ) له نظير في بلاد ( بلوخستان ) فلقد قرأت في بعض الجرائد عن سائح ألماني قال ( لم أجسد سعادة أوفى ، ولاعزا أبهى ، ولاكلا أرفع ، ولاراحة أعظم ، مما رأيته في بلاد ( بلوخستان ) قال فهوؤلاء يصيدون الله على مذهب الامام الشافعي ، فاذا كانت صلاة الصبح حضر الرجال والنساء والصبيان الصلاة وأخذ الاستاذ يلقى النصائح الدينية ثم اذا طلعت الشمس رجعوا وهم مستبشرون ) قال ( والمرأة هناك مكبة على عملها قائمة بالواجب لميها يتنهانظيف وعرضها نظيف وزوجها غفيف ولم نسمع بالزنا في بلادهم سنين وسنين بخلافنا نحن فقد يجد الرجل منا أن ابنة يشبه جاره ولايقدر أن ينسب بنت شقة . وأقول ثم إن الوهايين بنجد والحجاز اليوم يقيمون الصلاة في أوقاتها وهم بالدين موقنون ، واعلم أن هذه كلها تدرس في الجامع الأزهر الشريف ، ولكن الطالب الذى يقرأ هذا في درسه يخرج فيجد عادات بلاده تخالفها في زماننا فلايقدر على تغيير الأحوال فيصبح على طبع أهل بلاده )

هذا ما أردت ذكره في هذا المقام تبصرة وذكرى لأولى الألباب والحمد لله رب العالمين . انتهى يوم الخميس ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٩

( الأحاديث النبوية في فضائل الصلاة )

جاء في كتاب « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي مائة

( فضيلة المكتوبة )

قال الله تعالى - إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا - وقال ﷺ ( خمس صلوات كتبهن

الله على العباد فمن جاء بهم ولم يضع منهم شيئا استخفافا بحقهم كان له عند الله عذاب أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهم فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة ﴿ وقال ﷺ ﴾ مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بياض أحدهم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك بقي من درته قالوا لا شيء قال ﷺ ﴿ فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء النرجس ﴾ وقال ﷺ ﴿ إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر ﴾ وقال ﷺ ﴿ بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما ﴾ وقال ﷺ ﴿ من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يصب الله بشئ من حسناته ﴾ وقال ﷺ ﴿ الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين ﴾ وسئل ﷺ أى الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقبتها ﴿ وقال ﷺ ﴾ من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقبتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان ﴿ وقال ﷺ ﴾ ﴿ مفتاح الجنة الصلاة ﴾ وقال ﴿ ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فنهى راعى ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد ﴾ وقال النبي ﷺ ﴿ من ترك صلاة متعمدا فقد كفر ﴾ أى قارب أن ينحط عن الإيمان بالخلل عرويه وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة أنه بلغها ودخلها ﴿ وقال ﷺ ﴾ من ترك صلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام ﴿ وقال أبو هريرة رضى الله عنه ﴾ من نأى فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى الصلاة فانه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وأنه يكتب له إحدى خطوبته حسنة وتغفر عنه بالأخرى سيئة ، فإذا سمع أحدهم الإقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فإن أعظمكم أجرا أبعدكم دارا ، قالوا لم يا أبا هريرة قال من أجل كثرة الخطأ ، ﴿ ويروى أن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فإن وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وإن وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله ﴾ وقال ﷺ يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحسب ﴿ وقال بعض العلماء مثل المصلى مثل التاجر الذى لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلى لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة ﴾ وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول ﴿ إذا حضرت الصلاة قوموا إلى ناركم التى أوقدتوها فاطفئوها ﴾

### ﴿ فضيلة إتمام الأركان ﴾

قال ﷺ ﴿ مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى ﴾ وقال يزيد الرقاشي ؓ كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنها موزونة ، وقال ﷺ ﴿ إن الرجلين من أمتي ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإن ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض وأشار إلى الخشوع ﴾ وقال ﷺ ﴿ لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده ﴾ وقال ﷺ ﴿ أما يخاف الذى يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار ﴾ وقال ﷺ ﴿ من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ، ومن صلى لغبر وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سواد مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه ﴾ وقال ﷺ ﴿ أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته ﴾ ﴿ وقال ابن مسعود رضى الله عنه وسلمان رضى الله عنه ﴾ الصلاة مكيل فمن أوفى استوفى ومن طلف فقد علم ما قال الله في المطفئين ﴾

### ﴿ فضيلة الجماعة ﴾

قال ﷺ ﴿ صلاة الجماعة أفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ﴾ وروى أبو هريرة أنه ﷺ فقد ناسا في بعض الصلوات فقال لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخاف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم ﴿ وروى رواية أخرى ثم أخاف إلى رجال يتخلفون عنها فأمر بهم فتنحرق عليهم بيوتهم بحزم

الطلب ولعلم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرمايين لشهدها يعني صلاة العشاء • وقال عنان رضى الله عنه  
 مرفوعا ﴿ من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة ﴾ وقال عليه السلام ﴿ من  
 صلى صلاة في جماعة فقد ملائحة عبادته ﴾ • وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا  
 وأنا في المسجد • وقال محمد بن واسع ﴿ ما انتهى من الدنيا إلا ثلاثة ، أنا إن تقوحت قومي ، وقوتا من  
 الرزق عفوا بغير تبعة ، وصلاة في جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها ﴾ • وروى أن أبا عبيدة بن  
 الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان فى آفأ حتى أريت أن لى فضلا على غبرى لأؤم أبدا  
 • وقال الحسن ﴿ لاتصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء ﴾ وقال النخعي ﴿ مثل الذى يؤم الناس بغير علم  
 مثل الذى يكيل الماء فى البحر لا يدري زيدته من نقصانه ﴾ وقال حاتم الأصم « فانتفى الصلاة فى الجماعة  
 فضأتى أبواسحق البغارى وحده ولومات لى ولد لمرأتى أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون  
 عند الناس من مصيبة الدنيا » وقال ابن عباس رضى الله عنهما « من سمع المادى فلم يجب لم يرد خيرا ولم  
 يرد به خير » وقال أبوهريرة رضى الله عنه « لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خيرا له من أن يسمع النداء  
 ثم لا يجب » • وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له إن الناس قد انصرفوا فقال - إنا لله وأنا  
 اليه راجعون - ففضل هذه الصلاة أحب الى من ولاية العراق • وقال عليه السلام ﴿ من صلى أربعين يوما  
 الصلوات فى جماعة لا تقوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار ﴾  
 ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحضر قوم وجوههم كالسكوب الذى ترى فتقول لهم للملائكة ما كانت أعمالكم ؟  
 فيقولون كنا اذا سمعنا الأذان قمنا الى الطهارة لانشطنا غيرها ، ثم نحشر طائفة وجوههم كالأقار فيقولون  
 بعد السؤال كنا تنوضا قبل الوقت ، ثم نحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان فى المسجد  
 • وروى أن السلف الصالح كانوا يميزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتهم التكبيرة الأولى ويميزون سبعا اذا  
 فاتتهم الجماعة

### ﴿ فضيلة السجود ﴾

قال رسول الله ﷺ « ما تقرب العبد الى الله بشئ أفضل من سجود خنى » وقال رسول الله ﷺ  
 « ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة » وروى أن رجلا قال لرسول الله  
ﷺ ادع الله أن يجعلنى من أهل شفاعتك وأن يرزقنى مرافقتك فى الجنة فقال ﷺ أعنى بكثرة السجود  
 • وقيل ﴿ أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا ﴾ وهو معنى قوله عز وجل - واسجد  
 واقرب - وقال عز وجل - ساجد فى وجوههم من أتر السجود - فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض  
 عند السجود • وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح • وقيل هى القرراتى  
 تكون فى وجوههم يوم القيامة من أتر الوضوء • وقال عليه السلام « اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان  
 يبكى ويقول يا ويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فصيت فى النار » وروى  
 عن على بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد فى كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجادة • وروى  
 أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب ، وكان يوسف بن اسباط يقول ﴿ يا معشر  
 الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فمابقى أحد أحصده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بينى وبين  
 ذلك ﴾ • وقال سعيد بن جبيرة ما سئ على شئ من الدنيا إلا على السجود • وقال عقبة بن مسلم « ما من  
 خصلة فى العبد أحب الى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل ، وما من ساعة العبد فيها أقرب الى  
 الله عز وجل منه حيث يحضر ساجدا » وقال أبوهريرة رضى الله عنه ﴿ أقرب ما يكون العبد الى الله عز وجل  
 اذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك ﴾



هذا نص مبالغ في (الإحياء) ومعلوم أن في الإحياء أحداث ضعيفة ولكن أجاز العلماء إيراد الضعيف في فضائل الأعمال اهـ

### ( الفاتحة وعلوم الحكمة )

( سابعة يوم السبت ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٩ هـ )

لم يكن ليخيل الى يوم ما أن تصبح الفاتحة بالنسبة للقرآن ولعلوم أهل الأرض أشبه بغير المقولات بالنسبة لعلوم الحكمة ولكن هذا الملاحظ فجأتني اليوم مفاجأة بهجوم عقلي أوجب عليّ أن أشرحه فأقول  
إني لأعلم أن النادر من قراء هذا التفسير يعرفون المقولات لأن المقولات إنما جاءت في الفلسفة القديمة والفلسفة القديمة مهجورة بل الذين درسوها من المسلمين ينظرون للمقولات المذكورة نظرهم الى مستصعب الامور فهي غامضة المعنى ولكنني قد شرحتها في كتابي المسمى ( بهجة العلوم ) في الفلسفة العربية وموازينها بالعلوم الحديثة وهذا الكتاب تحت الطبع الآن ، وليس هذا المقام مقام الأطناب فيها ولكنني سأريها لك الآن بطريقتي سهل ثم أقفي بعدها بمقاصد الفاتحة وهناك يتجلى لك أن الفاتحة لها حظ من اسمها فهي فاتحة القرآن والعلوم وهكذا المقولات فيها ملخص علوم الحكمة بأجاء - كجاء الشرق والغرب وهي الآن تدرس في جميع أنحاء أوروبا وللخواص هناك بلغاتهم المختلفة . المقولات هي كلمات عشر وتلك الكلمات العشر يرجع اليها كل علم من علوم الرياضة والطبيعة وسائر العلوم وهي الجوهر والكم والكيف والاضافة والمكان والزمان والوضع والملك والفعل والانفعال

(١) فالجوهر يشمل كل مازاه من المادة كالانسان والحيوان والجماد والكواكب وهكذا  
(٢) والكم يشمل علوم المقادير من الحساب والهندسة والجبر والنظر وعلوم المساحة وهكذا كما أن الجوهر يشمل العلوم الطبيعية جميعها ، فكل المعدن والنبات والحيوان وطبقات الأرض كلها ترجع للجوهر  
(٣) والكيف يرجع الى كل ما نحسه بمحوسات الخمس من الألوان والأصوات والمذوقات والشمومات والمفوسات وهكذا كل ما نحس به في قوسنا من الجوع والشبع والحزن والفرح والعلم والجهل والأخلاق الفاضلة والأخلاق النازلة وهكذا

(٤) والاضافة كل شئ ينزعم أحدهما الآخر كالابوة والبنوة وهكذا  
(٥) و(٦) والمكان والزمان يشملان علوم الجغرافيا وحساب السنين والأشهر والدهور  
(٧) والوضع مثل هيئة الانسان في جلوسه ونومه وهبته الهواء والضوء والماء والأرض واتساع كل واحد منها الى الآخر بهيئة خاصة

(٨) والملك مثل كل ما يملكه الانسان  
(٩-١٠) والفعل يشمل كل مؤثر في غيره كالحرق النار وتبريد الثلج الماء وهكذا والانفعال كاحتراق الخشب وبرودة الماء وهكذا

هذه هي المقولات التي شرحت معناها شرحا وجيزا وقد علمت انهم أجمعوا أنه لا علم من العلوم إلا وهو مندرج فيها ويقولون انها أشبه بالرياض الزاهرات ذات التصون والأزهار والأثمار  
كلمات عشر عبر بها الحكماء عن جميع العلوم حتى ان الصناعات كلها ترجع الى مقولة الفعل والأمراض والفرح والحزن ترجع الى مقولة الانفعال وهكذا ، فهذه المقولات العشر نظيرها سورة الفاتحة ، وأنت خير أن معاني الفاتحة قد تقدمت عند تفسيرها ، وهناك قد دخلت كل علوم الأمم مثل ان (العالمين) يشمل العالم العلوي والسفلي ولفظ (رب) من - رب العالمين - يشمل كل علوم التربة في العالم كله وهكذا فلارجع الى تفسيرها هناك فانك تجد الفاتحة أشمل لجميع العلوم من فن المقولات ، وعليه أصبح المسلم يتلو صباحا ومساء كل ما هي

مفاتيح العلوم . المسلم في قراءته الفاتحة تصبدا وهو غافل عن علومها أو بعضها خير من يقرأ المقولات العشر ويقول في كل وقت من الأوقات ( جوهر . كم . كيف . الخ ) وهو لا يقل معناها ، ولأن رجلا أخذ يتلو هذه الكلمات العشر صباحا ومساء على مسمع من الناس لعتوه قليل العقل لأنها غير معقولة ولا مفهومة إلا للناذر من الناس . أما الفاتحة فمناها الظاهر يكتفي العابد في عبادته بل توجهه لله بها وإن كان لا يدري معناها كاف في العبادة ، والحكماء حين يتلون الفاتحة يحضر لهم اجال العلوم كما تحضر العلوم كلها في المقولات العشر . إذن وضع الفاتحة أرقى في جمع العلوم من وضع الفلاسفة . الفلاسفة يضعونها في كلمات لا يسهلها إلا الخواص والفاتحة تضيد العامة عبادة والخاصة تذكرة للعلوم كلها والحمد لله رب العالمين

( لطيفة في قوله تعالى - ولا تعبدوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن - الخ )

تقدم في (سورة النحل) عند قوله تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - أن الناس ( ثلاثة أصناف ) صنف هم العامة وهؤلاء لا يجمع فيهم إلا الوعظ وذلك بما يرغب ويرقق القلوب ويفرحها بضرب الأمثال وذكر الحوادث والمشوقات والتخفيفات من الجان والنيران وما في معناها وصنف هم العقلاء وأرباب الفكر وهؤلاء لا تكشفهم المواعظ بل لا مندوحة من إعطائهم البراهين القولية والأقوال الحكيمة حتى يستقر إيمانهم ويثبت يقينهم ، وصنف هم قوم لا هم مع العامة ولا مع العقلاء والحكماء وهم أهل الجدل كأهل الكتاب فانهم قوم مقلدون لا مفكرون لأن كل من نشأ على دين يصر عليه الاقتلاع عنه فهو لا تنفعهم المواعظ لا تقام لهم الحجج وإنما يكون القول معهم باستنباط الأدلة من كتابهم لأنهم عليه يقولون وبه يتقنون فيقال لهم إن النبي ﷺ مثلا ورد ذكره في كتابكم فجاء فيه كذا وكذا فهذا هو الجدل فهو حجة لاهي يقينية ولاهي وعظية بل هي اقناعية تستدل لما يقتضيه الخصم غالبا ، واعلم أن القائمين بأمر الأمم ( أربعة أقسام ) أنبياء ووعاظ وحكام وأمراء ، وبيان أن الوعاظ هم الذين لا حكم ولا سلطان لهم إلا على قلوب الجهال والعامة تخطباء للمساجد والوعاظ وعلماء الدين المعتادين في الأمم ، فهو لا يجعلا يؤثرون إلا على قلوب العامة لأنهم يقومون بتذكيرهم بآيات الله بحسب ظواهر الكتاب والسنة والخبار بدون كثير بحث ولا تدقيق والعامة لهم مصغون وعلى قولهم معولون

( الأمراء )

وبعكس هؤلاء الوعاظ الأمراء ، فإذا رأينا الواعظ قد خلب قلب العايم وخضع لقوله واتعظ وليس لهذا الواعظ من قوة جسمية تخيفه بل قوته روحية فإنا نرى الملوك والأمراء ورجال الإدارات في الحكومات من قاض وحاكم وجندي فكل هؤلاء لاسطان لهم إلا على أجسام الناس وظواهرهم لا على عقولهم وأحلامهم ألا ترى رعا الله أن فرنسا تحكم في تونس والجزائر ومراكش وإيطاليا في طرابلس والآنجليز لهم بعض السلطان في مصر ، ومع هذا ترى هذه الأمم لا تتبع هؤلاء الفاعحين إلا من خوف العقاب ، أما القلوب فانها مع هؤلاء الوعاظ . إذن هنا جسم يحكمه الأمراء وعقل يحكمه الوعاظ

( الحكماء )

فأما قسم الحكماء فهو لا قوم خصهم الله عز وجل بنور البصائر وازدياد الفهم وقوة الإدراك وسرعة الخاطر فهم لا يصلحون لتعليم العامة والجهلاء ولا سطوة لهم على الناس فيحكمون أجسامهم بل سلطانهم يختص بالعلماء والوعاظ ، فكما خضع العامة للوعاظ بمقولهم وللأمراء بأجسامهم وظواهرهم هكذا يخضع العلماء والوعاظ للحكماء وهم أولئك الذين امتازوا بسمو المدارك فهو لا يقودون بواطن العلماء ويذكرونهم بما تقصهم من العلم ، وهذه الطائفة إن لم يخلفهم الله في أمة فذلك عنوان على ضياعها وهلاكها ، ولقد قام في أئمة الاسلامية من هؤلاء كثير وأذكر منهم العلامة الغزالي بالشرق وابن رشد في بلاد الأندلس فأذاهما المسلمون وأحرق

قوم كتب الامام الغزالي و بصرى آخرون في وجه ابن رشد وكفروه . فهذان وأمثالهما انما خلقا لارشاد العلماء فلما آذنتهما الأمة وقامت في وجههما أظلم الله وعوقبت قرونا وقرونا ودخل التار من الشرق غفروا الدولة العباسية وذهب مجد العرب ودخل أهل أسبانيا الأندلس فأذلوا الأم العربية وأهلكوهم وفر منهم من فرو من بقي تنصروا وهم في نظر القوم مرتدون مذبذبون ، ذلك مثل المسلمين السابقين

### ( الأنبياء )

أما الأنبياء فهم يظنون العاتية كلوعاظ والخاصة كالحكام و يحكمون على أجسامهم بالحبس والقتل وغيرهما كالملوك والأمراء . الا ترى أنه ﷺ أمر أن يعظ كلوعاظ وأمر أن يدعو الى سبيل ربه بالحكمة وهذا شأن الحكماء وأمر أن يحكم بين الناس بالعدل وهذا شأن الأمراء والملوك . كتب ليلة الأربعاء ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٩ قبيل الفجر

( جوهره في قوله تعالى - وكذلك أنزلنا اليك الكتاب ظاهرين آياتناهم الكتاب يؤمنون به -

وفي قوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - الخ )

سبحانك اللهم وبحمدك أنت الذي أنزلت القرآن ، وأنت الذي خلقت أم الشرق والغرب ، وأنت الذي جعلت هذا القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وعدت بأن الذين أوتوا الكتاب يؤمنون به ، اللهم إنك أنت أنزلت بصائر الأمم الحاضرة المعاصرة لنا وأبرزت في أوروبا أناسا برعوا في العلم وحذقوا ودرسوا الديانات وهم من الذين أوتوا الكتاب الذين ذكرتهم وبعد ذلك أيقنوا بأن القرآن حق وصدق كما وعدت في كتابك ، اللهم إن هذا وحده برهان ، اللهم إنك قد تكفلت بحفظ هذا العالم ونظامه وتكفلت بحفظ القرآن وتكفلت بإظهار علماء من أم أهل الكتاب يؤمنون به ، اللهم إن ظهور ذلك في زماننا أتم لكثرة العلم وانتشار الحكمة ، إذن يجب علينا نحن الذين خلقنا في هذا الزمان أن نذكر المسلمين في أمثال هذا التفسير بما دبحه بعض أولئك العلماء من أوروبا بامصداق للقرآن ، ففهم صديقنا (اللورد هيدلي) الانجليزى الذى ذكرته سابقا في هذا التفسير مرارا ، ومنهم (الكونت هنرى ديكاستري) ومنهم العلامة (توماس كارليل) فلا تقصر على نقل نبذ من أقوالهم ، فهؤلاء منهم مؤمنون ومنهم علماء أيقنوا بالقرآن لأنه آيات بينات في صدورهم ولكن ذلك في ( ثلاثة فصول )

### ( الفصل الأول )

في الكلام على صديقنا (اللورد هيدلي) الانجليزى رئيس الجمعية البريطانية الاسلامية في كتابه المسمى (ايقاظ الغرب للإسلام) الذى لقب بحضرة (سيف الرحمن رجة الله فاروق) وقد ترجمه اسماعيل أفندى حلى البرودى العضو بالجمعية البريطانية الاسلامية وهذا نصه

### ( مقدمة )

لكي أقدم الصحاح المقبلة الى القراء لا أجدا خيرا من إعادة نشرى هنا لمقالة صغيرة من قلمى ظهرت في إحدى جرائد (لوندرا) الأسبوعية في نوفمبر سنة ١٩١٣ وهذا نصها  
ظهرت في جرائد عديدة قطع تشرح معتقدى الدينى وانه لييهجنى أن أرى أن كل ملوجه الى من الانتقاد لغاية الآن لم يكن إلا باطل متناه ، انه لا ينتظر أن يخرج خطوة معلومة عن خط سير مألوف دون أن تستلفت النظر . ورد لى في أحد الأيام خطاب من أحد المسيحيين للمتدينين يخبرنى فيه بأن الدين الاسلامى انما هو دين لذة وأن النبي ﷺ كانت له زوجات عديدات وأن ذلك قاعدة في الاسلام فما أغرب هذه الفكرة عن الاسلام إلا انها فكرة راسخة في عقول تسعة وتسعين فى المائة من البريطانيين الذين لم يعنوا ببحث الحقائق الواضحة لبينة ماينوف عن مائة مليون من رعاياهم ولودرسوا تلك البينة لتبين لهم أن نبي بلاد العرب ﷺ

كان مشهوراً في كبح النفس عن الهوى وردّها عن الشهوات وكان مخلصاً لزوجته الوحيدة (السيدة خديجة) التي هي أكبر منه بخمس عشرة سنة والتي كانت أول من آمن برسالة السجاوية وبعد وفاتها تزوج بالسيدة (عائشة) وقد تزوج أيضاً ببعض أتباعه الذين استشهدوا في إعلاء كلمة الله وذلك لادفاع الشهوة بل لكي يعولهم ويمنعهم مساكنهم ويملأهم منزلة ما كنّ ليحصلن عليها لولاه (يقول مؤلف هذا التفسير ويستصح لك هذا المقام في سورة الأحزاب)

نحن معشر البريطانيين نحبب بأننا نحب العدل والانصاف ، ولكن ماذا أعظم جوراً وحيافاً من الحكم الذي يصدره كثير منا على الدين الاسلامي دون أن يجتهد أو يحاول أن يعرف ولو بمجمل بسيط من عقائده حتى انهم لا يفقهون معنى كلمة الاسلام

إنه من المحتمل أن يظن بعض من أصدقائي أنني قد غلبت على أمرى أو تسيطر على المسلمون إلا أن ذلك ليس بحقيقي لأن اعتقاداتي الحالية ماهي إلا نتيجة بحث سنوات عديدة وإن كانت مناقشاتي الحقيقية مع متعلمي المسلمين في موضوع الديانة لم تبدئ إلا منذ زمن قريب ، واثني لاحتاج الى القول بأنه قد غفرتي الفرح عندما وجدت أن كل نظر يأتي واستنتاجاتي كانت مطابقة مطابقة تامة للاسلام . إن أخى خواجا كمال الدين لم يحاول بتاتا أن يسلط على فؤادي ولو قليلاً فانه كان دائماً مثال الأمانة والصدق إذ قد شرح لي في ترجمة القرآن الكريم الذي ما استطعت أن أفهم معناه من الترجمة المشوهة المنتشرة بين المسيحيين فأثار من هذه الوجهة المحبة الواضحة التي تسرفها (جمعية التبشير الاسلامية) فاهاماً احتالت ولا خدعت أحداً قط فلهذا بدأ كماله في القرآن الشريف يجب أن تكون بمحض الرغبة والاختيار ومن تلقاء النفس ، لذا لم يرتكب خواجا كمال الدين أى صفة من صفات الاحتيال والخديعة ، وقد أراد عيسى نفس تلك الصفة عندما قال لحوارييه « وكل من لا يقبلكم ولا يسمع لكم فاخرجوا من هناك وافضوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم »

وقد علت أمثلة كثيرة جداً من (البروتستانت) المتحسين الذين ظنوا أن من واجباتهم أن يفضوا بيوت الرومان الكاثوليك فيحتالوا على من يقطنها لنقله الى دينهم ، ومثل هذا العمل المثير الذي لا يليق بكرامة جار هو طبعاً عمل كرهه جداً أدى الى إثارة العواطف وإيجاد النزاع الذي جرّ عليهم الازدراء والاحتقار واثني لأننا لم جدّ الألم عند ما يمرض لفتكرى أن أولئك المبشرين المسيحيين حاولوا ذلك مع المسلمين أيضاً وإن كان لا يوجد هناك باعث يدعوهم الى هداية هؤلاء الذين هم أصحّ منهم مسيحية وأفضل منهم أنفسهم في مسيحيتهم وقد عجّزت تماماً عن أن أعرف لم فعلوا ذلك ، انني لم أقل أصحّ منهم مسيحية جزافاً بل بعد أعمال العقل والروية لأن المحبة والألفة والتسامح في الدين الاسلامي أقرب جداً لما أتى به المسيح مما عليه رجال المسيحية في الكنائس المتنوعة ، خذ مثلاً العقيدة (الانانسيانية) التي تختص بالثالوث بحالة مشوشة لا يقبلها العقل تر أنه من الواضح جلياً أن هذه العقيدة المهمة عندهم للغاية والتي تعتبر إحدى العقائد الرئيسية للكنيسة تمثل المذهب الكاثوليكي وأنا إذا لم نعتقد بها تلك هلا كأبدية وهكذا نؤمر بوجوب اعتقاد الثالوث إن أردنا الخلاص أو بطريقة أخرى نقول إن الله رحيم وقادر على كل شيء وفي الوقت نفسه نهمة بالظلم والقساوة الذين لا نستطيع ولا نرضى أن ننسبهم الى أفعط سفاكي الدماء من الظلمة الأدميين كأن الله الذي هو أمام الجميع وفوق الجميع يتطلب عليه اعتقاد مخلوق ضعيف فان في الثالث

هنا مثل آخر يدل على عدم وجود الحسنى لديهم ، وصلى خطاب لمناسبة انجماي نحو الاسلام أخبرني فيه كاتبه بأنني إذا لم أعتقد ألوهية المسيح لا يمكني الخلاص . إن مسألة ألوهية المسيح ما ظهرت لي قط انها مهمة ، هل أرسل المسيح رسلاً من البشر برسالات إلهية ؟ لو كان عندي الآن أى شك في تلك النقطة الأخيرة لأنني ذلك جداً إلا انني أشكر الله سبحانه وتعالى لعدم وجود هذا الشك وأنعمش أن يكون اعتقادي في المسيح وتعالجه ثابتاً

جدا كاعتقاد أى مسلم أو مسيحي حقيقى آتروا لى سبى لى أن قلت مرارا أن الديانة الاسلامية والديانة المسيحية كما علمت بالمسيح نفسه هما أختان ولم يفصلهما عن بعضهما إلا المذاهب والاصطلاحات المسيحية فقط التى يمكن الاستغناء عنها بكل سهولة وارتياح

يمل الناس فى هذه الأيام الحاضرة الى الكفر والإلحاد عند ما يطلب منهم أن يعتقدوا هذه المذاهب والعقائد التى لاتهم وهناك بلاشك رغبة واشتهاء الى ديانة قبلها العقول والايول ، فمن سمع بمثل ارتد الى الكفر والإلحاد ؟ ربما كانت هناك حالات من هذه إلا اننى أشك جدا فيها . إننى أعتقد أن هناك آلافا من الرجال والنساء أيضا مسلمين قلبا ولكن بمنهم خوف الانتقاد والرغبة فى الابتعاد عن التعب الناشئ من التعبير تأمرا على منهم من اظهار معتقداتهم . اننى خلوت هذه الخطوة ولوانى أعلم على اليقين أن كثيرا من اخوانى وأقاربى ينظرون الى الآن كروح ضالة ويصلون من أجل ، إلا انى لست فى الحقيقة فى اعتقادى اليوم إلا كما كنت منذ عشرين سنة تماما ولكن صراحتى فى القول هى التى حرمتنى حسن ظنهم فى

الآن وقد شرحت بعضا من الأسباب التى جعلتني أتبع الدين الاسلامى وقلت إننى أعتبر نفسى الآن فى أصبحت إسلامى مسيحيا أفضل مسيحية مما كنت عليه من قبل ، فأتمل أن يتبع الآخرون مثالى ويعتقدون أحقية الاسلام الذى أقر بكل شهامة وغفرانه أصبح الأديان وأنه تستل السعادة لأى امرئ ينظر الى هذه الخطوة كخطوة متقدمة لا كخطوة مضادة للمسيحية الحقبة بأى وجه

### ( سلم الاسلام )

ينظر فى هذا العصر للديانة كأنها شئ مزيج والناس إماما لمحدثون وأما متبعون اتباعا أسمى لصفوف عقائد من الأفكار التى لاتقبلها عقولهم وتقارمها ، إلا أنهم يعترفون بها ظاهرا لأنهم يظنون أن ذلك هو خير لم وانه يؤدى المطالب . أكد لى رجل من أحسن الرجال الذين عرفتهم (زوج فاضل ووالد) انه لمجد ولا ينظر لئى غير فناء الخليفة ومع ذلك كان سعيدا جدا ولم أجد بوسى شئ أستطيع أن أعمله معه ويكون له أقل تأثير فى تفسير معتقده الفطري . وسمعت برجل آخر أخذ الديانة بروح فرحة جدا وكان غنيا للغاية ، ناقشه صديق له يوما من الأيام فى أسلوب حياته المحلول وسأله ألم يفكر قط فى الحالة المستقبلية وفيما ستكون عليه نفسه فى الحياة الثانية فأجاب كلام أحب نفسى وراء هاتيك الأشياء ؟ اننى أدفع لطبيعى كذا فى السنة ليعتنى بصحتى الطبيعية وأعطى الكاهن نحو ستائة جنيه فى السنة ليعتنى باحتياجى الروحية ، فلم إذن أصدع رأسى ، وهذا الرجل كان مسرورا أيضا بطريقته وتوفى لأن يدفع مبلغا معينا سنويا لينجس التفكير ومن كل ما يشغل رأسه أو يتعبه . اذا كان يمكننا فقط أن نجد فكرا قويا خاليا من العقائد لىك ينتخب لنا الدين الحق الذى يجب أن نبعه تكون تلك خطوة عظيمة جدا نحو الاتجاه الصواب . اننا اذا ذهبنا الى القسوس والرهبان أو فريهم ممن يقدمون أقوالا توافق مشاربهم لا نجد لديهم أى مساعدة لأن العقائد أو المذاهب المتعددة تناقض بعضها على خط مستقيم . خذ مثلا الكنيسة المسيحية فقط تجد بها أن الارشادات السبالة التى تدعش وتجير العقول تختلف عن كنيسة انكلترا وكنيسة روما وهما مختلفان أيضا حتى اننا نخرج من ذلك بلا فائدة أصلا . إذن فكل ما رغبه هو مساعدة بعض المترجمين خارجا عن هؤلاء وهؤلاء ومن القسوس متعصبين الذين عندهم فرص وقدرة على التأمل والتفكير الذين ليس لهم أى صالح أوريح من وراء إبداء رأيهم بصراحة وشرف . كل ما يزيد فى الواقع هودين يعرف ويؤيد قوانين المملكة لأنه فى هذه الأيام أصبحت القوانين مما يجب السخرية والضحك وهناك فى الخارج شعور و بيل ملك من كل أشكال المظالم والجرائم تقريبا . ضعوا هناك عدلا تالما فى الديانة لأن سلسلة المملكة الفخرية لانت من وضعها فى هذا الظاهر بالشفقة والحنو الذى لاهو انسانى بأى حال ولا هو خلقى بأن يرقى أخلاق الأمة . مالمالحة إلا - فك سماء عند ما تكون سببا فى العفو عن القتل ، يطبق ذلك على هذا الميل

لارتكاب الآثام ، وانا وان كنا نشعر بحزن عميق من أجل المجرم الذي جعلته تربته والبيئة الحفيرة التي نشأ فيها يسبب لنا التعب والشغب إلا انه يجب علينا أن نعاقبه لنمنع الآخرين ولنمنعه من العودة . انه لمن أقطع الأعمال أن نديره لاعد الآخر ، نعم إن ذلك لم يربح جدا لأنه يشجع الشريرين على السرير في تيار جرائمهم بينما يتألم باقي أعضاء المجتمع من سوء استعمالنا للرحمة ، اذا لم أكن عطفًا فالعدل اللين المزوج للماء (المشوش) الذي يوزع في هذه الأيام في هذه المملكة مسؤول عن نصف الشرور التي نشكو منها بمراوة زائدة وانه لخير لنا أن نرجع الى (قانون الثارات) القديم عن أن نسير فيها نعله الآن

لا يمكننا بتاتا أن ننظر للسليح كمشروع أو وازع قانون فانه لم يستل للعالم إلا سننا ونواميس وديعة طريفة حالة أن ابليس الذي يمشي اليوم لا يمكن فعه بأجوبة ناعمة وإدارة اعد الآخر له فيجب إذن أن تتخذ أشد الاجراءات مع كل رسل الشر

كان موسى مشترعا وواضع قانون ، وكان محمد مشترعا وواضع قانون ونحن الآن في احتياج شديد الى بعض من العدل المطلق الثابت للنبي المقتس (محمد) . انه أى القانون والتشريع الاسلامي شديد إلا انه خال جميعه من توحش انتقام العهد القديم

تعاقب الحكومات الحزبية التي حملت لازدياد القوة لالصالح الأمة أوقعتنا في هذا المأزق الذي لا يمكننا فيه ولوان نعتي ونحفظ نظام نسانا ، حقا انها لحالة مفعبة لنسل سادة البحار ووطني أعظم امبراطورية رؤيت في العالم . قوانيننا حسنة إن هي نفذت وعمل بها . الخضوع الى الذليلة بقود الى أكبر منها . لازيد الرجوع الى طرق التعذيب من أى صف أو العظامة ، ولازيد أن تريق قطعة واحدة من السماء لسكره الناس على قبول آرائنا في الدين أو السياسة بل نرغب أن نرى القوانين مطاعة والعدل مكيلا للجميع

اننى لا اعتقد اعتقادا راسخا بأنه لو ابنت الشريعة المحمدية الى أنت في القرآن بناية تامة ودقة لأصبح من السهل جدا حكم الشعب ولا يكون ذلك غريبا ما دام أكثر من نصف رعايا جلالت في ملكه التاسع هم من المسلمين . حر العصر الذي كان يمكن أن يجتهد فيه لاقامة أى دين بقوة الأسلحة . اننى لمأكد من أن المسلمين أولئك القوم المشعرون بالاخلاص والوفاء ماحاولوا قط أن يقيموا الدين الاسلامي بالطرق العنيفة . الفتنة والنزود يحرمهما القرآن ولا إكراه في الدين في إحدى مبادئ الدين الاسلامي

لقت الأذهان واصفاه الأذان هوكل ما يرغبه المسلمون واتى لمأكد من أنه اذا فهم رجال انكلترا تململوا المعنى الحقيقي للاسلام (العقل والتمييز والاتجاه الى النهى والشعور) لسعوا في أن يخفوا سوء فهمهم الخجل السائد في الوقت الحاضر

ينظر الاورو بيون دائما الى الاسلام كانه وحشية وهمجية فلو علموا كل ما فعله محمد ﷺ لازالة التوحش والهمجية التي لقيها داخل بلاد العرب لتبروا تلك الأفكار حالا . انهم هم المبشرون المسيحيون الذين لم يذخروا وسعا في تحريف البينة الاسلامية وان هذا لأعظم الكذب الذي يجزيهم وان كانوا ليلظنون أن ما يفعلونه حسن ، فما أعظم الفرق بين الطمس التعمدى للحقيقة وبين الحالة التي يسير عليها المبشر المسلم في عمله كثيرا ما لزجت الهيئات الحاكمة في هذه المملكة لقبول طلبات الهيئات الدينية ، فكنييسة انجلترا وكنييسة الرومان الكاثوليك وحزب المعارضين وكثير غيرهم معتبرون جدا لانهم ذور نفوذ عظيم ولازال السكل يقولون هل من مزيد ، ولكن ليست هناك (بأقصى ما يمكن للانسان أن ينظر) أى فصيلة دينية من الفصائل المحمدية تطلب أى سلطة دينية إذ عظمة الاسلام أرفع من أن تسطر عليها مثل هذه الاعتبارات الدينية ، وكل متبع اتباعا حقيقيا للنبي العظيم يتطلع الى جزء أرقى بكثير من الفنى والفوائد الدنيوية كرق ضوء الشمس عن ضوء الفوسفور . ليس هناك باباوات ولأساقف ولا رهبان ولا قس يطلبون هبات أو أرباحا لأن الله نفسه هو رأس

هاتيك الفصائل الروحية . أنبا التارخ أن الكنائس المسيحية تطالب دائماً بشدة أن يكون لها سلطة دنيوية ويمكننا هنا أن نشير إلى بيع المغفرة وتوزيع المعاشات المسممة بدون جور أو حيف كي نبين فظاعة الأحوال المرئية التي كان يجب أن تكون أفضل ما تطمح إليه النفس ، وكيف اختلطت باعتبارات لمكاسب دنيوية محضة سافلة . إننا لا نذهب بعيداً إذا قلنا بأن القسط الأوفر من هؤلاء القديس يزعمون بأنهم مسيحيون يعتبرون أن الديانة هي محض نظام أيام آحاد محترمة وحسنة لأنها تقتم لهم فرصاً استثنائية لعرض أحسن ملابسهم وأزيائهم والتكلم عن جيرانهم ، وهذا الدين الجيب ينوي أخذهم إلى بعض من الجنة ، ويتوقف مركزهم في هذه الجنة على المبلغ المدفوع على نظام دخول الناس دوراً للتخيل تماماً ، يجلسون بأجرة معينة في الألوام والطابق الأول و بأجرة أخرى في الصالات والكراسي الخ

معظم ديانة الغرب ماهي في الواقع إلا نتيجة خرافات القرون الوسطى وبقايا العصور المظلمة ولا تتفق مع تعاليم موسى أو المسيح ، ففي تلك الأوقات المظلمة المكفهرية بين القرن الثالث والقرن الخامس و بعد ذلك عند ما كانت أوروبا ميداناً شاسعاً للمصارعات يتبارى فيه الرجال المتوحشون ومن طبعوا على حب القتال مع بعضهم ونشروا الرعب والدمار في كل الجوانب وكان الحكام العظام للملك كبارونات ولوردات انكثروا رجالاً مشهورين بالمهارة في استعمال السيف وبلطة الحرب واحكام الدفاع عن أملاكهم وعقارهم وبيوتهم أكثر من شهرتهم في التعليم والتهديب وكانوا لأجل أن يحفظوا ادارة ونظام شؤونهم الداخلية يستخدمون الكتبة والا كلبروس الذين كانوا بتعليمهم العالي قادرين على أن يجعلوا لهم نوعاً من الوكالة على هذه الممتلكات وأن يحفظوا سجلات الحوادث الجارية الخ

أصبح هؤلاء الا كلبروس بعد مضي مدة من اللوازم الضرورية التي لا يمكن لهذه الممتلكات الناسعة أن تستغني عنها وأصبح لهم سلطة عظيمة وسلطان قوى وسنحت لهم في ذلك الوقت فرص زادت سلطانهم باستعمالهم أسرار المجهول لدى البارونات أو اللوردات كمنكر عتلة وضعوا عليه عتلات طويلة وتلك العتلات هي الرعب من جهنم والخوف من العقاب المستقبل ، نقل تلك المربعيات بينهم بمهارة فائقة أحدثت في عقول السذج شعوراً لا يمكن إزالته من الملع الذي كان مع ذلك لطيف ويخفف بالتأكيدات من أنه باعتراف شكل معين من الدين وابتلاع بعض عقائده وضعت بكم زائد نبال الخلاص ولكنه اخترع بوجه ما أن الطمأنينة التامة بخصوص النجاة والمركز العالي في الآخرة لا ينال إلا بالطايب الفاخرة جداً للكنيسة وهذه الطايب أخذت شكل منح واسعة من الأراضي والقصور والبرشيات وهبات عظيمة ، ومن هنا ترى أن ولادة وابتداء الكهنوتية والقسوسية وطلب السلطة الدنيوية المقصودة قد عرف من ذلك الوقت ، ففجئاً محمد بعد المسيح بسنة تقريباً كشف عن عدم صحة مثل هذه الأفكار كالتفكير والتوسط الكهنوتي والتوسل إلى القديسين وكل هذه الطرق الملكية المحتوى عليها التقرب من المولى جلّ وعلا

مهما كانت عظيمة الشرائع الموسوية ، ومهما كانت ظرافة ورقة تلك المبادئ الصفوحة التي أتى بها نبيّ الناصرة (عيسى عليه السلام) يجب أن يعرف أن الشريعة المحمدية التي احتوت على الرسالة السامية تغلب بتذليلها كل العقبات التي تقف في طريق السالك إلى الله

هاك آيات في القرآن لا تترك شكاً في معناها وتطبق على جميع هؤلاء الذين يدخلون في دائرة السيادة الكهنوتية ويتخذون مغلوقات بشرية لارشادهم - اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون - وقال - يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأبحار والرهبان لا يكون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله -

ديانة المسيح ليست تماماً ديانة (سانت بولس) الذي أضاف إليها وغيرها تغييراً فاحشاً وقد ترجعت هيئات

مختلفة هاتيك التعاليم وغيرت فيها من وقت لآخر ، وليس هناك في الحقيقة تناسق في تلك المسيحية المزعومة ولكننا نجد في الاسلام ما يمكنه رغبات الخلوقات من الاتصال بالخالق مباشرة ، الله الموجود أبدا القادر على كل شيء والحافظ لجميع الخلوقات ، ليس هناك في الاسلام إلا إله واحد نصيده وتبعه ، إنه أمام الجميع وفوق الجميع وليس هناك قدّوس آخر نشركه معه ، انه لمن المدهش حقا أن تكون الخلوقات البشرية ذوات العقول والألباب على هذا القدر من العبادة فيسمعون للعتقدات والحيل الكهنوتية أن تعجب عن نظرهم رؤية السماء ورؤية أيهم القهار المتصل دوما بكل مخلوقاته سواء كانوا عابدين أو أولياء مقدسين ، مفتاح السماء موجود دائما في مكانه ويمكن إدارته بأقل وأقل الخلوقات دون أى مساعدة من نبي أو كاهن أو ملك ، انه كالهواء الذي نستنشق محانا لكل خلق الله ، أما هؤلاء الذين يعملون اللبس يفهمون غير ذلك مادعاهم الى هذا العمل لإلحاح الفائدة كالرواتب ومعاشات القسس أو بعض فوائد دينية أخرى ، ليس غرضي الرئيسي أن أهاجم أى فرع معين من فروع الديانة المسيحية لأبين جلال وسلاسة الديانة الاسلامية التي هي خالية في نظر الكتاب الضعيف من العوائق الظاهرة جليا في كثير من الديانات الأخرى

إن الدين مسؤول عن كثير من الآلام والفظائع وسفك الدماء وتلك حقا حقيقة مبكية ، يمكن إذن أن يوجد دين يمكن العالم الانساني من أن يجمع أمره على عبادة الله الواحد الحقيقي الذي هو فوق الجميع وامام الجميع بطريقة سهلة خالية من الحشو والتليك ؟

فكر لحظة وذلك التفكير لازم لكمال البشر في الحقيقة ، انه اذا أصبح كل فرد في الامبراطورية الاسكندرية مجديا حقيقيا بقلبه وروحه أصبحت ادارة الأحكام أسهل من ذلك لأن الناس سيتقادون بدين حقيقي ولن تبقى هناك جماعات كنائسية ولا منشقون كي يوقف بينهم ولاضرائب ثقيلة تدفع للروفي الطريق الموصل الى الفردوس . إن الديانة كما جاء بها موسى والمسيح ومحمد سهلة جدا إلا أن الخلط الذي أتاهما من الآخرين الذين سعوا في أن يحسنوا الوحي الإلهي جعلها معقدة يرتبك ويأس منها من يستعمل عقله في السعي وراء الحقيقة بجهد ونشاط . استفز صنف من أصناف هذا الدين الحروب الصليبية التي ضحى فيها أسلافنا عشرات الآلاف من الأرواح البشرية ، فلم ذلك ؟ معركة معينة نشبت من أجل ضريح يعتقد أن المسيح وضع فيه مدة وجيزة ، هل كان يستحق ذلك أى اهتمام ؟ وصنف آخر من أصناف هذا الدين علنا أن نغضب كل من يخالفنا ولو هي أقل نقطة من قطع هذا الدين وأن نحرقهم أحياء ، هل يستحق ذلك أى اهتمام ؟

وهناك صنف آخر من أصناف هذا الدين وهو شائع ومعالم للجميع ، ذلك بأن هؤلاء المتعصبين الشديدي التعصب (القسس) يتحكمون على تابعيهم بالهلاك الأبدى اذا لم يتبعوا آراء مذهبية معينة ، فهل يستحق ذلك أى اهتمام ؟ أتريدون أن تصنفوا بضد الاحسان الذي هو أفضى شيء عند الله رب الرحمة والذي يلعبه كل من المسيح ومحمد الى حد ليس له نهاية \* قال الجفرال غوردون ( لم أر طيبة الفريسيين بين المسلمين الذين لا يتخذون كل ما يتخيّلونه أو يسمعون من الحكماء كالفيل فريسيونا من الحكماء على زيد وأعمرو بأن نصيبه النار ، إنك لا ترى منهم أبدا عدم الأنس والبشر الذين تراهم من فريسيين )

إن (غوردون) عاش طويلا في الشرق ولم يفلت جلال الشريعة الاسلامية من ملاحظته الدقيقة ، ولا شك في أنه عند ما كتب ما تقدم كان يشعر حقيقة بأن هناك إحسانا مسيحيا حقيقيا عند المسلمين أكثر مما هو عند المسيحيين أنفسهم في بلادهم ، وكتب (غوردون) أيضا بنفس هذه الروح ما يلي

« ليست هناك سلاوى في العالم أرواحا تعادل تلك التي يملكها من لا يعرف غير الله مدة بقائه ولا يؤمن بالأقوال بل يؤمن بالحقائق وأن كل الأشياء دبرت لتحقق ولا بد من حدوثها ووقوعها ولكن كل هؤلاء الذين كانوا يعتقدون هذا الاعتقاد قد ماتوا وتخلصوا من هذه الحياة المتعبة ،



واجابة على ما تقدم يمكن أن يقال بأن الأفكار الشرقية لاتتحد مع الآراء الغربية ، ولا يمكن أن يقال أن بينهم أى امتزاج وأن محاولة حكم الشعوب الشرقية للشعوب الغربية حينما اعترف بديانة شرقية وتسيطر هذه الديانة على عقول الرجال وأفهامهم لم تكن لاقعة وكانت خارجة عن المقصود ، والمؤلف يريد أن يشير الى أنه مضى ألفا سنة تقريبا وكل مملكة في أوروبا بحكومة بديانة الشرق أى اليهودية والنصرانية . روح الاسلام تخلف فوق أشياء أرقى وأرفع من تلك الأطعمة الدينية والاختلافات الجنسية في الشرق والغرب ، وإذا كانت المسيحية الشرقية التي علمت بنبي الناصرة العظيم قد سارت سيرا حثيثا في إضاءة طريق العالم الانساني ، فلماذا لا يستمر الدين الاسلامي الأوسع والأسهل ( كما أتى به النبي العربي الكريم ) في أعماله الحسنة مادام ليس هناك سبب جوهري يمنع ذلك

هناك شبه عظيم بين أخلاق الأنبياء كما يتضح لكل باحث في حياة محمد كما ان دراسة دقيقة للقرآن تظهر أنه حقا ليس في الاسلام شيء يتعارض مع البيانات السابقة وارشادات وشرائع محمد كما جاءت في الكتاب تقوى وتبرز تعاليم الانجيل تبرز تاما وتوسمها حتى تلائم حاجات الزمن الحاضر . إنه لمن الجور أن نحكم على رجل لا تعرف عنه شيئا كما انه من الظلم أن نقول ما فعله تسعة وتسعون من المائة من المسيحيين الذين يحكمون على الدين المحمدي دون أن يبحثوا حتى ولو عن معنى كلمة (اسلام) ففائدة ترك الامور تأخذ مجراها هي شعار هؤلاء الذين لا يريدون أن تتار عقولهم لأن إضاءة عقولهم معناها عندهم تعب وازعاج فيفضلون أن يظلوا بتخبطون في دجور العمى والظلام عن أن يمشوا بأيديهم ليفتحوا الباب الموصل الى النور . ما حصلت عليه فيه الكفاية لي لا أريد أن أنظر لشيء آخر . ذلك ما يقولونه رافضين أن يذلوا أى مسي ليقتدوا حتى ولو في معرفة الله ورسالة للجنس البشري

من عدة سنين خلت كان أحد أفكارى الرئيسية هو « كيف يمكن الاسلام أن يتغرب (يصبح غريبا) حتى يمارس بالأمم الأوروبية ؟ » أو ( بعبارة أخرى ) كيف يمكننا نحن معشر الغربيين أن نعد أنفسنا لنكتسب وفقه معنى الاسلام الحقيقي ؟ ثم تلا ذلك فكر آخر وهو « كيف اننا لم نشك من جنسية المسيح الذي نعتقد انه كان أسويا محضا ؟ كانت أمه العذراء مريم أسويوه وكان موسى وكل الأنبياء الموحى اليهم شرقيين وكان النبي الكريم محمد ﷺ شرقيا مثل الآخرين وأزلت عليه الشريعة من الله ، فالقرآن هو من كلام الله عز وجل كما كان الانجيل وباقي الكتب المنزل الأخرى وهو القرآن يثبت ويحق الكتب المقدسة الأخرى والوحى السابق . القرآن يضيف تعاليم أخرى تؤكد أهمية تلك التعاليم الماضية وفوق ذلك فهو يحرم كل أنواع العبادة الوثنية وروح الوحى هي أن لا يقرن اسم الله القوى العليم الرحيم بأى اسم آخر

روح الشكر هي خلاصة الدين الاسلامي والابتهال أصل في طلب القيادة والارشاد من الله . انه وان كان شكركى لله على كرمه وعنايته كان متأسلا في من صفى وأيام حدائى لا أثنى لأستطيع أن أشاهد ذلك من خلال السنين القليلة الماضية التي قرع فيها الدين الاسلامي لى حقا وتلك رشى صداق وأقضى ثقاه وأصبح حقيقة راسخة في عقلى وفؤادى إذ التقيت بسعادة وطمأنينة ملائمتها قط من قبل ونجوت من العقائد الغربية المتعلقة بشارف فروع الكنيسة المسيحية المختلفة واستنشقت تلك النجاة كما أستنشق هواء البحر الخالص النقي وبتحقق من سلاسة وضياء وعظمة الاسلام ومجده أصبحت كرجل قفز من سرداب مظلم الى فسيح من الأرض تضيئه شمس النهار

عند ما قررت نهائيا أنه لا يمكن الحصول على أى راحة من التعليقات الكهنوتية أثنى الفكرة بأنه من المؤكد أن الله يلاحظ ويدبر كل ارادة وكل حركة وعمل . انه يفعل ذلك حقا إلا أن التعليقات المجموعة من صحائف القرآن مكنتنى من أن أفقه معنى تلك الفكرة المريحة راحة عجيبة بطريقة كانت تستجيب على سابقا

إذا كانت كل حركة في الحياة لا تحركها إلا القوة الإلهية تكون هناك راحة حقيقية لا لهؤلاء ، المتألمين والمعاقين عن السبى هذه الحياة فقط بل ولهؤلاء الذين ذهب أنفسهم حسرات على أعمالهم العديدة الشيطانية والجنونية . كل هؤلاء الذين أتوا أعمالا سيئة يجب أن يؤملا في أن الله بحكمته غير المحدودة وجلاله سيجعلهم مثلا للآخرين كي يربهم ما يجب أن يقلعوا عنه . إنه لفكر خفيف إلا أن المؤمن الحقيقي يواجه كل محنة وخزى ويحطاط في السيرة في سبيل المولى عز وجل

روح الاسلام تشير الى خلاص البائسين والضعفاء والشريرين إن تبنا وأطعنا وتركنا الشرور والآثام وسعينا في مساعدة المخلوقات بكل ما في وسعنا حتى بين الآلام العظيمة يجب علينا أن نكون مسرورين جدا بأن جعلنا الله واسطة للإرشادات السالوة

دتر العصب الديني الأعمى الكنائس المسيحية في تنافسها إلا أن ذلك لا يمكن أن يقال عن الاسلام الذي هو كنيسة متعددة ، فما أحسن ذلك إذا كنا نحن عشر الغربيين نهجر في هذا الوقت تلك الأصناف الدينية الملبكة وتتخذ الدين الاسلامي ١

مذ سنين مضت وجد عند حكام إحدى الأمم المتتورة جدا في الشرق الأقصى شك كبير فما إذا كانت طريقة الدين التي يتبعونها صحيحة أم لا ، لذا عينوا رجالا عقلاء مخصوصين ليدرسوا كل الديانات الرئيسية في العالم ووضعو تقريرا عنها ، فكر الرجال الحكماء وتناوروا وفسلوا كل ما يلزم ثم وضعوا النتيجة بأن ديانتهم هي حسنة كباقي الديانات الأخرى ، لذا ليس لديهم أى ميل لينصحو بتغييرها

اتى لأعتقد اعتقادا راسخا أنه إذا اتبع هذا الرأي وكلف أحسن الأذهان وأنبه العقول الأوروبية بالبحث عن دين مبنى على الاعتبارات الدنيوية والعقلية ولا يخرج عن الوحي السماوى الذى أتى به الأنبياء ما وجدوا باجماع الآراء غير الاسلام دينا فسهولته وعظمته مما لا يختلف فيه انسان

أليست هذه من أعظم النعم أن تمنح لك الفرص بأن تعتنى دينا يتفق والحب والبرضى الفؤاد والضمير وورغبات المرء الداخلية كما انه خال في نفس الوقت من القسوية والكهنوتية وباقي التلبكات الأخرى ؟

لازال يعيش على ظهر هذه البسيطة في كلا الشرق والغرب هؤلاء الذين اتضح لهم الوحي المؤسس لحقيقة الدين الاسلامى وفضائله بأوضح وأجلى معانيه ، وربما كان الوقت الذى يريد الله أن يوضح الوحي فيه وينجلي لكل عباد الموجددين في هذا العالم ليس بعيدا إلا أن ذلك يختص بهداية المولى سبحانه وتعالى لأنه لا يوجد من يعرف الميعاد . الكنائس المسيحية الكثيرة تناقض إحداها الأخرى مناقضة عظيمة ومعلمو لاهوتها (كهننتها) وضعوا عقدة التعاليم المسيحية التي لا تحل ووضعوا تلك العقائد التي تدهش العقول دهشة عظيمة

حتى ان العقول السليمة الصافية والقلوب المبصرة تنوق الى دين مفهوم مقنع وسهل غير معقد

مذاهب الكنيسة المسيحية سواء كانت رومية كاثوليكية أو بروتستانتية طردتني مذ طفولتي واني لأعرف إذا ما كانت عدم تقبلي وأنا غلام صغير بهذه العقيدة كما وضعت بسانت اتاناسيوس أقل قوة من ازدرائي واحتقاري اليوم لهذا الرجل الذى يضع القوانين من أعلى منعمة الخطابة ويحكم على الملايين من الرجال بالهلاك الأبدى لأنهم لا يوافقونه ، وقد ظهروا دوما انه من المهم جدا أن السادة الأشراف المتعلمين إذا أرادوا أن يدخلوا الكنيسة يجب عليهم أن يشتركوا بسرور وابتهاج في التسع والثلاثين مقالة الخيفة وهم يعلمون في قلوبهم انهم لا يستطيعون أن يصدقوا نصف ما يرضون أسماهم تحت

فكرت وصلت أربعين سنة كي أصل الى حل صحيح والرأى السائد عندى هو أن كل ترا كيب هذا الدين المزعوم هي من عمل الانسان لا من عمل الله ويجب على أن أعترف أيضا أن زيارتي للشرق ملأتني احتراماً عظيماً للدين المسمى الذى يجعل الانسان بعد الله حقيقة طول مدة الحياة لاني أيام الآحاد فقط

الاسلام دين السهولة العظيمة ، انه يرضى أشرف رغبات النفس ولا ينافى بأى حال من الأحوال تعاليم موسى وأولاده عليهما السلام . انتهى الكلام على الفصل الأول  
( الفصل الثانى فيما ذكره العلامة الكونت هنرى دى كاسترى )

( مقدمة )

كنت ذات يوم أجوب جوف الصحارى فى ولاية (حوران) بين زرقوم وسجبر وخلقى ثلاثون فارسا كريما من أولاد يعقوب يمشون بجاعات جاعات لأن حدة الخيل كانت تمنع من انتظامها وتجعل بعضها اذا مسه التالى يسهل صهيل الفيل يلفت وجهه الى الوراء ويضرب بأرجله فى الهواء وعما قليل تسكن نوره وتعود الجياد الى خطاها مطمئة يسير أمام الكل حاد على فرس عظيمة يضاه لهدأ لمراها ساكن الجياد وهو يترنم بما ينشئ الجع من كلام أغلبه مديح فى كآب هذه السطور فكنت فيهم كسلطان ينساق كل واحد من حاشيته الى ارضائه باستعمال ما حفظ الشرق من أسرار الانحطاط النفسى فى مثل تلك المعاملات وكنت أصغى الى أشعارهم ساعات متتاجة بغير ملل وقد وعيت البعض منها وكلها أراجيز محبوكة الأطراف غير تامة المعنى بذاتها فلا تميز بين المادح والمدح والمخاطب والمتكلم بحيث يصعب علينا معشر الغربيين إدراك مراميها ، وكنت أبلغ الخامسة والعشرين من العمر والفصل فصل الشتاء ويومنا يوم جيل تنشط الأبدان حرارته ويبلغ ضوءه حد البهاء وروائحه تنمش السالكين وتجعل المستنشق شاعرا بنام الحياة بخالجي مع ذلك إحساس آخر هو شغفى بتلك المدحوخة التى كان اسمها بروح ويضد فى أقوال أولئك الشجعان ، وبيننا نحن سائرهم على هذه الحالة إذ سكنت الشاعر والتفت قائلا بصوت خشن « سيدى الآن وقت العصر » هنالك تجلجت الفرسان واصطفوا لصلاة العصر مع الجماعة وصلاة الجماعة مفضلة عند الله فى اعتقاد المسلمين كما هى كذلك عند المسيحيين ، أما أنا فقد ابتعدت عنهم وكنت أود لو انشقت الأرض فابتلعتى ، وجعلت أشاهد البرانس العريضة تنثني وتنفرج بحركات المصلين وأسماهم يكررون بصوت مرتفع ( الله أكبر . الله أكبر ) فكان هذا الاسم الإلهى يأخذ من ذهنى مأخذاً لم يوجد فيه درس الموحدين ومطالعة كتب المتكلمين ، وكنت أشعر بحرج لست أجد لفظاً يعبر عنه سببه الحياة والانتقال ، أحسّ بأن أولئك الفرسان الذين كانوا يتدانون أمامى قبل هذه اللحظة يشعرون فى صلاتهم بأنهم أرفع منى مقاماً وأعزّ فضاء ، ولو أنى أطعت نفسى لصحبت فيهم « أنا أيضاً أعتقد بالله وأعرف الصلاة وكيف أعبد » فلما أجل منظر أولئك القوم فى نظامهم أصلاتهم بلباسهم وحيادهم ببجائهم أرسائهم على الأرض وهى هادئة كأنها خاشعة للصلاة ، تلك هى الخيل التى كان يحبها النبي ﷺ حباً ذهب به الى انه كان يسمح بخياشيمها بطرف لإزاره عملاً بوصية جبريل عليه السلام ، وكنت أرى نفسى وحيداً فى عرض هذه الصحراء على ما أنا به من اللباس العسكرية الضيق الذى يبرم فيه الجسم الانسانى بغير احتشام تلوح على سمات عدم الإيمان فى مكان هومسقط رأس الديانات كأننى من الحجاز ومن الكلاب أمام أولئك القوم الذين يكررون الى ربهم صلوات خاشعة تصدر عن قلوب ملئت صداً وإيماناً ، وبيننا أنا كذلك إذ جال بخاطرى ماوردى التوراة من أن الله يسكن خيمة سام ويكرّم من أولاد يافث ، وقد كان الفريقان مجتمعين فى ذلك المكان أولئك المصلون الذين هم من ولد سام محبوبين بدينهم وعبادة ربهم وآبائهم ، الله الذى دخل خيمة ابراهيم وأنا ابن يافث الذى يمتدّ ذكره بالحرب والفتوح ، ولما انتهى بنا الطريق ورجعت الى مكان راحتى جعلت أكتب ما علق بذهنى من الأفكار فأحسست اننى منجذب بحلاوة الاسلام كأنها أول مرة شاهدت فى الصحراء قوما يعبدون خالق الأكوان وذكر كرم خيام النصرارى حيث لا تمتد فيها غير النساء وأخذنى الغضب من كفر أبناء العرب وقلة إيمانهم كنت فى سنّ يستهل العقل فيه حل المشكلات ويأخذ الأشياء من غلواهرها ويحل الخيال فيه محل النقد والتفتيب ويعتقد المرء فى الامور بغير قيد وهو سئ لو أنصف أهله لما كتبوا وألفوا وكنت أرى أن جبال الدين

أصدق شاهد على أنه الدين الحق وصرت أكتب في الاسلام غير شاعر بما يخطه القلم طوع النقاد  
ولواني اتبعت مجرّد الظواهر وقصبت على الامور بغير تأمل وتدقيق لجاء كتابي مفهوما وروائي المنشرقون  
بالخفة والطيش كما يرمون بحق بعض مؤلفي الجزائر من الادروباويين ، ذلك ان المشتغلين بالاسلام في هذه  
الأيام ( فريقان ) المنشرقون الذين هم من افاضل العلماء ومستعربو الجزائر من الافرنج أيضا ، وبملاشبهة  
فيه أن القسم الأول قد أفاد العلم أكثر من القسم الثاني فان أعمالهم أتت كثيرا من العناصر والمواد التي  
يسهل بها اليوم وضع تاريخ للاسلام لأن ذلك التاريخ لا يزال مع ما تقدم في عالم الغيب وبعدهم يأتي مستعربو  
الجزائر على نسبة الفرق بين غزارة المادة في العلم وسلامة النظري الموجودات وهم يعيشون مع المسلمين  
ويقهون غور أفكارهم ويعلمون حقيقة معيشتهم وكنه دياتهم معرفة لا تحصل لأحد في غير تلك البلاد ،  
وهذا يرون أن لهم الحق في أن يكتبوا عن الاسلام كالمشركين ، نعم انهم لم يبقوا على جميع ما ألفه المسلمون  
في الحكمة وعلم الكلام ولكنني لا أرى ذلك نقصا كبيرا إذ معرفة حقيقة الاسلام في هذا العصر لا تحتاج الى  
سعة اطلاع ديني ، على أن مطالعة جميع الكتب التي وضعت في مبدأ ظهور هذا الدين انما تجب على المؤرخ  
أكثر من غيره لأن علم الكلام وحسب الخوض فيه قد اندثر منذ القرن الثاني عشر حيث أصبح الدين الاسلامي  
قويا متينا لا تؤثر فيه مناقشة الباحثين وتخاصم المتقدين كما أودت بأصول الديانات الأخرى فمن ذلك الحين صار  
كل مسلم من عالم وجاهل ومن أمير وحقير مؤمنا إيمانا لا احتياج لتحكيم العقل في تحصيله بل هو إيمان  
وجداني بسيط قوي في النفس متمكن من القلوب وذلك لا يشاهد في الأمم المسيحية إلا عند الفاضلين  
ولقد رأيت من الواجب أن أبين الصفات التي تحوّلني حتى الكتابة عن الاسلام قبل أن أنشر كتابي هذا ،  
أنا عاشرت العرب أزمانا طويلا واشتغلت كثيرا بمعرفة حقيقة طابع الشرقيين ومذهبي مذهب مستعربو الجزائر  
ولذلك أسأل المنشرقين ذوي الاعتبار عفا ولينا وأطلب منهم قبل كل شيء أن لا يجمعوا بيني وبين أولئك  
الذين يميلون الى العرب فيكتبون عن الاسلام ما تلقفوه أثناء سياحة قصيرة جاء قولهم قولا شعريا حتى إن  
الموسوي (لوازون) لم ينج من هذه السقطة بل ملأ من قلمه وجذبه التحيلات فكان ممن يرى كل شيء في الشرق  
جيلا وجاء رأي في الاسلام رأى قوال لا رأى باحث حكيم ، وعليه فليست أقصد بكتابي هذا أن أجدد الاسلام  
ولكنني لما رأيت انه صار من المسائل الكبرى التي اشتغلت بها أذهان الباحثين في العصر الحاضر وأست  
من أجله مجلة علمية في باريس نال بها المسلمون نجاحا أدى الى أن المسيحيين ومنهم أولاد الصليبيين يساعدونهم  
بالمال على إقامة مسجد بعبود الله فيه انتهزت فرصة هذا الليل وأردت التنبية الى بعض أغلاط علفت بالأفكار  
عندنا من حيث النبي العربي ودينه الاسلامي وهو عمل شاق وموقف حرج إذ من المعلوم كما قيل انه لا يرسخ  
في الاعتقاد أكثر من خطأ الاعتقاد كذلك أرى انه لا يكفي لأمة مسيحية متمدينة أن تحترم دين المسلمين  
من رعاياها بل يجب عليها أن تسمى الى معرفة ذلك الدين كما ينبغي فنحن نضحك اشفاقا من سماع الأفاضل  
التي تقرأها عن بعض المسلمين للسحبيين ونقول أولئك قوم جهلة متعصبون وانهم في بعضهم لنا عظمون  
إلا ان المسيحيين هم كذلك في بعضهم للمسلمين لا يبدلون وأشدّ الأوهام رسوخا عندنا بالنظر الى الديانة الاسلامية  
ما اختص منها بشخص النبي ولذلك قصدت أن يكون بحثي أولا في تحقيق شخصيته وتقرير حقيقته الأدبية  
على أجد في هذا البحث دليلا جديدا على صدقه وأمانته المتفق قريبا عليها بين جميع مؤرخي الديانات  
وأكبر المشيعين للدين المسيحي

( صدق سيدنا محمد ﷺ - محمد والأغاني المعروفة بأغاني الاشارات - محمد والتاريخ - أصل الاعتقاد )

( الوحي بالقرآن - ليس محمد مبتدعا - هل كان على الدوام صديقا - وفاته )

كنت كلما بحث في الديانات مع صاحب لي من طلبة العلم في (تلمسان) وأراد الحرب من الجدال يبحيني

« هم يقولون إن نقولنا وإن محمداً من السحرة ، إجابة ملومة بالاحتقار كالجيب المتقد اعتقاداً ونياً يريد أن يشفق عليه وذلك مع مبالغة في احتراي وحسن الصلات بيننا ، وكان يرى أن التثليث خرافة فادحة كسحر محمد وأن المسيحيين الذين اخترعوا البدعتين قوم لا يبنى الجدل معهم ولست أدري ما الذي يقوله المسلمون لوعلموا أقاصيص القرون الوسطى وفهموا ما كان يأتي في أغاني القوال من المسيحيين فجميع أغانيها حتى التي ظهرت قبل القرن الثاني عشر صادرة عن فكر واحد كان السبب في الحرب الصليبية وكلها مخشوة بالحق على المسلمين للجهل الكلي بدياتهم وقد نتج عن تلك الأناشيد تثبيت هاتيك القصص في العقول ضد ذلك الدين ورسوخ تلك الأغلاط في الأذهان ولا يزال بعضها راسخاً إلى هذه الأيام فكل ناشدكان يعد للمسلمين مشركين غير مؤمنين وعبدة أوثان مارقين ، وقد جعلوا لهم ثلاثة آلهة هم على ترتيب درجاتهم (ماهوم) ويقال ماهوم و بافوميد وماهوميد وهو محمد ﷺ ثم (أبلين) ثم (ترطاجان) وذهبوا إلى أن محمداً وضع دينه بإذاعة الإلهية ومن المستغربات قولهم إن محمداً الذي هو عدو الأصنام ومبيد الأوثان كان يدعو الناس لعبادته في صورة وثن من ذهب كما كان يعتقد (الكرلوقنجيون) وأن المسلمين لما غلبهم الأفرنج وصدموهم إلى أسوار (سرسقطة) عادوا إلى أصنامهم فخطموها كما خطن به أحد منشدي ذلك العصر حيث قال ﴿ وكان أبلين إلههم في مفارة هناك فتراموا عليه وأوسعوه شتاً وسياً وصلبوه من يديه في أحد العمدان وجعلوا يدوسونه بأقدامهم ويوجوهونه ضرباً بالعصى حتى هشموه ، وأما (ماهوم) فقد رموه في حفرة وتركوا الكلاب والخنازير يرتشه وتغشى عليه وتلك اهانة لم تصب إلهاً قبله ﴾ و يظهر أن المسلمين لم يلبثوا أن تابوا من ذنوبهم واستغفروا آلهتهم وأصلحوها ما ألتفوه منها ولذلك أمر الإمبراطور (كارلوس) بإبادتها لما دخل (سرسقطة) كما جاء في قول ذلك الشاعر وقد أمر الأبراطور الفرنسيون فطافوا جميع أنحاء المدينة ودخلوا للمساجد والجوامع وأيديهم مطارق من حديد فكسروا بها (ماهوميد) وجميع الأوثان والأصنام ، وكذلك يقول (ريشار) في أناشيده وهي جيلة ﴿ لاشئ من الخراف فيها إلا أنها زور وهتان حيث يطلب من الله أن يوقع القتل العميم بين أولئك الذين يبدون بصورة ماهوم ﴾ ثم جعل يحرض الأشراف على الحرب المقدسة وينصحهم أن ينكسوا أصنام المسلمين ﴿ قوموا ونكسوا صنم ماهوميد وترطاجان وصبوهم على النار وقدموهم إلى ربكم ﴾ وذهبوا إلى أن صورة (ماهوم) كانت تصنع من أنفس الأحجار والمعادن بأحكم صنع وأدق اتقان . ومن قرأ وصفه في أناشيد رولان كاد يحلف أن ذلك الشاعر إنما يصف عن خبر وعيان . يقول وكانت كلها من الذهب والفضة لو شاهدها لأيقنت بأنه لا يمكن للعقل أن يتصور أجمل منها ، عظيمة الشكل ، لطيفة الصنع ، تالوح على وجهها سمات الشهامة . كان (ماهوم) من ذهب وفضة يأخذ بريقها بالأبصار وقد وضع فوق فيل على جلسة من أجل المنصوعات خازياً من جوفه فيرى الضوء من خلاله مرصعاً بنفائس الأحجار المضيئة ، يرى الناظر باطنه من الظاهر وهو صنع عز عن المثال والنظير ، ولما كانت الآلة تنزل الوحى وقت الشدائد وانتهزم المسلمون في إحدى غزواتهم بعث قائدهم إلى مكة يطلب ربه ، قال الراويون لجاء الإله محمد في موكب عظيم يضرب بالبطل والزمائر ضرباً يسمع له دوى قاصف وبعضهم يفتي بالزمار والآخر بصفارة من الفضة والكل حولهم يرقصون ويغنون بأعلى أصواتهم وأقبلوا به فرحين حيث المجلس معقود والخليفة الديني في انتظاره فلما رآه قام يعبده بخضوع وخشوع ثم أخذ (ريشار) بعد ذلك يقص كيفية مناجاة أولئك الوثنيين لذلك الصنم الذي وصفه بالتجوف وأن لاشئ في باطنه إلا ويرى من الخارج فقال ﴿ وقد وضعوا في جوفه عفريناً استحضره السحرة وصار ينطوي ويربد ثم أخذ يكلم المسلمين وهم يسمعون ﴾ ولقد زاد بغضهم لذلك الصنم حتى جعلوه علامة على الدين الاسلاي كاجعلوا الصليب علامة للدين المسيحي ، فروى (بودوان) في نشيده على الكونتيسة (بوتيو) لما أرادت أن تعتنق الاسلام أمام صلاح الدين أنها قالت ﴿ أريد أن أعبد محمداً فالتوتني به فلما صار بين يديها خرت ساجدة

إليه ) ويأخذ القارئ من نشيد آخر يظهر أنه وضع تمة لأناشيد (بودوان) وجود إلهين للمسلمين غير الذين سبق ذكرهم وهما (بارتوان) و(جوين) إلا أن الثلاثة الأولين هم الرؤساء ، ولم يرد أحد قواد المسيحيين بجيش المسلمين الذي خرج من مكة أخذ الشاعر يصف اضطراب المسلمين فقال ( وقد جعل الوثنيون يسهون وبصرخون ويموجون بينهم ويهرجون وينادون بأعلى أصواتهم يترفان يماهموم ومع ذلك يوجد نشيد من أناشيد القرون الوسطى لا يرى فيه القارئ رمزا إلى محمد بالصنم وهو للقسيس (اسكندروديون) ألفه سنة ١٢٥٨ ميلادية أخذنا عن مسلم تنصر من ذوى الاعتبار وعدّ الناس تلك القصة تاريخا صحيحا عن ذلك النبي وقد جاء فيها ( أنه من المعلوم أن محمدا كان عالما بطرق المكر والخيانة والخداع ) ثم شبه بأحد الأمراء الحطاط باتباعه ينشردينه على أبسط حال حتى اعتقده الناس أكثر مما اعتقدوا حبر روة .

ولقد أطلنا القول في تلك الأصول لأن تاريخ اسكندر المذكور لم يزلها لأنها تركت أثرا في الأذهان وصل إلى أهل هذه الأيام وتنبعت به أفكارهم في النبي وكتابه

ولوسائل سائل هل كان أولئك المنشدون يعتقدون صحة ما يقولون لأجبناء جواب أهل (نورمندا) لا نعم إذ من المحقق أن الاختلاط بين المسيحيين والمسلمين سهل للنشدين معرفة الدين الحمدي على حقيقته ولكنهم ما كانوا يقصدون الحقائق التاريخية في أناشيدهم بل حفظ روح البغضاء في نفوس قومهم فاحتاجوا في ذلك إلى وصف المسلمين ونبيهم ودينهم بالأوصاف التي تؤثر في نفوس المنشود لهم على حسب معارفهم وأمالهم وإذا انتقلنا من شعراء القرون الوسطى إلى من جاء بعدهم من المؤرخين والتكلميين الباحثين في علم التوحيد الذين يظهر على كتبهم في ذلك الزمن أنهم مبالون إلى الاعتدال وجدنا مؤلفاتهم محشوة بتلك الأقاصيص الخرافية ملوثة بالظعن والشتائم في نبي المسلمين وكان المصلحون (هم البروتستانتيون أيام دعوتهم لإصلاح الدين المسيحي) أشدّ تعصبا صده من غيرهم فقد اعتنى (بيلياندر) بنشبهه بمحمد الشيطان وعاملوا كتابه وشعره كما عاملوه ولنا نقيم بهانا على ما نقول غير توجيه نظر القارئ إلى مطالعة ما جاء في مقدمة كتاب (ريلان) الذي ألفه سنة ١٧٢١ تحت عنوان (ما هو السبب في أن الناس عاتمة لا يعرفون من النهاية الحمديّة إلا شيئا يسيرا ؟ ) حيث يقول (لواراد الباحثون أن يصموا مذهبا أو طريقة بوصمة الخزي والعارنسوها إلى محمد فقالوا مذهب محمدى أو طريقة محمدية وهكذا )

وألف القس (دون مارتنو الفرسوقالو) كتابا سماه (سراج الكنيسة المقدسة الفهية) جاء فيه أن كتاب محمد لا نلزم قراءته بل يجب أن يسخر به وأن يحقر ويرى في النار أفي وجد ، ولا يليق أن يحفظه الناس لأنه عمل جهيمي ، وبعضهم كان لا يقول بحرقه ولكنه يرى من العبث أن يحمد الإنسان نفسه ويزيد إيلامها بحفظ هزليات وأمور تافهة منشؤها خيالات شخص اختل عقله واضطربت قواه

وأما المسلمون فمن أسألتهم في تلك الكتب البلدة والكمالي والحير والحير والحوشية والمقوقون الذين يملؤون المنزل بالنساء في الليل ويطلقنهن في النهار ، ولوردت الإطلاح على جعبة الشائم والسباب فعليك بكتاب ألفه أحد اليسوعيين وهو (بروشار) وسماه مرشد السياحة وقته إلى الأمير (فيليب روقلو) سنة ١٣٣٢ وذكر فيه الأسباب التي تحمله على الدعوى إلى حرب صليبية فقال ( من ذا الذي لا يفرح عبرات الدمع عند ما يملأ أي الرجال هم الفاضلون اليوم على تلك البقاع التي هي ميراثنا ، أولئك قوم لارب لهم ولادين يهديهم ولا شرع يرجعون إليه ولا عهد ولا حان ، أولئك قوم أخساء أدنياء وهم أعداء لكل حقيقة في الوجود وكل صفاء وكل خير وكل عدل أولئك هم أعداء الصليب الكافرون بالله المضطهدون للمسيحيين المرطون في نسائهم ، الفاسقون بالأطفال ، الظالمون لجميع الحيوانات ، المخالفون لطباع البشر ، القتالون للفنائل ، المبيتون للأخلاق . الفارقون في القبايح والخطايا . أولئك هم أولياء الشيطان . وأنصار الدنيا . ذوو حقد وبغض .

ذو أفكار سافلة . وأعمال سخيفة . وعيشة دنيتية . وأقوال بذيتة . وعشرة سوء معدية . لانتصرف اربابهم ولا تنجهم منهم إلا الى اللذائذ البهيمية والمعيشة الطمعية ، أولئك هم القوم الذين أبعدونا عن تلك البقاع وآذونا في هذه البقعة الصغيرة التي نحن فيها مستهزئين بنا وساخرين بديننا أولئك هم الذين خربوا بيت الله وملكوا المدينة المقدسة التي هي مهبط شرعنا ولقونوا أماكنها المقدسة المظلمة

ولم يزل هذا الروح سائدا عند المسيحيين حتى ان المستشرق (بريدر) الانكليزي ألف سنة ١٧٣٣ كتابا في سيرة النبي عنوانه (حياة ذى البدع محمد) وترجمه بعضهم الى لغتنا وجعل له مقدمة بين فيها مقصد المؤلف فقال (إن غرض واضع هذا الكتاب هو خدمة المقصد المسيحي الحكيم بذكر حياة ذلك الرجل الشرير محمد) أولئك كتاب ما قصدوا التاريخ ولكنهم أرادوا خدمة المقصد المسيحي الحكيم كما يقولون وكان سلاحهم الوحيد في تأييد سواقتهم أن يشبعوا خصمهم سبا وشتما وأن يحرفوا في النقل مهما استطاعوا وأراد (داماسين) أن يخالفهم في التأليف لكونه تربى في دمشق الشام وكان مقربا عند الخلفاء فحصل يرد منهج الاسلام من غير نصب لملك عنه بدعة في الديانة المسيحية تقرب من بدعة (أريوس) ومع ذلك فلم تؤخر عبارته في رأي الغربيين بل ظلوا يعتقدون الخرافات في النبي وقرأه وكان رؤساؤهم الروحانيون يجتهدون دائما في تأييدها وتمكينها من الأذهان وهي سياسة جعلت الناس عندنا يهزؤون بالدين الاسلامي وأعنت الباباوات عن حربه سرا بحجها فقد كانت الكنيسة اللاتينية في القرن الثامن مشغولة بأمور أخرى لأن الكنيسة الشرقية كانت واقعة بين عاملين مضرين هما أحزاب النفس الواحدة في جسدين وأحزاب النفس في جسم واحد . ولم يبدأ في البحث عن الاسلام بغير نصب ولا تشيع إلا في زماننا هذا ، ففي القرن التاسع عشر أخذ الباحثون ينظرون الى المسألة نظر الناقد البصير وكان من وراء ذلك أن افترق الناس في القرآن الى معجب به وطماع فيه ومع ذلك لازال نرى في لسان هذا القسم الأخير ما ننس منه رائحة تأثرهم بالأفكار الماضية قال المسيو (دروخني) في سياحته في بلاد العرب التي نشرها سنة ١٨٧٨ عن النبي (انه عرف في خاش دقته) وقد نسي أن هذه الألفاظ التي يشتم منها السامع لم تعد تصلح اليوم حجة على جهة الدعوى . وأول مدار البحث فيه مسألة صدق النبي في رسالته وقد قلنا ان ذلك متفق عليه بين المستشرقين والمتكلمين على التقريب ، ومعلوم أنه لا ارتباط بين هذه المسألة وبين كون القرآن كتابا منزلا ، ولسنا نحتاج في إثبات صدق النبي الى أكثر من اثبات انه كان مقتنعا بصحة رسالته وحقيقة نبوته ، أما الفرض من تلك الرسالة في الأصل فهو إقامة له واحد مقام عبادة الأوثان التي كانت عليها قبيلته مدة ظهوره . ويبان ذلك أن اسماعيل لما حنقت عليه (سارة) وطرد من عائلة أبيه توجه الى بلاد العرب ونقل اليها ديانة أبيه ابراهيم إلا انه لم يبق بين العرب من تلك الديانة سوى شيء قليل يشبه الخيال إذ لم يكن عندهم من يذكرهم على الدوام بأن رب ابراهيم هو رب عزيز لا يقبل له شريكا كاحصل ذلك لبني اسرائيل ولا يزال هذا الاعتقاد يزول شيئا فشيئا وتحل محله عبادة الآلهة التي كانت معروفة في أم أخرى حتى تنوس دين اسماعيل تماما ثم دخلت اليهودية في بعض القبائل المجاورة لبلاد الشام ولكن الديانة المسيحية لم تعلق في تلك البقاع حتى ان (نبت) قس البصرة اعترف في القرن الرابع بأن معيشة العرب الرحالة القليلة تمنع من انتشار تلك الديانة في بحث جزيرة العرب الى أن قال نبت إذن مما تقدم أن محمدا ﷺ لم يقرأ كتابا مقدسا ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه خلافا لما ذهب اليه (اسكندرديون) حيث يقول (انه كان يعرف في دين اليسوع قراءة وكتابة) نعم إن البحث عن معرفة المصادر التي عساه يكون تلقى عنها بالمشافهة ديانة المسيح أو الديانة اليهودية أو ديانة عباد الكواكب قد يكون مفيدا لمعرفة المواقفات التي جاءت بين القرآن وبين التوراة إلا أنه بحث ثانوي إذ لو فرض وكان القرآن قد نقل بعضا من الكتب المقدسة الأخرى لقي الأمر مشكلا كما كان عليه في معرفة حقيقة ما اختلج

بروحه الدني وكيف وجد فيها ذلك الاعتقاد الثابت بوحداية الله حتى استولى عليه روحا وجسما ولقد نعلم انه مر بتعذب كثيرة وقاسى آلاما نفسية كبرى قبل أن يتجر برسالته فقد خلقه الله ذا نفس تمحصت للدين ، ومن أجل ذلك احتاج الى العزلة عن الناس لكي يهرب من عبادة الأوثان ومنهجه تعدد الآلهة الذي ابتدعه المسيحيون وكان بعضهما متمكنا من قلبه وكان وجود هذين المذهبين أشبه بآبرة في جسمه ﷺ ولكي ينفرد بما نزل فيه من الفكر العظيم وهو وحداية الله تعالى اعتكف في جبل حراء وأرغى العنان لفكره بجول في بحار التأملات عابدا متهجدا ومضت عليه بهذه الحالة ليال من ليالى هاتيك البقاع التي تملأ النفس انشراحا حتى جاء عنها في لسان العامة أن الملائكة تسأل ربها لو أذن لهم فيهبطوا من السماء لقضاء ليلهم على الأرض اغجابا بجمال الليل فيها وشوقا الى صفاته وجلاله

ولعمري فيم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الأربعين وهو في ريعان الفكاه ، ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بجمدة التخيل وقوة الادراك لا بوضوح المقدمات وتطبيق النتائج عليها ما كان إلا أن يقول مرارا ويعيد تكرارا هذه الكلمات ﴿ الله أحد . الله أحد ﴾ كلمات رددها المسلمون أجمعون من بعده وغاب عنا معشر المسيحيين مفزاها لبعدها عن فكرة التوحيد ولم يزل عقله مشتغلا حتى ظهر هذا الفكر في كلامه على صور مختلفة جاءت في القرآن - لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد - وكانت مترادفات اللفظة العربية تساعد بهاها الرقيقة على تردد ذلك الفكر السامى الذي دل عليه ومن تلك الأفكار وتلك العبادة تولدت كلمة الاسلام ﴿ لا إله إلا الله ﴾

ذلك هو أصل الاعتقاد بإله فرد ورب صمد منزّه عن النقائص يكاد العقل يتصوره وهو اعتقاد قوى يؤمن به المسلمون على السواء ويمتازون به على غيرهم من القبائل والشعوب ، أولئك حقا هم المؤمنون كما يسمون أنفسهم بأنفسهم ، ولقد يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل الى النبي ﷺ من مطالعته التوراة والانجيل إذ لو قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها على مذهب التثليث وهو مناقض لفطرته مخالف لوجدانه منذ خلقته فظهر هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته وهو بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته وأمانته في نبوته

وأما مسألة الوحي بالقرآن فهي أكثر إشكالا وأكثر تعقيدا لأن الباحثين لم يهتدوا الى حلها حلا مرضيا والعقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الانسان عن الاتيان بمثلمها لفظا ومعنى ، آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة حار في جبالها وكفى رفيع عباراتها لاقتناع عمر ابن الخطاب فآمن برب قائلها ، وفاضت أعين نجاشي الحبشة بالسموع لما تلا عليه جعفر بن أبي طالب (سورة آل عمران) ومجاء في ولادة يحيى وصاح القسس ﴿ إن هذا الكلام وارد من موارد كلام عيسى ﴾ قال ناقل هذه الرواية ( كوزان دى يرسوفال ) فلما كان اليوم الثاني طلب النجاشي جعفرا وأشار اليه بتلاوة ما في القرآن عن المسيح ففعل واستغرب الملك لما سمع أن المسيح عبد الله ورسوله وروح منه نزل في أمه مريم ثم تناول قريبا دقيقا كان أمامه وقال لجعفر ﴿ إن الفرق بين ماسمناه منك الآن عن عيسى وبين ما تقول دياننا عنه لا يزيد عن سمك هذا القضب وقد قرى ذلك القضب فنع الحبشة من الاسلام وجعلها مسيحية الى الآن لكن نحن معشر الفرقين لا نساه أن نفقه معاني القرآن كما هي لمخالفتة لأفكارنا ومعارفنا لما ريت عليه الأئم عندنا غير أنه لا ينبغي أن يكون ذلك سببا في معارضة تأثيره في عقول العرب ﴾ ولقد أساب (جان جاك روسو) حيث يقول ﴿ من الناس من يعلم قليلا من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ولو أنه سمع محمدا ﷺ عليه على الناس تلك اللغة الفصحى الرقيقة وصوته المتنع المشع الذي يطرب الأذان ويؤثر في القلوب والتفت الى انه كلما بدت أحكامه أبدا بقوة البيان وما أوتيته من بلاغة اللسان لمخر ساجدا على الأرض وناداه أبها



التي رسول الله أخذ بيدنا الى مواقف الشرف والفضاء أو مواقع التهلكة والاختلاف نحن من أجلك نود الموت أو الانتصار ﴿﴾ قال (بولاتيلير) ﴿إني لأعترف بأنه من الصعب أن يظن الإنسان ولا يتحير في أمره أن قوة الفصاحة الانسانية تؤثر ذلك التأثير خصوصا انها تصدر عالياً بغير ضف أبداً وتتحد رقيقة مجزة إذ تقصر دون تمثيلها رجال الأرض وملائكة السماء﴾ وقد أشار المؤلف في كتابه الى الآية الآتية - أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴿﴾ فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو -

إذن ليس محمد من المبتدعين ولا من المنتحلين كتابهم وليس هو نبى سلاب كما يقول المسيو (سابوس) نعم قد نرى تشابها بين القرآن والتوراة في بعض المواضع إلا ان سببه مبسور المعرفة ، ذلك أن محمداً كان يلصق ديانة الاسلام بالديانتين المسيحية واليهودية فالبعث مباح فيها اذا كان مذهبه صحيحاً أو موضوعاً اتخذته ليؤيد به الحقيقة الدينية من حيث هي ولكن لانسلك هذه الحقيقة وحيفت لأعجب اذا تشابهت تلك الكتب في بعض المواضع خصوصاً اذا لاحظنا أن القرآن جاء ليتمها كما ان النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين والآن لنخلص لك مذهب نبى المسلمين في البيانات الثلاث فنقول ﴿إن دين الأنبياء كان كله واحداً فهم متحدون في المذهب منذ آدم الى محمد وقد نزلت ﴿ثلاث كتب﴾ سبوية وهي الزبور والتوراة والقرآن والقرآن بالنسبة الى التوراة كالنوراة بالفنسية الى الزبور وأران محمداً بالنظر الى عيسى كعيسى بالنظر الى موسى ولكن الأمر الذي تهتم معرفته هو أن القرآن آخر كتب سبوى ينزل للناس وصاحبه خاتم الرسل فلا كتاب بعد القرآن ولا نبى بعد محمد ﷺ ولن نجد بعده لكلمات الله تبديلاً ، اذا قررت هذا لم يعد هنالك وجه للاستغراب من وجود بعض التشابه بين القرآن والتوراة فمحمد كعيسى قال انه بعث ليتم رسالة من قبله لا ليبدعها فلم يكن من أمره الابتعاد عن تهمته ولذلك كان يصرح على الدوام بأنه يعيد على الناس ما نزل على الأنبياء من قبله وكان يسمع صوته من السماء يقول له - إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ﴿﴾ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكماً - وقال تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون - وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبور أنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون - على أن بعض المشابهات لا تحتاج الى مثل هذا التفسير إذ نفس محمد كانت متأثرة بما تأثرت به نفوس الأنبياء من بني اسرائيل وكان بعد الله الذي عبده فلاحج إن تشابهت ألفاظ التضرعات وتجانست أنواع الدعاء . إذن لا يمكن أن ننكر على محمد ﷺ في الممر الأول من حياته كمال إيمانه وإخلاص صدقه ، فأما الإيمان فلم يترعزع مثقال ذرة من قلبه في الممر الثاني وما أوثقه من النصر كان من شأنه أن يقويه على الإيمان لولا أن الاعتقاد كله قد بلغ منه مبلغاً لا محل للزيادة فيه ولم يكن فيه عيب بل ان مانسوه اليه من هذا القليل لا يؤثر بشئ على سبرته الطاهرة فما كان يميل الى الخراف ولم يكن شجاعاً بل كان كال أبو الفداء يستتر اللبن من لعابه بنفسه ويجلس على القراب ويرقى ثيابه ونعاله يدهم ويلبسها مرقعة مرقعة وكان قنوعاً خرج من هذا الباب كما رواه أبو هريرة ولم يشع من خبر الشجر مرة في حياته

هذا هو النبي الذي قال عنه المنشدون من النصارى ﴿إنه كان منهما يأتي المليات في الحانات﴾ تخرج من الطمع وتمكن من نوال المقلم الأعلى في بلاد العرب ولكنه لم ينجح الى الاستبداد فيها فلم يكن له حاشية ولم يتخذ وزيراً ولا حاشياً وقد حاز الرفعة والمعالى وبلغ من السلطان متناه

ومهما اجتهدنا في ادراك كل معنى من معانيه فانا به جاهلون فلقد وعد ملوك بني اسرائيل أن يرسل المسيح من أصلاهم ورأينا أن عيسى ولد على غير ما عهدوا . على أن محمدا ﷺ كان يقول عن نفسه انه يخشى العذاب ويسأل الله العفوان ، وكمن مرة شوهدت على وجهه علام الملح ومابه من هول رسالته عندما كان يتلو على الناس آيات الفزع الأكبر

هذا ما كان من صدقه وأمانته في السنين الأولى من بعثته حتى سباه معاصروه بالأمين . وأما حاله في بقية مدته بعد أن صار رئيسا سياسيا فلا استدلال عليه أدق وأدعى الى طول البحث والتفتيح . قال رينارد دوزي ﴿ يكاد أن يكون من المستحيل الجزم بأن محمدا كان في آخر حياته يعتقد بصدق رسالته . أما في الدور الأول فاعتقاده وصدقه لاشك فيهما والأدلة كثيرة من الجانبين ووضع المسألة على هذه الكيفية هو الذي فرّق بين الباحثين وانتصر كل حزب من المتطرفين لرأى ووجهة تبع أمياله وما يشتهي إلا ان الناقد المنصف لا يصحح عليه أن يرجع قولاً على آخر بدون ملاحظة القرائن التي تتبع الاثنين ، ولكن الناس كما وصفهم المسيو (مونور) محتاجون الى الايقان والاعتقاد وهم في احتياجهم هذا يميلون الى من يلقي عليهم المسائل كلها كأنها حقيقة ثابتة ويمقتون من ينههم عن الاعتقاد بشئ أوفيه مطلقا بغير تثبت ولادليل ولست ممن يدعى الترفع عن هذا الترفع غير انني أقول انه بفرض صحة المذهبين وان صدق النبي في آخر حياته وعدمه سيان في الوضوح والدليل فلا يزال عندنا سبيل آخر للوصول الى الحقيقة أو القرب منها ألا هو علم النفس وحركاتها وهذا العلم وإن لم يبلغ بعد الدرجة التي تزيل كل شبهة عقلت بالأنكار لكنه مع ذلك يوصلنا الى الايقان بأن من الأنبياء من لا يتيسر للباحثين أن يجزموا بشئ في أمرهم كأن يؤكّدوا أنهم صادقون أو أنهم جروا في أفعالهم على ما يخالف الواقع وهم يعلمون كما يفعل السياسيون ، وللمن كاتب ولا بحث يستطيع أن يجزم بأن الأمباطور (كونستنتان) الذي رفضه القسس مكانا عليا في المعابد واختصوه بالمواهب الإلهية كان صادقا بعد انتصاره في قنطرة (ميليوس) ولكن محمدا قاوم الوثنية بجزم واحد طول الحياة ولم يتردد لحظة واحدة بينها وبين عبادة الواحد الأحد كما فعل الملك الروماني وإيمانه كان حقا ثابتا على السواء ، لذلك لم تنفجر حياته ولم تنفجر عزمته فقد انتهى كما بدأ ولوانه جال بفكره ساعة من زمانه شك في صدق رسالته لكنني بنصره الشامم من بلا هذه الغمة ومؤيدها في صحة صوته وصدق رسالته ﴾

وفي الصدق درجات فليتبينها الباحثون وليفقهوها قبل أن يحكموا بالبدع وهم غمطون ، ولقد عانى محمد ﷺ كثيرا مع بني قومه إذ كانوا منكريين ولم يأخذهم على غرة منهم بعد أن صاروا مؤمنين ، نحن لا نصدق بما يقولون بل نرى أن قومه كانوا في استعصام أمانته من المتطرفين ، ولئن أعجم لهم القول حيناً في مخالفتهم فذلك لأنه يعز وجود من يحب الحق ولا تلجئ الحوادث الى الاعجاب طلبا لتقريره في ذهن قوم جامدين . إن الذين ينكرون صدق محمد في آخر حياته لا يستطيعون أن ينكروا عليه انه بقي الى آخر لحظة منها نبيا رسولا شديد التمسك بعبده وانه طارق الدنيا موقنا بأداء رسالته فلقد اتفق مؤرخو العرب طرا على الحوادث التي تحفلت أيامه الأخيرة وأورثونا عنهم ما كان من حركاته وسكناته بقول واحد ومعنى لا يتغير عما يبرهن على صدق حديثهم وأمانتهم في قلوبهم ، ولولا زيف المنشدين من النصارى وكثرة تخيلهم لما قالوا ﴿ إن محمدا قد مات تهتبه الخنازير إذ وجدوه نشوان وليس عنده معين ولا نصير ﴾ تلك جريمة لا تقدر ، وبما يستغرب له المطالع أن يجد حكاية هذا الموت الفاضح في تاريخ الحرب الصليبية الأولى لمؤلفه (جيبيردى نوجان) وهو معدود من المؤرخين الذين لا يميلون الى التخريف غير انه أتى بهذه الأكذوبة وزاد عليها أن المسلمين كرهوا لحم الخنزير من ذلك التاريخ فلنسدل ثوب النسيان على هذه الأفاقيص المحزنة ولنقرأ كيفية وفاة النبي في كتب المؤرخين الصادقين لما قربت النية خارت قواه وخرج الى الجحيم بمكة في شهر مارس سنة (٦٣٢) ميلادية وهي حجة الوداع .

وخطب في الناس على منبر المسجد المقدس فقال ﴿ رب اني أذيت رسالتى وبلغت أمانتى اليوم قال الله تعالى - اليوم يسس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوه واخشون ﴾ اليوم أكلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً - ثم رجع الى المدينة وأقام بيت عائشة زوجته المصطفاة برضا من زوجته ، ولما أحسن يقرب الأجل ذكر الفقراء فانه لم يرغب طول حياته في المال بل كان كلما جمع اليه شيئاً منه أنفق في الصدقات ، وكان قد أعطى عائشة مقدراً يسيراً لتحفظه فلما حضره المرض أمر بانفاقه على المعوزين لساعته وغاب في سنة ولما أفلق سألها عما اذا كانت أفذت أمره أم لا فأجابته . كلاه فأمر بالنقود وأشار الى العائلات المعوزات فوزع عليهم وقال الآن استراح قلبى فاني كنت أخشى أن ألقى ربى وأنا أملك هذا المال ، وكان في مرضه يخرج كل يوم لىلى الظهر بالناس وآخر يوم خرج فيه هو الثامن من شهر يونيه سنة ٦٣٢ وكانت مشيته مضطربة فتوكلأ على الفضل بن العباس وعلى بن أبى طالب وقصد منبر الخطابة الذى كان يعظ الناس عليه قبل الصلاة وحده الله وأثنى عليه ثم خطب في المسلمين بصوت رفيع سمعه من كان خارج المسجد فقال « أيها الذين تسمعون قولى إن كنت ضربت أحدكم على ظهره فمونه ظهري فليضربه ، وإن كنت أسأت سمعة أحد فلينتقم من سمعتى ، وإن كنت سلبت أحداً ماله فاليه مالى فليقتص منه وهو فى حلّ من غضبى فان الفلّ» بعيد عن قلبى « ثم نزل من المنبر ودعى بالجماعة ، ولما أراد الانصراف أمسك به رجل من لزاره وطلب منه ثلاثة دراهم ديناً له فأذاها على الفور قائلاً « نلذى الدنيا أهون من خزى الآخرة » ثم دعا لمن حارب معه فى (أحد) وسأل الله لهم الرحمة والغفران ، وكان مشهد النبى بين المؤمنين فى ذلك اليوم مشهد جلال ووقار والناس يلعبون على وجهه تأثير السم الذى شربه من يد يهودية خبير وقولوبهم منقطعة من الوجد عليه ، ذلك انه لما كان فى واقعة خيبر قدمت اليه يهودية اسمها (زيب) شاة مشوية أضافت اليها سماً فأخذ منه النبي ﷺ قطعة واحدة بين شفتيه وأحسن بأنها مسمومة فألقاها ، ثم لما حضرته الوفاة بعد حين كان يقول « ما زلت تعاودنى أكلة خيبر » وكانت أبو بكر نفسه يبكى ويقول للرسول « هلا اقتدنا بروحك بارواحنا » ثم أوصله الصحابة الى بيت عائشة واضطجع نعباً مهزولاً وصار المرض يشتد عليه فتخلف عن الصلاة بالمسلمين وقيل له قد جاء وقت الظهر فأشار الى أبى بكر لىلى بالناس فكان من وراء هذه الاشارة خلافة أبى بكر بعد النبي ﷺ وأخبرت عائشة رضى الله عنها عن حالة الاحتضار فقالت كانت رأس رسول الله ﷺ مسندة الى صدرى وقبره قدماءه وكان يقوم ليضع فيها يده ويمسح جبينه ويقول « رب أعنى على تحمل سكرات الموت أذن منى يا جبريل ، رب اغفر لى واجع بينى وبين أصدقائى فى السماء » ثم قتلت رأسه ومال ثانية الى صدرى

أما خلفاته فبیت بناء بيده وضيع نياق أكلت الى بيت المال لأنه عليه الصلاة والسلام قال « نحن معاشر الأنبياء لانورث » والى هنا تقصر القول عن ذات النبي فما أردنا أن نطيل فيها إلا لنعرف حقيقة تلك النفس المنتشبة بالدين إذ الدين يدعو الى الدين وكان من الواجب دقة البحث عن اعتقاده ﷺ قبل أن نتبع دينه كيف انتشر ولا يزال ينتشر في الوجود

### ﴿ الاسلام فى زمن الفتح ومدة حكم العرب ﴾

قال القديس (بولس) يطلب اليهود معجزات ليصدقوا واليونان أدلة ليؤمنوا ، وأما العرب فهم آمنوا بغير معجزات ولا أدلة إذ النبي كان يقول لجلسائه على العوام انه آدمى مثلهم وانه مرسل اليهم وانه مجر - عن كل سلطان فى المعجزات - قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى أعما إلهكم إله واحد - قل لا أملك لنفسى نقصاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون - وأما البراهين فنحن نعلم مقدار بعد عقله عن التخيلات الذهنية كالامة التى بعث فيها الا اننا رأينا الاسلام

في واقعة بدر سنة ٦٣٤ ميلادية وليس له من الأنصار إلا ثلاثمائة وأربعة عشر نفرا فلم يمض عليه قرن واحد حتى اجتاز جبال (الالب) وتوسط البلاد الفرنسية ، وقد أسلمت الشام والحجيم ومصر وبلاد القرب من مراکش الى الجزائر الى تونس الى طرابلس ، نعم قد سبق هذا الانتشار العظيم عناء شديد واضطراب في العمل كثير واضطهاد للناس كبير شأن كل ديانة عاتية في مبدئ ظهورها ولكن الاسلام لم يلبث أن تغلب على أكبر العثرات فهد الصعاب حتى صار لا يعرف حاجزا ولا عمانا

وما أشبه الدين في انتشاره بامتداد السوائل الطبيعية فهو نتيجة « مؤثرين » مؤثر داخل يسمى المقاوم ومؤثر خارجي وهو المحرك والأول خفي لا يظهر أثره وإن كان هو الذي يلتقط جيع الحرارة الواصلة الى الجسم فعمله الوحيد التغلب على مقاومة العناصر فإذا انحلت جاء المؤثر الخارجي فنشأ عنه مع اختلاف بسيرته الجسم العظيم الذي يسمى بتجزأ وقد احتاج الاسلام في الانتشار الى التغلب على قوة العوائد والتقاليد التي وجدها وهو مانع يصادف كل دين جديد إلا أنه كان قويا للغاية عند العرب لمسكهم بعدائهم وأعجابهم برسوم قبائلهم العريقة القديمة وكان من الصعب جدا أن يعتنقوا ديناً يرى آباءهم غير مطهرين ، ومن الموانع التي قوت العرب في استعصامهم على الاسلام ما اشتمل عليه من مبدئ قهر النفوس وقذيلها للواحد المعبود ، فالقول بالساواة بين الناس طرا أمامه كان ثقيل على أذان العرب مخالفا لتقاليدهم الأولية حتى يدنوا اليه بغير عناء ولذلك فإن الاسلام سنة ٦٣٣ ميلادية أيام وفاة النبي لم يكذب يبلغ حدود جزيرة العرب إلا أنه كان بين المسلمين الأوّلين رجال من العظماء اعترف بفضلهم الأب (بروغلي) حيث قال « إن الذين آمنوا بمحمد كانوا قوما صادقين ذوي دراية وذكراء منهم أبو بكر وعمر وجلان توليا زمام مملكة فسيحة الأرجاء فأحسنوا سياستها وكانا ذوي ثبات وعدل وقناة وفضل وشدة عزيمه وكانا أرضع قفرا وأبعد مرعى من القياصرة والحكام الذين حاربوهما » ومن الغريب أن الدين الاسلامي لم يلق في طريقه من المقاومات إلا ما قابل به العرب الوثنيون فانهم كما قمتنا كانوا مدفوعين الى المقاومة بسبب تمسكهم بعوائدهم وشعائهم القديمة وحبهم لحريتهم واستقلالهم فكان جميع تلك القبائل المشورة وهم رحل في الوديان غيورون على اطلاقهم في الغلوات ، لا يعرفون من الحكم إلا سواق المشاة على المرعى ومحاربة بعضهم في كل آن وتكوين أئمة واحدة منهم أكبر عقبة قامت في وجه النبي ﷺ ولولا قوة الدين الجديد لما بقيت تلك الوحدة زنا طويلا لأنها لم تدم إلا وقتا وعادت بعد ذلك الى التفرق والاقسام ، غير أن القبائل بعد تفرق وحدتها لا تزال متمسكة بدينها الجديد وصار الاسم العربي ذا المقام الأول بين الأسماء في جميع أطراف المسكونة وصار كل ينتسب الى عائلة من عائلات الجزيرة خصوصا عائلة قريش ذات المجد الباذخ والشرف الرفيع ، وهذا هو السبب في اطلاق اسم العرب في التاريخ على أمور كثيرة فقالوا عائلة كذا عريية وأمة كذا عريية وتعدن كذا عريي مع أنه لا جامعة بينها وبين بلاد العرب سوى الاسلام . انتهى الكلام على الفصل الثاني

### « الفصل الثالث فيما ذكره العلامة توماس كارليل »

لقد أصبح من أكبر المعارض على أي فرد متدين من آباء هذا العصر أن يصل الى ما يظن من أن دين الاسلام كذب وأن محمدا خذاع مزور وأن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة الضخيلة فان الرسالة التي أذناها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا ، أهي كان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفاتية الحصر والاحصاء كذوبة وخدعة ؟ أمأنا فلا نستطيع أن نرى هذا الرأي أبدا وإذا كان الكذب والفش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادقان منهم مثل ذلك التصديق والقبول ، فما الساس إلا به ومجانين وما الحياة إلا سخط وعبث وأضاللة كان الأولى بها أن لا تخلق

فوا أسفاه ما أسوأ مثل هذا الزعم وما أضغف أهلهم وأحقهم بالراء والمرجة (و بعد) فعلى من أراد أن يبلغ منزلة تامة في علوم الكائنات أن لا يصدق شيئا البتة من أقوال أولئك السفهاء فانها نتائج جيل كفر وعصر مجور والحاد وهي دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر وموت الأرواح في حياة الأبدان . ولعل العالم لم ير قط رأيا أكفر من هذا وآلم ، وهل رأيتم قط معشرا الاخوان أن رجلا كان يستطيع أن يوجد ديناً وينشره ، يحبا والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتا من الطوب ، فهو اذا لم يكن عليا بخصائص الخير والجص والقراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه بيت وانما هو تل من الأقاوض وكثير من أخلاط المواد ، ثم وليس جدرا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنا يسكنه مائة مليون من الأنفس ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن ، واني لأعلم انه على المرء أن يسير في جيع أمره طبق قوانين الطبيعة والا أتت أن نحجب طلبته ونقطع بغيته ، كذب والله ما يذيعه أولئك الكفار وان زخرفوه حتى خيلوه حقا وزوروا وباطل وان زينوه حتى أوهموه صدقا ومحبة والله ومصاب أن ينخدع الناس شعوبا وأممها بهذه الأضاليل وتسود الكذبة وتقود بهاتيك الأباطيل وانما هو كما ذكرت لكم من قبيل الأوراق المالية المزورة يحتال لها الكذاب حتى يخرجها من كفه الأثيمة ويحقق مصابها بالغير لابه ، وأي مصاب وأيكم ؟ مصاب كصاحب الثورة الفرنسية وأشباهها من الفتن والتمن تصيح بملء أفواهها « هذه الأوراق كاذبة »

أما الرجل الكبير خاصة فاني أقول عنه يقينا انه من المحال أن يكون كاذبا فاني أرى الصدق أساسه وأساس كل مابه من فضل ومجدة ، وعندى أنه مامن رجل كبير (مبارو) أو (نابليون) أو (بارنز) أو (كروميل) كفه للقيام بعمل ما إلا وكان الصدق والاخلاص وحب الخير أول بعثاته على محاولة ما يحاول أعني انه رجل صادق النية جاد مخلص قبل كل شيء بل أقول إن الاخلاص (الاخلاص الحرا العميق الكبير) هو أول خواص الرجل العظيم كيفما كان ، لا أريد اخلاص ذلك الرجل الذي لا يبرح يفتخر للناس باخلاصه . كلا . فان هذا حقير جدا وأيم الله ، هذا اخلاص سطحي وقبح وهو في الغالب غرور وفتنة انما اخلاص الرجل الكبير هو مما لا يستطيع أن يتحدث به صاحبه . كلا . ولا يشعر به بل لأحسب انه ربما شعر من نفسه بعدم الاخلاص إذ أين ذاك الذي يستطيع أن يلزم نهج الحق يوما واحدا ؟ نعم إن الرجل الكبير لا يفخر باخلاصه قط بل هو لا يسأل نفسه أي مخلص (أو بعبارة أخرى) أقول ان اخلاصه غير متوقف على ارادته فهو مخلص على الرغم من نفسه سواء أراد أم لم يرد ، هو يرى الوجود حقيقة كبرى ترعوه وتهوله ، حقيقة لا يستطيع أن يهرب من جلالها الباهر مهما حاول ، هكذا خلق الله ذهنه ، وخلقه ذهنه على هذه الصورة هو أول أسباب عظمته ، هو يرى الكون مددها ومخيفا وحقا كاللوت وحقا كالحياة وهذه الحقيقة لا تفارقه أبدا وان فارقت معظم الناس فساروا على غير هدى وخبطوا في غياهب الضلال والعماية بل قتال هذه الحقيقة كل لحظة بين جنبه ونصب عينيه كأنها مكتوبة بحروف من الذهب لاشك فيها ولا ريب هاهي هاهي

فاعرفوا هذا كم الله أن هذه هي أول صفات العظيم وهذا حدّه الجوهري وتمريفه وقد توجد هذه في الرجل الصغير فهي جديرة أن توجد في نفس كل انسان خالق الله ولكنها من لوازم الرجل العظيم ولا يكون الرجل عظيما إلا بها

مثل هذا الرجل هو انسميه رجلا أصليا في الجوهر كريم العنصر فهو رسول مبعوث من الأبدية المجهولة برسالة إلينا ، ثم قل بعد ذلك بكلام هذا انه بالحرف الواحد كالذي قبله نحن نعلم أن قوله ليس بماخوذ من رجل غيره ولكنه صادر من لباب حقائق الأنبياء ، نعم هو يرى باطن كل شيء لا يحجب عنه ذلك باطل الاصطلاحات وكاذب الاعتبار والعادات والمعتقدات وسخيف الأوهام والآراء ، وكيف وان الحقيقة لتطلع لعينه حتى يكاد يفشي لنورها ، ثم اذا نظرت اذ كلمات العظيم شاعرا كان أوفيلسوبا أو نبيا أو فارسا أو ملكا ، ألآثارها ضربا

من الوحي والرجل العظيم في نظري مخلوق من فؤاد الدنيا وأحشاء الكون فهو جزء من الحقائق الجوهرية للأشياء ، وقد دلّ الله على وجوده بآيات أرى أن أحدثها وأجتها هو الرجل العظيم الذي علمه الله العلم والحكمة فوجب علينا أن نصفي إليه قبل كل شيء . وعلى ذلك فلسنا نعدّ محمدا هذا قط رجلا كاذبا متصفا بتدّرع بالحيل والوسائل إلى بغية أو يعلج إلى درجة ملك أو سلطان أو غير ذلك من الحقائق والأصناف والرسالة التي أذاها إلا حقا صراحا ، وما كنهه إلا صوتا صادقا صادرا من العالم المجهول . كلا . ما محمد بالكاذب ولا الملقف وإنما هو قطعة من الحياة قد فطر عليها قلب الطبيعة فإذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهذه حقيقة تدمغ كل باطل وتدحض حجة القوم الكافرين كانت عرب الجاهلية أمّة كريمة تسكن بلادا كريمة وكأنما خلق الله البلاد وأهلها على تمام وفاق فكانت شبه قريب بين عورة جبالها وعورة أخلاقهم وبين جفاء منظرها وجفاء طباعهم وكان يطف من قسوة قلوبهم مزاج من اللين واللين كما كان يسقط من عبوس وجوه البلاد رياض خضراء وقيعان ذات أمواه وأكلاء وكان الاعرابي صامتا لا ينكلم إلا فيما يعنيه إذ كان يسكن أرضا قفرا يباب خرساء تحاطلها بحرا من الرمل يسطلي جرة النهار طوله ويكافح بحر وجهه نمحات القمر ليله

رأت رجلا ما إذا الشمس عارضت • فيضحي وأما بالعنى فيخمر

ولأحسب أناسا شأنهم الانفراد وسط اليد والقفار يحادثون ظواهر الطبيعة ويناجون أسرارها إلا أنهم يكونون أذكياء القلوب حداد الخواطر خفاف الحركة ثاقبي النظر وإذا صح أن الفرس هم فرنسويولمشرق فالعرب لاشك طلبانيه ، والحق أقول لقد كان أولئك العرب قوما أقوياء النفوس كأن أخلاقهم سيول دفاقة لها من شدة حمهم وقوة ادارتهم أحسن سور وأمنع حاجز ، وهذه وأبيكم أم الفضائل وذروة الشرف الباذخ ، وقد كان أحدهم يضيفه ألد أعدائه فيكرم مثواه وينحر له فإذا أزعج الرحيل خلع عليه وحله وشيعه ثم هو بعد كل ذلك لا يصحجهم أن يقاتله متى عادت به إليه الفرص ، وكان العربي أغلب وقته صامتا فإذا قال أفصح ، ويزعم أن العرب من عنصر اليهود والحقيقة أنهم شاركوا اليهود في مرارة الجذ وخالقوهم في حلالة النماثل ورقة الظرف وفي ألمعية القرينة وأريحية القلب ، وكان لهم قبل زمن محمد عليه السلام منافسات في الشعر يجرونها بسوق عكاظ في جنوب البلاد حيث كانت تقام أسواق التجارة فإذا انتهت الأسواق تناشد الشعراء القصائد ابتغاء جائزة تجعل للأجود قريضا والأحكم قافية فكان الأعراب الجفاة ذوو الطباع الوحشية الوعرة يرتاحون لنفحات القصيد ويجدون لرائحتها أي لذة فيتهافتون على المنشد كالفرش ويتهاكون

وأرى لهؤلاء العرب صفة من صفات الاسرائيليين واضحة فيهم وأحسبها ثمرة الفضائل جميعها والمحمد بمخاضها ألأوهي الدين فانهم مذ كانوا ما برحوا شديدي النفسك بدينهم كيفما كان وكانوا يعدون الكواكب وكثيرا من الكائنات الطبيعية يرونها مظاهر للخالق ودلائل على عظمته . فهذا وإن يك خطأ فليس من جيع وجوهه فإن مصنوعات الله ما برحت بوجه تارة ومزاوله ودلائل عليه . ألسنا كما قدّمت نعتها مفخرة للشاعر وفضيلة أن يكون يدرك ما بالكائنات من أسرار الجبال والجلال وأسرار الجبال الشعرى كما اصطلاح الناس على نسيته . وقد كان لهؤلاء العرب عدة أنبياء كلهم أستاذ قبيلته ومرشداه حسبما يقتضيه مبلغ علمه ورأيه . ثم أليس لدينا من البراهين الساطعة ما يثبت لنا أي حكمة بليغة ورأي مسدد . وأي تقوى وإخلاص فكان لهؤلاء البدو المفكرين . وقد اتفق النقاد أن (سفر أبوب) أحد أجزاء التوراة كتابنا المقدس قد كتب في بلاد العرب ورأى في هذا الكتاب فضلا عن كل ما كتب عنه أنه من أشرف ماسطر يرّاع ودوّت يد كاتب . ولا يكاد المرء يصدق أنه من آثار العبرانيين لمافي من عمومية الأفكار مع شرفها وسموها عمومية تخالف التعصب والتحيز . وكان بين هؤلاء العرب التي تلك حالهم أن ولد النبي محمد عليه السلام عام (٥٨٠) ميلادية وكان من أسرة

هاشم من قبيلة قر يش وقدمات أبوه عقب مولده . ولما بلغ عمره ستة أعوام توفيت أمه وكان لها شهرة بالجلال والفضل والعقل فقام عليه جده شيخ كان قد ناهز المائة من عمره وكان صالحا باراً ، وكان ابنه عبدالله أحب أولاده إليه فأبصرت عينه الهرمة في محمد صورة عبد الله فأحب اليه الصغير بل قلبه ، وكان يقول ينبغي أن يحسن القيام على ذلك الصبي الجليل الذي قدفاق سائر الأسر والقبيلة حسناً وفضلاً ، ولما حضرت الشيخ الوفاة والعلام لم يتجاوز العامين عهد به الى أبي طالب أكبر أعمامه رأس الأسرة بعده فرباه عنه (وكان رجلاً عاقلاً كما يشهد بذلك كل دليل) على أحسن نظام عربي .

ولما شب محمد وترعرع صار يصحب عمه في أسفار تجارية وما أشبهه ، وفي الثامنة عشرة من عمره نراه فارساً مقاتلاً يتبع عمه في الحروب ، غير أن أهم أسفاره ربما كان ذلك الذي حدث قبل هذا التاريخ بضع سنين (رحلة الى مشارف الشام إذ وجد الفتى نفسه هناك في عالم جديد إزاء مسألة أجنبية عظيمة الأهمية جدا في نظره) أعنى الأمانة المسيحية . واني لست أدري ماذا أقول عن ذلك الراهب سرجيوس (بهيبريا) الذي يزعم أن أبا طالب ومحمداً سكنا معه في دار ، ولماذا عساه يتعلمه غلام في هذه السن الصغيرة من أي راهب ما فان محمداً لم يكن يبرز إذ ذاك الرابعة عشرة ولم يكن يعرف إلا لغته ، ولا شك أن كثيراً من أحوال الشام ومشاهدها لم يك في نظره إلا خليطاً مشوشاً من أشياء ينكرها ولا يفهمها ولكن الغلام كان له عيان ثاقبان ولابد من أن يكون قد انطبع على لوح فؤاده أمور وشؤون فأقامت في ثنايا ضميمه ولو غير مفهومة ريثما ينضجها له كرم الفداء ومر العشي وتحلها له يد الزمن يوماً ما فتخرج منها آراء وعقائد ونظرات نافذات . فقلل هذه الرحل الشامية كانت لمحمد أوائل خير كثير وفوائد جمة

ثم لانسى شيئاً آخر وهو انه لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً وكانت صناعة الخط الحديثة العهد إذ ذاك في بلاد العرب ويظهر أن الحقيقة هي أن محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة وكل ما تعلمه هو عيشة الصحراء وأحوالها وكل ما وافق الى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهد بعينه ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية . وعجيب وأيم الله أتمية محمد . ثم انه لم يعرف من العالم ولا من علومه إلا ما تيسر له أن يبصره بنفسه أو يصل الى سمعه في ظلمات صحراء العرب ولم يضره ولم يزره انه لم يعرف علوم العالم لا قديمها ولا حديثها لأنه كان بنفسه غنياً عن كل ذلك ولم يقتبس محمد من نور أي انسان آخر ولم يفترق من مناهل غيره ولم يك في جيع أشباهه من الأنبياء والعظماء (أولئك الذين أشبههم بالمصايح الهادئة في ظلمات الدهور) من كان بين محمد وبينه أدنى صلة وانما نشأ وعاش وحده في أحشاء الصحراء ونما هناك وحده بين الطبيعة وبين أفكاره

ولوحظ عليه منذ فتائه انه كان شاباً مفكراً وقد سباه رفقاؤه (الأميين) رجل الصدق والوفاء . الصدق في أفعاله وأقواله وأفكاره . وقد لاحظوا انه ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة . واني لأعرف عنه انه كان كثير الصمت . يكتم حيث لا موجب للكلام فإذا نطق فاشقت من لب وفضل وإخلاص وحكمة . لا يتناول غرضاً فيتركه إلا وقد أنار شهته وكشف ظلمته وأبان حجته واستارد فينته وهكذا يكون الكلام والا فلا . وقد رأينا طول حياته رجلاً راسخ المبدأ صامم العزم بعيد الهمة كريماً براراً تقياً فاضلاً حراً . رجلاً شديد الجدّ مخلصاً وهو مع ذلك سهل الجانب لين العريكة جم البشر والطلاقة جيد العشرة حلو الانس با لربما مازح وداعب . وكان على العموم نقيض وجهه انبسامه مشرقة من فؤاد صادق لأن من الناس من تكون انبسامته كاذبة ككذب أعماله وأحواله . هؤلاء لا يستطيعون أن يبتسموا . وكان محمد جيل الوجه وضى الطلعة حسن القامة زاهي اللون له عيان سوداوان تلالآن . واني لأحب في جبينه ذلك العرق الذي كان ينفث ويسود في حال غضبه (كالعرق المقوس الوارد في قصة التفازة الجراء لواتر سكوت) وكان هذا العرق خصيصة في نبي هاشم ولكنه كان أين في محمد وأظهر . نعم لقد كان هذا النبي حلاً الطبع ناري المزاج ولكنه كان

عادلا صادق النية ، كان ذكيّ القلب شهم الفؤاد

لوزعيا كأمّا بين جنبيه مصابيح كل ليل بهم

ممثلًا نارا ونورا ، رجلا عظيما بظفرته لم تتفقه مدرسة ولا هذبه معلم وهو غنيّ عن ذلك كالشوكة استغنت عن التنقيح فأدّى عمله في الحياة وحده في أعماق الصحراء

الى أن قال ﴿ ويرغم المتعصبون من النصارى والملاحدون أن محمدا لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان . كلا . وأيم الله لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير (ابن القفار والفلاوات المتوقد المقلتين العظيم النفس المملوءة رجة وخيرا وحنا وبرًا وحكمة وحجى وإبرة ونهى) أفكار غير الطمع الدنيوى ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه ، وكيف وتلك نفس صامدة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا غلّامين جاذين ، فينّا ترى آثرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ويسبرون طبق الاعتبارات الباطلة إذ ترى محمدا لم يرض أن يلتفع بألوف الأكاذيب ويتوشع بمتبع الأباطيل لقد كان منفردا بنفسه العظيمة وبحقائق الامور والكائنات ، لقد كان سرّ الوجود يسطع لعينه كما قلت بأهواله ومخاوفه ورواقه ومباهره لم يك هنالك من الأباطيل ما يحجب ذلك عنه فكأن لسان حال ذلك السراهلائل بناجيه « هاتأذا ، فقل هذا الاخلاص لا يتخلو من معنى إلهي مقتس ، وما كلة مثل هذا الرجل إلا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة ، فاذا تكلم فكل الأذان برغمها صاغية وكل القلوب واعية وكل كلام ماعدا ذلك هباء وكل قول جفاء وما زال منذ الأعوام الطوال منذ أيام رحله وأسفاره يحول بخاطرهم آلاف من الأفكار ، ماذا أنا ؟ وما ذلك النشئ العديم النهاية الذى أعيش فيه والذى يسميه الناس كونا ؟ وماهى الحياة ؟ وما هو الموت ؟ وماذا أعتقد ؟ وماذا أفعل ؟ فهل اجابته عن ذلك مخور جبل سراء أو شباريح طود الطور أو تلك القفار والفلاوات . كلا . ولا قبة الفلك السوار واختلاف الليل والنهار ولا النجوم الزاهرة والأنواء المطيرة لم يجبه لاهذا ولاذاك وما للجواب عن ذلك إلا روح الرجل والا ما أودع الله فيه من سره ، وهذا ما ينبغي لكل انسان أن يسأل عنه نفسه فقد أحسن ذلك الرجل القفرى أن هذه هى كبرى المسائل وأهم الامور وكل شئ عديم الأهمية فى جانبها ، وكان اذا بحث عن الجواب فى فرق اليونان الجدلية أوفى روايات اليهود المبهمة أو نظام وثنية العرب الفاسد لم يجدده . وقد قلت إن أهم خصائص البطل وأوّل صفاته وآثرها هى أن ينظر من خلال الظواهر الى البواطن . فأما العادات والاستعمالات والاعتبارات والاصطلاحات فينبذها جيدة كانت أو رديئة وكان يقول فى نفسه « هذه الأوثان التى يعبدها القوم لابد من أن يكون وراءها ودونها شئ ماهى إلا رمز له وإشارة الىه والافهى باطل وزور وقطع من الخشب لا تنفع ولا تنفع ، وما لهذا الرجل والأصنام وأنى تؤثر فى مثله أوثان ولورصعت بالنجوم لا بالذهب ولوعبدها المجاجح من عدنان والأقيال من جبر . أى خير له فى هذه ولوعبدها الناس كافة ؟ انه فى وادهم وفى واد . هم يعمهون فى ضلالمهم وهو مائل بين يدى الطبيعة قد سطعت لعينه الحقيقة الهائلة فلما أن يجيبها والا فقد حبط سعيه وكان من الخاسرين . فلتجيبها يا محمد . أجب لآبدهن أن توجد الجواب . أبرزعم الكاذبون انه الطمع وحسب الدنيا هو الذى أقام محمدا وآثاره . حتى وأيم الله وسخافة وهوس . أى فائدة مثل هذا الرجل فى جميع بلاد العرب وفى تاج قيصر وصولجان كسرى وجبع مابالأرض من تيجان وصوالمجة وأن تصير الممالك والتيجان والبول جميعها بعد حين من الدهر ؟ أى منيخة مكة وقضيب مفضض الطرف أوفى ملك كسرى وتاج ذهبي الذؤابة منجاة لآرء ومظفرة . كلا . إننى فلنضرب صفعا عن مذهب الجائر بن القائل ان محمدا كاذب ونعدّ موافقتهم عارا وبسة وسخافة وحقا فلنربا بنفوسنا عنه ولنترفع . وكان من شأن محمد أن يقتل الناس شهر رمضان فينقطع الى السكون والوحدة دأب العرب وعادتهم ونعمت العادة ما أجلّ وأنفع ولاسبا لرجل كمحمد لقد كان يحاولى نفسه فيناجى ضميره صامتا بين الجبال الصامدة متفتحا صدره لأصوات الكون الغامضة الخفية .



أجل حبذا تلك عادة ونعمت . فلما كان في الأربعين من عمره وقد خلا إلى نفسه في غار بجبل (حراء) قرب مكة شهر رمضان ليفكر في تلك المسائل الكبرى إذا هو قد خرج إلى (خديجة) ذات يوم وكان قد استصحبها ذلك العام وأزلفها قريبا من مكان خلوته فقال لها انه بفضل الله قد استجلى غامض السر واستثار كامن الأمر وانه قد أنارت الشبهة وانجلي الشك وبرج الخفاء وأن جبع هذه الأصنام محال وليست إلا أعضابا حقيرة وأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فهو الحق وكل ما سواه باطل، خلقنا ويزقنا ونامن وسائر الخلق والكائنات لا غلّ لهم سائر بحجب النور الأبدى والروني السرمدي ، الله أكبر وقته المذموم الاسلام وهو أن نسل الأُمّة ونفعن له ونسكن اليه وتوكل عليه وأن القوة كل القوة هي في الاستئمان لحكمه والخضوع لحكمته والرضا بقسمته ، أية كانت في هذه الدنيا وفي الآخرة ومهما يصنأ به الله ولو كان الموت الزؤام فلتلقه بوجه باسم ونفس مقبلة راضية ونعم أنه الخبير وأن لا خير إلا هو ، ولقد قال شاعر الألبان وأعظم عظمائهم (جاني) « إذا كان ذلك هو الاسلام فكنا إذن مسلمون ، نعم كل من كان فاضلا شريف الخلق فهو مسلم » وقدمنا قيل « إن منتهى العقل والحكمة ليس في مجرد الأذعان للضرورة (فان الضرورة تخضع للمرء برغم أنفه ولا فضل فيها يأتيه الانسان مكرها) بل في اليقين بأن الضرورة الأليمة المرّة هي خير ما يقع للانسان وأفضل ما يناله وأن لله في ذلك حكمة تطف عن الأفهام وتدف عن الأذهان ، وانه من الآفن والسخف أن يجعل الانسان من دماغه الضئيل ميزانا لتلك العالم وأحواله بل عليه أن يستمد أن الكون قانونا عادلا وان غاب عن ادراكه وأن الخير هو أساس الكون والصالح روح الوجود والنفع لباب الحياة ، نعم عليه أن يعرف ذلك ويعتقده ويتبعه في سكوت وتقوى »

الأن قال « وجعل يذكر رسالته لهذا ولذاك فما كان يصادف إلا جودا وسخربة حتى انه لم يؤمن به في خلال ثلاثة أعوام إلا ثلاثة عشر رجلا وذلك منتهى البعد وبؤس التشجيع ولكنه المنتظر في مثل هذه الحال وبعد هذه السنين الثلاث أدب مأذبة لأربعين من قرابته ثم قام بينهم خطيبا فذكر دعوته وانه يريد أن يذمها في سائر أنحاء الكون وانها المسألة الكبرى بل المسألة الوحيدة فأبهم يده إليه ويأخذ بانصره وبينما القوم صامتون حيرة ودهشة وثب على « وكان غلاما في السادسة عشرة وكان قد غاظه سكوت الجماعة فصاح في أحد لحظة انه ذاك الصغير والظهير ، ولا يحتمل أن القوم كانوا منابذين بمحدا ومعادينه وكلهم قرابته وفيهم أبوطالب عم محمد وأبو علي « ولكن رؤية رجل كهل أمي بعينه غلام في السادسة عشرة يقومان في وجه العالم بأجمعه كانت مما يدعو إلى الهيب المضحك فانفض القوم ضاحكين ولكن الأمر لم يك بالمضحك بل كان نهاية في الجد والخطر أما على « فلا بد لنا إلا أن نحبه وتعشقه فانه في شريف القدر كبير النفس فيض وجودانه رحمة وبراً ويتلظى فؤاده بحمة وحاسة وكان أشجع من ليث ولكنها شجاعة مزروجة برقة ولطف ورأفة وحسان جدير بها فرسان الصليب في القرون الوسطى وقد قتل بالكوفة غيلة وانما جنى ذلك على نفسه بشدة عدله حتى حسب كل انسان عادلا مثله وقال قبل موته حينما أوصى في قاتله « إن أعش فالأمر إلى « وإن أمت فالأمر لكم فان أترمت أن تقتصوا فضرة بضربة وإن تعفوا أقرب لالتقوى ،

الأن قال « فلما كان العام الثالث عشر من رسالته وقد وجد أعداءه متألمين عليه جميعا وكانوا أربعين رجلا كل من قبيلة اهتموا به ليقنواوه وأتوا المقام بمكة مستحيلا هاجرا إلى (يثرب) حيث التفت به الأنصار والبلدة تسمى الآن (المدينة) أي مدينة النبي ﷺ وهي من مكة على (٢٠٠) ميل تقويم وسط صحور وقفار ومن هذه الهجرة يبتدئ التاريخ في المشرق والسنة الأولى من الهجرة توافق (٦٢٢) ميلادية وهي السنة الخامسة والخمسون من عمر محمد قرون انه كان قد أصبح إذ ذاك شيخا كبيرا وكان أصحابه يمجونون واحدا بعد وبخولون أمامه مسلكا وعرا وسيلا فقرا وخطة نكراء موحشة فاذا هو لم يجد من ذات نفسه مشجعا ومحركا ويفجر

بعره ينبوع أمل بين جنبيه فهيات أن يجد بارقات الأمل فيها يحصدق به من عوايس الخطوب ويحيط به من كالحات المحن والملمات وهكذا شأن كل انسان في مثل هذه الأحوال وكانت نية محمد حتى الآن أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة فقط فلما وجد أن القوم الظالمين لم يكفوا برفض رسالته السماوية وعدم الانصاف الى صوت ضميره وصيحة له حتى أرادوا أن يسكتوه فلا ينطق بالرسالة عزم ابن الصحراء على أن يدافع عن نفسه دفاع رجل ثم دفع عري ولسان حاله يقول « واما وقد أت قريش إلا الحرب فلينظروا أى فتيات هبجاء نحن » وحقا رأى فان أولئك القوم أغلقوا آذانهم عن كلمة الحق وشريعة الصدق وأبوا إلا تماديا في ضلالتهم يستبيحون الحرم ويمسكون الحرمات ويسلبون وينهبون ويقتلون النفس التي حرم الله قتلها ويأتون كل إثم ومسكر وقد جاءهم محمد من طريق الرقى والالانة فأبوا إلا اعتقوا وطغيانا ، فليجعل الأمر إذن الى الحسام الهند والوشيع القوم والى كل مسرودة حسداء وسابحة جرداء وكذلك قضى محمد بقية عمره وهي عشرين سنة أخرى في حروب وجهاد لم يترحم غمضة عين ولا مدر فواق وكانت النتيجة ما تعلمون ﴿

وقد قيل كثيرا في شأن نشر محمد دينه بالسيف فلما جعل الناس ذلك دليلا على كذبه فقد ما أخطأوا وجاروا فهم يقولون « ما كان الدين لينشر لولا السيف » ولكن ماهو الذي أوجد السيف ؟ هو قوة ذلك الدين وانه حق والرأى الجديد أول ما ينشأ يكون في رأس رجل واحد ، فالتى يعتقد هوفرد ، فرد ضد العالم أجمع ، فلما تناول هذا الفرد سيفا وقام في وجه الدنيا فقلما والله يضع ، وأرى على العموم أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبا تقتضيه الحال ، ألم تروا أن النصرانية كانت لا تأتى أن تستخدم السيف أحيانا وحسبك مافصل (شارلمان) بقبائل السكسون ، وأنا لا أسفل أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان أم بأية آلة أخرى فلندع الحقائق ننشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار ، لندها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظفارها فانها لن تهزم إلا ما كان يستحق أن يهزم وليس في طاقتها أن تقتل ماهو خير منها بل ماهو أخط وأذى فانها حرب لاحكم فيها إلا الطبيعة ذاتها ونعم الحكم ما أعدل وما أقسط وما كان أعنى جنرا في الحق وأذهب اعراقا في الطبيعة فذلك هوالتى ترونه بعد المرح والمرج والضوضاء والجلبة ناميا زاكيا وحده ﴿

الى أن قال ﴿ نحن سمينا الاسلام ضربا من النصرانية ولونظرنا الى ما كان من سرعته الى القلوب وشدة امتزاجه بالنفوس واختلاطه بالسام في العروق لأيقنا انه كان خيرا من تلك النصرانية التى كانت لإذاك في الشام واليونان وسائر تلك الأقطار والبلدان ، تلك النصرانية التى كانت تصعد الرأس بضوضائها الكاذبة وتترك القلب يطلانها قفرا ميتا ، على انه قد كان فيها عنصر من الحق ولكنه ضئيل جدا وبفضله فقط آمن الناس بها وحقا انها كانت ضربا كاذبا من النصرانية كالدعى بين الاصلاء ولكنها ضرب حتى على كل حال ذو حياة قلبية وليست مجرد قضايا قفرة ميتة ، ونظر محمد من وراء أصنام العرب الكاذبة ومن وراء مذاهب اليونان واليهود ورواياتهم وبراهينهم ومزاميعهم وقضاياهم ، نظر ابن القفار والصحارى بقلبه البصير الصادق وعينه المتوقدة الجليلة الى لباب الأمر وصميمه فقال في نفسه « الوثنية باطل وهذه الأصنام التى تصقلونها بالزيت والدهن فيقع عليها الغبار أخشاب لا تقصر ولا تنفع وهى منكر وقطيع وكفر لو تعلمون ، انما الحق أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلقتنا ويده حياتكم وموتكم وهو أرف بكم منكم وما أصابكم من شئ فهو خير لكم لو كنتم قفقهون »

وأن دينا آمن به أولئك العرب الوثنيون وأمسكوه بقلوبهم النارية لجدير أن يكون حقا وجدير أن يصدق به وان ما أودع هذا الدين من القواعد هو الشئ الوحيد الذى للانسان أن يؤمن به وهذا الشئ هو روح جميع الأديان ، روح تلبس أثوابا مختلفة وأثوابا متعددة وهى في الحقيقة شئ واحد ، وباتباع هذه الروح يصبح الانسان إما كبيرا لهذا المجد الأكبر (الكون) جليا على قواعد الخلق تابعا لقوانينه لا محولا عبثا أن يقاومها ويدافعها ولم أعرف قط ترفعا للواجب أحسن من هذا ، والصواب كل الصواب في السير على منهاج

الدنيا فان الفلاح في ذلك (إذ كان منهاج الدنيا هو طريق الفلاح) وجاء محمد وشيع النصارى تقيم أسواق الجدل وتخطط بالحجج الجاثرة وماذا أفاد ذلك وماذا أثمر . أما انه الأهم ليس حجة ترتب القضايا المنطقية وحسب انتابها وانما هو أن خلق الله وأبناء آدم يعتقدون تلك الحقائق الكبرى . لقد جاء الاسلام على تلك الملل الكاذبة والتحل الباطلة فابتلعها وحق له أن يتلها لأنه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة . وما كاد يظهر الاسلام حتى احترقت فيه ونيات العرب وجدليات النصرانية وكل مالم يكن يحق فانها حطبت أكثته نار الاسلام فذهب والنار لم يذهب

أما القرآن فان فرط إعجاب المسلمين به وقولهم بإعجازه هو أكبر دليل على اختلاف الأذواق في الأمم المختلفة هذا وإن الترجمة فذهب بأكثر رجال الصنعة وحسن الصياغة ولذلك لا يحب إذا قلت ان الأوروبي يجد قراءة القرآن أكبر عنه فهو يقرؤه كما يقرأ الجرائد لا يزال يقطع في صحفها قفارا من القول الملل المنعب ويحمل على ذهنه هضابا وجبالا من الكلام لكي يعثر في خلال ذلك على كلمة مفيدة . أما العرب فيرونه على عكس ذلك لما بين آياته وبين أذواقهم من الملامة ولأنه لا ترجمة ذهبت بحسن وروقه فلذلك رآه العرب من المعجزات وأعطوه من التبجيل مالم يعطه أتقي النصارى لانجيلهم ، وما برح في كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل والقانون المتبع في شؤون الحياة ومسائلها والوحي المنزل من السماء هدى للناس وسراجا منيرا يضيء لهم سبل العيش ويهديهم صراطا مستقيما ومصدر أحكام القضاة والدرس الواجب على كل مسلم حفظه والاستشارة به في غياهب الحياة وفي بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة يتقاسمه ثلاثون قارئا على التوالي وكذلك ما برح هذا الكتاب يرن صوتيه في أذان الآلاف من خلق الله وفي نواويسهم اثني عشر قرنا في كل آن ولحظة . ويقال ان من الفقهاء من قرأه سبعين ألف مرة . اذا خرجت الكلمة من اللسان لم تتجاوز الآذان واذا خرجت من القلب نفذت الى القلب والقرآن خارج من فؤاد محمد فهو جدير أن يصل الى أئفدة سامعيه وقارنيه . وقد زعم (براديه) وأمثاله انه طائفة من الأخاديع والتزويق لفقها محمد لتكون أعذارا له عما كان يرتكب ويقترب وذرائع لبلوغ مطامعه وغاياته ولكنه قد أن لنا أن نرفض جميع هذه الأقوال فاني لأمتق كل من يرى محمدا يمثل هذه الأكاذيب ، وما كان دون نظر صادق ليرى قط في القرآن مثل ذلك الرأي الباطل ، والقرآن لو تبصرون ماهو لإلجارت ذاكيات قدفت بها نفس رجل كبير النفس بعد أن أوقدتها الأفكار الطوال في الخلوات الصامتات وكانت الخواطر تراكم عليه بأسرع من لمح البصر وتزاحم في صدره حتى لا تسكاد تجدد مخزجا وقل ما نطق به في جانب ما كان يجيش بنفسه العظيمة القوية

هذا وقد كان تدفع الوقائع وتدفع الخطوب بهجه عن روية القول وتبقي الكلام ، وإياها من خطوب كانت قليح به وتطير فقد كان في هذه السنين الثلاث والعشرين قلبا لرحي حوادث متلاطمات متصادمات وعالم كله هرج ومرج وفتن وعجن ، حروب مع قریش والكفار ومخاصمات بين أصحابه وهياج نفسه ونورانيها ، كل ذلك جعله في نصب دائم وعناء مستمر فلم يلق نفسه الراحة بعد قيامه بالرسالة قط ، وقد أنجبل روح محمد الحادة النارية وهي تملل طول الليل الساهر يطفو بها الوجود ويرسب وتدور بها دوامات الفكر حتى اذا أسفرت لها بارقة رأى حسنة نورا هبط عليها من السماء وكل عزم مقدس بهم به بحاله جبريل وحيه (كذا) . يزعم الأفأكون الجبهة انه مشغود ومحتال . كلا . ثم كلا . ما كان قط ذلك القلب المحتدم الجائش كأنه تنور ففكر يفور ويتأجج ليكون قلب محال ومشغود . لقد كانت حياته في نظره حقا وهذا الكون حقيقة رائعة كبيرة . والاخلاص المحض الصراح يظهر لي انه فضيلة القرآن التي حبيت الى العرفي المتوحش وهي أول فضائل الكتاب . أيا كان وآخرها وهي منشأ فضائل غيرها بل لاشئ غيرها يمكنه أن يعث للكتاب فضائل أخرى . ومن العجب أن نرى في القرآن عرقا من الشعر <sup>(١)</sup> يجري فيه من بدايته الى نهايته ثم يتخلله نظرات نافذات . نظرات نبى وحكيم .

أجل لقد كان لمحمد في شؤون الحياة عين بصيرة ثم له قدرة عظيمة على أن يوقع في أذهاننا كل ما أبصره ذهنه . أنا لا أحفل كثيرا بما جاء في القرآن من الصلوات والتحميد والتجيد لأنني أرى لها في الانجيل شيها ولكنني شديد الإعجاب بالنظر الذي ينفذ الى أسرار الامور فهذا أعظم ما يلدني ويهيجني وهو ما أبجده في القرآن وذلك كما قلت فضل الله يؤتيه من يشاء

وكان محمد ﷺ اذا سئل أن يأتي بمجزة قال : « حسبكم بالكون مجزة » انظروا الى هذه الأرض أليست من عجائب صنع الله وآية على وجوده وعظمته ، هذه الأرض التي خلق الله لكم ونهج لكم فيها سبلا تسعون في مائة وأما كون من رزقه وهذا السحاب المير في الآفاق لا يدري من أين جاء وهو مسخر في السماء كل سحابة كارد أسود ثم يسبح بماء ويهبط ليحي أرضا مواتا ويخرج منها نباتا وتحيا وأعنا ! ليس ذلك آية ؟ والأنعام خلقها لكم تحول الكلا لبنا وهي غفر لكم ، والسفن (وكثيرا ما يذكرون السفن) كالجبال العظيمة المتحركة تنشر أجنتها وتحتفي في سواء اليم لها حاد من الريح ، « بينا تسير اذا هي قد وقفت بفتة وقد قبض الله الريح ، مجزات والله كل هذه ، وأي مجزات بعدها تريدون . أستم أتم مجزات ؟ لقد كنتم صفارا قبل ذلك لم تكونوا أبدا ثم لكم حال وقوة وعقل ثم وهبكم الرحمة أشرف الصفات وتمهرون وبأنبياءكم المشيخون وتضعفون وتهن عظامكم وتغوتون فتسبحون غير موجودين ثم وهبكم الرحمة ، لقد أهدشتني جدا هذه الجلة فان الله ربما كان خلق الناس بالرحمة فاذا كان يكون أمرهم ؟ » هذه من محمد نظرة نافذة الى لباب الحقيقة ، وكذلك أرى في محمد دلائل شاعرية كبيرة وآيات على أشرف الحمد وأكرم الخصال وأتينا فيه عقلا راجعا عظيما وعينا بصيرة وفؤادا صادقا ورجلا قويا عبقريا ، لو شاء لكان شاعرا خلا أوفارسا بطلا أو ملكا جليلا أو أي صنف من أصناف البطل . نعم لقد كان العالم في نظره مجزة أي مجزة ، وكان يرى فيه كل ما كانت يراه أعظم المفكرين حتى أتم الشئ المتوجسة وهو أن هذا الكون الصلب المادى إنما هو في الحقيقة لاشئ . إنما هو آية على وجود الله ، منظورة ملموسة . وهو ظل علقه الله على صدر الفضاء لا غير . وكان يقول : « هذه الجبال الشاخعات تسجل وتكتب مثل السحاب وتنفى » وكان يقول : « الجبال أوتاد الأرض وانها ستفنى كذلك يوم القيامة وأل الأرض في ذلك اليوم العظيم تصدع وتفتت وتذهب في الفضاء دبابا مشورا فتتعدم وكان لازال وانما لعيني سلطان الله على كل شئ وامتلاء كل مكان بقوة مجهولة وروني باهر وهول عظيم هو القوة الصادقة والجوهر والحقيقة ، وهذا ما يسميه علماء العصر (القوى والمادة) ولا يرونه شيئا مقدسا بل لا يرونه شيئا واحدا وانما أشياء تباع بالدرهم وتوزن بالثقال وتستعمل في تسيير السفن البخارية فسرعان ماتسبنا الكيماويات والحسابيات ما يكمن في الكائنات من سر الله وما أخشى ذلك النسيان عارا وأكبر هذه الغفلة إنما ؟ واذا تسبنا ذلك فأى الامور يستحق الذكر . إذن فمعظم العلوم أشياء ميتة خاوية بالية بقلة ذابلة . نعم وما أحسب العلوم لولا ذلك إلا خشيا بابا ميتا وليس هو بالشجرة النامية ولا بالفاقة الكثيفة اللينة التي لا تبرح تمسك بالخشب اثر الخشب فيها تمسكك وتطيك . ولن يجد المرء السبيل الى العلم حتى يجده أولا الى العبادة أعنى انه لا علم إلا لمن عبد والا فما العلم إلا مشقة كاذبة وبقلة كما قلت ذابلة

الى أن قال : « وما كان محمد أنا شهوات برغم ما أنهم به ظلموا وعدوانا . وشد ما يحجور ونحطى اذا حسبناه رجلا شهويا لاهم له إلا قضاء ما ربه من الملاذ . كلا . فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ آية كانت . لقد كان زاهدا متقشفا في مسكنه وما كنه ومشر به وملبسه وسائر أموره وأحواله . وكان طعامه عادة الخبز والماء وربما تابعت الشهور ولم توقد بداره نار . وانهم ليدكرون ونعم ما يذكرون انه كان يصلح ويرفون به يده فهل بعد ذلك مكرونة ومفخرة ؟ فخبذا محمد من رجل خشن اللباس خشن الطعام مجتهد في الله قائم النهار ساهر الليل دتبا في نشر دين الله غير طامع الا ما يطلع اليه أصاغر الرجال من رتبة أودولة أو سلطان غير مطلق

الى ذر أو شهرة كيفما كانت . رجل عظيم ور بكم والا فسا كان ملاقيا من أولئك العرب الغلاظ توفيرا واحتراما  
واكبارا واعظاما وما كان يمكنه أن يقودهم ويحاشهم معظم أوقاته ثلاثا وعشرين حجة وهم ملتفون به  
يقاتلون بين يديه ويجاهدون حوله ، لقد كان في هؤلاء العرب جفاء وغلظة وبادرة وعجرفة وكانوا حجة  
الانوف ، أبة الضيم ، وعزلقادة ، صعب الشكيلة ، فن قدر على رياضتهم وتذليل جانبهم حتى رضخوا له  
واستقادوا فذلک وأيم الله بطل كبير ، ولولا ما أبصروا فيه من آيات النبل والفضل لما خضعوا له ولا أذعنوا ،  
وكيف وقد كانوا أطوع له من بنائه ، وظنى انه لو كان أتبع لهم بدل محمد قبصر من القياصرة بتاجه وصولحانه  
لما كان مصيبا من طاعتهم مقدار ماله محمد في ثوبه المرقع بيده ، فكذلك تكون العظيمة وهكذا تكون  
الأبطال ، وكانت آخر كلماته تسبيحا وصلاة ، صوت فؤاد يهيم بين الرجاء والخوف أن يصعد الى ربه ولا تحسب  
أن شدة تدينه أوزت بفضل . كلا . بل زادته فضلا . وقد يروى عنه مكرمات عالية منها قوله حين رزى  
غلامه « العين تدمع . والقلب يوجع . ولا نقول ما يسيخط الرب » ولما استشهد مولاه زيد (ابن حارثة) في  
في غزوة (مؤتة) قال محمد « لقد جاهد زيد في الله حتى جهاده وقد لاقى الله اليوم فلا بأس عليه ، ولكن ابنة  
زيد وجدته بعد ذلك يبكي على جثة أبيها . وجدت الرجل الكهل الذى دب في رأسه المشيب يذوب قلبه  
دمعا فقالت ماذا أرى ؟ قال صديقا يبكي صديقه

مثل هذه الأقوال وهذه الأعمال ترينا في محمد أنها الانسانية الرحيم . أمانا جميعا الرؤف الشفيق وابن أمتنا  
الأولى وأينا الأول . وانى لأحب محمدا لبراءة طبعه من الرأى والصنع . ولقد كان ابن الفقار هذا رجلا مستقل  
الرأى لا يعول إلا على نفسه ولا يدعى مالىس فيه ولم يك متكبيرا ولكنه لم يكن ذليلا ضارعا فهو قائم في ثوبه  
المرقع كما أوجده الله وكما أراد . يخاطب بقوله الحرّ المين قياصرة الروم وأكسرة الهجم يرشدهم الى ما يجب  
عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة . وكان يعرف لفه قدرها . ولم تخل الحروب الشديدة التى وقعت له مع  
الأعراب من مشاهد قسوة ولكنها لم تغل كذلك من دلائل رجة وكرم وغفران . وكان محمد لا يتنثر من  
الأولى ولا يتفخر بالثانية إذ كان براها من وصى وجداه وأوامر شعوره ولم يكن وجدانه لهيبه بالتمهم ولا شعوره  
بالظنين . وكان رجلا ماضى العزم لا يؤخر عمل اليوم الى غد . وطالما كان يذكر (يوم تبوك) إذ أتى رجاله  
السيرالى موطن القتال واحتجوا بأنه أوان الحصيد وبالر فقل لهم الحصيد انه لا يلبث إلا يوما فإذا تفرّقوا دون  
للآخرة والحر ؟ نعم انه حر ولكن جهنم أشد حرا (ور بما خرج بعض كلامه تهكما وسخرية) إذ يقول للسكفار  
ستجزون يوم القيامة عن أعمالكم ويوزن لكم الجزاء ثم لا تبخسون مثقال ذرة

وما كان محمد يهاب قط ولا شاب شيئا من قوله شائبة لعب ولهو بل كان الأمر عنده أمر خسران وفلاح  
ومسألة فناء وبقاء ولم يك منه إزاءها إلا الاخلاص الشديد والجد المرّ . فأما التلاعب بالأقوال والقضايا المنطقية  
والعبث بالحقائق فما كان من شأنه قط . وذلك عندى أفضح الجرائم إذ ليس هو إلا رقدة القلب ووسن العين  
عن الحق وعيشة المرء في مظاهر كاذبة . وليس كل ما يستكر من مثل هذا الانسان هو أن جميع أقواله وأعماله  
أكاذيب بل انه هونقه أكنوبة . وأرى خصلة المروءة والشرف (شعاع الله) متضالا في مثل ذلك الرجل  
مضطربا بين عوامل الحياة والموت فهو رجل كاذب لا أنكره مصقول اللسان مذهب حواشى السلام محترم  
في بعض الأزمان والأمكنة . لا تؤذيكم بادرته لين المس رفيق الملمس كحمض الكريون تراه على لطفه سها  
تقيا ومواتر يها . وفي الاسلام خلة أراها من أشرف الخلال وأجلها وهي التسوية بين الناس وهذا يدل على  
أصدق النظر وأصوب الرأى . فنفس المؤمن راجعة بجميع دول الأرض والناس في الاسلام سواء والاسلام  
لا يكتفى بجعل الصدقة سنة محبوبة بل يجعلها فرضا حتما على كل مسلم وقاعدة من قواعد الاسلام ثم يقتدرها  
بالنسبة الى ثروة الرجل فتكون جزأ من أربعين من الثروة تعطى الى الفقراء والمساكين والمنسكين . جيل والله

كل هذا وما هو إلا صوت الانسانية . صوت الرحمة والإخاء والمساواة يصبح من فؤاد ذلك الرجل (ابن القفار والصحرَاء) . ويتكرر البعض قلب الحسية والمادية على جنة محمد وناره فأقول « إيت العيب في ذلك على الشراح والمفسرين لاعلى ما جاء في الكتاب فان القرآن قد أقلّ جدا من اسناد الحسيات والمذات الى الجنة والنار ، وكل ما فيه عن هذا الشأن إيماء وتلميح وانما المفسرون والشراح هم الذين لم يتركوا لذة حسية ولا متعة شهوية حتى ألحقوها بالجنة ، ولا عذابا بدنيا وألما جثانيا حتى أسندوه الى النار ، ثم لا تنسوا أن القرآن جعل أكبر ملاذ الجنة روحانيا إذ قال - وقال لهم خزنتها سلام عليكم طيبم فادخلوها خالدين - فالسلام والامن هما في نظر كل عاقل أقصى أماني المرء وأعظم الملاذ قاطبة والشئ الذي عشنا يتلصصه الانسان في الحياة الدنيا . وقال أيضا - وزرعنا ما في صدورهم من غل - لإخواننا على سرر متقابلين - وأي رذيلة أخبت من الغل مصدر المحن والمصائب والنعم والآفات ، وأي شئ أهنأ من التناقض والتضاد ، وأي دليل أشهر براءة الاسلام من الليل الى الملاذ من شهر رمضان الذي تلجم فيه الشهوات وتزجر النفس عن غاياتها وتقدع عن ما ربهها . وهذا هو منتهى العقل والحزم فان مباشرة اللذات ليس بالمتكر وانما المتكر هو أن تقل النفس لجبار الشهوات وتقاد لحادى الأوطار والرغبات ، ولعلّ أعجم الحسمال وأشرف المسكارم هو أن يكون المرء من نفسه على نفسه سلطان وأن لا يجعل من لذاته سلاسل وأغلالا تنقيه وتمتص عليه اذاهم أن يصدعها بل حليا وزخارف متى شاء فلا هوون عليه من خلعهما ولا أسهل من زرعها وكذلك أمر رمضان سواء كان مقصودا من محمد معينا أو كان وحى الفرزة وإطعامها فطريا فهو والله نعم الأمر . ويمكننا القول على كل حال أن الجنة والنار هاتين هما من حقيقة أبدية لم تصادف من حسن الذكر قط مثل ما صادت في القرآن ، وماذا ترون تلك الجنة وملاذها وهاته النار وعذابها وقيام الساعة التي يقول عنها - يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى - ماذا ترون كل هذه إلا غلا تمل في خيال ذلك النبي الشاعر للحقيقة الروحانية الكبرى رأس الحقائق أعني الواجب وجسامته أمره ، لقد كان هذا النبي يرى الحياة أمرا جسيما ويرى لكل عمل انساني ، مهما حق خطاؤه كبرى فما كان من سيئه فله من السوء نتيجة أبدية وما كان صالحا فله من الصلاح ثمرة سرمدية وأن المرء قد يسمو بصالحاته الى أعلى عليين ويهبط بموجباته الى أسفل سافلين وأن على عمره القصير تقوم دعائم أبدية هائلة خفية . كل ذلك كان يلتهب في روح ذلك الرجل الغفري كأنما قد نقش نمت بأحرف النار . وكل ذلك قد حاول في أشد اخلاص وأخذ جد أن يخرجها للناس ويصوره لهم فأخرجه وصوره في صورة تلك النار والجنة . وأي توب لبسته هذه الحقيقة ، وأي قلب صبت فيه فلا تزال أولى الحقائق مقدسة في أى أسلوب وأي صورة . وعلى كل حال فهذا الدين فيه للبصيرين أشرف معاني الروحانية وأعلاها فاعرفوا له قدره ولا تبخسوه حقه . ولقد مضى عليه مئتان وألف عام وهو الدين القويم والصراط المستقيم لنس العالم وما زال فوق ذلك ديننا يؤمن به أهل من حبات أفئدتهم . ولا أحسب أن أمة من النصارى اعتصموا بدينهم اعتصام المسلمين باسلامهم إذ يوقنون به كل اليقين ويواجهون به الدهر والأبد . وسينادي الحارس الليلية في شوارع القاهرة أحد المارة (من السائر؟) فيجيبه السائر (لا إله إلا الله) وأن كلمة التوحيد والتكبير والتهليل لترن آتاء الليل وأطراف النهار في أرواح تلك الملايين الكشيفة وأن الفقهاء ذوى الفيرة في الله والتفاني في حبه ليأتون شعوب الوثنية بالهدى والعين والمالاي فيهدمون أضاليلهم ويشيدون مكانها قواعد الاسلام ونعم ما يفعلون . ولقد أخرج الله العرب بالاسلام من الظلمات الى النور وأحيا به من العرب أمة هامة وقوارضا هامة وهل كانت إلا لفة من جولة الأعراب خاملة قبيرة تحبب الفلاة منذ بدء العالم لا يسمع لها صوت ولا تحس منها حركة فأرسل الله لهم نبيا بكامة من لدنه ورسالة من قبله فاذا الخول قد استحال شهرة والغموض نباهة والضعفة رفعة والضعف قوة والشرارة حرىقا . وسع نوره الأنحاء وعمّ ضوءه الأرجاء وعقد شعاعه الشمال بالجَنُوب

والشرق بالقرب . وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند ورجل في الأندلس وأشرق دجلة الاسلام حقبا عديدة ودهورا مديدة بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والتجدة وروث الحق والمهدي على نصف المعمورة ، وكذلك الايمان عظيم وهو مبعث الحياة ومنبع القوة ، وما زال للأمة رقى في درج الفضل وتخرج الى ذرى المجد مادام مذهبها اليقين ومنهاجها الايمان ، أستم ترون في حالة أولئك الأعراب ومحمدهم وعصرهم كأنما قد وقعت من السماء شرارة على تلك الرمال التي كان لا يبصر بها فضل ولا يرجى فيها خير فإذا هي بارود سريع الانفجار وما هي برمل ميت وإذا هي قد تأججت واشتعلت واتصلت نارها بين غرائطه ودلحي . ولطالما قلت ان الرجل العظيم كأنشابه من السماء وسائر الناس في انتظاره كالطبيب فما هو إلا أن يسقط حتى يتأججوا ويلتهبوا . والى هنا تم الكلام على الفصل الثالث والحمد لله رب العالمين

### ( من هو توماس كارليل )

( من كتب السيد عبد الرحمن البرقوقي مترجم هذا الفصل )

ولد (توماس كارليل) في قرية (الكفكان) بأقليم (انابندال) بمجنو في (اسكوتلانده) لأربع خلون من شهر تشرين سنة ١٧٩٥ وذلك قبل نهضة (نابليون) لغزو العالم بأربعة أشهر وقبل وفاة (روبرت بارنز) شاعر القرن الثامن عشر بسبعة أشهر ولوأنه ولد على بضعة أميال من جنوب تلك القرية لكان رجلا انكليزيا وكان أبوه بناء وبيديه بني البيت الذي ولد فيه ابنه . دليل على متانة أخلاق الرجل واستبداد ذهنه واستقلال رأيه واستغناؤه عن الغير بقوة نفسه . وكان قليل الكلام كثير العمل جلد الحصة مليب العود ولكنه ليس بفظ ولا غليظ فكان قلبه يمر السلسل الزلازل حولها من الجهر الأصم سور وحجاب وأبت أخلاقه أن تجاور

• خلاقي اصغار من المجد خيب •

### ( جوهرتان )

( الجوهرة الأولى ) في ايضاح مناسبة هذه الآراء الفرنجية للآيات التي نحن بصدها

( الجوهرة الثانية ) في ثناء المؤلف على الله وحده له على نعمة العلم

### ( الجوهرة الأولى )

إن الآيات التي نحن بصدها هي قوله تعالى - وكذلك أنزلنا إليك الكتاب - الى قوله - أولئك هم الخاسرون - فقوله تعالى - وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناكم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يعبد بآياتنا إلا الكافرون - قد ظهرت آثارها في هؤلاء المؤمنين من المسيحيين وهم (الورد هيدلي) و (الكونت هنري دى كاسترى) و (توماس كارليل)

وأما قوله تعالى - وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذن لا يرتاب المبطلون - فهذا قد ظهر ظهورا واضحا في كلام العلامة (الكونت هنري) إذ قال (إن محمدا ما كان يقرأ ولا يكتب بل كان كما وصف نفسه مرارا ) نبيا أنبيا ، وهو وصف لم يصارح فيه أحد من معاصريه . ولا شك أنه يستحيل على رجل في الشرق أن يتلقى العلم بحيث لايعلمه الناس لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان على أن القراءة والكتابة كانت معدومة في ذلك الحين من تلك الأقطار ولم يكن بمكة قارئ أو كاتب سوى رجل واحد ذكره (جانسين دى تاسي) في كتابه الذي طبعه سنة ١٨٧٤ م ) الى أن قال ( ثبت إذن مما تقدم أن محمدا ﷺ لم يقرأ أكتابا مقتسا الخ ) وانظر الى مقال (توماس كارليل) قال ( ثم لانفسى شيئا آخر وهو أنه لم يتلقى دروسا على أستاذ أبدا ) الى آخر ماتقدم وقوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يعبد بآياتنا إلا الظالمون . ودلوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين • أولم يكفهم أما أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون • قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا

يعلم ما في السموات والأرض - الخ فان هذا ظاهر في كلام هؤلاء المؤمنين من علماء النصراني . ألا ترى الى ما ذكره (توماس كارليل) فيما تقدم قال (وكان محمد اذا سئل أن يأتي بمجزة قال حسبكم بالكون مجزة ، انظروا الى هذه الأرض أليست من عجائب صنع الله وآية على وجوده وعظمته ، هذه الأرض التي خلق الله لكم ونهج لكم فيها سبلا تسعون في منابها وتاكلون من رزقه ، وهذا السحاب المسير في الآفاق لا يدري من أين جاء وهو مسخر في الساء كل سحابة كارد أسود ثم يسبح بمائه ليحيي أرضا مواتا ويخرج منها نباتا ونحيلا وأعشابا ، أليس ذلك آية والأنعام خلقها لكم تحوّل الكلال لبنا وهي غرلكم ، والسفن (وكثيرا ما يذكر السفن) كالجبال الضخيمة المتحركة تنشر أجنتها وتحتفز في سواء اليم لها حاد من الريح وبيننا نسير اذا هي قد وقفت بفتة وقد قبض الله الريح ، معجزات والله كل هذه ، وأتى معجزات بعدها تريدون ، أليس أتم معجزات ؟ لقد كنتم صفارا وقبل ذلك لم تكونوا أبدا ، ثم لكم جبال وقوة وعقل ، ثم وهبكم الرحمة أشرف الصفات ، وغرمون ويأتيكم المشيب وتمضون ونهن عظامكم وتعمتون فتصبحون غير موجودين . ثم وهبكم الرحمة . لقد أدهشتني جدا هذه الجلة فان الله ربما كان خلق الناس بلا رحمة فإذا يكون أمرهم . هذه من محمد نظرة نافذة الى لباب الحقيقة ) اه

أليس هذا بيمين هو قوله تعالى - قل انما الآيات عند الله - وقوله - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - الخ

أليس هذا هو الذي قلته لكم في هذا التفسير . هذا التفسير ميزته الخاصة أنه يوجه همكم الى معرفة هذه الدنيا ومخالقات الله تعالى فأنتظر فأجد هذا العالم الفرنسي يقول إن مجزة محمد هو هذا الكون والنظر فيه . إن هذا العالم لم يقيد عقله كما قيست عقول آبائنا المتأخرين في الاسلام الذين تركوا الكون ظهريا ورواهم واكتفوا بعلم الفقه . أليس هذا هو الذي أناديكم به في هذا التفسير . امتاز هؤلاء العلماء بأنهم ينظرون للقرآن نظرا مجردا يحكموا بأن مجزة النبي ﷺ هو الكون أما نحن في القرون المتأخرة فقد أغضنا أعيننا ولم ننظر للكون واكتفينا بكلمات جدلية في علم التوحيد والجدلة قد أن لنا أن نرجع الى القرآن كما قدمت وقد بينت في هذا التفسير أن في القرآن (٧٥٠) آية في وصف الكون وهذا كله هو المجزة الحقيقية لا الاكتفاء بما جاء في كتاب الشفاء للقاضي عياض وغيره . فظهر للمسلمين في الكون هو الذي يجب العناية به

ياسبحان الله . هل نبينا ﷺ يحتاج في أداء رسالته الى جميع تلك الخوارق وان كان حصل بعضها بل معجزاته باقية هي القرآن والكون

ومن أعجب العجب انك ترى صديقا (الفورد هيدلي) يشكو من الشكوى من القسيسين ويقول هم يأكلون أموال الناس بالباطل ويقرأ - اتخذوا أجباهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم - فهذا هو العجب أن ترى حقيقة أن دين الاسلام قد جاء لاصلاح الأمم جميعها بشهادة هؤلاء الأفاضل الذين عرفوا حقائق لم تكن لتخطر بالبال . هذه هي المعجزات التي لا تنفي بل تتجدد بتجدد الزمان اه

اللهم إني أحمدك على نعمة العلم والحكمة وأشهد انك أجبت دعائي وأعطيتني أجل ما أتيتني في الحياة . فهل كان يدور بخلدتي وأنا شاب أطوف على شواطئ الأنهار وفي الخلوات وفي الحقول وأبحث في هذه الدنيا الجلية . دنياك البديعة . دنياك للملاوة زينة وبهجة وجالا . أقول هل كان يدور بخلدتي أن السؤاليين الذين كنت أسألهم قد أجبتهم إجابة تامة وهما هل العالم منظم حتى أعرف أن له صانعا وماذا يقول أهل أوروبا في وجودك . هل هم يقولون إنك موجود لأنني رأيت لهم تفوقا على المسلمين . فهل هؤلاء الذين ناقوا الشريقتين يعرفون أن للكون صانعا . هذان هما السؤالان اللذان كنت في شباني أثناء انقطاعي من الجامع الأزهر في شغل بهما كما ذكرته مرارا في هذا التفسير . وهناك سؤال ثالث وهو لماذا تأخرت أم الاسلام . هذه هي



السئلة الثلاثة التي كانت ترد على خاطري وذهبت بلبي وأقضت مضجعي وحرمتي النوم في أكثر الأوقات والآن أقول وأصرح بأعلى صوتي اني عرفت أن العالم منظم وله صانع وهذا التفسير هو الذي جمع أجل ما اطلعت عليه ووقفت به ، وما أسعد حظي إذ كتبت فيه ماسمعه الآن أيها القدي من آراء علمائهم وكيف أدركوا أن البيانات التي تقامت الاسلام مرتبة ضائعة ، أفلا أكون الآن سعيدا اذ كتبت في هذه الآيات ما أبأن أن المسيحيين يعتقدون الاسلام وبأى سبب أسلموا ، وكيف أدركوا حقائق الاسلام ، وكيف يقول اللورد هيدلي انه الآن سعيد لأن الله معه في كل حركاته وسكناته ، وكيف يبرهن الاستاذ (نوماس كارليل) ومثله (هنري) الفرنسي أن دين الاسلام هو الحق وهو يعلم ولا يعلم عليه ، وكيف يرى أن المسيحيين في زماننا قوم لا يفكرون مطلقا في حقائق البيانات ويسرون تبع القيسيين بلا تفكير . إني أعلن اليوم أني قد نلت ما كنت أطلبه من الله وهو الوقوف على حقائق نظام الدنيا بقدر طاقتي البشرية وإطلاعي على آراء الأمم المحيطة بنا في البيانات وما الحق منها ثم ادراجي في هذا التفسير بنور الاصلاح والاسعاد لأم الاسلام وأنا موقن أن الذي نصرته في أدوار حياتي وأناثي ما أتمنى من تلك الآمال الثلاثة هو الذي سينصر أمم الاسلام بعد قراءتهم أمثال هذا التفسير وستغير خريطة الأرض ذلا وعزا وسعادة وشقاء ، ثم أقول من ذا الذي كان يظن أن أوروبا التي ملأت الآفاق بمدارسها وعالمها تكون عقول رجالها نائمة الى هذا الحد ، فانظروا يقوله (اللورد هيدلي) فيأبلى

### ( التحريف العمدي )

كنت أطلع من وقت لآخر على كتابات (الاراسيات المسيحية) التي يطبعونها بشكل كراسات صغيرة ويدعون فيها انهم يطون معلومات حقيقية عن الدين الاسلامي ، وانني لني شدة الأسف لأن أعترف بأنني أشعر بظلمة عظيمة وخجل كبير عند ما أجد أن أحد رجال وطني ينحني للرأي والقوية والتحريف لكي يعزز آراءه نحو الدين . إن الدين الذي يمكن أن يدعى انه دين يجب أن يعلم العدل الدقيق والحب للحق وأنه ليدل هذا جدا الى أي مدى تسيير (التصبات الدينية المسيحية)

انظر الى وجه الصورة الآخر ، أأندعشك رؤية مظاهر روح الحسنى التي يقررها القرآن وملاحظة الهدوء الذي يلاق به المجتمع الاسلامي التاسع الحلات عديمة القيمة التي تحمل عليهم وعلى دياتهم باسم عيسى الكريم أحد أنبيائهم . اتنا لا نجد كما أعلم أي جور أو تحريف في أعمال محمد لأنه حتى وإن كانت هناك كلمات شديدة من جهة المسلمين (يعذرون من أجلها) إلا أنهم لم يلجؤوا الى مثل هذه التهم المكتوبة كي يكونوا منها أهم أسلحتهم التي يهاجون بها خصومهم . انني وإن لم أرين أسماء هذه الكراسات المشار اليها أعفا إلا أنه يمكن الحصول عليها بسهولة من الناشرين الذين أخذوا على عاتقهم طبع مثل هذا النوع من الأدبيات

انني سأذكر الآن بعض قطع من كراسات وضعت خصيصا لتشويه أخلاق النبي الكريم وسوف يرى كل شخص ذوعقل مستقيم أن سفالة الحق وطلب الانتقام هو السلاح القوي استعماله وليس في تلك الكراسات حجج ولا اشارات الى حقائق تاريخية بل ولا شيء أكثر من تقارير مثيرة متوالية يعرف المؤلف لها بأنها ليست ولا يمكن عدّها تقارير جوهرية أو مبنية على أي أسس ، وسيرى القارئ منها هنا بعض أمثلة مقية إلا انني أعتذر اليه لذكر مثل هذا الهديان الغير الصحي وعنري في ذلك أنه يجب أن يعرف العالم بمقدار نصب وغرابة شكل الهجمات التي توجد ضد المسلمين المتألمين من زمن بعيد والذين لا تسمح لهم حسنامهم ومبرهم وطول اناتهم وحسن ذوقهم بأن يقابلهم بنفس هذه السفالة والأعمال المتبذلة ، وهما هي تلك القطع التي ظهرت في جريدة (نور آفشو) وهي جريدة مسيحية أسبوعية تطبع في (لوديانا)

(١) الوحي الذي نزل على محمد آتى من عند الشيطان

- (٢) المحمديون في الواقع جرو أعمالهم كالأعمال الجحوش
- (٣) محمد كان غاليا يهجب بجمال النساء وحبيبا
- (٤) المسكون صربوطون بحبال الشيطان من رقابهم
- (٥) كل نساء بلاد العرب المتزوجات زانيات
- (٦) إن إله القرآن والحديث ، هو الذي خلق رجالا يملوئين بالخطيئة والذي ليس فقط لا يدهم على الطريق السوي بل يضلهم دائما
- (٧) خلاص المسلمين مبني على ارتكاب الخطايا وجعلت الأعمال الطيبة عندهم كوسيلة للحرمان .
- أما الخطيئة فقد نظمت كغرض وحيد لحياتهم الطبيعية
- (٨) أسس محمد أمة جعلت ارتكاب الخطايا ديدنها وعلامتهم أن قوادهم يتعمدون الكذب ويسكنون النساء ويرتكبون السرقة وقطع الطرق ويظنون أن الزنا من البشار المفرحة وكل منهم مصحوب بالشيطان ومصيرهم الى جهنم جميعا
- والآتي أيضا قد جمع من مصادر مختلفة وظهر في المجلة الاسلامية تحت العنوان التالي
- ﴿ اثباتي كفاره - بقلم ت . هويل راعي الكنيسة الانكليزية بلاهور ﴾
- (٩) قال الكاتب مخاطبا المسلمين بتغيير وتوبيخ ذلك لأن قوادكم مجرمون شريرون وعقولهم ضعيفة ،
- (صحيفة نمرة ٣)
- (١٠) بذور الجرمية التي تدعى نصيب الشيطان نبت في كل وقت وأن من عقل محمد (صحيفة نمرة ١٠)
- (١١) من محض رغبته وأغوايته الشيطانية شكر محمد الأصنام وسجد لها (صحيفة نمرة ٢٠)
- (١٢) انه (أي محمد) ظل خاضعا دائما للشيطان والسحر (صحيفة نمرة ٢٠)
- ﴿ حضرة محمد - بقلم القس . ج . ه . راؤس - دكتور في الكهنوت ﴾
- (١٣) هناك أشياء كثيرة تبرهن على أنه (محمد) مجرم أنيم (صحيفة نمرة ٦)
- (١٤) الطمع والغضب كانا من الشرور القوية الفريزية في محمد (صحيفة نمرة ١٠)
- (١٥) كان مجرما (صحيفة نمرة ١٤)
- (١٦) انه نفسه (محمد) مفتقر الى الخلاص (صحيفة نمرة ١٤)
- (١٧) انه (محمد) لا يستطيع أن يتخلص من جهنم بأي طريقة (صحيفة نمرة ١٧)
- (١٨) كان مجرما وسيلقي في جهنم كباقي الخاطئين الآخرين (صحيفة نمرة ١٤)
- ﴿ حرا شفيق كون هاي - بقلم القس . ه . راؤس . دكتور كهنوتي ﴾
- (١٩) كان محمد مجرما ووجب في أن يمسح بدم الخطيئة (صحيفة نمرة ٥)
- (٢٠) سيحتاج محمد الى شفيق ويخلص كباقي الخاطئين العاديين (صحيفة نمرة ٦)
- ﴿ دفع البهتان - بقلم القس روكلين ﴾
- (٢١) لا نستطيع أن ندهو محمدا إلا نفس الرجل الفنى . يقصد الرجل الفنى الذي كان (كقول سانت توما) من نسل ابراهيم وعاش عيشة فاحشة ولما مات ألقى في جهنم (صحيفة نمرة ٦٩)
- (٢٢) أحبب محمد (الصحابه الكرام رضى الله عنهم) يوصفون بأنهم سفاكو دماء وظلمة متوحشون وزناة وغشاشون ولصوص وقطاع طرق وقاعا لكل أصناف الآثام وهم جوا (صحيفة نمرة ٨٧)
- (٢٣) كان (محمد) رجلا دنيوا مبتعا لشهواته ومثل هؤلاء الرجال عادة يفرقون في مثل هذه الأشياء ، الويل لكل أمثال هؤلاء الرجال لأن لهم مثل تلك الخاتمة وسيلقون جميعا في غضب الله أعنى في بحيرة النار

( صراط المسيح والمحمد - بقلم القس (ثاكر داس) المبشر الأميركي )

(٢٤) كان محمد في شخصه غططا بل كان غططا حقيقيا (صحيفة نمرة ٩)

(٢٥) شكل محمد الحقيقي كما صورته العرب كان أعظم الفارقين في الشهوة البهيمية وحسب النساء (صحيفة

نمرة ١٤)

(٢٦) كان محمد رجلا ضالا جهنميا (صحيفة نمرة ٣١)

(٢٧) يظهرانه (محمد) اصطيد بالشيطان (صحيفة نمرة ٣١)

(٢٨) حضرات القراء اتهبوا لئلا تؤخذوا بفش محمد (صحيفة نمرة ٣٥)

( أنجيل أندرونا )

(٢٩) حامل علامة المسيح الدجال هو نفس الثعبان القديم لأنه عند مايفتح فبه يظهره فكاه شخصا

في البابا وني بلاد العرب (صحيفة نمرة ٧٠)

(٣٠) دين محمد ودين البابا هما فكاه ثعبان واحد (صحيفة نمرة ٧٤)

( محمدى تواريخ اجال - بقلم القس وليم من ريواري وطبعت بمطبعة الاسالاية المسيحية )

(٣١) محمد هوزعيم اللصوص والنشالين والسفاكين والفضاشين (صحيفة نمرة ١)

(٣٢) كان محمد من أعظم الخطاه (صحيفة نمرة ٨)

(٣٣) ولوان جبريل اجتود في أن يزيل ظلمة قلب محمد الذي كان يحتوى على بذور الجريمة أوالسائل

المنوى أو قسم من الشيطان بالفصيل المتكسّر إلا أنه لم يزل أبدا منه ، فمحمد قد سود فؤاده بالانهماك في

ارتكاب الجرائم المتعددة دون أن يرجعه عقله (صحيفة نمرة ٢٥)

(٣٤) قد سجن محمد في داخل بخارجهم إلا أن كل ذلك حصل له لارتكابه الجرائم التي ظل يمارسها

الى أن مات (صحيفة ٢٧)

(٣٥) علماء المسلمين ارتكبوا جرائم من الزنا والسرقه ومثل هانيك الأشياء وقد أتوا هذه الخطايا

والتعديت اطاعة لرغبات محمد تحت ستار مبدئه « لا إله إلا الله » (صحيفة نمرة ٣١)

(٣٦) لم تخلق الشرائع المحمدية الزانيات المحمديات بكثرة زائدة فقط بل حتى الجنة لامتلائها بالطور

والعلمان قد أصبحت (كرخانة) منظمة (صحيفة نمرة ٣١)

(٣٧) ليست فقط الكلمة المحمدية هي التي تشجع المجرم على ارتكاب جريمته بجسارة فائقة بل تخدمه

أيضا كجبة (بلوعة) للهضم يهضم بها جرائمه ويشد بها عزمه لينكب على عيشة الجرائم المتناهية وبركات

الكلمة المحمدية تم وتفرم الكرخانات (صحيفة نمرة ٤٩)

(٣٨) حالة إله القرآن كحالة البلد التي دمرت والزلايا الأعمى تماما (صحيفة نمرة ٥٥)

(٣٩) ملعون من لم يعتقد في كفارة المسيح (صحيفة نمرة ٢٩)

(٤٠) القرآن مجموع من الحكايات التوراتية والانجيلية واليهودية والمسيحية والقرشية الغير موثوق بها

وفرائض الجهل وتقليدات غير معتمدة (صحيفة نمرة ٣٩) وهكذا دواليك

لبس في وسع الانسان في الحقيقة إلا أن يعتقد أن مدبجى وناسجى هذه الافتراآت لم يتعلموا حتى ولا

أول مبادئ دينهم والالما استغاثوا أن ينشروا في جميع أنحاء العالم تقارير معروفة لديهم أنها محض كذب

واختلاق - لآث تعاليم القرآن الكريم قد نغلت ومورست في حياة محمد الذي (سواء في أيام تحمله الألم

والاضطهاد أوفى زمن انتصاره ونجاحه) أظهر أشرف الصفات الخلقية التي لا يتسنى لمخلوق آخر اظهارها ، فكل

صفات الصبر والثبات في مقصده كانت ترى أثناء الثلاث عشرة سنة التي تأملها في مجاهداته الأولى بمكة ولم يشعر في كل زمن هذا الجهاد بأى ترعزع في قننه بالله وأتم كل واجباته بشم وحية

كان عليه السلام مثابرا ولا يخشى أعداءه لأنه كان يعلم بأنه مكاف بهذه المأمورية من قبل الله ومن كلفه بهذا العمل لن يتخلل عنه وقد أثارت تلك الشجاعة التي لا تعرف الجفول (تلك الشجاعة التي كانت حتا إحدى مميزاته وأوصافه العظيمة) إعجاب واحترام الكافرين وأولئك الذين كانوا يشتهون قتله ومع ذلك فقد انبثت مشاعرنا وزاد إعجابنا به بعد ذلك في حياته الأخيرة أيلم انتصاره بالمدينة عند ما كانت له القوة والقدرة على الانتقام واستطاعته الأخذ بالثأر ولم يفضل بل عفا عن كل أعدائه

الغزو والاحسان والشجاعة ، ومثل هاتيك المكارم كانت ترى منه في كل تلك المدة حتى ان عددا عظيما من الكافرين اهتموا الى الاسلام عند رؤية ذلك

عفا بلا قيد ولا شرط عن كل هؤلاء الذين اضلهموه وعذبوه . آوى اليه كل الذين كانوا قد نفوه من مكة وأغنى قراءهم وعفا عن أعدائه عند ما كانت حياتهم في قبضة يده وتحت رحمة ، تلك الأخلاق اللاهوتية التي أظهرها النبي الكريم أفنعت العرب بأن حازرها يجب أن لا يكون لإلّا من عند الله وأن يكون رجلا على الصراط المستقيم حقا وكراهيتهم المتأصلة في نفوسهم حوثتها تلك الأخلاق الشريفة الى محبة وصدقة متينة فكل المحاولات عديدة القيمة في تحقير عظمت شريعة النبي العظيم بالبذاء وسوء الاستعمال والحلج الممونة المتضمنة كثيرا من طمس الحقائق والآثار المكتوبة تقدمت كثيرا بعمد القصد في إضلال الناس وإبعادهم عن الحقائق ، وهؤلاء الذين اتخذوا مثل هذه الأساليب يجب أن يتذكروا (إذا كانوا قد نصروا مسيحين) بأنه يجب عليهم على الأقل أن يقلدوا المسيح في عدم الكذب الذي كان أكره شيء في نظره أعظم معلمه الناصره (عيسى) . هناك أصناف عديدة من الكذب . الكذب الأبيض وهو غيرهم حيث انه لا يضر وغالبا ما يقال لحماية سمعة جار أو مساعدة صديق . وهناك الكذب الخبيث الضار الذي يهلك صديقا أو جارا ، الا أن ألغينا ما يقال باسم الدين لانه يحمل على تقليل أهمية المولى عز وجل وهي جريمة لا يوجد أعظم منها

في حلقة القويها المستمرة سوى في اظهار أن الدين الاسلامي هو المسؤول عن الآثام والسلب والنهب الذي أته القبايل المتجولة التي صدف أن كانت مسلمة اسما فقط . انه من العدل أن يلام المسيح مثل ذلك تماما على التعذيب واحراق الأساقف والآخرين أحياء في بلادنا هذه السعيدة وليس ذلك من سنين بعيدة . حقا إن الديانة المسيحية الصحيحة ما صادقت قط على شرور (حاكم التفتيش) الخبيثة المريعة أو الفظائع التي لا يمكن عدتها التي فعلها المسيحيون في بعضهم وفي اليهود والمسلمين الآخرين الذين كانت لهم أفكار دينية تحالفهم . انني لأظن أبدا أنه يمكن اظهار أن المسلمين اجتهدوا قط أن يحسروا أفكارهم ومعتقداتهم الدينية في حلق الناس بالقوة والفظاعة والتعذيب . وإذا كان هناك مثل هذه الحالات فينبذ يمكننا فقط أن نقول ان مرتكبي هذه الآثام ليسوا بمسلمين حقيقة لأننا لانستطيع أن نشير الى أن القرآن الشريف يصادق على أفعالهم . إن محمدا كان قانونيا ومحاربا وعند ما ملقش الحسام هو وتابعوه لم يكن ذلك إلا للدفاع عن أنفسهم فقط ولم يعتدوا قط إذ كان النبي نفسه وديار حيا بأدائه القهورين . لكن نستطيع أن نكون الرأى الصواب عن صفات شخص يجب علينا أن ننظر اليه أيام شدته وأيام رخائه فإذا كانت حالته دائما حالة شدة وظل دائما بين أيدي مضطهديه تكون الظروف حينئذ لم تسمح له بأن يفعل شيئا نحو أعدائه أو أعدائه وهنا يستحيل أن يعرف تماما ما كان يمكن أن يفعله كما ان أرق الصفات لا يمكن أن تدل عليها الوداعة والخضوع فقط بل يجب علينا أن نرى أيضا ضبط النفس وعفو الرجل الذي يتغلب على حواس الانتقام ويوصل رفقه الى أقصى متناه . حقيقة ان العفو لم ينسح دائما ليشمل أعداء الاسلام الذين جعلوا قصارى جهدهم محاربة وإخاد

الدين الاسلامي وأعمالوا السيف في رقاب المسلمين ثورة وعصيانا لأن الرحمة من هذا النوع لا تدل إلا على مد  
النفطاعة وازهاق الأرواح

قوة أخلاق الرجل تظهرها المحن والتجارب وصفاته النبيلة الكريمة يستدل على أنها في أتم كمالها عند  
ما يظهر رحمة وعفوا في يوم مسرته بالنجاح والقوة وليس انقلب الرقيق فقط هو الذي يحتاج اليه رجل الله إذ  
لا يستطيع أن يزعم أي كان بأنه يمكنه الوقوف ليكون مثالا أو نموذجاً للجنس البشري وهو لم يختبر تضاريف  
الدهر وقلبات الحياة من فاقة وعز وتعااسة وسعادة وضعف وقوة . لا يمكنك أن تكون معلماً حقيقياً للصبر مالم  
يبرز عليك الغضب والألم أو النصب الذي يحتاج الى ممارسة الصبر . الضيق فقط هو الذي يظهر أعظم المواهب  
العالية في الرجل الذي يحب الله من كل قلبه ومثل هذا المخاوف المحزون ينظر لكل نازلة أو مصيبة تقطع الفؤاد  
كأنها ناديب من إله الرحمة وكلما عظمت المصيبة والباوي ازداد احترام وتذلل وندامة ذى الاعتقاد الصحيح  
الذي يعرف أن ربه القادر الحفيظ يقوده بذلك الى الصراط المستقيم ، انه يؤمن بالحكمة غير المحدودة والحب  
غير المحدود والراقة غير المحدودة التي لها دية الوحيد في هذا العالم ، انه يعلم أن خالقه عالم بأنه يفيض الشيطان  
وحيله الشريرة وهذا الاعتقادي الكفاية لشذائعه في أية معركة مع الشيطان مهما كانت شديدة لأنه يعتمد  
على معونة مولاه في كل شيء ، فالرجوع الى الله (التقدير ذى الجلال والاكرام الرحمن الرحيم الذي لم يقترن  
اسمه بأى اسم آخر نزهة عن مثيل أو شبهة) يمد المؤمنين بثقة تفوق ادراك البشر

كل الأنبياء المقربين في كل الأزمان والأوقات الذين كانوا بقلوبهم يبلّغون الرسالات للبشر قاموا بتبليغها بكل  
صدق وأمانة إلا انه لم يكن في كل هؤلاء الرسل من هو أرفع مركزاً من محمد ﷺ

انه يفهم ويعرف جيداً أنه لا يمكن من العزوا إلا من أصبح قاهراً وله القوة التي تمكنه من أن يصب  
جام غضبه وانتقامه على أعدائه الذين كان بين أيديهم ضعفاً حتى يقدر الظروف التي كان فيها تحت رحمة  
الآخرين ، لا يمكن لأحد أن يدعى الرحمة وهو لم يقع تحت طائل رحمة أى إنسان قط ، وليس هناك في التاريخ  
من يمكن أن تنسب له تلك الخاصية كمحمد النبي الكريم الذي رأى أعظم الاذلال وابتدأ حياته بنيا وان كانت  
عين الله تراه وصرّت عليه كل أطوار الحياة المختلفة وهو مستسلم الاستسلام الكلى لمولاه ، ولم تتلوث أخلاقه  
العذبة أبداً بأى عمل دنى أو خبيس ، ولم يرتكب الظلم قط

نحن نفتر أن نبي بلاد العرب الكريم هو أخلاق متينة وشخصية حقيقية وزنت واختبرت في كل خطوة  
من خطى حياته ولم ير فيها أقل نقص أبداً ، وبما أننا في احتياج الى نموذج كامل بنى بحاجتنا في خطوات  
الحياة حياة النبي المقدس نمد تلك الحاجة

حياة محمد كرامة أماننا تعكس علينا العقل الراقى والسخاء والكرم والشجاعة والاقدام والصبر والحلم  
والوداعة والدنو وباقي الأخلاق الجوهرية التي تكون الإنسانية ونرى ذلك فيها بألوان وضاعة . خذ أى وجه  
من وجوه الآداب وأنت تتأكد بأنك تجد موضعا في إحدى حوادث حياته ، ومجد وصل الى أعظم قوة  
وأقوى اليه مقاوموه ووجدوا منه شفقة لتجاربى وكان ذلك سببا في هدايتهم ونقايتهم في الحياة

إن الفترة الشديدة التي لا تعرف الكلال التي كان ينفذها مؤسس الاسلام لاختاد عبادة الأصنام قد أثارت  
معارضة مريعة ضده فلم تكن هناك قبيلة من قبائل العرب بدون معبود صنمى ، وقد أشعلت كل قبيلة لظى  
الحرب كي تؤبد وتحمي أصنامها ، حصل ذلك عندما كان النبي بالمدينة وفي الواقع قد قضى هناك أياماً أصعب  
من أيام مكة ، ولما كان أعداؤه يشنون عليه الغارة دائماً من جميع الجهات أخذ في كل وقت وأن في مقاتلتهم  
وأرسل رجاله لمقاومة التعتيات فكانوا أطورا ينتصرون وتارة ينهزمون ، وكانت كل حادثة تخلق فرصة مناسبة  
لنبي الكريم ليظهر وجوه أخلاقه العظيمة المختلفة التي لوجعها الانسان ونسحقها لوجد العالم فيها قوانين وأحكاما

للحرب أكثر انسانية وملازمة مما يمكن لمروجي مؤتمر لهاي أن يتصوروا  
 ما أشهر السلاح محمد قطب إلا عند الحاجة القصوى لحماية الحياة البشرية وربما ادعى بأن الاسلام استعمل  
 السيف في نشر الدين ولكن أله أعداء الاسلام القادحين فيه عجزوا عن أن يأتوا ولو بأقل دليل أو مثل من  
 الأمثلة التي أترفها الحرب على هداية أى قبيلة أو شخص الى الاسلام  
 إن هذه الوقائع ما أفادت بلا شك إلا أني اظهر لكم أخلاق محمد الذى امتلك كل قلوب مواطنيه وكانت أشد  
 تأثيرا فى الهداية من أى شكل من أشكال الاكراه ، وقد أظهرت تلك المعاملة النبيلة التي كان يعاملها النبي  
 للهنزمين عجائب وغرائب فما أتاه ملتبس إلا ونال أكثر مما كان يؤمل أو يشتهي انتهى

### ( تذكرة )

ظهر الحق واستبان السبيل . أيها المسلمون - الآن حصص الحق - وقيل جاء الحق وزهق الباطل إن  
 الباطل كان زهوقا - هاأنذا الآن أقول بأعلى صوتي وأجهر بأن أهل النفاق وأهل الغرب الذين نحن معهم  
 على هذه الأرض جميعا يوزعهم قول الحق والصراحة واظهار الحقيقة فليجهر لهم جميعا وليناطب أولو المسلمين  
 فنقول لهم ها هوذا كلام العظمه من أوروبا في ديننا الاسلامي ، فأى شهادة هذه وأى عظمة لدينا ولدينا  
 ﷺ وأى حكمة أبدعت في القرآن . هؤلاء نظروهم في الاسلام نظرا عال سام شريف لم يظاؤوا رؤسهم عند  
 دراسة الدين ودرسوا القشور ويدعوا الله ، لم يتوجهوا لمباحث المعتزلة وأهل السنة والصوفية الثلاث والسبعين  
 فرقة الاسلاميه ولا لتخلاف في البيوع والرهن والحج والصلاة والصوم والزكاة وما أشبهها ، بل هؤلاء درسوا  
 نفس الدين ونفس الروح المحمدية فشهدوا بما علموا ورأوا أن هذا الدين يدعو الى سباه المجد والشرف ويعت  
 في الأفلاك والكواكب والطبيعة ومركز العلم . أليس هذا بعينه هو الذي حواه هذا التفسير . سبحانه لك الأهم  
 وبمحمدك . نحن قوم محصورون في جدليات وعلوم جزئية وخلاقات مذهبية وآراء سوفسطائية فنقول حنيفة  
 أوشافعية أو مالكية أو حنبلية أو شيعية أو وهابية ونسكع في هذه الجزئيات ونفرا الكليات أو يقول المسلمون  
 تعلمي ظاهرا يا في المدارس المصرية والفرنجية ، هل ديننا يوافق العلم ، إن العلم شئ والدين شئ آخر وقد جهل  
 هؤلاء هذه الحقيقة التي قالها (توماس كارليل) و (هنرى) وغيرهما وقالها الامام الغزالي وابن رشد قبلهما  
 وهي أن معجزات الاسلام هي نفس العلوم لا انه ضدها إذن الاسلام غير البيانات الأخرى فالاسلام خاصته  
 العلوم وهي برهانه وهل برهان الشئ ضده ولولا هذه الحجب التي أسدلت على العقول الاسلاميه ما أعوزنا أن  
 نقول في (سورة طه) ان عبادة بني اسرائيل لجل السامري بعد ما رأوا معجزة العصا برهان على أن خوارق  
 العادات لا تسكن في الايمان فلا بد من العلوم العقلية وقسوجدنا الامام الغزالي أوضحها وهامهم أولاد علماء الفرنجة  
 يقولونها ويقولون إن معجزة نبينا هو الكون ، فهذه حالنا التي كان من نتائجها أن المرحوم العلامة (ادوارد  
 براون) الانجليزى الذى ذكرته سابقا في هذا التفسير قال لى ( لقد ذهبت الى تركيا والى بلاد الفرس بأمر  
 حكومتنا الانجليزى لأعرف هل تتحد هاتان الملكتان فوجدت أن أهل ايران مشغولون بقتل الحسين  
 والروس إذ ذاك يجوسون خلال ديارهم ويحاولون احتلالها ذلك أيام حكم القياصرة قبل اليوم بنحو ٢٥ سنة )  
 ويقول طالب من الطلاب الفارسيين ( لقد حاربت مع الروس ضد الترك الكلاب الكفار لأنهم من أهل السنة  
 الذين قتلوا الحسين ، فقال لى لقد ضحكت من عقول هذه الأمم وقلت الحسين مضى له ١٣ قرنا ولكن الروس  
 يدخاؤون عليهم الآن ، فالهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثنا ، قال وحسنت بأن هذه الأمم لاتتحد )

أقول وقد تغيرت الحال الآن وتعاهد الفرس مع مصطفى كمال باشا بعد أن زالت تلك العقول الصغيرة .  
 هذه حال المسلمين وأنا أنت أيها الذكي منهم ، فنحن حصرننا في إبان الصغر وزمن الجهل في الجزئيات فلم يتضح  
 لنا جلال الله في سمواته وأرضه ولم نعرف جلال النبوة ولا بهجة الكمال المحمدي بطريقة مشوقة مثل الذى يقوله

أمثال (هنري) وأمثال (توماس كارليل) وأغضنا أعيننا عن كل ماحولنا من جبال وكال ، وما نحن إلا قوم أشبه بمن حبسوا في سجن ضيق مظلم فيه تقديس ضئيل النور وفي خارجه أنوار الشمس البهجة الجيلة فهؤلاء الأوروبيون الذين نظروا في ديننا ، نظروا وهم خارج هذا السجن ففقلوه وأحبوه وأحبوا نبينا ﷺ وينوا ظاهره على مقدار طاقتهم ، أما نحن الذين حبسنا في سجن التقليد والكتب الفقهية والمجدلية وأمثالها فإن كل من تخلص منامن ذلك السجن الذي لم يستغنى إلا بالضوء الضئيل الخارج من ذلك المصباح الضعيف هذه القوم خارجا عن زميرتهم ورموه بالجهالة ومن هؤلاء العلامتان ابن رشد والغزالي ، هنالك بقي المسلمون في سجونهم وانحصروا في جلودهم حتى جاءت هذه النهضة المباركة فخرج من السجن جماعة في أقطار الاسلام ومن هؤلاء قراء هذا التفسير فهم والحمد لله اليوم تقابلوا مع من خرجوا من ذلك السجن ورأوا ما رآه الخارجون عنه وعرفوا ربهم وجمال نبيهم ﷺ ومرتبة كتابهم وهم لا يأبهون بسفاسف العقول الصغيرة المحبوسة بالجهالة النافثة من أم الاسلام ، هذا كلامي مع أم الاسلام ، أما أم الفرنجة فاني أقول ولي الحق ان أقول انهم الى الآن عباد التقاليد ، فإني حبس المسلمون في ظلمات التقاليد واكتفوا بالعلوم الدينية الجزئية وهم الآن يريدون الخروج ، فهذه أولاء الفرنجة محبوسون في دين قديم قدام كل الدهر عليه وشرب وقدم عرف عقلاؤهم الحقيقة ولا يقدرين أن يجهروا بها فهم والمسلمون سواء في الخفاة ، المسلم محبوس في ظواهر الدين والفرنجي محبوس في دين قد نسجت عليه عناكب النسيان وذلك كله بشهادة هؤلاء العلماء الأوروبيين فيا تقدم ، أليس هذا هو قوله تعالى - وإن طغى أكثرهم في الأرض بضالك عن سبيل الله إن يبعثوا إلا لظن وإن هم إلا يغرمون -

أليس هذا أيضا هو قوله تعالى - وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نشبع ما ألفينا عليه آباءنا أولئكنا آباؤهم لا نقولون شيئا ولا ننصتون - وآيات كثيرة في هذا المعنى ، فأهل الأرض إذن في الشرق والغرب قوم مقلدون فأين العقل إذن . الأوروبيون يعرف بعضهم حقيقة الاسلام فيخاف من أهله وذويه والمسلم ينبغ مذهباً ويخاف مخالفة أسرته وأهل بلده ولكن الأوروبي فتح باب العلم . فيارب أنت خالق الشرق وخالق الغرب وخالق كل شيء وأنت عالم بهم ومقرر هذا عليهم ، ولقد وضعت كلا في درجته التي لا يستحق سواها ولقد قضت حكمك اليوم أن تفتح البصائر وتعلم بهذا التفسير الذي سيقره قوم في أنحاء هذه الكرة الأرضية ويكون هو وأمثاله بنورا لرقى العقول في الأمم ويصبح الناس في مسرة وجبور وحكمة ونور . هذا من جهة الدين . أما السياسة فإن أهل الغرب وأهل الشرق لم يصلوا حتى كتابة هذه الأسطر الى سياسة تسعدهم وهذه أوروبا لها جماعات كجمعية الأمم ، ويظهر أن أهل الشرق الآن يريدون أن يكونوا جمعية أخرى ويظهر أن الأمم متتلاق في السياسة ولا أدري متى يكون ذلك . وإذا قرأت كتابي ﴿أين الانسان﴾ عرفت ماهي سياسة الأمم الحالية والتي قبلها ، فسياسات الأمم تقليدية لاعتقالية ودياتهم كذلك بالتقليد لا بالعقل . ومن درس هذا التفسير ودرس كتابي ﴿أين الانسان﴾ وقف على حقائق البيانات وحقائق السياسات ونفع الأمم الشرقية والغربية في أديانهم وسياساتهم ، فليكن أيها الذكي منهم ولما وفقك الله لقراءة هذا الكتاب كان ذلك علامة على أنك من المصلحين النافعين للأمم الشرقية والغربية والله عز وجل يحب المصلحين . - والذين جاهدوا فينا لتهديتهم سبلنا وإن الله لمع الحسنيين - اهـ

﴿ الجوهرة الثالثة في قوله تعالى - وكأن من دابة لا تعمل رزقها الله يرزقها وإياكم - الخ ﴾

قد مررت بمجائب كثيرة في هذا المعنى كالذي في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - وكالذي في (سورة آل عمران) عند قوله تعالى أيضا - وترزق من تشاء بغير حساب - وكالذي في (المائدة) و (الأنعام) و (الحجر) وغيرها من السور ، ولكن لابد من ذكر مجائب هنا لم تقدم هناك ليتبين

بها المفكرون ويفرح بها العلماء العالمون وهي جوهرة يقيمة في هذه الآية  
 إن عناية الله بكل حيوان وكل نبات قد تجلت في هذا التفسير وظهرت أيما ظهور في (سورة البقرة)  
 و (آل عمران) و (المائدة) و (الأنعام) و (هود) و (التحل) و (طه) و (النحل) و (مريم) وغيرها من سور  
 القرآن ، ولقد جاء في كل سورة مما ذكرنا وغيره مافيه حكمة وعبرة ونور وهدي وجمال وبهاء ولكن الذي  
 أريد أن أبينه هنا تلك الفرائد الجبية التي تفسر لنا قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى -  
 وتفسر قوله تعالى - والذي قتر فهدى - والحق يقال ان الانسان لاسعادة له إلا بأن يقف على جبال هذه  
 العوالم ويعرف أن هنا عناية فائقة وحكمة تامة شملت أدق الحيوانات النورية وتكفلت بسعادة كل مخلوق ،  
 ولعمري متى أدركك الانسان أن هناك هذه العناية التامة والحكمة الشاملة فانه لايشك انه مضمون تلك الرحمة  
 مشمول بتلك النعمة ويصبح ويمسي وقد رأى رحمة الرحيم العظيم الحكيم في كل ما يستوحشاه وجبل ويطعاه  
 وكان صانع هذه الجباب معه أينما حل أو ارتحل ، وليس يصد عنه تذكرة في غدوه ورواحه إلا ذلك الجباب  
 الذي ألقي بين هذه العوالم الأرضية وبين مبدعها فاذا ارتقت النفس ونحن في هذا العالم فاتها تصبح وقد أحست  
 بالسعادة الأبدية قبل أن تزور الرمس ، ومن ملكت هذه الآراء فؤاده في الدنيا سعد السعادة التامة وليس  
 يزحزحه عنها إلا قواطع الفواجع ثم يرد إليها وهو في عبور ، فن ذا الذي لا يدعش إذ يسمع مجاء في محلة مصرية  
 (١) أن الفأر الذي يسكن بيتنا اذا أحس أن البيت الذي يسكن فيه يريد أن ينقض يفر منه حالا قبل  
 سقوطه بساعات ، وإذا أحس بذلك في المركب هرب قبل وقوع الكارثة فيها ، روت سيدة انجليزية كانت  
 تعيش في زمن الحرب في منزل قديم في (نورفك) في انجلترا أن الجرذان كانت تعلق راحتها كل ليلة بصريها  
 ففي إحدى الليالي شعرت بضجة غارقة من الجرذان وكان صوت الضجيج يتجه الى خارج المنزل فاستنصت  
 السيدة منه أن (الجرذان) تخرج المنزل ثم انقطعت الحركة وساد السكون وبعد ساعة واحدة سقطت قنبلة من  
 منطاد ألماني وأصابت جناحا من المنزل فدمره ، أما الجرذان فكانت قد نجت كلها

وقد شوهلت الجرذان ترح إحدى القرى في زمن السيف وتقيم على ضفاف النهر المجاورة لها وتحفر هناك  
 أوكارها ، ولكن قبل سقوط الأمطار بمدة قريبة تعود الى أوكارها السابقة في القرية فتنذ ما يراها الأهل راجعة  
 يتوقعون هطول الأمطار وفيضان النهر فمى لهم بمثابة ميزان للطقس يصدق كل الصدق في الدلالة عليه •  
 ويروى عن إحدى المطاحن أن الجرذان برحتها فجأة واتجهت راكمة الى القاعة المجاورة وبعد وقت قريب  
 طغى النهر على المطحنة واضطر صاحبها الى الفرار بنفسه من دون أن يستطيع أن يتقد شيئا منها (انظر شكل ٢٢)



( شكل ٢٢ - فرائد بشر بما يهدد المنزل الذي يسكنه من الخطر فيفر منه قبل وقوع الكارثة )



- (٢) إن الجبل في الصحراء يبرغ رأسه في الأرض ويشخر شخيرا متواصلا قبل هبوب عواصف الرمال بوقت قصير فيكون شخيره منفرقا باقتراب العاصفة من دون أن يظهر في الجوّ دليل ما على ذلك
- (٣) ويعرف الذين ألفوا صيد السمك (بالصنارة) أن هناك نوعا من السمك يختفي من النهر في أحد الأيام فجأة فلا يصره أحد على أثر وبعد اختفائه بقليل يطفئ ويحدث فضان كبير ، فاخفاؤه خير نذير للمصايد بان النهر على وشك الفيضان . ثم إن هذا السمك يختبئ عن الأكل إلى أن تصل إليه مياه الفيضان فكأنه يتوقع أن تحمل إليه هذه المياه أغذية جديدة تستحق أن يصوم سلفا ويستعد لالتهاها
- (٤) ويمزى السبب في مهاجرة كثير من أنواع الطيور إلى التنبؤ عن الطقس فبعضها يتبع الربيع أيناسار والبعض الآخر يقيم الشتاء . ومن المشهور عن الهنود الجر في أمريكا أنهم يتنبؤون عن الطقس بدقة عظيمة ، ولكن ثبت بعد التحقيق أنهم يستندون في تنبؤهم إلى تنقلات الطيور والحيوانات . ومن المشهور عن الحيوانات التي تسكن الجبال أن لها خبرة عظيمة في تقلبات الطقس ، فالوعول والأرانب البرية وبعض أنواع السباع البرية تنزل من أعالي الجبال إلى منحدراتها قبل حلول عواصف الأمطار ويكون الجوّ عندئذ صافيا والسماء مشرقة ولكن لا يكاد ينقضي يوم أو بعض يوم حتى تتلبد السماء والجوّ بالغيوم وتسقط الأمطار . ومن المعروف عن الأرانب البرية التي تسكن الجبال أنها تهجرها في بعض الأحيان وتقيم عنها بضع سنوات فلا تجد فيها أثرا لأرنب ، ويحدث في خلال ذلك أن الأمطار تنقي غزيرة ويكون فصل الشتاء قاسيا ولكن تلك الأرانب لا تلبث أن تعود فتكون عودتها دليلا على توقع طقس حسن وشتاء محتمل . ولا شك أن أنواع الطيور والحيوان التي لها غريزة التنبؤ عن المستقبل كثيرة جدا فلا ترى بنا حاجة إلى الكلام عن كل نوع منها بمفرده . انتهى ملخصا من تلك المجلة المصرية (انظر شكل ٢٣) و(شكل ٢٤)



(شكل ٢٣ - صورة نوع من الأوز البري يرحل عن المنطقة التي يسكنها متوقفا اشتداد الشتاء وسوء الطقس فيه مع أنه لا يوجد أي دليل ظاهر على ذلك عند رجليه)



(شكل ٢٤ - صورة انحدار الوعول من الجبال الى السهول)

هذا هو الذى أردت تلخيصه ورسم صورته في تفسير قوله تعالى - وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم - أكتبه في تفسيرها وأنا أعلم أن كثيرا من الناس يطلعون على هذا وهم لا يفكرون ولكن بيانه وتفصيله في تفسير الآية هنا يجعل له روحا وحكمة يفتلها أولوا الألباب

(خطاب المؤلف لصانع هذا العالم)

(١) اللهم إني أحمدك جدا كثيرا ، أجدك على العلم وعلى المهيم  
(٢) يارب هائنا ذا أنت إلى الأرض وسكت فيها وعشت في أم ودول وعمالك وهم يتقاتلون وأكثرهم لا يدركون

(٣) بحثت عن الحقيقة أمدالحياة عرفت انك خائنها في صور الخلق وقت دفتها فلم يطلع عليها إلا الطالون  
(٤) علمت من صنعك أن العمداء والدواء والأوصاف والقتال والحروب والقضايا وأعمال الأم ، كل ذلك دحان قد غشيت به عقول الأمم والأفراد فأكثرهم لا يعقلون

(٥) يتطاحنون ويتقاضون ويتقاطعون على راد قليل وهم غافلون  
(٦) وفي أثناء ذلك تظهر لطائفة من تلك الأمم جبالك الباهر وعلمك البديع وحسن صنعك الجليل فيبهرهم جبالك ويسحروهم بهجة صنعك ، فهؤلاء لأجلهم خلقت الدنيا ولاساعدهم أرلت الدين ، هؤلاء هم الذين يقومون باسعاد أعمهم علما وعملا انتعاء وجهك ويصرفون حياتهم في فهم سمواتك وأرضك ولا يرون لك بدلا  
(٧) يسخرون من الزخرف والجماء والمال والناس حولهم بها ليجنون وهؤلاء لا يطلون جزاء على علمهم إلا ما يحسون به في نفوسهم من الجبال والبهجة والور ، قد استوى الماضي والحال والاستقبال عندهم وهم بذلك راضون ساكنون

(٨) يرون لطفك وعطفك ورحمتك وورفتك بالجرذان إذ أت أعلنتها أن قتلة سنسقط عليها من مدافع الألمان ليلا فهاجت وماجت وسرحت ثم ساد السكون وبعد ذلك سقطت قنبلة الألمان ، فهذه الطائفة إذا سمعت هذا فرحت وانشرحت وعلمت أن لطفك يحيط بالعظيم والحقير والجليل والصغير والانسان والفران ويرون لطفك بها وقد أعلنتها بأن النار ستب في مخازن الجوارك التي عاشت فيها فهاجرت وتركت المساكن  
(٩) وأى عجب أكثرهم أن الوعول والأرانب البرية تنزل من أعالي الجبال فيسبل هطول الأمطار ولا

علامة في الجو وإنما هي حكمة الحكيم الرحيم أعلنتها بما سيكون

- (١٠) الجهلاء من الناس لا يميّزون هذه الرجات إلا على سبيل الروايات ، أما الفضلاء من الناس فانهم يرون هذه العوالم فصولا متصلا وقد شملها كلها من سموات وأرضين تدبير محكم منظم لا يشغله العظيم عن الصغير ولا الكبير عن الصغير فهو مع الفأري يحجره ومع الطير في جوه ومع الكوكب في مداره فكان هذه الدنيا جسم واحده لرأس وقب وحواس وأحشاء وأعضاء والروح لا تنفصل عن الصغير ولا عن الكبير
- (١١) فهؤلاء الحكماء الذين ظهرت لهم هذه المعاني وحضرت في أكثر أوقاتهم هم المصطفون الأخيار ، هؤلاء يدركون في هذه الحياة أنهم في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للفقيرين الذين يقولون . وأى سعادة أكبر من الوقوف على الحقائق ، هذه هي السعادة التي تصغر في جانبها جميع السعادات ، هذه هي سعادة كلية من نالها فهو الآن في جنة العرفان ، يرى أن الرحمة والملم والنعمة تحيط بالعالم القدي هوفيه وهو يحس بها وسواء من الناس بها لا يعلمون . إن في الأرض عجبا يحب أكثر الناس عن هذا الجمال كقَالَ تعالى . وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال . فالجباب مضروب على قلوب أهل هذه الكرة الأرضية ، ظهرت لهم الرحمة وقمة والسعادة شفاء ، وذلك لأنهم في عالم من العوالم المتأخرة هذا قوله تعالى . ولكن أكثر الناس لا يعلمون . بعد أن كتبت هذا حضر عندي قاضي محكمة (ذكرنس) من أعمال (الدقهلية) بالوجه البحري من القطر المصري ولما اطلع على مجانب هذه الحيوانات وعلمها بما سيحصل لها قال وأنا أحدثك حديثا شاهدته بمبنى رأسى ، ذلك اني كنت قاضيا في (مديرية سوهاج) من مديريات الوجه القبلي ومن عاداتهم هناك أن المدير وأعيان المديرية يحضرون اجتماعا علما لافتتاح القرعة المسماة (القرعة السوهاجية) وهذه القرعة لا تفتح إلا أيام تمام النيل ، قال وقد حضر المفقون والطبايون والزراعيون وما حضرت أنا معهم ليلاً فرّ المدير على منزلي صباحا فلم يجدني فتوجه لي بالمحكمة وقال تعالى متى لفتح القرعة اليوم ، قال فذهبت معه فوجدت أنواع الحشرات والحيات والعقارب وما أشبهها تجري جوا حيثما مسرعة لتدخل البلدة فسألت عن ذلك فقيل لي إن هذه الحشرات والزواحف كل سنة قبيل فتح القرعة بساعات تراها أخذت تهاجم من مساكنها التي استقرت فيها بهذه القرعة اليابسة ، فهذه الحال تراها كل سنة انتهى
- هذه هي الحادثة التي حدثني بها القاضي وهو أدرك مغزاها ولكن العاقبة لم يدركوا مغزاها ولم يفسقوا ولم يفكروا فيها ، فهم رأوها كما يرون شروق الشمس وغروبها ويزول الولادة والموت . إما العبارة والجمال وإما المحكمة فلا ، لهذا نرى المسلم اليوم إنما ينقل هذه الجباب عن الأمم الفرنجية لأن كثيرا من الناس هناك يقولون ما يرون ، هذا ما اتفق لي عند كتابة هذا الموضوع ، وهنا يسأل سائل فيقول « كيف أظلمت هذه الحيوانات أمرا غائبا كهذا فأما الانسان فلا » ونحن نجيب عليه فنقول
- (١) إن الله قدر فهدى وأعطى النعم والحكم بقدر ، أعطى الانسان دولا وعمالك وحكاما وعلماء فليس من المصلحة أن يشغله بأمور قامت بها دولته التي وزعت الأعمال عليها
- (٢) إن علم المستقبل لهذه الحيوانات مقدر بقدر وهو الأمر العام لمعومهم ومستقبلهم بدليل اننا نقتل الحيات ونصطاد الطيور ولا علم لها بما ستفعل معها . فهذا العلم بالمستقبل مقدر بقدر وهو النظام العام لها لا لأفراد خاصة
- (٣) إن الانسان يتنبأ عند تنويم الغنطاميسي كما تراء فيا تقيم في (سورة البقرة) عند آية السحر هناك إذ ترى رجلا متوما (بفتح الواو) قد أخبر بمرضه ووصف الدواء لدائه ثم فاجأه عارض فأتى فاستنج العلاء أن نفوس الناس في حال ازالة الموانع الجسمية تعرف كل أحوالها المستقبلية ولكنها لاتعرف ما يصادفها من العقبات الخفية
- (٤) إن العلم بالمستقبل يصرف الانسان عن العمل له ويقعده في الكسل وذلك لارقيقه ومارقيه الناس

إلا بأن يجهلوا مستقبل الأمور ويلهموا إلهامات جزئية كالهام أم موسى ثم هم بعد ذلك يبنون على هذا الإلهام علما وعملا . فأما إذا كان كل شيء معهدا فلاسيلا إلى رقيم إذن الرق بالعمل ولا عمل إلا لمن حجت عنه الأمور للمستقبله فسارع لاسعاد نفسه المجهول عنده . وما كان الله ليطلعكم على الغيب . لتجتوا في عملكم حتى تلقوني . انتهى صباح يوم الاثنين (٨) يوليو سنة ١٩٢٩ عند طبع هذه السورة

( لطيفة في قوله تعالى . وإن الدار الآخرة لى الحيوان لو كانوا يعلمون - )

هل لك أيها النبي أن أحدثك عما خبرته بنفسى وعرفته من أحوال الناس في زماننا من حيث طول الأمل بسبب الوسواس الخناس فأحدثك حديث وزير عظيم ومدرس كبير ورجلين في بلاد الفلاحين بالشرقية (الوزير)

كنت أعرف وزيرا من عظماء الأمة المصرية وكانت لى معه مجالس علمية لخادني يوما قائلا « هل أنت موافق يا شيخ طنطاوى بأن كلام البيانات حق » وأن هناك جنة ونارا وسعادة وشقاء بعد الموت ، فقلت نعم ، فتعجب غاية العجب وقال كيف ذلك فأخذت أذكر الحجاج المعروفة فقال هو إن العلم الآن ينفي ذلك وماعذه الدنيا إلا دار مغالبة ومكابرة ومصاراة وجهاد ، فالغالب فيها هو الذى ازداد بها استمتاعا كما هو مذهب النشوء والارتقاء كما جاء في كتاب (بخترا لألماني) شرعا على مذهب (داروين) وملخص المذهب أن العوالم التى تراها أخذت في الارتقاء وأقواها ينهب أضعفها وهناك يحصل الانتخاب الطبيعي ، فالطبيعة لا تبق إلا ما هو أكمل وتبقى ما هو أقل كالأرجل . خذ لك مثلا . نحن الآن نركب العربات فى الطرقات ولا نركب (الترام) كالعلامة وإذا ركبنا فى قطار السكة الحديدية تربنا فى الدرجة الأولى بخلاف الناس جيما وهانحن أولاد نسكن فى مساكن جبيلة وتتمتع بنم عظيمة ويضرب الصكر لنا سلاسا بالسلاح . هذا هو الانتخاب الطبيعي وهذا هو مذهب (داروين) وأنا به أدين . فهذا الوزير لم يوصله العلم إلى أكثر من أنه يعيش فى نعم فى الدنيا وليس هناك عالم آخر وهو يكتب جيع الأنبياء . وأنت تعلم أيها النبي من هذا التضير أن نفس النعم الديوى عذاب على صاحبه فن لم يروض نفسه ويتعلم القناعة فى الماء كل والمشرب الخ أحاطت به الأمراض وذلل فى حياته ، ولكن هذا وأمثاله لا يعقلون أكثر مما أسمعته فى هذا المقام »

### ( المدرس العظيم الممتاز )

لقد كان بمدرسة دارالعلوم مدرس كبير تخرج على يديه مئات من المدرسين لخدمته أحدهم مفيدة قال ناقلنا عن أستاذه ذلك المدرس العظيم ، قال لقد كنت فى أول حياتى مجاورا بالجامع الأزهر ولم يكن لى مال وإذا جاء زمن البطالة توجهت إلى قريننا بالصعيد فسكنت إذا أردت أن أذكر الروس أجلس تحت شجرات بالقرب من منزلا ، فلما أن صرت موظفا ومن الله على بالثروة والغنى اشتريت نفس تلك الأرض التى فيها الشجرات التى كنت أجلس تحتها للذاكرة أيام الفقر ، فلما أن اشتريت هذه الأرض استأجرها مؤجرون من الفلاحين فزرعوها فطنا فوجهت يوما لتلك الأرض وأخذت أجوب جنباتها وأجول فى عرصاتها وقد أعجبنى القطن فتذكرت أيام الفاقة إذ كنت أجلس تحت الشجرات ولا أملكها فأخفت من شدة الفرح أغنى هذه النعمة التى نلتها . فهذا المدرس رأى أن غاية نعم الحياة أنه يملك هذه الأرض ولما أحسن بالنعمة أخذ ينسى أنه من الجامع الأزهر وأنه كبرت سنه وإن الله يقول . وإن الدار الآخرة لى الحيوان لو كانوا يعلمون . ونسى قوله تعالى . إن الله لا يحب الفرجين . وكان خيرا له حينما رأى هذه النعمة ونذكرها أن يكتر من الاستغفار كما قال تعالى لنبيه ﷺ . إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره أنه كان توابا .

فأما الريان ببلاد الفلاحين بالشرقية فإن أحدهما وكان له مقام واحترام بينهم قال . ما قصد من

الحياة ، التمس منها انى اذا كنت ائبس قطعانا لا أنزل الى ملابس الفقراء ، وأما الثانى فالى سمعته يقول ما التقصد من الحياة عندنا الجاموسة والبقرة وفيهما اللبن وعندنا النقرة فنحن والحمد لله أغنياء وانما ذكرت هذا لك أيها الذكى لأذكرك بما تعرف من الناس حولك لجميع أهل الأرض لا يغرجون عن أمثال مذكورة الآن ولكن العلم والحكمة والدين تخرج الانسان من فكرة العالة الى مقام العلماء وآداب الحكماء واذا ذاك يعرف الانسان قوله تعالى - وان الدار الآخرة لى الحيوان لو كانوا يعلمون -  
فبالت شعري ملهى الوزارة قصيرة الأجل وماهى الثروة والمال لاسيا لمن كبرت سنه فهى إن دامت له فرضا فلن حياته ومحته لا يدومان . انتهى والحمد لله رب العالمين

### ( خاتمة السورة )

( خطاب العنكبوت للفكرين فى الاسلام فى زماننا والذين سيقرون أمثال هذا الكتاب ومن بعدهم )  
قول العنكبوت . أيها العلماء اننى آية لكم لا للجهال . ألم تروا انكم تبنون بيوتكم طين تحرقوه فيصير أجرا وبه تبنون القصور والصور وتلبسون ملابسكم مما تستبثونه فى الأرض من السكتان والقطن وما تستخرجونه من الحرير الذى ينسجه السور وتستعينون بالحديد والخشب على اكمال البناء وتشيد القصور وصنع السفن فى البحار والطيران فى الهواء . فأنتم تبنون وتلبسون وتركبون بالآلات مخلفات . أما أنا فلى مصنع واحد فى جسمى منه أبنى بيتى وأصنع طيارى وأصطاد فريستى وأبنى قطرقى قام مقام الخشب والحديد والطين واحرقه والقطن وغزله ونسجه وما يبيع ذلك من آلات تنسج وقفل وأخرى لسقى الأرض ولتنقية الحشيش الخ فدنيا كم كلها قد حيزت لى بأكلها وهذا المصنع الذى فى جسمى انما هو من غذائى الذى تستقرونه . أنا الذى أكلت الحشرات الفاتكات بزركم اللطافات لجؤكم بتعاطى المواد الغضة فأنا ألتقها وأفترسها بعد أن أدت وظيفتها لكم ولم يبق إلا ضررها . فهذه تنقلب فى جسمى فى محل مخصوص ما ينبه الحرير أو القطن أو السكتان . هذا هو المصنع الذى أعطانيه ربى قام مقام أجركم وخشبكم وحديدكم وقطنكم وتلبسكم ولم أحتج الى تجار لبناء سفيتى ولا بناء لبينى ولا مهندس لجبراه ولا آلة بخارية لسقى قطنى . بل غزنى الذى اختصنى به الله هو الذى كفاينى كل ما أحتاج اليه وهذا أيها العقلاء فى كتابكم . يقول الله - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - فهذه إحدى خزائنه خصى بها وحرم سوى وهو ناظر الى راحى بها . أفلم ترون أيها المفكرون فى هذا العالم انى أكفكم فى معرفة منظم هذا الكون الذى أحسن كل شئ خلقه . أفلاترون أن هذا هو الحسن والجمال فقد أحسن الله خلقى ولكن لا يعرفنى إلا العلماء للمفكرون . فان أردتم دليلا على ربى فأنا أكبر دليل بل نظامى وحده كنظام السموات والأرض وان نظرم الى أمر المدينة والرقى فأنا مع ضغنى وان يبنى أضف البيوت . بنيت على الشجر فى أرضكم بيوتى واتخذت سفنا فى بحاركم وأنتم تجهلون وظيفتى بينكم ولا تعلمون انى حارسه لحقكم وطرت فى الجوق بطيارى . أفلاتعلمون أيها المسلمون أن أعظم آياتى المنسوجة من غزل جسمى وقد قلدى القرنجة وأنتم لا تقلدون وفى آيات ربكم لا تفكرون  
هذا هو بعض معنى قوله تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - انتهى تفسير هذه السورة ليلة الخميس الخامس من شهر مارس سنة ١٩٢٥ م والحمد لله رب العالمين

( تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الرابع عشر من كتاب «الجواهر» فى تفسير القرآن الكريم )  
وبليه الجزء الخامس عشر • وأوله تفسير سورة الروم )

## ( انطلاً والصواب )

غلبنا التصحيح ففاننا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وما هو ذا

صواب	خطا	صحيفة	سطر	صواب	خطا	صحيفة	سطر
وأقضت	وامضت	٨٠	١٤	كيفية فهم	فهم كيفية	٣	١١
الاستفغار وسنريده	الاستفغار	٨١	٢٣	مع جواز	مع	٥	١٤
ياناقر بيا في الجوهره				لازمه	لازمه	٧	١١
الثانية				نينا وملكا	طيباومهندسا	٩	٨
ميننا كما تقدم	ميننا	٨٤	٣٥	وحكيا	والها		
ثلاثا	ثلاث	١٠٠	١٤	لتنفر	لينفر	١٤	٣
قارات	غارات	١١٦	١٧	مذنين	مذبذنين	٢٠	٢١
ماهوتمته	ماهوتمته	١٢٣	٢٥	ان موسى لماهم	ان موسى	٢٢	٢
الضيقة	الضيقة	١٢٥	٦		لماهم	٢٢	٤
٢٢٦ر٤	١٢٦ر٤	١٢٦	٤	المكعبة	الربعة	٢٨	٣٢
يرج	يرج	١٣٠	١٣	عريه	غريه	٢٩	٢٩
الطبيعة	الطبيعة	١٣١	٣		بغير هذه المباحث	٣٢	١٣
كرتين	كرتين	١٣٩	٧	ها	هـ	٣٢	٣٣
عنكبوتا	عنكبوتا	١٣٩	٢٢	من	عن	٣٤	٦
الكتاب	التفسير	١٤١	١٨	حاسة النوق	حاسة النوق هي	٣٩	١٩
النحل	النحل	١٤١	٢٠	ليتاوروا	ليتاوروا معه	٣٩	١٩
النحل	النحل	١٤٤	٧	بصناعة اليد	بصناعة يدها	٤٠	١٠
النحل	النحل	١٤٤	٧	الأذن	الطين	٤٦	٢٢
فهذه الصكرة	فهذه القوة المرسومة	١٤٩	١١	الأعليين	الأعليين	٤٧	٩
المرسومة المتقدمة	أمانتا			هذا	هذه	٥١	١١
فهي	هي	١٦٤	٤	تفغوها	تفغوها	٥١	١٨
الى الصواب	الصواب	١٦٨	٢٦	بقنوه	بقوله	٦٦	١٥
مختلفان	مختلفان	١٦٨	٢٩	في المراتين	في المراتين	٦٨	٦
ومن غير المتعصين	ومن غير المتعصين	١٦٨	٣٠	لجل	ولجل	٦٩	٢
	ولو	١٦٩	١٤	ويعضونهم	ويعضونهم	٧٢	٢٨
العرب	العرب	١٧٤	٣٣	في قوله تعالى	وهوذلك	٧٣	٢٧
باصول	باصول	١٧٥	١٣	ولا تنجزأ الى	ولا تنجزأ	٧٤	٣٥
المحوط	المحاط	١٧٧	٧	عناصر أخرى			
بالأطفال	الأطفال	١٧٧	٣٤	فمننا	فمننا	٧٥	١١

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
وعظماهم	وعظماهم	٩	١٨٨	وهي التوراة والانجيل	وهي الزبور والتوراة	١٣	١٨٠
للكون	الكون	١٤	١٨٨	والقرآن، والقرآن	والقرآن الخ (هذا)		
بعد واحد	بعد	٣٤	١٨٨	بالنسبة للانجيل	منقول من أصل		
تذهب	ذهب	٦	١٩٠	كالانجيل بالنسبة	(الترجمة)		
يهطل	يهضب	٨	١٩١	للتوراة			
قبض	قبض	١١	١٩١		عليه	٩	١٨١
شاعره	شاعريه	١٥	١٩١	سوق	سواق	٢١	١٨٣
للتوحشة	التوحشة	١٨	١٩١	مسيحيين حقا	قد نصرروا مسيحيين	١٦	١٨٤
اتهم	اتهم	٣٠	١٩١	حق صراح	خفا صراحا	٥	١٨٥
أحد تلاميذه	أحدهم مفيده	٢٣	٢٠٧				

( ن ت )

# فهرست الحجرات الأربع عشرة

(من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم)

مقدمة

- ٢ ذكر ( ثلاث مقدمات ) لتفسير سورة القصص ( المقدمة الأولى ) نموذج في كيفية فهم قصص القرآن القرية والآداب في قصص القرآن وبيان أن الأمم الإسلامية أملت القصص وفهمه مع أن عليه مدار ارتقاء الأمم سواء أكانت حكيمة خيالية أم حقيقة . وبيان مزايا قصص القرآن على خيالات المؤلفين وبيان مثال حال المسلمين مع قصص القرآن كتل فلاح يرى عنده الماس في حوالها منزله فظنه حصي ففطن له رجل انجليزى فاشترى منه ذلك المنزل بمال وفير . وهل أخفى الله عدة أهل الكهف إلا ليعين لنا أن المدار ليس على حقائق التاريخ بل على الموعظة منه ( المقدمة الثانية ) في محاورات بيني وبين فتي في الجزيرة في عشره مواضع مثل علاقة العلم بالدين وكيف سعيان الفقه وهي تتكلم ومعنى - علنا منطق الطير- وهكذا من مسألة العفريت والمحارب والقصاع الكبيرة ودابة الأرض وسخرياء ومعاورات بلقيس والاجابة على ذلك بأن الاسلام هو متبعه أن يعلمهم كل شيء وأن الكلام على ألسنه الحيوانات مستحسن عند كل الأمم ( انظر كتاب كلية ودمنة ) وان من الحيوانات حكيمة كالنحل والنمل وعامة كالجواميس والبقر والله جعل الحكمة معلمة للانسان ، وبعده هذه المقدمة قول إن الهدى والنمل وأمثالها يسمعا الجاهل فيظن المعرفة ، والعالم يعرف المقصود بالجاز والاستمارات والكنائيات ، وأقرب شيء لهذه القصص الكنائيات وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة المعنى الأصلي كما في قول الخنساء في دريد بن الصمه \* معاذ الله برضى جبركي \* الخ فالجاهل يظن الرضاع من هودا فيه والعالم يقول إن المقصد يرجع لزواجها بأبي الصبي لا لرضاعه
- ٦ بيان ما مرشد اليه قصة سليمان وهي عشره مثل سرعة نقل الأخبار واستخدام المعادن والهندسة والاعتداد على النفس والعلم والافتداء بالله الخ
- ٧ ثم بيان ما أخذ ذلك كله وأن سليمان لم يذكر الحيوانات العاملة بل الحكمة كالهدى والنمل ، ثم بيان أن الأمم المعاصرة تعلم هذه الحيوانات
- ٨ بيان أن مشاورة بلقيس تعلمنا المجلس النبائية وأن الاخبار بالنيب لا يعول عليه الخ
- ٩ ( المقدمة الثالثة ) أحوال الملوك في قصص فرعون وموسى ، وبيان أن تاريخ المصريين يقول لنا إن ادريس المثلث أول من خط بالقلم وقد ورث المصريون عنه علوم ما تكتشف الآن وكانوا موحدين ثم أشركوا بتجاذى الزمان ودخل الفرس بلادهم فاليونانيون فالرومان فالعرب
- ١١ بيان سقوط الملوك بما أن للفتاة وقتا مينا ثم تحمل حملها الأمم الضعيفة ، ناهيك بما وقع للرومان من غلبة الأمم الوحشية عليها ، فأما في الأمم فله عشره سببا استعنتها من هذه الآيات عشره منها بكسب الانسان وعشرة من الله ومتى قام الناس بماعليهم منحهم الله ماعنده ، فالعشرة الأولى حسن السياسة مع الأمم الفاتحة والقوة العلمية والألفة وسياسة اللين عند الحاجة واللبث على البدأ واشعار النفوس بالشهامة وقرية الناشئة على مبادئ جديدة مناسبة للزمان والفرار بالأهل عند الحاجة اليه وازدواج اللين والشدة . فهذه العشرة



- مستنتجة من آيات هذه السورة تراها مفصلة
- ١٣ فأما العشرة التي هي من الله فهي الإلهام ، إجابة النساء ، شد الأزر ، النصر والتجاة من الضر ، الهداية حسن السمعة ، القربى من الله ، التحكك من الخلافة في الأرض ، انقلاب الأعداء أصدقاء محبين ، فهذه من الله في مقابلة العشرة الأولى
- ١٤ تقسيم السورة وهي ﴿ أربعة أقسام • القسم الأول ﴾ من أولها الى قوله - لعلمهم يتذكرون -
- ١٦ التفسير اللغوي لهذا القسم
- ١٧ ﴿ الفصل الأول ﴾ في قوله تعالى - إن فرعون علا في الأرض - الخ وملخص هذا الفصل علوه في الأرض • استخفافه حزبا من أطراب مصر • قتل الأبناء • استبقاء النساء • انه مفسد • فهذه خمسة قابلها بنظيرها وهي (انه عبق على المستضعفين • ويجهلهم أمته • ويجهلهم الوارثين • ويمكن لهم في الأرض ويرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)
- ١٧ رأى (سقراط) في السياسة وهي عنده ﴿ خمس درجات ﴾ درجة الفلاسفة فقواد الجيوش فالأغنياء فالحكيم الديموقراطي أي حكم المجموع فالحكيم الاستبدادي
- ١٨ البولشفية في مصر قبل (٤٠٠٠) سنة مصداقا لهذه الآية - وزيد أوت - نعم على الذين استضعفوا في الأرض - ويان أن فرنسا لم تتم ثورتها إلا بعد أن تميات لها الأذهان في القرن الثامن عشر وهكذا دولة الروس لم يفتلوا القيصري زمانا إلا بعد شيوع الآراء البولشفية فيها هكذا حكم الأمة المصرية قديما فالأسرة التاسعة كان فيها مفكرون فزعزعو العقائد فلما جاءت الأسرة العاشرة هزم فرعون مصر أمام جيوش الخارجيين عليه وأصبحت البلاد فوضى • ويان ما قاله الكاتب (ابغور) لملك وهو غائب د ان الفقراء أخذوا مال الأغنياء وأصبح من كان يلبس للملابس الفاخرة لا يلبس إلا الأهدام البالية • فالأغنياء قديما في حزن والفقراء في فرح • وأبان أن المالحكم يثرورقها وخربت وأن الأمراء والأميرات جاءوا الخ هذه هي الحادثة الأولى • أما ﴿ الحادثة الثانية ﴾ التي جاءت مصداقا لهذه الآية فهي أن الأمة الانجليزية اليوم قد انتصر فيها المال بلا ضرب والوزير اليوم عامل منهم كان فقيرا يسمى (ماكدونالد) ومعه من الوزراء عاملة كانت فقيرة تسمى (مس برند فيلد) • الكلام على اللطائف الإلهية لا تقا ذن اسرائيل
- ٢٠ وهذه اللطائف (١٣) بتأملها أقد بنو اسرائيل من الوحي الى أم موسى والتقاط آل فرعون له وخوف أم موسى وانه أوتى علما وحكمة وقتله القبطي ووروده ماء مدين وسقيه لابنني شعيب وتزوجه بإحداهما وارسال موسى عليه السلام وظهور المعجزات وكفر فرعون وجنوده وهلاكهم وأن موسى أوتى الكتاب فهذه (١٣) لطيفة
- ٢٦ بيان أن هذه الحوادث ابتدئت بفكرة خطرت لأم موسى فاتبعتها ولم تيأس من رحمة الله • ويان أن هذا الماطر يخطر كثيرا لأم الاسلام الحاضرة الآن ليخرجوا من الفل ولكن يعرضون عنها ولكن الله معونه علة ولا ينالها إلا امن قهرضوا لها
- ٢٧ ﴿ نظرة المسلمين في هذا الزمان ﴾ سينظر مسلمو هذا الزمان في القمص فيقولون د اذا نجنا بنو اسرائيل بإلهام خطر لأم موسى ولم تتركه فرغ منار أمتها ؟ فكيف ترك نحن خواطرنا الشريفة للخروج من الفل ؟ أليس هذا يأسا من رحمة الله الذي ملا العقول بالأفكار الجيلة ولاشط المسلمين إلا بعض الشيوخ الجاهلين فهم كسحب حجب نور شمس الرحمة وبعض أولئك الذين يضعون أوقاتهم في تحقيق أمسل هذه القصص

٢٨ هنا لطائف مثل ان الناس يتعجبون من أم موسى والوقائع التي بها نجا بنو اسرائيل . وما هذه الهجاب بجانب السحر الحلال في غرائب الخواصق وبدائعها إلا كواحد بالنسبة لآلاف . ومثل ان لله في كل زمان أناسا لهم نزعات بها يرفع الضعفاء ويذل الأقوياء مثل ما فعل (ماركس الألماني) الذي قال للناس : إن نظام الحكومات فاسد ، فهذه الفكرة سرت في بلاد الروس وقتلت القيصر . وباتقلاب هذا النظام استقلت أمة الفرس التي كانت نهبا مقسما بين انكلترا وروسيا القديمة القيصرية . فهذه فكرة ألمانية امتدت آثارها الى بلاد الفرس وغيرها فهي كامتداد إلهام أم موسى من نجاة ابنها الى نجاة أمتها

٢٩ ذكر البلاغة التي رآها الأصمى في كلام الفتاة عند الكعبة وقولها له : « أتعد هذا بلاغة بعد قول الله تعالى - وأرحنا الى أم موسى - الخ ، ولكن ما كتبه في هذا التفسير هو المقصود لا البلاغة اللفظية التي عكف عليها الكثيرون

٣٠ بيان أن البلاغة المشهورة للتدئين ورواءها خزائن العلم ومنها ما جاء في هذا التفسير فالإقتصار على الإيجاز والاطناب والجناس قصص وكيف تستوى البلاغة اللفظية والمعاني الكامنة في مسألة الصا ومجمل السامري وأن ذلك جاء لتعليمنا أن المدار على الحقائق لا على الظواهر . إن الاسلام رحمة للشرق والغرب فانظر الألفاظ العربية في لغات أوروبا مثل العود وأمير البحر والحبل والخزن ، وهكذا أخذت أوروبا الأرقام الهندية والجبر والهندسة وهكذا

٣١ جوهرة في قوله تعالى - إن فرعون علا في الأرض - أنت يا الله رفعت آباءنا العرب فبنواهم بنواهم في الأرض في الأم ثم دالت دولتهم وهامى ذه تريد الرقي وهذا كتابك أفسره وقد جاء في زمان اطلمت فيه على سياسات الأمم قديما وحديثا ففهمنا يارب معنى قولك - فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا - ومعنى - إن الملوك اذا دخلوا قرية - الخ وذلك موافق لقولك هنا - إن فرعون علا في الأرض - أول هذه السورة علو وفساد وآخرها بني قارون على قومه وفرحه وفساده في الأرض فأولها كآثرها ، إن إفساد بعض المسلمين في الأرض جاء في قوله تعالى - فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا - الخ وقد جهل كثير من الأمم الاسلامية أمر الفتناء التي أحلت لرقى الانسان فلما اتخذوها للذات أزال الله ملكهم ، وبشر بذلك خوفه ﷺ علينا من فتوح البلدان وقال انه أخوف ما يخاف علينا وقد تم ذلك فعلا وقد فهم أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلى أمثال قصة قارون هنا وفهموا قوله تعالى - لولا كتاب من الله سبق لمسك فيما أخذتم عذاب عظيم - فلذلك تورعوا عن الأخذ من الفتناء ولم يتورع كثير من الملوك ومن قرأ (الكوكب الهندى) و (الفرقايس) أدرك أن العلم والدين متحدان في هذه الآداب

٣٣ وهكذا استقرأ أيها الذكر رسالتى (مرآة الفلسفة) عند قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - اجال الفلسفة وأن (أفلاطون) و (سقراط) اتبعها ترك زينة الدنيا وهكذا (كنت) الألماني وهذا عجيب

٣٤ (القسم الثانى) من قوله - ولولا أن تصيبهم مصيبة - الى - ففى أن يكون من المفلحين - ثم تفسيره اللفظي

٣٨ جوهرة في قوله تعالى - ولقد وصلناهم القول - وبيان أنواع التوصيل فان الحرارة والبرودة تصلان بحاسة اللمس واللחות بحاسة النوق والمشمومات توصل بحاسة الشم والألوان والأضواء والأشكال بحاسة البصر والأصوات والموسيقى بحاسة السمع ولكن التوصيل بالوصى أبعد مدى من توصيل الألوان بالبصر لأن نور الكواكب آت من مدى بعيد جدا يصل لنا بطرق البصر ولكن الوصى أبعد مدى لأنه آتى الى الروح من الله تعالى لامن الكوكب فهذه هي الحكمة في ذكر التوصيل ، ولهذا القتال (تيجتان) •

أولاهما) ان العلوم يجب أن تنوع طرقها كما نؤمن الله لنا التوصل بطرق مختلفة (ثانيهما) ان جسمنا يستفيد من كل ما يحيط به وهذا هداية لنا أن نستفيد من كل حادث يحدث لنا

٤١ (القسم الثالث) من قوله - وربك يخلق ما يشاء ويختار - الى قوله تعالى - وفضل عنهم ما كانوا يفترون - ثم تفسره اللفظي

٤٣ هجاب القرآن في هذه الآيات - وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون - وبيان أن حد كل امرئ على مقتضى إحساسه بالنعمة كالفقير والمرضى والليل إذا أحس بالغي والشفاء والعز وهذه صفة عيب السوء ألا يعرفوا النعمة إلا بضدها ، أما المصطفون الأخيار فليس يتوقف حمدهم على إبدائهم فهم يدرسون الكواكب والعوالم كلها ويهتمون الحمد في الفاتحة ، ومتى حمد المسلم في الدنيا حمد يوم القيامة وأغلب حمد الناس اليوم لفظي وبيان معنى الحمد في الفاتحة فهو على رحمة موجبة للأجسام وأخرى للعقول ، وفي هذه الآيات تقديس وتوحيد وحمد

٤٤ النعم والتمم مذكرات موجبات للشكر وهذه الآية ذكر فيها أعظمها . نطأ آخر في تفسير هذه الآية ، بيان أن الشكر أهم من الحمد وأن الشكر يكون باللسان والقلب والعمل وأسس هذه الثلاثة العلم وبجامع النعم وأندادها جمعت هنا ، النعمة موهبة والنعمة تسوق إليها ، وهذا كله جمع في الليل والنهار ، النهار نعمة والليل عسرها ، وهذا كله بالحركة ، فالحركة كان منها الليل والنهار وفيهما الخير والشر ، وتنتج من ذلك كله الأنداد جبل واد بحر برّ خصب جيب وهكذا ، وفي الناس (أعمى . صبر . أصم . سمع) وهكذا وهذا قوله - ومن كل شيء خلقنا زوجين - الخ ثم بيان أن الله يضرب على كل أمة نامت عن علوم الإنسان والحیوان والسما الخ

٤٦ هنا (أربع جواهر الجوهرية الأولى) في قوله تعالى - وربك يخلق ما يشاء ويختار - وما اختاره الله أنه وضع القلب مقسماً أربع نحو وظائف والسم متى قابل الهواء الجوى دخل في الجهة اليسرى من أهل ثم نزل الى أسفل ثم ينتشر في البدن ثم يرجع بالكربون فيدخل في أعلى الناحية اليمنى ثم في أسفلها ثم يتجه الى الرتين وهكذا ، ولكن هذه الصورة تكون في الجنين على غير هذا الأسلوب لأن السم الذي يدخل اليه يكون شريانيا لا مادة خفية فيه لأن رتة أمه تقوم مقام رتته ، انظر وتجب كيف تكون الصورة مختصرة فيه وعند الوضع يغير نظام الصورة حالا وتصبح رتة فان الحائض التي بين الأذنين الأيمن والأذنين الأيسر لا يكون له وجود في الجنين ولكن عند الولادة يقفل هذا الحائض حالا لتتم الصورة ولولا هذا الاقفال لاتصل الدم الوريدي بالدم الشرياني وعاش الناس مرضى أمد الحياة ضعاف الأبدان

٤٨ وما اختاره الله أنه خلق الفيل (المصور في صفحة ٤٨) وخلق أباقردان بنى السود الذي يؤذيه فهنا اتحد سهكن الأرض وساكن الهواء على نظام الحياة ، فأما نوع الإنسان الذي اتحد في المسكن والخلق فقد عجز عن هذا الاتحاد ، ويؤخذ من هذا (درسان • المرس الأول) دراسة أساء الله الحسنى على هذه الصورة مثل (التدريس السلام العزيز الخ) فهو مقدس عن أن يخلق داء إلا خلق له هواء وهو السلام الذي أعطى الأمان للفيل ولأبى قردان وهو الجبار حكم على الفيل بما يؤذيه وأخضعه الخ (المرس الثاني) خطاى لأهل الشرق والغرب وتذكيرا للأمم كلها بأن أخلاقهم كأخلاق الفيل فهو يأسر ويستخدم أعداده ولم يقصروا أن يصنعوا ما صنعه أبوقردان والفيل في الاتحاد على المنافع

• (الجوهرية الثانية) - وهو الله لا إله إلا هو - الى قوله - وإليه ترجعون - ومناسبة هذه الآية لمهاورة (طباوس الحكيم) مع (سقراط) واستعانت به في شروعه في معرفة مبدأ العالم ثم أثبت أن العالم حادث

وأن المادة كانت مضطربة فتبناها الله بالعقول والنفوس والعالم كله صورة حيوان واحد فهو عقل جعل في نفس جعلت في مادة وهذا الحيوان من العناصر الأربعة في نظره ، قال وقبل هذا التكوين لم يكن ليل ولا نهار ، فهما ماحصلا إلا بعد تكوين الأفلاك ، والليل والنهار كانا بسبب الشمس وبهما كانت الشهور والسنون ، ثم إن الشمس والقمر والكواكب كلها فيها أرواح تدبرها وهم الملائكة ، ثم أسكن الله تلك الكواكب أرواحا جزئية وخالطها قاطلا ، أنهم من عنصر الملائكة وسأزلهم إلى المادة وأركب فيكم الشهوة فمن اتبعها نزل إلى الخفيض بحسب الشهوة التي غلبت عليه ومن استقام أرجعته إلى كوكبه وقال للملائكة أتم دائمون فربوا هذه الأرواح الجزئية ، وهنا بيان ما هو موافق للإسلام وما لا يوافق ، ثم أبان طباوس فائدة البصر وأنه تارفي العين يلاقى نارا من الشمس يفيدنا معرفة السماء والعالم ، وبهذا نعرف الشهور والأعوام ويحدث فينا عشق الفلسفة ، وهنا دهش مؤلف هذا التفسير من هذا البيان العجيب في صنع الله تعالى الذي لا يضرفه كثير من المسلمين

٥٢ ( الجوهرة الثانية ) في قوله تعالى - قل أرايتم - الخ هنا حديث الحارث بن همام الذي رأى أنه مات وارتفعت روحه وجاءت في نور بهيج وكان الحق يتخاطبه وأنه قال له « يا بصدي أنا أحبك » وبرهن له على ذلك بأنه شغل مدة حياته في البحث عنه والتفكير في أعماله وأنه لن يحب أحد الله إلا إذا كان الله أحبه من قبل ، وأفاده أيضا أنه خلق العالم كله لأجله فذهل من هذه الجلة وضرب له المثل بالأب والأم وبقي الأسرة فان كل واحد منهم يقول جميع الأسرة مخلوقون لي بدليل أن كل واحد من الأسرة جعل نافعا للجميع . فهكذا الأمم والدول والأرض وما عليها والشمس والقمر والكواكب كلها تخدم الإنسان الواحد وليس يعقل هذا إلا من درس أمثال هذا التفسير بل كل الإنسان في الأرض أشبه باليتيم لاحتياجه إلى كل العوالم فأواه الله بها . ومن أحسن من الناس بهذا الحب حقيقة فإن روحه قد ارتقت وغيرها لا تزال ناقصة وبيان أن هذا الحب يظهر عند مناظر الابداع في الطير والنبات وغيرهما وبيان أن الناس بالنسبة للجمال على ( قسمين ) قسم يهيم به وقسم يبلد لا يهيم . ثم أبان أن الأرواح الأرضية لها صلة بأرواح عالية وهذه الأرواح الأرضية لا قدرة لها على استيعاب هذا الجمال فسلط عليها المرض والحسد والقيل الخ فلا تهلك بسبب هذا الجمال

٥٥ ( الجوهرة الرابعة ) - ومن رحته جعل لكم الليل والنهار - الخ وبيان أن قواطع الإنسان عن الكمال إيذاء الأعداء من الخارج ومطامع النفس من الداخل فلا بد من صبر على الأول وعن الثاني . ثم إن أمر الله بالتسبيح والتحميد لا تقوم به حقا إلا بالعلم . فلجد على نعمة غير معروفة جد لفظي والعلم لا يتم إلا بعد زوال هذه القواطع . يقول المؤلف ليقف الإنسان قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ويتأمل هذا الجمال البديع والنفس لما كانت من عوالم عالية لم ترض من العلم إلا باستيعابه فهي أبدا عجدة فيه ومتى عرفت اطمانت . وقراءة هذا التفسير كافية وقراءته هو وأمثاله يعرف سر كون رضوان خازن الجنة فيه معنى الرضا . وهذا الذي اتصف بما ذكر يعرف أن الموت تقية مقبلة لنعمة . إذن هو وكل شمر مقدمات للنعم . هذه هي الرحمة العلمية . أما الرحمة العملية فان الإنسان يرى كل طير وكل حشرة تمتعت بنعم ربها في الهواء والشمس والإنسان هو الذي حكم عليه بالحبب عنهما في منزله وضل بالكثرة بالمال والولد والزينة والزخرف واللذات البدنية والاكتراث من الملابس وغيرها ولذلك الإشارة بقصة آدم في سور كثيرة . ولقد عمدهم الله بنور الشمس فغرموا منه بما تقدم وحطى به كل حيوان ولقد علم الناس ذلك اليوم في ألمانيا وفرنسا فأخذوا يعلمون التلاميذ في الخلاه

٥٨ الكلام على التعليم في الهواء الطلق بحيث يتعلم التلميذ في الخلاء فإذا جاء المطر توارى التلاميذ في الخيام .  
وهنا صورة التلاميذ في المدرسة التي أنشئت أخيراً في فرنسا (شكل ٢) و (شكل ٣) للتلميذ على المواد  
و (شكل ٤) للتلميذ في خيامهم في الخلاء . وهنا (خمس فصول • الفصل الأول) في منافع الشمس  
وانها بها يكون البخار والفحم والرياح والكهرباء وفي المستقبل سيجمع ضوءها بزجاج بلوري ثم يوزع  
فلا يحتاج الى تلك الوسائط (انظر شكل ٥ في صحيفة ٦١) ففيه صورة استخدام الأشعة في المستقبل والفحم  
والرياح والأنهار والشلالات والمحركات الكهربائية

٦٢ (الفصل الثاني) في بيان علاقة الشمس والهواء ونحوهما بارتقاء الأمم وفيه (مقصدان • المقصد الأول)  
ما يقوله (ابن خلدون) « إن أرهاق الأطفال في التعليم مضر يورث الفل كاليهود ، وهذا له علاقة بضوء  
الشمس والهواء لأن التعليل المحبوس عنهما ضعيف ذليل »

٦٣ (الفصل الثالث) في أن تباعد الناس عن الفطرة يصرف بصحتهم ويقتصر أعمارهم ، وبيان أن نمو  
جسم الانسان يحتاج الى (٢٥) سنة والمدة المقررة لكل حيوان بقدر مدة نموه فثمان مرات ، فلانسان إذن  
(٢٠٠) سنة ولكنه يموت قبل ذلك لشهواته في المأكول والمشرب والملبس والذلات

(الفصل الرابع) في الكلام على الرحة وبيان أن منافع الشمس لاحتصرها  
(الفصل الخامس) آرائى في التعليم عند المسلمين ، وبيان أن الكتابات التي ورثناها عن آبائنا فقرة  
غير مستغنية بالشمس لا بدخاها الهواء ، وقد كان النبي ﷺ يوصي اليه وهو على ناقته ، ومن هب  
أن الحج وأعماله كالسعي ورمى الجرات وبسطة الملابس هناك . كل هذه تخص على الرياضة البدنية لتم  
الصحة والقوة فضلاً عن الثواب ، ولقد أخذ الناس يتعرضون للشمس ويزاولون الرياضة ، وكل هذا  
مشابه بعض المشابهة لأعمال ديننا

٦٤ (القسم الرابع) - إن قارون كان من قوم موسى - الى آخر السورة

٦٥ تلخيص معاني الآيات في أربعة مقاصد

٦٦ تفسير ألفاظ هذا القسم

٦٧ بيان أن خروجهم على قومه في زينت كان مشواً بالكبرياء والغرور والعظمة وهذا من الكبرياء وان  
كان ظاهر هذا الخروج من المباحات

٦٨ ونظير ما فعله قارون من اظهار الزينة كل ما فعله بعض المسلمين من الولايم والماسم تفاخروا وتباهوا اذا  
أرادوا التعظيم والفخر والتكبر على الاخوان ، والكلام على الصبر وكيف يضبط المصلى فكره حتى  
لا يفكر إلا في الصلاة

٦٩ بيان طغيان قارون على موسى (١) عصي أمره في تطبيق الخيوط التي تذكر بالسوء (٢) تذرهم من  
جعل الحيرة لهارون (٣) عصيانه أمر الله بالركاة (٤) تسليطه النبي على الاقراء على موسى ، لتلك  
خسف الله به وبداره الأرض

٧٠ ضرب مثل لحال السرفين في ما لهم بالمسرفين في ما سلكهم إذ يتعالى الانسان الأغذية القوية كاللحم  
والبيض وأمثالها فتتملى الأوعية فيموت من هوسه القوة عن تحمل ذلك جفاة وتظهر البثور والقروح  
والأمراض في جسم من هو قادر على تحمل ذلك فلا يموت ، فالقوى ظاهراً هو الضعيف والضعيف ظاهراً  
هو القوى . هذا مثل من عنده مال ومن ليس عنده

٧٢ تفسير بقية الألفاظ من قوله - قل رب أعلم من جاء بالهدى - الى آخر السورة



واستعبادها والسين في يستغف ويستحي والمفسدين وهذه الطوائف الضعيفة لابد من نصرها ولذلك ترى الميم في قوله - وزيد أن نمت - وفي - ومجملهم أئمة - وفي - ونمكن - إذن - طسم - ملخص السورة لأن ملخصها ﴿ غرضان ﴾ الغرض الأول ﴿ ان الطوائف الضعيفة لابد من فوزها فإطاء للطائفة والسين لأنها والميم لنصرها ﴾ الغرض الثاني ﴿ أن تحترق الأم الإسلامية وغير الإسلامية من الفرور واستضعاف الأمم فإذا قويت أم إسلامية فلتعلم أن الله لها بالمرصاد إذا ظلمت ، وإذا أصبحت في ذل فأنه يقتص من الظالم للظالم . كل ذلك في (طسم)

﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في الكلام على الصلة بين آخر القصص وأول العنكبوت ، لقد ختمت الأولى بأن قارون ابتلعه الأرض هو وأمواله وأن العوالم هالكة ، لذلك ابتدئت (سورة العنكبوت) بالتحريض على الجهاد لتخلص من المادة الطينية لتلقى الله

٨٤ نحن الآن ننزل من سجن إلى سجن فإذا خرجنا من سجن الجوع والشبق دخلنا في سجن آخر  
كنوز المال والترف والكدرية التي نسي لها ، فنحن خلقنا في كبد . وقد ضرب له المثل بقصة آدم وقصة قارون . وما جميع الذنوب التي في الشرائع إلا آثار لما كن في هذه النفوس من الشهوة والغضب الخ  
٨٥ بيان ما يشير إلى هذا المعنى عند الأمم السابقة وأن دين المسيحيين ماهو إلا صدى صوت ديانات تقدمت كما قاله علماء الألمان من لوحة بالعراق سنة ١٩٠٣ وهكذا

﴿ تذييل ﴾ حكمة ألقاها الله على قلوب بعض الصوفية وأن الشيخ الشعراوى سأل أستاذه الخواص عن الذي يقول انني استغني بالله عن الدنيا فقال هو جاهل لأن الاستغناء عن الوجود نعت خاص بالله  
٨٧ ﴿ سورة العنكبوت ﴾ وهي ﴿ قسبان ﴾ انقسم الأول ﴾ من أول السورة إلى قوله تعالى - ولكن كانوا أنفسهم يظلمون -

٨٩ التفسير اللفظي وأن الجهاد يكون للشهوات ويكون للوالدين يبرهما وللأصحاب إذا كفروا فلا يطيعهم . وبيان أن أسباب النزول في هذه الآية مرتبة

٩٠ تفسير - ولقد فتنا الذين من قبلهم - الخ

﴿ جوهرة ﴾ في قوله تعالى - ومن جاهد فانما يجاهد نفسه - وأن الجهاد ﴿ نوعان ﴾ جهاد داخلي وجهاد خارجي . ومن الخارجى الذى يذكرنا بسعادة نوع الانسان وفيه صحة البدن واجتماع الأمم وترك الخيط من الثياب وشرح حال هذا الجهاد بما جاء في « الرحلة الحجازية » من أن لباس الاحرام والتعرض للشمس راجع لأحوال الانسان الأولى كتمثال (كوفرين) من قدام المصريين وكذلك النماثيل الرومانية . فالألم القديمة كلها كانت ملابسها كالاحرام الآن وهذا هو الذى يشده علماء أوروبا الآن إذ يعتمد القوم كل سنة إلى الجبال وإلى شواطئ البحار للاستقروا إلا عورتهم . ويتلقون برودة الجو وحرارة الشمس لتذهب الأمراض جميعا . إذن الحج أنزل ليرجع الناس كلهم إلى حال واحدة فيصبحوا أمة واحدة يتحدثون في اللباس والمدارس والتعاليم والأخلاق والاسلام دين الفطرة

٩٥ ﴿ خطابي للمسلمين ﴾ بيان أن الجهاد في هذه الآية يشمل العبادات والأعمال المدنية والصناعات وبيان أن الله لم يدع المحاولات بلا إلهام إذ أهمهم أن ينقشوا مايزولون على الأحجار ليقراء الخلف . فالخبرات ماهمات والنبيايات أوصى الله بها وديننا فيه كنوز تظهر الآن وهذا التفسير نعمة وفي الصلاة كنوز العلم . وبيان أن المؤلف قد عوث في النوم على أنه لم يحضر قلبه في الصلاة فاقطع بهذا واستفاد فوائد في نفس هذا التفسير

٩٦ بيان أن الجاهل لاحظ له في العبادة لإحاطة ضئيلة وأن حظ العابد كحظ شارب الماء وحظ العالم من العبادة كحظ عالم الكيمياء في تحليل الماء ومعرفة أسرارها وهذا سر - إن الصلاة تهني عن التفتيش - الخ ومن الجهاد أيضا الصوم ومعلوم أنه قربي ولكن أما أن للمسلمين أن يدرسوا فوائده الصحية كأوروبا أولم يروا كيف استفاد زعيم الهندوس الأكبر (مهاتما غاندي) من المعبشة القطارية والصوم أي الجوع ونبت البنخ محبة وعافية ، وقد صام (٤٠) يوما ، وقلل الملابس ، وعرض أكثر جسمه للشمس فقال محبة يحسده عليها الناس أجمعون وهذا بعض أسرار الصيام والحج

٩٧ أولم يروا إلى أن المصابين بكثرة الزلال في الدم ويتصلب الشرايين يشفون بترك أكل اللحم والبيض الخ وهكذا ينصح الأطباء من جاوز الأربعين بترك اللحم والاكتفاء بالنبات وأنه يجب عليه أن يصوم يوما كل أسبوع ، وبعضهم ينصح بترك الأكل (٤٠) يوما ويشرب الماء في تلك المدة مع قطرات من ماء الليمون وهذا يجعل الإنسان يتحمل الصوم (٤٠) إلى (٦٠) يوما ، وقد صام المستر (ارفينج الانجليزى) (٥٠) يوما فخلص من ضعف المعدة والأعصاب ، وقد شرب أول يوم ستة أكواب من عصير البرتقال وأخذ يقلل شيئا فشيئا حتى اقتصر على الماء ، وبعد تمام الصيام شرب اللبن قليلا قليلا ، وفقد في صيامه (٤٦) رطلا فاستعادها وزاد عليها

٩٩ ضرب مثل لحال العابدين بلافكر في العبادة بحال قراء القرآن بلا تفكير ، وبيان أن الجهاد إما بالفرية وإما بالعقل وإما بالوحي والأخير أفضلها . إن الإنسان لا يفرح إلا بمشروع عنه كاليافوت والزبرجد وأسرار الوجود ، فالجاهل يجاهد تملك الأبحار الخفية وهو يجهل جمال الوجود ، والحكيم يجاهد ليكشف سر الوجود كلاهما جاهد لمنوع عنه

١٠٠ ﴿ الفصل الأول الجهاد بالفرية ﴾ وأن من قرأ أكثر هذا الكتاب عرف أكثر غراز الحيوان وأن للنمل دولة أكبر من أكبر دولة في الأرض تعدادها (٥٠٠) مليون نملة

﴿ الفصل الثاني الجهاد بالعقل ﴾ ومثاله ما جاء في كتاب « كلية ودمنة » ترجمه (برزويه) الطبيب الفارسي الذي ضرب مثلا لآخوان الصفاء بالحكمة الموقوفة مع اخواتها الجمادات ومثلا آخر بالجرذ مع الغراب والسلحفاة والظبي . فالأول تعاون الجماعات المتجانسة . والثاني تعاون الجماعات المختلفة من الإنسان كما تعاون النمل وتعاون الفيل مع أبي قردان

١٠٢ ﴿ الفصل الثالث الجهاد بالوحي ﴾ كجهاد رسول الله ﷺ . كان إذا ألمت به حاجة دعا الله واستغاث به كقوله ﷺ « إني سمع كلامي . وترى مكاني . وتعلم سرى وعلايتي » إلى أن قال « اللهم اسقنا الغيث الخ » وكقوله أيضا « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن الخ » وهذه يقولها من أصابه غم أو دين الخ

١٠٣ وكقوله يخطأ أصحابه في خطبة « أيها الناس قدموا لأنفسكم الخ » فقد إبان فيها أن العبد يسأله ربه ليس بينهما ترجان عن ماله وعن أعماله ، وكقوله « أحبوا الله من كل قلوبكم » وكنفه أن كسوف الشمس وخسوف القمر لأجل موت أحد وحياته . فهذه هي الجهاد بالوحي فدعا الله وأرشد الناس

١٠٤ وحذر من الدنيا في خطبة ابتدأها بقوله « أما بعد فإن الدنيا خضرة حلاوة الخ » وأخذ يشرح مسألة الغضب والرضا من أخلاق الناس ويثم التفرؤ لم يقتصر على جهاد من هم عنده بل جاهد من هم في مكان سحيق . وأنه كان يريد أن يجعل الناس أمة واحدة فكتب إلى (هودة) صاحب اليملة وقال له « إن ديني سيظهر على ملكك » وأمره بالاسلام وأرسل الخطاب مع سليط فأكرم وفادته . وكتب



الى ملك عمان فدعا ودعا اخاه الى الاسلام وأرسل الكتاب مع عمرو بن العاص . وفي هذا المقام محاورة بينهما وبين عمرو بن العاص وانهى الأمر بإسلامهما

١٠٦ وبث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى أمير البحرين فأسلم وأسلم أكثر أهل بلاده . وإلى ملك الحبشة النجاشي فأسلم

١٠٧ وإلى عظيم القرس كسرى فدعا الى الاسلام فزق الكتاب فزق الله ملكه في زمن عمر لاجابة لدعائه عليه السلام

١٠٨ وإلى ملك الروم وقد أمره عليه السلام بالاسلام فأطاع على قومه فأشار عليهم بالاسلام فقبضوا ثم أراضاهم بأنه كان يختبرهم . وهنا يتجيب العلاء في الاسلام من قول حاطب بن أبي بلتعة للقوقس « لسا

تذاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به »

بيان عام في أمر الجهاد وذكر أن المصلى يكرر الرحمة والتربة في الصلاة وأن هذه الرحمة بها تأتفت الطيور والحمامات وتعلم الفلاسفة بها ضرب الأمثال للتألف العام وهكذا نبينا عليه السلام إذ خاطب الملوك للاتحاد العام

١٠٩ زيادة ايضاح وبيان أن المهديين الى الصراط المستقيم المذكورين في القاطعة يجب أن يكون لهم السلطان على الغضوب عليهم والضالين ولهذا قال - قل يا أهل الكتاب - الخ ثم إن هؤلاء الصحابة كانت لهم

لذة روحية بها عملوا هذه المشاق وبها حرم سيدنا أموال الفنائم عليه وعلى ابنته خلف من بعدهم خلف اقتنوا بالذات بعد الغزوات وجهلوا آية - فلا تقحم العقبة \* وما أدراك ما العقبة \* فك رقة - الخ

١١٠ وقد شرع العتق ليكون الغالب والمغلوب أمة واحدة فلما ظلم المسلمون خربت بيوتهم وانكسحوا لأنهم أذهبوا طبيعتهم في الحياة الدنيا . فانظر ما يقوله (سديو) الفرنسي في سبب انحطاط أسلافنا العرب في

اسبانيا فانهم لما طردوا الموحدون تفرقوا هم شيعة وذائق بعضهم بأس بعض فأخذهم التفرج مملكة مملكة . وقاتل (فريند) مع محمد الجمار أهل أشبيلية المسلمين فغضمت لفريند

١١١ ذكر بعض عمالك شرق الأندلس إذ حاصرها جيش الأردمليش وقصرين هود في حاميتهما وسد الماء الداخل لما فسل القوم أنفسهم للفرجة ومات كثير منهم بالعاش وكثير بالسيف

١١٢ ذكر بهجة ابنة أحد المومنين إذ أسرها عالج من العلوج في منزل أبيها وعلى فراشه نفسه وهكذا فتاة أخرى كانت تضي له لأنها كانت مغنية لأبيها وهكذا يفعل المسيحيون في المسلمين ما فعله المسلمون بالمسيحيين - كل يوم هو في شأن -

١١٣ كيف أتمر الجهاد لتحرير أوروبا بعد خود أمة الاسلام . وبيان أن أمثال (روسو) و (فلتر) انما أيقظوا أوروبا بما قرؤوه في كتب المسلمين المنهوبة من مصر والأندلس كإقتدم وأن القسيسين والرهبان كانوا ظالمين وحركة الاسلام هي التي أوقظتهم عند حدهم

١١٤ بيان أن أهل فرنسا يوم ٤ أغسطس سنة ١٧٨٦ م نالوا حقوق الانسان التي نادى بها (جان جاك روسو) وحيت امتيازات الأشراف

١١٥ قصة نوح عليه السلام وتسميها ) وبيان أن الطوفان في القرآن جزئي لا كلي وأن قارة (لعبوربا) كانت تتصل بآسيا وقارة (التيقس) كانت وراء جبل طارق وكانت قسرا فريقا وآسيا معا ثم غطاها الاوقيانوس ففرقت . وهناك قارة كانت في الاوقيانوس الباسفيكي قرب سواحل أمريكا الجنوبية وأغرقها

الماء . وهناك قصة للطوفان في ( سجلات جلجيمس ) في بابل . وهناك قصة في الصين ( جغرافية العالم القديم ) . ويان أن حيوانات مداغشقر مغيرة لحيوانات افريقيا مع قربها منها وحل هذه المشكلة أن هناك قارة اختفت وهي ( ليوريا ) وانتقل حيوانها أيام وجودها الى مدغشقر وأما قارة اتلنيس وقارة الاوقيانوس الباسفيكي فلان الأولى ذكرها أفلاطون والثانية عرفت بنقوش وجدت على صخور ( جزيرة يستر ) . ويان قصة التوراة وأولها « رأى الرب أن شرّ الانسان قد كثر في الأرض الخ »

١١٧ القصة البابلية والصينية والهندية ، غالبية فيها أن ( جلجيمس الجبار ) زار أحد أسلافه ليسأله كيف نجى من الموت فقصّ عليه قصص الطوفان و بناء الفلك وهي القصة السومرية بينها ، والقصتان الهندية والصينية تشيران الى طوفان محلي نشأ عن فيضان الأنهر كالبابلية عن فيضان دجلة والفرات وهناك في شمالي العراق بقعة انجليزية تبحت في بلاد ( اور ) عن قصة الطوفان

١١٨ الأدوار والأكوار في اخوان الصفاء إذ يقولون إن البحر يصير برا والعكس في مدة ( ٣٦ ) ألف سنة وهذه المدة التي حددها لدلائل عليها بل هي أطول جدا . قصة ابراهيم عليه السلام وتفسيرها

١١٩ قصة لوط عليه السلام وقصة شيب وعاد ونوح وموسى وتفسيرها التفصيلي

١٢٠ الكلام على معنى - أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده - الى قوله - قل سيروا في الأرض

فانظروا - الخ . ويان أن السبر ( قسبان ) جسمي وعقلي والثاني مرتب بعد الأول

١٢١ بيان اني كنت أنشك في هذا الوجود وأنا شاب وأراه معقلا لا نظام له وانى قلت اني اذا وقفت على

الحقائق سعدت ، ولقد عرفت الحقائق بقدر طاقتي وألفت هذه الكتب كما عاهدت الله على ذلك .

ويان السلسلة المنظمة من الكواكب ثم المواليد فالعناصر وأن الانسان مختص بمعرفة ذلك وأن الصلاة

في أدعيتها هذه للمعاني الخ

١٢٢ نظام السموات ووضع الكواكب فيها منظمة بأبعاد على مقتضى المتواليات الهندسية ونظام المواليد ونحوها

هكذا ( تراب . جس . ذهب . خضراء السم . كسوف ) وهكذا ثم ( القرد وأدنى الانسان وأعلاه

فاللائكة والله فوق الجميع )

١٢٣ النظر في المعادن مثل الاسفيداج والاسرب والاسفندى والفيروزج ومثل ان الألماس اذا دق بالمطرقة

على الحديد لم ينكسر والياقوت لا يعمل فيه إلا الماس والسبذاج ولكن الأسرب وهو جنس من

الرصاص غير ناضج مسلط على الألماس . إذن الياقوت سيد المعادن ويعمل عليه الألماس ويحكم الألماس

الاسرب . ويان أن المعدن كلما كان أكثر احتياجا اليه كان أكثر والعكس بالعكس كالتعحاس

والذهب ، بيان العناصر عند علماء العصر الحاضر وانهم وجدوا أن الله قدرتها بحسب وزنها الذي

بحيث يزيد النضر عما قبله ذرتين اثنتين تقريبا في الصف الأفقي ويزيد ١٦ عما تحته في الصف

الرأسي وقد اشتركت الصفوف الأفقية كلها في الخواص الكيائية والصفوف الرأسية تشترك في الخواص

الطبيعية كاللون والطعم والرائحة وهذا يجب أن ترتب ترتيبا أفقيا بحسب الفترات ويكون الاشتراك في

الصفوف الأفقية غير الاشتراك في الصفوف الرأسية . وهنا موازنة بين هذه الصفوف وبين صفوف

الأولاد المعروفة المنظمة عدا وأن هذه الصفوف المعدنية أدق وأجيب وبهذا تعرف بدائع الحكم الإلهية

( انظر جدول وفق خمس في صفحة ١٢٥ )

١٢٦ جدول العناصر

- ١٢٧ بيان أن (مندليف) الروسي اخترع هذا الجدول سنة ١٨٦٩ أخبر بمعادن وعين محلها في الجدول قبل كشفها وقد تم ذلك كما أخبر، وبيان أن ترتيب العناصر كترتيب الأفلاك
- ١٢٨ الكلام على الروديوم وعلى الذهب ونظام النفوس الانسانية والملائكة ، وأنه اذا كانت للمعادن منظمة هذا النظام فن باب أولى يكون نظام الأرواح ، وأن الناس يوما ما سيبحثون عن نظام أنفسهم ومتى عرفوه رتبوا لها جداول فارقي الانسان ارتقاء لا يعلم به الناس اليوم إذ يوضع كل امرئ في مركزه في العالم كما وضع كل معدن في مرتبه في الصف
- ١٢٩ ذكر البارود والعناصر التي ركب منها عند الأمم وأن ذلك من كيفية بدء الخلق وكيف كان عند الفرنسيين والألمان والانجليز نلوين السواريج بالياض وبالزرقه وبالخضرة وبالصفرة ، وبيان الجدل في العالم والجمال في الوجوه والجمال في الموسيقى وأن ذلك كله بالنسب الهندسية وكله راجع للآية - قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق - فانه بدأ الخلق بهذا الحساب والنظام الهجيب
- ١٣١ تعريف ابن التقيع للتربة وتعريف أفلاطون لها وملتون وجيمس وسبنسر وبعض علماء (بروسيا) كل هذه التعريفات ترجع للحركة الجسمية والعقلية في التربة وهما يرجعان لقوله تعالى - قل سيروا في الأرض فانظروا - أي بالحركة الجسمية والحركة العقلية فالآية شملت هذه التعريفات كلها
- ١٣٢ (الطيفة السادسة) مقاصد الصلاة في الاسلام ، وتلخيص معاني أقوال المصلي في الركوع والسجود والجلوس بين السجدين والاعتدال مثل ان الحامد عند الرفع لمراسة العالم العلوي وهي عند الركوع والسجود للبحث على علم الطبيعة وبيان أن هذا تقدم في (سورة آل عمران)
- ١٣٣ بيان أن قول المصلي في آخر الصلاة « إنك جيد مجيد » لا يتم إلا بمعرفة هذه العلوم ، وبيان أن نظام المراساة في الأمم الآن جار على مقتضى ترتيب أوعية الصلاة ، فالابتدائي والثانوي ونظير التثاء في الرفع والاعتدال الخ والمدارس العالية للتخصص كما ان التثاء في الركوع والسجود فيه تخصيص فهو كالمدارس العالية
- (الطيفة السابعة) بيان أن المصريين كانت لهم أوقاف للكواكب السبعة يكتبون عليها أسماء الملائكة ويدعون لقضاء حاجاتهم
- ١٣٤ مثال ذلك الجدول المسج المرقوم في هذه الصفحة ، ولعمري لم يكتب قدامهم تلك الأوقاف إلا ليشوقهم لجلال الله فأنحطت أخلاقهم فجعلوها لطلب الرزق كما انعمت عقول بعض المسلمين فجعلوا القرآن لأجل قضاء الحوائج وهذا هو الاتساع
- ١٣٥ (القسم الثاني) من قوله تعالى - مثل الذين اتخلفوا من دون الله أولياء - الى آخر السورة
- ١٣٧ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١٣٨ (الطيفة الأولى) في قوله تعالى - وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت -
- ١٣٩ العنكبوت البناء وعنكبوت البساتين ، وكيف كانت أعمالها منظمة مهندسة ، وكيف أسكت الشبكة الذباب ، وكيف أمكن النسيج أن يقاوم الريح الهابة ، وكيف كان أبرع المهندسين بخلق العنكبوت لا تخطئ ، وبيان دقة خيط العنكبوت وأن غلط خيطها يساوي واحدا من ١٦ مليون مليون من شعرة الدقن (وبعبارة أخرى) ان شعرة من شعرات دقن الانسان غلطها يساوي غلط ١٦ مليون مليون خيط من خيوط العنكبوت
- ١٤١ وبيان أن هذا تشبيه آية - لو كانوا يعلمون - وبيان أن خيط العنكبوت عند خروجه لا يفهم منه

العافل شيئاً ولكن باجتماع الميوط تظهر الحكمة هكذا علوم هذه الدنيا كلها أولها حيرة وآخرها يقين  
ويان الحكمة في تسمية السور بأسماء الفل والنحل والعنكبوت وهكذا

١٤٢ العنكبوت تعيش على القباب ، تصطاده على الأرض وفي الجوّ وذلك بنسجج تطير به كالطيّارات المعروفة  
عند الناس وقد نسج بالنسج فوق الماء ، ويان أن جسم العنكبوت قنبان وجسم الحشرات ثلاثة  
أقسام وأن للعنكبوت (٦) أزواج من العيون ولكن الذبابة لها نحو أربعة آلاف عين كل منها مستقلة  
ويان أن كثرة الآلات لا تمنع الهلاك كما اتفق للذباب كثير العيون مع العنكبوت قليلاً ، ومثل ذلك  
قيصر الروس الذي قتله جنوده بعد أن ذبحوا أبناءه ، ثم إن القباب وإن كان ينظف جوفها هو نفسه  
يحدث الأمراض بحمله العلوي فجعل الله العنكبوت لصيده  
ذكر تعداد الحشرات وانها مائة ألف وستريد الى ألف ألف

١٤٤ هل يجوز رسم الحيوان في التفسير؟ وذكر الأحاديث الدالة على المنع والدالة على الجواز وأن ما رسمه  
هنا خارج عنها لأنه رسم صور شمسية رسمها الله بشمسه وأن ذلك أوضح فيما تقدم في سورة يونس  
١٤٥ صورة العنكبوت واضحة (شكل ٦)

صورة أصول الأرجل والفكين ومخرج النسج (شكل ٧)

١٤٦ صورة جهاز الفزل (شكل ٨)

صورة نسج العنكبوت مع يان حسن لها وأن ما يبلغ رطلًا منه يطوق الأرض مرتين (شكل ٩)

صورة ذكر الفل الحقيقي وصورة مكبرة (شكل ١٠)

١٤٧ صورة أنثى الفل الحقيقية وصورتها مكبرة (شكل ١١)

صورة بقرا الفل المسمى أفيز (شكل ١٢)

صورة غلب العنكبوت (شكل ١٣)

صورة اجتماع الخيط (شكل ١٤)

١٤٨ صورة عنكبوت الحديثة وبينها (شكل ١٥)

١٤٩ صورة أكبر بيت للعنكبوت (شكل ١٦)

١٤٩ صورة عنكبوت صائدة (شكل ١٧)

صورة عنكبوت المنازل (شكل ١٨)

صورة العنكبوت للماء (شكل ١٩)

١٥٠ (لطيفة) في سؤال ورد على المؤلف وكيف كانت هذه الهندسة الجيئة في بيت هوأرهن البيوت ،

وجوابه كما يقول الشاعر \* له هم لامتسى لكبارها الخ \* فإذا كان أدنى المخارقات بديع

جسدنا من باب أولى أعظمها ، ألا ترى أن جزءاً من تسعة من ماء ملاءة ملقعة الشئ فيه كهر باء قوتها

(١٣٣) ألف حصان ، فإذا كان هذا كله في جزء من تسعة من الماء في تلك الملقة فليكن هكذا

بيت العنكبوت فيه أعظم الحكم مع ضعفه

١٥١ رسم باب من حديد مصنوع هيئة نسج العنكبوت (شكل ٢٠)

١٥٢ صورة عقرب تأكل العث والسوس (شكل ٢١) ورسمت هنا لأنها ذات ثمانية أرجل كالعنكبوت

وذكر سؤال ورد على المؤلف وانه مغرم بهذه العلوم فلذلك أكثر منها كما أكثر الرازي من الفلسفة

وأبو حيان غلب عليه النحو ، وكذا الواحدى والزجاج ، وكذا الثعلبي غلبت عليه الأخبار ، والفقير

يكاد يجعل القرآن كله فقها بالقرطبي ، وجواب المؤلف بأن هؤلاء أسأذتنا ، ولكن هذا زمان ظهور حقاني القرآن

١٥٣ ضرب مثل بالعنكبوت عرفنا ﴿ أمرين ﴾ صنع الله بخلق العالم وصنع المخلوق وهي الأصنام وبيان أن كل من وقت عقولهم مهوونون ، بيان تسجيل المؤلف على المسلمين جهلهم بمصنوعات الله تعالى

١٥٤ بيان أن الأمم التي تقل فائدتها أشبه بالباب والتي تنفع تكون كالعنكبوت ، وبيان ما جاء في الاتفاق أن مجزة نبينا ﷺ بالقرآن لأن فيها معاني تظهر في كل زمان

١٥٥ الكلام في آية - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - وبيان أن أدعية الصلاة وأذكارها قسبان قسم يعطي فكرة التسليم لله وذلك كزمان الليل مثل ذكر الرض والركوع والسجود وقسم يعطي مثال الحركة والعمل وذلك كالنهار مثل طلب الهداية في الفاتحة والفران في الجاوس بين السجدين ، إذن بين الصلاة وبين الزمان موازنة وموافقة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ انها أشبه بالعالم الذي نعيش فيه

١٥٦ بيان ما قاله طيهاوس الحكيم ، إن أمراض البدن تبعها مرض النفس وهذا ثلاثة أقسام ، ويقول إن الشر تابع لسوء الزواج ، وبيان ما قاله بنتم ﴿ ان النظافة والعمل قلالان الجرائم والعكس بالعكس وهذه النظافة من خواص الاسلام ﴾ ويقول علماء الهند ﴿ إن الانسان يجب عليه أن يكون في خياله صورجية لا تثير شهوة ﴾ ومثل ذلك ما في كتاب الاشارات ( لابن سينا ) إذ يقول « عشق الشاغل لا الصور يرقى النفوس وكذا العبادة مع الفكر تم إن الصلاة مبدأ الأمرين رياضة البدن ورياضة النفس ، وبالصلاة تقل الشهور لعدم القذارة والبطالة وتوجيه وجه المصل للذي فطر السموات والأرض يجعله مفكرا في تلك العوالم الجبيلة كما يقوله أهل الهند وابن سينا . إذن الصلاة مبدأ لصحة البدن وقوة الروح . الكلام على سبب اسلام عبد الله كويل الانجليزى وانه كان في الجزائر ورأى الوضوء والصلاة فدهش من أن ذلك نصف استحمام ودرس الاسلام ثم أسلم

١٥٨ ﴿ الصلاة اليوم في بلاد الاسلام ﴾ عادية بيني وبين الطلبة بالمدرسة الخديوية وأنا مدرس لهم إذ قلت « اتنا اليوم قد خلصنا ربة الروابط القديمة وأصبحنا قلند أوروبا في كل شيء وتركنا الصلاة ولكننا أدلاه لكل الأمم ، أما أجدادنا المصلون الصائمون الذين يعتبرهم مغر العقول في زماننا غير جديرين بأعظم كمال فقد احترمتهم جميع الأمم ، وجواب تليذ بأن التلاميذ هنا لم يتعودوا الصلاة من الصغر فهم تاركوها الآن كما يتركها النساء ، وبيان ما كتبه كاتب انجليزى في إبان النهضة الوطنية إذ يقول ﴿ إن المسلمين بمصر في هذا الزمان ليس عندهم مكرم أخلاق كالتى عند الفلاحين الذين ورثوا حب الله والفضائل والأهل والأقارب من آياهم ودينهم ، أما هؤلاء فقد تركوا ذلك ﴾

١٦٠ ذكر ما قاله والد معلم ولّى عهد الخديوى السابق ( عباس باشا حلى الثانى ) وبيان ما قاله ناظر المدرسة الفرنسى له من تحكمه بالبيانات فما أظهره له الفيلسوف البوذى يوم الأحد بالكنيسة وقوله ﴿ هاهوذا يصلى فما قاله يقصد به هو وغيره أن ترك دياناتنا ليأخذوا بلادنا ﴾ ثم ذكر ما قاله أسأذنا الشيخ حسن الطويل ﴿ انه لما كان جنديا عاقبه على انه كان يدعوهم لأن المتدينين ليسوا ينضمون في الجندية وذلك بنش أوروبا لهم وقد رفقوه وفرح

١٦١ بيان ما قاله محمد بك عرابى المشهور والده أن أهل سيلان يحافظون على الجماعة ومن أبى قتله ، وبيان ما قاله ( هفرى ) الفرنسى انه لما رأى المسلمين يصلون هاله الأمر وأدهشته العلة ، وعن محافظون على الجماعة والصلاة الوهابية بنجد والحجاز وطالب الأزهر يقرأ ذلك ولكن عمل الناس على خلافه

١٦٢ ذكر مباح في (كتاب الإحياء) من فضائل المكتوبة من الأحاديث والآثار مثل إن الصلوات الخمس

كنهر يباب أحدكم الخ ومثل من ترك الصلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد الخ

١٦٣ الكلام على فضيلة أتمام الأركان وعلى فضيلة الجماعة وإنها أفضل من صلاة الفرد سبع وعشرين درجة وههنا أقوال عثمان بن عفان وسعيد بن المسيب وأبي عبيدة بن الجراح والحسن وحاتم الأصم وابن

عباس وميمون بن مهران والكلام على فضيلة السجود وأن العبد يكون أقرب إلى الله وهو ساجد

١٦٤ الفاتحة وعلوم الحكمة وبيان أن علوم الحكمة كلها قد جمعت في عشر كلمات وهي المقولات المعروفة

مثل الجوهر والسكم والكيف الخ وهذه الألفاظ شملت العلوم كلها فهكذا هذه الفاتحة شملت العلوم كلها

كما تقتضي في تفسيرها مثل (رب) ومثل (العالين) التي شملت العالم العلوي والسفلي كما أن الجوهر في

المقولات يشمل جميع الأفلاك والمواليد وهكذا ، والفاتحة لها منزلة وهي أن الجاهل يتعبد بها أمال المقولات

فلا تصلح للعبادة وتكرارها لا يفيد معنى

١٦٥ (الطيفة) في قوله تعالى - ولا تعبدوا أهل الكتاب - الخ وبيان أن الواعظ يسيطر على عقل الجاهل

والحكيم يسيطر على عقل الغواص والأمرء على أجسام الناس والأنبياء على الجميع

١٦٦ جوهر في قوله تعالى - وكذلك أنزلنا إليك الكتاب - وفيها (ثلاثة فصول) الفصل الأول (فيا

قاله اللورد هيدلي صديقا ، يقول « إن أهل انكلترا يحبون العدل ولكن كان يجب عليهم أن يفهموا

ما هو الاسلام ، وبيان أنه في صفه درس القرآن واستنتج منه ما وافقه عليه الخواجه (كمال الدين) وذم

المتصين من المسيحيين

١٦٨ بيان ميل الناس إلى الإلحاد لما يرون من أن عقائد الدين المسيحي غير صالحة للتأمل ، وهنا أبا

تناقض العقائد المسيحية . قال اللورد هيدلي « المسيح لم يكن مشترعا ولا واضع قوانين فكيف اتبعناه

في أوروبا ، إن شريعته توجب ألا نأخذ بالتأثر ولكن نحن ملزمون أن نقاب الجاني زجرا للأخرين

وهذا هو قانون الدين الاسلامي ، نحن في أوروبا همزنا عن حفظ المرأة وحفظ النسل ونحن أعظم أئمة في

في البحار وقوانيننا جيدة ولكنها لا تنفذ ونحن لا نريد التعذيب للجرمين فلو اعتنقنا الاسلام لسهل حكم

ملكته نصف رعاياها من المسلمين ، لو عرفت أئمة الانجليكية أن الدين الاسلامي دين رقي العقل لسمت

إلى اتباعه ، الاورد يون ينظرون إلى دين الاسلام كأنه وحشية وذلك بسبب المبشرين ، الاسلام أرفع

من أن يكون له قوم مسيطرون غير الله بخلاف الدين المسيحي »

١٧٠ ثم قال أيضا ( رؤساء الدين المسيحي يطلبون السلطة ولاعبادة لهم ولأتباعهم لإلزام أيام الآحاد المحترمة

عندهم لأنها تظهر فيها الملابس الجليلة وهؤلاء الرؤساء أجرة من الجالسين في المبدع على مقتضى الدرجات

كدور التمثيل سواء بسواء ، إن ديانات أوروبا كلها خرافات القرون الوسطى فلا هي كدين المسيح ولا

موسى الحقيقيين وإنما البارونات واللوردات في انكلترا كانوا يستعملون الشجعان للارهاب الجسدي

والكنيسة والاكابروس للارهاب الروحي ليحفظوا ما يملكون بأحداث الملح والفرع في القلوب . إن

شريعة محمد أعظم من شريعة عيسى وموسى وإن عظمتا . مصداق آية - اتخذوا أخبارهم وروهبانهم -

حاصل في أوروبا حقا وصدا

١٧١ وقال ( ديانة المسيح غيرها (سانت بولس) ثم ترجت تلك التعاليم بترجمات مختلفة مغيرة ولكن الاسلام

يكفي رغبات العالم ، فيه إن الله واحد قدوس ، أليس من المنجمل أن نرى العقول البشرية الراقية

تخضع لإفك الكهنوتية وتحتجب عن نظر السماء ومعرفة رب الجميع القهار الذي لا يفرق في رحمته بين

الأولياء والقوم العاديين الجهلاء ، إن مفتاح السعادة في كل مكان وأقل الخلوقات يدبر هذا المفتاح ، ولعمري ما دعا رؤساء المسيحية الى التوسط بين الناس ورجسهم إلا حب الفائدة كالرواتب ومعاشات القسيسين ، الذين مسؤول عن فظائع كثيرة في العالم ، وهل في العالم دين يمكن العالم الانساني من أن يجمع أمره غير الاسلام ؟ وأن الأمة الانجليزية كانت مسلعة لكافة ادارة الاحكام أسهل ولحلت الجميعات الكثيرة الكنسية ولم يبق هناك شقاق حزبي ولا كانت هناك ضرائب ثقيلة لتوصل الناس الى ربهم ، دين المسيح وموسى كان أسهل الأديان ولكن انحط عقدته وجعله سببا في الحروب الصليبية التي مات فيها عشرات الالوف ، لهذا ؟ لأجل ضريح ظن الناس أن المسيح وضع فيه مدة وجيزة ، إن المتعصين وهم القسيسون يحكمون على من لم يتبعهم بالهلاك الأبدى • ويقول (غوردون) « انه لم يجد بين المسيحيين إحسانا كالذي رآه عند المسلمين ، ليس في الدنيا سوى كآلي يمجدها من يؤمن بالحقائق لا بمجرد الأقوال »

١٧٧ وقال (الدين المسيحي شرق وقديق في أوروبا ألفي سنة ولاجوم أن الدين الاسلامي أرق منه أفلايسوغ أن يحل الثاني محل الأول مع انه شرقي أيضا ، وإذا أنارت المسيحية العالم ألفي سنة فلم لايجل الأسهل منها وهو الاسلام محلها إذ ليس هناك مانع ؟ دين الاسلام يؤيد التوراة والانجيل ويوسع تعاليمهما ، أليس من الجور والظلم أن يحكم قومي على الاسلام وهم لم يفسدوه بل هم لم يفهموا معنى كلمة (اسلام) وكأنهم يرون أن إهانة عقولهم ازعلج لهم ، منذ سنين كنت أقول إن الاسلام يحرم الوثنية والقرآن كلام الله وهكذا الانجيل فلم تترك أحدهما مع انا قبلنا الآخر ؟ أنا مدة حياتي شاكر لله ولكن في السنين الأخيرة زدت انشراحا وأصبحت في طمأنينة عظيمة لاحد لها وأنا سعيد جدا سعيد ، ولكم كنت أقول إن تعاليم الكهنوتية لا فائدة منها ولكن أثبت بأن الله هو الفاعل المختار ولكن لما قرأت القرآن اطمأننت جدا ، القرآن يعطي السوى للتميين في الحياة وللجنة والخطيئة أصحاب الأعمال الشيطانية فهو لا أيضا لم أمل في الله رب الجميع ، القرآن يعطي رجاء لكل نائب من هؤلاء ، تصب الكنائس الأعمى وتنافسها دترها ولكن الاسلام لم يفعل ذلك ، منذ سنين طلب بعض الحكام العظام في الشرق أن يبعث عن دين حق فبحثوا ثم قالوا لا تترك ديننا ولوانا شكلنا لجنة لتبحث عن أرق الأديان لم نجد غير الاسلام ، إن من أعظم النعم أن نعتق ديننا حاليا من الكهنوتية موافقا للعقل وهو الاسلام ، في الشرق وفي الغرب رجال يعرفون أن الاسلام هو الحق ولا أدري في أي وقت سينشر الله هذه الفكرة للناس أجمعين ، ولعله يكون قريبا ، الكنائس المسيحية يناقض بعضها بعضا مناقضة عظيمة ومعلمو اللاهوت وضعوا التعاليم معقدة وجعلوها تدهش العقول ، الكنائس الثلاثة الرومية والكاثوليكية والبروتستانتية كلها طردت منذ صفري ولا أدري ما الذي وضع في نفسي عدم الثقة بها في تلك الأيام ، كنت ولا تزال أحتقر ذلك الذي يفت على منصة الخطابة ويحكم على الملايين بالعدم لأنهم لا يوافقونه طلبت من الله أن يعين سنة ليعرفني الحقيقة فعلت بعد ذلك أن هذا الدين من عمل الناس لا من عمل الله ، وأن زيارتي للشرق ملائتي احترامًا واعظاما للدين المحمدي الخفيف » اه

١٧٨ (الفصل الثاني) فيها كتبه (الكوت هنري دي كلستري) قال « كنت أجوب في جوف الصحارى في ولاية حوران وديار ثلاثون فرسا وأمامهم واحد يفتي ويحس في كتاب هذه السطور وكنت أضي الى مدبهم الذي يدل على الانحطاط النفسي بالأراجيز المحبوكه وسني ٢٥ سنة وكان اليوم جيلا وبيننا أنا في تلك الحال الجيلة إذ سمعت المنشد يقول (سيدى الآن وقت العصر) فرأيتهم حالا نزلا عن

الخيول واصطفوا لصلاة العصر وقالوا بلسان واحد ﴿الله أكبر﴾ فرأيت ماحولنا كأنه يقول الله أكبر وداخلني إحساس وشعور جيل جدا وخشية ورأيتي محترقا عند هؤلاء الذين يرون أن الله خاص بهم أما أنا فكأنني هناك فكرت في الاسلام إذ رأيت جلاله الفتن

١٧٥ ﴿أدهشني غواهر الاسلام ولواني كتب إذ ذاك لعنني الناس غير محقق ولكنني أكتب الآن بتحقيق إن الكاتبين عن الاسلام ﴿فريقان﴾ المستشرقون ومستعربو الجزائر وكلامهم من الافرنج والمشرقون أغزر علما ، وأنا وإن كنت من القسم الثاني أسأل المستشرقين عفواً ، فأنا لست ممن كتبوا من غير إيمان فكر مثل المسيو (لوازون) . أنا لست بهذا الكتاب متعصبا للاسلام ولكن الاسلام صار مسألة من المسائل الكبرى شغلت أذهان الباحثين حتى أسست لها مجلة علمية في باريس بنجح بها المسلمون وساعدتهم المسيحيون بالمال على إقامة مسجد يمسكون الله فيه ، فأنا أريد بهذا الكتاب أن أبين كثيرا من الخطأ في الاعتقاد بالنبي العربي ودينه وهذا الخطأ أملاه التعصب الأعمى من بعض المسيحيين الذين يقولون عن المسلمين انهم يفتنون المسيحيين مع انهم هم يفتنون المسلمين ﴿صدق سيدنا محمد ﷺ ، محمد والأغاني المعروفة بأغاني الاشارات ، محمد والتاريخ ، أصل الاعتقاد ، الوحي بالقرآن ، ليس محمد مبتدع ، هل كان على الدوام صديقا ، وفاته﴾

كان لي صدق في لسان وكلما بحثنا في الدين قال الله يلد عند المسيحيين ومحمد نبي المسلمين ساحر فلا دين إذن ، هل يعلم المسلمون ألقاصيص الأغاني ضد الاسلام في القرون الوسطى وقد كانت سببا في الحروب الصليبية ؟ هل يعلم المسلمون أن تلك الأناشيد فيها دين الاسلام هو عبادة الأصنام وأن لهم ثلاثة آلهة وبعضهم زاده لطيف والآله هم (ماهوم) و (البين) و (ترفاجان) و (بافويد) و (ماهوميد) وهو محمد ، وهل يعلم المسلمون أن تلك الأناشيد تقول ان محمدا جعل نفسه إلهاً ، أفلا يدعشون أن محمدا عبد الأصنام يطلب منهم عبادة نفسه في صورة وثن ، هل يعلمون أن هؤلاء المتعصبين يقولون ﴿إن الإله (البين) كان في مغارة ولما انكسر جيش الاسلام سيوه وداسوه بأقدامهم وهشموه . ولما (ماهوم) فقد رموه في حفرة وتركوا الكلاب والخنازير تهشمه وتهينه . ثم تاب المسلمون واستغفروا واصطلحوا مع آلهتهم ولتلك كسرتلك الأصنام الأمبراطور (كارلوس) في سرقسطه . كل ذلك في تلك الأشعار . وقال (ريشار) في أناشيده قوموا ونكسوا صنم ماهوميد الخ وذكر أن صورة ماهوم صنعت من أنفس الأحجار والمعادن وهناك وصف بديع جدا لتلك الأصنام يظن من سمعها أن الواصف شاهدها عيانا وماهوم هذا كان جوفه خاليا فبرى الضوء من خلاله مرصعا بنقائس الأحجار . ولما كانت الآلهة تنزل الوحي وقت الشدة وقد انهزم المسلمون بحث قائدهم فطلب الإله من مكة وسحوله الطبل والزمر والفناء والرقص . وقد وضعوا في جوفه غفريتا فكلم الخليفة . وهذا الصنم جلاوه علامة الدين الاسلامي كما ان الصليب علامة الدين المسيحي

١٧٧ وفي تلك الأناشيد أن المسلمين لما انكسروا أخذوا ينادون تلك الأصنام وهم في هرج ومرج . إن هؤلاء المنشدين لا يعتقدون صحة تلك الأناشيد وإنما هؤلاء هم شعراء القرون الوسطى . فأما المؤرخون بسدهم فقد حسوا كتبهم بالألقاصيص الخرافية وإن سموا أنفسهم معتدلين . ومن عجب أن البوستانت أيضا متعصبون على الاسلام يفتنونه . انظر الى كتاب (ويلان) و (دون ماتينو) صاحب سراج الكنيسة إذ يقول إن كتاب محمد هزق والمسلمين حير وحر وخشية وكسالى وهكذا . ويقول (بروشار) المسلمون فاسقون مفرطون في نسايتهم الخ



١٧٨ إن المسلمين لامة لهم إلا اللذائذ البهيمية والمعيشة الممجة ولم يتغير أسلوب المسيحيين إلا سنة ١٧٣٣ م إذ ألف (ريدو) المسيحي سيرة حياة محمد ذى البدم وقال إن غرض الكتاب خدمة الدين المسيحي وكان سلاحه الوحيد الشتم والتم ، وجعل (فلامسين) الاسلام بدعة مسيحية ، إن مسألة صدق النبي متفق عليها بين المستشرقين قريبا ، وهذا ذكر اسماعيل ودياته وانها تلاشت وحل محلها عبادة الأصنام ثم دخلت اليهودية والنصرانية ، ويان أن النبي ﷺ لم يكتب ولم قرأ ، وهنا يهجر الباحث عن معرفة المصادر التي عرّفته ملجاء في القرآن من البيانات المختلفة ، على انه لو قرأ تلك الكتب لأقر بالتثليث مع انه موحد

١٧٩ لما وجد ﷺ الأمم العربية عابدة للأصنام وهناك قوم يستمدون التثليث وهكذا لزم الخلوة مفكرا في الكون ولما بلغ الأربعين جده صوت من الحق (الله أحد) أما الرعي بالقرآن فهو مشكلة لم يحلها أحد من الباحثين ، إن العقل يحار كيف تصدر آيات عن رجل أمي أصنى إليها عقبة بن ربيعة وأقنعت عمر بن الخطاب وأبكت النجاشي . إن فصاحة القرآن لا يعرفها الفرنجي بالترجمة

١٨٠ إن العقل ليدش كيف تؤثر الفصاحة هذا التأثير وكيف كان يتحداهم بسورة وبشعر سور مفتريات . القرآن متمم للكتب قبله فلذلك يذكر بعض ما فيها فهذه وتليفته . القرآن للانجيل كالانجيل بالنسبة للتوراة . وهنا ذكر الآيات الدالة على أن دين الله واحد . إن النبي ﷺ في أول حياته معتقد بصحة نبوته ولا جرم أن نصره في آخر حياته ثبت هذه العقيدة . لما قهر العرب لم يظهر العظمة ولا اتخذ وزيرا ١٨١ انما هما اجتهدنا فتحن به جاهلون وقول (ريشار) انه كان في آخر حياته شاكا خطأ محض . وكيف لا يكون كذلك وهو باجتماع المؤرخين الصادقين قد بقي بحاله الى الموت فخاضل المشندين من النصارى الذين قالوا إن محمدا قسما تهبه الخنازير وهو نشوان وليس عنده نصير ولا معين وأن المسلمين حرموا لحم الخنزير لأجل ذلك

١٨٢ وكيف يقولون ذلك وهو ﷺ لما مرض خطب خطبة قرأ فيها آية - اليوم أكملت لكم دينكم - ثم رجع الى بيت عائشة وأمرها بتفريق ماعضده من المال للعوزين ثم قال للناس من له على حق فليأخذه وقال - خزي الدنيا أهون من خزي الآخرة - ومات بمحاودة سم الشاة المسمومة عند اليهودية زينب في خير وصار يقول (بارب أعنى على سكرات الموت)

١٨٣ الاسلام في زمن الفتح لم يكن له من الأنصار سنة ٦٢٤ هـ في واقعة بدر إلا ثلثاته وأربعة عشر فامضى قرن حتى اجتاز الالب وتوسط البلاد الفرنسية وأسلمت الشام والهجم ومصر وبلاد الغرب من مراكش والجزائر وتونس وطرابلس بعد اضطراب شديد وانتشار الدين كانتشار السوائل . وأكبر المعاندين للدين كانوا هم العرب لشدة تمسكهم بآبائهم . والأب (بروغلي) يقول إن أبابكر وعمر كانا أعقل من القياصرة والحكام خار يومهم واتصروا عليهم ولما ذهبت دولة العرب بعد قليل بقي الدين معهم

١٨٤ (الفصل الثالث) فيما ذكره العلامة (توماس كرليل) يقول : إن من أكبر العار والسبة على المتدينين أن يقولوا إن محمدا خداع مزور كذاب . وأنا أعجب كيف يروج الكذب بين الناس الى هذا الحد ومن عرف علوم الكائنات دهن من هذه الأكاذيب على نبي العرب . وهل يستطيع الرجل الذى يجمل فن البناء أن يبنى بيتا ؟ كلا . فضلا عن انه يدوم (١٢) قرنا ومحمد بنه مضى له (١٢) قرنا يعيش فيه مائة مليون من الأنفس فلو لم يكن هو بناء لانهارت أركانه ! ما أكذب القهين يكذبونه وما أجملهم وما كذبهم لإلمان قيل الأوراق المالية المزورة . هل يكون الرجل العظيم كاذبا ؟ كلا . إن الصدق أساسه أن الخلف

لا يتوقف إخلاصه على إرادته هو مبعوث من الأبدية لا يعتبر الاصطلاحات وإنما يسير إلى الحقيقة رأساً  
 ١٨٥ الرجل العظيم في نظري مخلوق من فؤاد الدنيا ، بلاد العرب وعرة فيها بعض الرياض فهكذا العربي  
 صامت كثيراً وإذا تكلم كان كلامه قليلاً وهو ملؤه حكمة ، العربي متدين كاليهودي ولكن العربي  
 ذو محمد جنة

١٨٦ مات أبو النبي ﷺ عقب مولده وتوفيت أمه بعد (٩) أعوام وكفله جده ثم عمه فصحبه في التجارة  
 تارة وفي الحرب أخرى ولم يقابل (بمعنا) إلا وهو صغير فكيف يتعلم منه . صناعة الخط لم تكن في بلاد  
 العرب إذ ذاك إلا قليلاً ، إن محمداً ﷺ غنى عن المعلم وعن الخط . هو أمين صادق صامت بشوش الوجه  
 ١٨٧ وقد كذب من قال إن محمداً ﷺ يريد الشهرة والمفخرة له وهو الإخلاص كله . يحقر جدليات اليونان  
 وأصنام العرب وروايات اليهود المبهمة وأوثان العرب والعادات والاصطلاحات . ويحقر تيجان كسرى  
 وقبصر وجيع المظاهر

١٨٨ كان يخاف نفسه في (غار حراء) لينظر في هذا الكون فلما ظهرت له الحقيقة أخبر بها السيدة خديجة وأن  
 الله واحد فتوكل عليه ونسلم الأمر إليه فلم يصادف إلا سحرية من القوم فلم يؤمن به في ثلاثة أعوام  
 إلا (١٣) رجلاً ولم ينصره من أسرته حين خطب فيهم إلا على وجع القوم يشككون ويسخرون من  
 رجلين يقيمان لأصلاح العالم كله . وفي سنة (١٣) من رسالته تألبوا عليه جميعاً إذ اتفق أن يعون رجلاً  
 من جميع القبائل على قتله فرحل إلى المدينة

١٨٩ وهناك لم يجد مناصاً من حرمهم . ومن زعم أن محمداً نشر دينه بالسيف فقد أخطأ وهل أوجد السيف  
 إلا ذلك الرأي الجديد ؟ وقد فعل (شرلمان) بقبائل الكسكون مثل ذلك . إن النصرانية أيام ظهور  
 الاسلام تصدع الرأس لأحياة فيها إلا قليلاً

١٩٠ هذا الدين حق . جاء محمد وشيع النصارى في جدال ونحيط بالجميع القيمة فأنار الوجود وأزال الظلام .  
 القرآن مهجر أعظم إبهام ولكن الأوروبي لا يقدر أن يدرك ذلك الإبهام لأن الترجمة ذهبت بروني القرآن  
 القرآن كتاب تنسريح في كل زمان ومكان دام (١٢) قرناً . لقد كذب (براديه) وأمثاله إذ يقولون  
 إن القرآن أخاديع وتزويق . كانت حياته ﷺ كلها خطوباً في مدة (٢٣) سنة التي بلغ فيها الرسالة  
 ومحاربات ومحاورات ومخاصمات داخلاً وخارجاً

١٩١ كان ﷺ يكتفي من المجهزات بالكون فيذكر لهم السحاب المسخر يخرج صبيه النبات والشجر .  
 ويذكر لهم السفن التي تجري في البحر والجبال الشاعخت ويقول أنها ستفتي . والله أن العلوم التي يقرؤها  
 الناس في العصر الحاضر لتذهب بروني الكون أنها ميتة وهل يذوق لغة جلال هذه الدنيا إلا العابد  
 ذلك هو الذي اقتنعت بصيرته فتشقى الوجود أما العلوم المصرية فهي وحدها ميتة في النفوس . لم يكن  
 محمد ﷺ أنا شهوات وكيف يكون أنا شهوات من كان عفيفاً قانعاً متشققاً في كل أطواره . خشن  
 اللباس والطعام ساهر الليل عابده يحقر الملك والمال والصولجان مما يتطلع له أصاغر الرجال . عاشر  
 القوم تغلب ألبابهم بلطفه . بكى على زيد مولاه برقة وعطف . أنه كان شقيقاً رحيماً . أنى أحب محمداً لأنه  
 رجل لا يتنصع . كان ماضى العزم لم يكن عابثاً . أما الرجل الكاذب فهو ذلك الذي قد تضاعل شعاع  
 الله المنبعث في روحه فأصبح ظاهراً لينة ولطفه كلنا لؤمه وخبثه . إن نفس المؤمن ترجع بجميع  
 دول الأرض

١٩٣ صوت محمد ﷺ صوت الانسانية كلها وليست اللجنة كلها مادية بل ذكر أن فيها السلام والامن والامن

لا وجود له في الدنيا وهكذا الصفاء وعدم الفلّ وما أجله وفي القرآن عظمة العمل الانساني وأن له أثرا كبيرا بعد الموت وهو حق . كان قلبه ملتبها بثوقه واخلاصه لانظيره . ما أشرف هذا الدين وأعظمه وقد مضى له (١٢٠٠) سنة وخس العالم الانساني يتبعه ولم تقتصم أمم بدينها كاعتصام المسلمين بالاسلام محمد ﷺ أخرج أمة من العدم أحياءا بعد موتها ، فهل أحياءا بالكذب ؟ كلا . انه حول الخول الى نشاط والتفرق الى اجتماع ولم يفض على رسالته قرن حتى أصبح للعرب رجل في الهند ورجل في الأندلس ، كل ذلك منه الإيمان ، أفلا ترى ذلك شرارة من السماء تأججت واشتعلت بين غرناطة ودلى انتهى . الكلام على (توماس كارليل) مؤلف هذا الكتاب وانه من (اسكوتلانده) ولدت ١٧٩٥ وهنا (بوهلمان - الأولى) في ابضاح مناسبة هذه الآراء الفرنيجة للآيات (الثانية) في ثناء المؤلف على الله وتبيان قول (توماس) أن محمدا ﷺ لا يكتب ولا يقرأ وقوله انه لم يتعلم وقوله « إن محمدا ﷺ كان يقول هذا الكون هو المعجزة » وأن هذه الأقوال هي عين آيات القرآن . ويبان أن هؤلاء الفرنيين لم تنقيد عقولهم بقشور الاسلام فأمكنهم الوصول الى الحقائق الأصلية بخلاف صغار العلماء من المسلمين الذين غشت على عقولهم العلوم الجزئية وجعلوا الكليات ثم الكلام على شكوى اللورد هيدل من أكاذيب القيسيين على نبينا ﷺ وأن هذا هو قوله تعالى - اتخذوا أhabلهم - الخ وهنا يحمّد مؤلف التفسير به أن هذا الزمن قد ظهرت فيه معاني القرآن واضحة عملا في أوروبا وانه قد نال ما كان يتلمس صغيرا من معرفة نظام العالم ومعرفة وجود خالقه ومعرفة ما قوله أوروبا في ذلك ومعرفة ما به يرقى المسلمون

١٩٩ ويقول مؤلف هذا التفسير أيضا انه دهش جدا من أن أوروبا التي بهرت العالم بصناعاتها وعلومها تمشي وراء هؤلاء القيسيين بلا عقل ، وكيف يحرف الكلم عن مواضعه أولئك القيسيون . وكيف عجزوا عن البراهين واكتفوا بدم سيدنا محمد ﷺ والمسلمين مثل قوطم و المحدثون حبر ونهيم يحب النساء والمسلمون مربوطون بحبال الشيطان ونيهم مرتكب الخطايا يحتاج الى من يخلصه لأنه كان دينويا الخوذين الاسلام يتجمع على الزنا والجمعة أصبحت كرخانة ، وذلك بأقلام كتاب هؤلاء القيسيين في أمريكا وأوروبا

١٩٩ ثم هنا ذكر (اللورد هيدل) أن هؤلاء لم يتعلموا مبادئ الدين المسيحي الذي يحقر الكذب فقد كان ﷺ يحتمل الاضطهاد بصبر ونيات وهو في مكة (١٣) سنة لا يغشى أعداءه وهو عفو محسن شجاع كريم . ومن الحب انه عفا عن الذين أراهم قتلوه . لقد عاب هؤلاء الكاذبون المسيحيون الاسلام لأجل السلب والنهب الذين أتت بهما القبائل المتوحشة . إذن فلنحب المسيحية على محاسن التفتيش التي يرضها الدين المسيحي . إن قوة أخلاق الرجل تظهر في المحن ومن لم تصادفه المحن فمن أين تظهر أخلاقه ؟ هل يمكنك أن تعلم السبر إلا اذا أوديت ضربت . لا فضائل إلا أثناء المحن . إن محمدا كرامة أمانا تعكس علينا التحل الراق . كان ﷺ شديد الغيرة على دين الله فكسر الأصنام وقام عبادتها مع شدة صلابه العرب وتمسكهم بعبادة آلهتهم

٢٠١ ما أشهر محمد السلاح إلا عند الحاجة القصوى - لا إكراه في الدين -

(تذكرة) يقول المؤلف لابد من الصراحة وقول الحق وناطب المسلمين والفرنيجة . أما المسلمون فانه يقول لهم « هلم أولاد كتاب أوروبا نظروا الى الاسلام من حيث جوهره ولم تقتصم المسائل الجزئية ولا المذاهب المختلفة كالشيعة وأهل السنة ولذلك قالوا ان جوهره هي علوم الطبيعة والظلال وجميع الموجودات

إن هنري وكارليل يقولان مايقوله الفزالي وابن رشد بخلاف أكثر المسلمين الذين تعادوا لأجل أمور جزئية كقتل الحسين رضي الله عنه الذي كان سببا في كره جملة الشيعة لأهل السنة والعكس وكان لذلك أثر في السياسة العامة . إن المسلم أشبه بالمحبوس في مكان فيه نور ضئيل بعد القرون الأولى وفلاسفة أوروبا نظروهم في ضوء الشمس وقد قابلهم قراء هذا التفسير . ولقد حبس الاورو ييرون في دين عتيق أكل الدهر عليه وشرب ودحضه عظمائهم . إذن أهل الشرق وأهل الغرب قتلهم التقليد . هذا من جهة الدين . أما السياسة فهمهم الى الآن لم يقوموا بما يجب فيها وكتابي (ابن الانسان) شاهد بذلك (الجوهرة الثالثة) في قوله تعالى - وكأين من دابة لأتحمل رزقها - الخ

٢٠٣ بيان أن عجائب الحيوان ذكرت في أمثال (آل عمران) وغيرها ولينين هنا أن سعادة الانسان موقوفة على العلم . أوليس من المدهش أن يرى الانسان الجرذان قبل هطول الامطار بمدة قريبة تعود من أوكلها على ضفاف النهر الى أوكارها في التربة فهي أشبه بميزان للطقس . وهكذا الفأري البيت قبل أن ينقض عليه بزمن يسير فتر حالا (انظر شكل ٢٢) والجبل في الصحراء يبرخ رأسه قبيل هبوب العواصف حيث لا علامة تدل عليه وبعض السمك قبل أن يعافى النهر لا يأكل لعله أن غداه سيحضر مع الفيضان القريب والطيور تعرف حال الطقس قبل تغيره كالوعول والأرانب إذ تكون السماء صافية فتعبر من الجبال وبعد يوم واحد يظهر السحاب والمطر . وفي (شكل ٢٣) صورة نوع الأوز الذي يرحل من المنطقة قبل اشتداد الشتاء

٢٠٥ (شكل ٢٤) صورة اتحاد الوعول من أعلى الجبال . خطاب المؤلف لله يقول انه سكن الأرض وأهلها يتقاتلون ويبحث عن الحقيقة فوجد أن أكثر الناس في شهواتهم مشغولون وهم متقاطعون وفي أثناء ذلك يظهر أناس يعرفون آثار جبالك ويسخرون من الزخرف ويجبجون من لطفك بالجرذان وعطفتك على الأرانب البرية والوعول وهذه المزايا لا يعرفها الجاهل . أما المفكرون في أمثال هذا فلا سعادة إلا لهم بل هم في جنة العلم والعرفان في هذه الحياة . ولقد رأى قاضي (صوهاج) للحيات والعقارب تفر مسرعة قبل فتح التربة الصوهاجية بساعات وأخبره أهل البلدة أن هذه دأبها كل سنة . ولاجزم أن هذه الحشرات والزواحف لاتعلم بالمستقبل إلا ما كان لعمومها أما ما يخص أحدها فلا بدليل قتلنا للحيات وصيدنا للطيور . وقد يعلم الانسان مستقبل نفسه في التنويم المغناطيسي وإنما حرم من هذا العلم عادة لأنه يغري بالكسل جهل المستقبل يحث على العلم والعمل

٢٠٧ (لطيفة) في قوله تعالى - وان الدار الآخرة لمي الحيوان - الخ وحكاية وزر مصري قال للمؤلف « إن مذهب النشوء والارتقاء به تمتعنا بالقصور والعظمة والمال أما الآخرة والجنة ونحوها فلا . وحكاية مدرس عظيم اشترى أرضا كان في فقره يجلس تحت شجرها فلما اشتراها في كبره فرح بها وغنى وهو عظيم في فرحه وهكذا رجلان فلاحان كل منهما فرح بما عنده ملابس أو أتعانم أو حبوب

٢٠٨ (خاتمة السورة) خطاب العنكبوت للفكرين في الاسلام تقول « إنكم تحرقون الطوب لتبنوا وتزرعوا لتأكلوا وتلبسوا أما أنا فأكسى وما كسى بسبب هذه الخيوط فها مراكمي في البحر ومناطيدى في الجوف وشبكة صيدى في الأشجار . فهذا عزن من مخازن الله تعالى وقد طرت في الجوف فقلدى أهل أوروبا أما أنتم فأنتم في آيات ربكم لاتفكرون »

# صحيح مسلم

جمع

إمام الأئمة الحفاظ . وعلم الهدى الأفاضل

أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري  
الكتاب أشهر من أن يوصف . محتوي على نيف وسبعة آلاف حديث  
محيطة في غاية الثقة والاطقان

وهو الصحيح الوحيد الذي تلقته الحفظة المحدثون بالقبول وأذنت له  
العلماء الفحول وعليه مدار الصحاح في العقول والمنقول  
لذلك تهافت العلماء على شرحه ودرسه لما فيه من القوائد الجمة . كيف  
لا وهو كلام سيد الأئمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم  
وقد طبع عدة طبعات مختلفة . وبالنظر لتهافت المسلمين على اقتنائه  
أصبحت نسخه أثرا بعد عين

وقد طبع أخيرا طبعة مصححة بمعرفة لجنة من علماء الأزهر الشريف  
على ورق جيد وحرف جميل بأشهر المطابع المصرية مذكورا بها الأبواب  
في صلب الكتاب (الأول مرة) وعليه شرح وبيز حل المشكل من ألفاظه  
انتخب من شرح الامام النووي والأبني والنسوسي وغيرهم من الشراح  
المشهور بمعرفة لجنة من العلماء برئاسة العلامة المرحوم الشيخ محمد ذهني  
رحم الله . وهو في مجلدين

